

# الحياة الفكرية في مصر

في العصر الناصريين

دكتور محمد أحمد عفا الله

دار الكتب العلمية



دكتور خضر أحمد عطاء الله  
كلية التقنية العليا - أبو ظبي  
جامعة الإمارات العربية المتحدة

# الحياة الفكرية في عصرنا في العصر الفاسطي

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر  
دار الفكر العربي  
11 ش. برار ممسنى - القاهرة  
ص.ب. 130، ت. 345054

الهدوء

إلى زوجتي ..  
إلى أبتائي :

أمل - إلهام - مَهَا

أيمن - هديل - مُهند - عبدالباري

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الإنسان دائما هو ابن عصره ، وبيئته ، وظروفه . والباحث لا يستطيع أبدا أن يحرر من ظروف انعمير ، وأحوال البيئة وتطورات الحياة التي عاشها . الظروف التي أحاطت به . وقد أسعدتني الظروف بل إن أثاثي دراسي الجامعية في مصر ، التي تفتح ذراعيها دائما لكل مسلم ، ولكل عربي ، وهي أيضا منار الفكر ومنهل الثقافة . ولذا لا عجب في أن اتجه في بحثي هذا إلى موضوع يرتبط بتاريخ مصر وبحضارتها الزاهرة . فقد أردت أن أعبر عن دبي لأمر وعرفاني بالجبل لها ، في أن أقدم سحفا يتناول صفحات مشرفة تصور الأجداد الحضارية الأسالفة ، التي أصبحت نسا وطيدة لتنهضة مصر المعاصرة .

وكانت دراستي الجامعية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة وهي الكلية المعروفة في الدراسات العربية والإسلامية ، حيث نهم بضميق وحدة الفكر الاسلامي وبالتكليل العلمي والثقافة . وفي هذه الكلية الاصيلة جنيتني دراسة عصور تاريخنا الاسلامي المجيد ، ودرست على أيدي مؤرخين أجلاء ، أفكر منهم لساذي الجليل الدكتور محمد حلي أحمد ، مما دفعني إلى تقديم بحثي للماجستير في التاريخ الاسلامي الزاهر .

وحيثما بدأت أعدد موضوع البحث ، اتجهت إلى تاريخ مصر عامة ، وتاريخ الدولة الفاطمية خاصة . فالخلافة الفاطمية قبل كل شيء ، هي خلافة أصيلة وهيئنا بدأ الاسماعيليون الفاطميون جهودهم من أجل إقامة خلافة ملوية فاطمية ، أرادوا أن تكون في مصر قلب العالم الاسلامي ، مهد الحضارة حيث المراقبة والأصالة . وإن كانت الظروف السياسية والعسكرية في الدولة العباسية قد حثت على الفاطميين إقامة دولتهم في بلاد المغرب فقد بدأت الجهود الفاطمية من أجل نقل الخلافة إلى مصر ، منذ عهد الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي ، وتكررت المحاولات حتى

نجح الخليفة الرابع المعز لدين الله الفاطمي في فتح مصر ، ثم اتخذ الديار المصرية مقرا ومركزا للخلافة الفاطمية .

مهل الفاطميون على توطين الخلافة الفاطمية في مصر ، وقد ايقنوا ان هذه الأرض الخصبة الصالحة هي خير أرض تحقق للحضارة الفاطمية اليقاع والنماء ، ليحتجى المسلمون ، بل العالم أجمع ، ثمار هذه الحضارة الناعضة . غراينا جوهر الصقله بضع أسس مدينة عظمى ، هي القاهرة ، التي ولدت عملاقة ، لترفع لواء الفكر والحضارة ، ثم يقيم جوهر الجامع الأزهر ليصبح بعد ذلك أبرز جامعات العالم ، ويخضع آلاف الدارسين من أرجاء العالم الإسلامي . وحينها خرج المعز لدين الله الفاطمي الى مصر ، خرج حليلا كتوزة وحث آيائه مخاضا المغرب بلا عودة الى وطن خلافته الجديد . وكان مولد الخلفاء الفاطميين ابتداء من الخليفة الحاكم بأمر الله وحتى آخر خالفهم العاضد بالله ، على أرض مصر ، وشربوا جميعا من نيلها ، وعاشوا على ترابها ، يشاركون المصريين غترات الرخاء والشدة ، على السواء . وأصبحت القاهرة الفاطمية ثنائس بغداد العباسيين ، وقرطبة الأيوبيين . وانجبه آلافا من ارباب العلم والفكر الى القاهرة ، يساهمون في أرسائه قواعد حضارة عالية راقية .

ورابت أن أدرس في بعض الماجستير الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي وقد ضمت مكتبنا العربية عشرات من المؤلفات القيمة التي تناولت الجوانب المختلفة لتاريخ الدولة الفاطمية في مصر . ولكن مناهل العصر الفاطمي لازالت خفية عامرة ، لا تنضج بل تتبيح الفرصة لكل باحث لتقديم المزيد والجديد . ووجدت ان الحياة الفكرية قد تحتاج الى المزيد من الأفلام لابرار النشاطات الفكرية الواسعة النطاق ، المتعددة الجوانب بعد أن صلت الأفلام وجالت في مراسية موضوعات الحياة السبائية والاجتماعية والانتصالية في العصر الفاطمي .

والفكر هو خلاصة الجهود الانسانية وعصارة للعقول الانلنسية ، ومصدر نجارب طويلة وخبرات متعددة . والفكر الزاهر هو نتاج الاستفراار السمينسي والازدهار الاجتماعي والرخاء الاقتصادي . ولذا لا يمكننا ان نقصل بين الحياة الفكرية وسائر جوانب الحياة الميالية والاجتماعية والاقتصادية في التاريخ الفاطمي ، نكلها تتفاعل في البوثة الفاطمية . ولذا درسنا العصر الفاطمي كمصر

مقابل ، لفصل الى المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في التطور  
الفكري .

والدولة الفاطمية دولة ذات طابع عالمي ، في مجالات السياسة والحضارة .  
فالامام الفاطمي يرى انه الخليفة العاوي الشرعي ، الذي يجب ان يتجه المسلمون  
جميعا اليه بالولاء السياسي والديني . ومصر ، مركز الخلافة الفاطمية الجديد ، تقع  
منذ التفتاء شارأت العالم الوسيط الثلاث اريفة وآسيا وأوروبا ، وعند التفتاء أعظم  
بهرين في المعصور الوسطى البحر المتوسط وانجر الأحمر . وقد نجح بعض الخلفاء  
الفاطميين في جعل البحر المتوسط بحيرة فاطمية وسيطروا على بعض جزره ،  
واقبلوا علاقات اقتصادية وثيقة مع دول أوربية . والتبادل الاقتصادي من وسائل  
انتقال الفكر . وقد الفاطميون نفوذهم الى بلاد الشام والبلاد الحجاز واليمن .  
وارجاء أخرى في العالم الاسلامي . وكان للفاطميين علاقاتهم الخارجية تراوحت بين  
الصدانة والعداء واترت كلها في الحياة الفكرية . واترت هذه العوامل كلها في عالمية  
الفكر في العصر الفاطمي فلم يعد مكررا محليا افريقيا .

واعتم الخلفاء الفاطميون بالنهضة الفكرية ، فكان كثير منهم على جانب كبير  
من العلم والثقافة واهدوا بالؤسسات التعليمية والفكرية واصبحت تصوره مراكز  
فكر وثقافة ، وضمت تلك التصور مكتبات ضخمة ، بذلوا المال والاجهد في جمع  
كتبها من أرجاء العالم . واصبحت القاهرة كعبة العلماء والادباء والفقهاء . وكان  
الازهر متارا للعلم والثقافة . واثرت الخلاف المذهبي في الحياة الفكرية ، فالتصرف كثير  
من اهل السنة عن مخاطر الحيسة السياسية الى العلم والفكر ، ولتعمشت احوال  
اهل السنة في العصر الفاطمي فكان لهم دورهم ايضا في الحياة الفكرية الى جانب  
بروزهم في مجالات السيلية والادارة . ونجحت القاهرة ان تفتزع مكانة القسطنطين  
الفنيدية في المجال الفكري فانصرت القسطنطين غمليا الى النشاط الاقتصادي ، وادت  
العلاقات الدولية والانتجاهات العالمية الى التعمش الحياة الفكرية مرة أخرى في  
مدينة الاسكندرية .

ومختلف صورة الحياة الفكرية في الدولة الفاطمية عن مسورها في العصور  
السابقة والملاحقة لهذه الدولة ، فقد كان الفكر المصري لا يزال في العصرين  
الاولون والاختسبيدي في مرحلة النشأة والتكوين وخلصه ان يمر ادولتين

العلوية والاشيوية كان تمسيرا ، وواجه حكامهما كثيرا من المشاكل الداخلية والخارجية . كما كان طابع الفكر في عصرى هاتين الدولتين يأخذ غالبا الطابع المحلى الاقليمى . كما كان العصر الأيوبي هو العصر الذى شهد مقاومة الفكر الشيعى . وحياء الفكر السنى كما انه العصر الذى عايش الحياء الإسلامى لمواجهة الحملات الصليبية التى أدت أيضا الى لفساء الفكر الشرقى بالفكر الغربى . وبذلك أصبح الفكر الفاطمى متبيزا ، له خصائصه ، واتجاهاته ، ونتائجه .

وخلصة القول — كان الفكر فى العصر الفاطمى مرحلة هامة متميزة من مراحل تطور الفكر الإسلامى ، وقد أرسى الفاطميون أسسا فكرية وطيدة تلم عليها فكر الأجيال التالية . وإذا كانت هذه المرحلة الفاطمية قد شهدت صراعا فكريا بين أهل السنة والشيعة فإن هذا الخلاف وذلك الصراع كانا ظاهرة صحيحة فى المجالات الفكرية وهى مثبتة حيوية الأمة الإسلامية ، وسحبها الى الكمال . كما أدى الخلاف أحيانا الى جدال وهوار وفلس ، ترى التشمس على الفكرى حيث انطقت المسسنة الشعراء وصالت السلام الكتلوب وانعدت المجالس الفكرية . وفرك لنا المختلفون والمتصارعون انتاجا فكريا خصيا . وقد كتبت بحسب بروح الحياء العلمى ، فلم أكن مسنيا ، أو شيعيا ، بل كنت مؤرخا محايدا ، اعياش الأحداث ، وأصور الاتجاهات وأبحث عن الحقيقة التاريخية . وأدمو انه من وجل أن يكون التوثيق فى حالته فى تقديم صورة تاريخية على أسس من المنهج العلمى فى البحث التاريخى لنشاط فكرى خصب فى عصر إسلامى زاهر .

انه من وجل وألى كل توثيق ورشاد .

## بحث في تصانيف وفراغ الرسائل

كانت دراساتى الجامعية ، طوال أربع سنوات ، فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، خير معين لى على التوصل الى المصادر الأصلية ، وإلى تفهم كتب التراث الإسلامى . كما أن كثيرا من المؤلفين الأقدمين كانوا يمزجون ما بين الدراسات العلمية والتاريخية والأدبية ، يحتقوا بذلك وحدة الفكر الإسلامى . كما وجهنى استغاذى المشرف - جزاء الله خيرا - الى المصادر التى تهتم بتاريخ الماطمى بوجه خاص .

يرى المستشرق ( كليرير ) (١) أن المصادر الأدبية هى خير مصدر لمعرفة تاريخ الفاطميين . أى أن الفكر الفاطمى هو مرآة صافية تعكس عليها جوانب تاريخ الدولة الفاطمية ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وتألفت كتب المقرئى ( ثوى سنة ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢ م ) فى مقدمة المصانيف القديمة التى اعتقدت عليها فى بعضى ، إذ وجدت فيها مادة مليحة خصبة عن العصر الفاطمى ، والمقرئى هو شيخ المؤرخين العرب فى القرن التاسع الهجرى ( الخامس عشر الميلادى ) وهو صاحب العقيدة انفة والنظرة الأيجابية الفعالة التى ربطت بين الجانبين السياسى والحربى لعلم التاريخ من ناحية وبين جوانبه المختلفة ، الاجتماعية والاقتصادية والفكرية مما جعل كتابه تنفرد بمسحة فريدة من اتساع الأفق والميق الفكرى (٢) .

والمقرئى زعيم مدرسة تاريخية باهرة شهدتها مصر فى القرن التاسع ، وخصت تاريخ مصر بأعظم جهودها ، وتفرج فيها العبنى ، وأبو المحاسن بن تغرى بردى ، والسحاوى ، وابن أباس . وما زالت آثارها بين أيدينا أمظم تراث تلقيناه فى تاريخ مصر الإسلامية (٣) .

Quatremere : Memoire Historique sur la dynastie des Kgalifes, P.1. (1) (Paris 1838).

تفلا عن كتاب ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر للدكتور عبد المتعم ماجد ص ١١ .

(٢) من مقدمة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم لكتاب ( دراسات عن المقرئى ) ص ٦ .

(٣) من مقال للأستاذ عبد الله عنان فى كتاب ( دراسات عن المقرئى ) ص ٤٤ .



ومما جعل دراسات المقرئ عن مصر ، دراسة جادة عميقة ، انه واثق مخلص يؤمن بحب الوطن فضلا عن ايمانه بالاستقلال في الرأي وايمانه بضرورة الاستقرار في المناداة بصلاح الامة كلها ، واحوالها المعاماة ، لا احوال طبقة معينة دون غيرها من الطبقات ، كما اتصفت مؤلفات المقرئ أيضا بالدقة في ايراد الحقائق والتخصص المتوخى وحسن التوزيع ، والنسبية والمنظورة (١) .

ومن الدسقات البارزة في عرض المقرئ لتاريخ الدولة الفاطمية انه يتبع منهجا طليبا طيبا ، فهو يعتمد في كل موضوع أو ترجمة على المصادر المعتمدة للأحداث أو الوثائق أو على المصادر المعتمدة بصفا عامة للدولة الفاطمية ولكننا نراه أيضا يعتمد على مصادر متأخرة فيها اذا لم يتبع له الاعتماد الى مصادر معاصرة للدولة الفاطمية .

وتجد المقرئ في كثير من المواضع في كتبه هو المناقد المحلل والمحلل ، ونجده احيانا متعاطفا مع الفاطميين أو مقبرا لتفهم على الحتمية الاسلامية ، واكن المقرئ - حقيقة - اتبع منهج تفكير المحلل وتمييز الأضراس ليصدر الحكم اخرا مجردا من كل ميل أو هوى وهو المنهج الموضوعي (٢) .

اعتد المقرئ على محفوظات التفسر الفاطمية وخاصة عند دراسته جوانب المسألة والاقتصادية وبذلك حفظ المقرئ لنا هذه الوثائق الهامة التي حقرت فيما بعد (٣) وتقدم المقرئ في مؤلفاته مادة غزيرة عن العصر الفاطمي ، اثنى بها من المصادر التاريخية التي علمرتها ونكتها ساعت ، مثل كتب : ابن زولاق ، والمسبحي ، والقضاسي ، وابن الأثير ، وغيرهم (٤) .

ويعد استاذنا المؤرخ الجليل الدكتور محمد عطفي أحمد (٥) معالجة المقرئ للجوانب المتعددة للدراسة التاريخية بلها معالجة متوازنة لتفضل لجانب منها على الاخر ولا تميز لاحدها أو لبعضها من وجهة نظر المؤلف . فهو يسهل الانبساط

(١) من مقال للدكتور محمد عطفي زيادة في كتاب (دراسات عن المقرئ) ص ٧ - ٨ .

(٢) من رسالة دكتوراة غير منشورة للدكتور درويش النخيلي بعنوان (مصادر المقرئ في كتاب انماط الحنفا ص ١٨ - ١٩) .

(٣) Enyel. of Arabic Civilization, P. 348. (٦)

(٧) ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ص ٣٦

(٨) مقدمة الجزء الثاني من كتاب انماط الحنفا ص ١٢ .

السياسية والعسكرية معاينة متعاقلة ، ويحدث عن التطورات الاجتماعية والاقلامية بمثل ما يتحدث عن الأحداث الدينية أو الادارية بحداد وموضوعية فون أن يخص ايا من هذه الجوانب بهناية تبرز بعضها دون البعض الآخر ، أو ندل على ميل من جانب المقرئ الى الاهتمام بناحية دون غيرها ، ويتضح هذا المنهج في كتاب ( انعاط الدنيا باختيار الأئمة الفاطميين الخلفاء ) عند اراد المقرئ أن يكون كتابه هذا الذي مخصصا لرحلة بعينها شاملا للموضوعات التاريخية المتنوعة لهد الدارس بالمادة العزيزة التي تتيج له معرفة شاملة متنوعة يمكنه من اتساع اتجاهه النقائل من مورد قيم نامرفة متعدد الاهتمامات .

ومن مؤلفات المقرئ كتاب ( المواظ والاعجاز بذكر الخطط والآثار ) الذي انشهر باسم ( الخطط ) وقد اهتم المقرئ فيه بدراسة تاريخ مصر السيلسي والاقتصادي والكرى والنظم الحكومية والمذاهب الدينية وسير الولاة والخلفاء والسلاطين واحوال مصر الاجتماعية (٩) .

يري المستشرق ( روزنثال ) (١٠) ان كتاب الخطط هو نتيجة الاهتمام بدراسة التاريخ المطلبى الديوى في مصر ذلك الاهتمام الذي نفع الى تليف كتب فيها معلومات كثيرة طبوغرافية وثقافية وتاريخية واقتصادية برتبة ومصنفة بشكل اتيق . ويمتد ( روزنثال ) ايضا ان كتاب ( الخطط ) هو اعظم كتاب من هذا النوع وأنه يظهر سعة اهتمام المقرئ وقراءاته الشاملة إذ ان هذا الكتاب اكمل بكثير من الكتب المشابهة التي دونها اسلاف المقرئ .

وفي كتاب ( الخطط ) تبدو وطنية المقرئ حين يقول في مقدمة هذا الكتاب :  
« وكانت مصر هي مسقط راسي وملعب آرائي ، ومجمع ناسي ومغنى مشيرتي وحلبتي ، وموطن خلستي وعامي ، وجوؤي الذي ربي جناسي في وكوه ، وعشي ملزمي فلا تهوى الانفس غير ذكره . ولازلت منذ شطوت العثم واتاني ربي الفطنة والفهم ، ارفع في مسمرة اخبارها ، واحب الاشراف على الاغتراف من كبارها . . . » (١١) .

(٩) على ابراهيم : استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط

ص ١٦٩ .

(١٠) علم التاريخ عند المسلمين ص ٢١٤ .

(١١) مقدمة كتاب الخطط للمقرئ ( المطبعة الأميرية ، بولاق ، القاهرة ) .

والمعريزي مؤلفات صغيرة ، نذكر منها كتاب ( اغارة الامة بكشف الغمة ) ،  
ويتناول تاريخ المجامع التي حلت بمصر وفيه اهم الميريزي مقتصاء الجوانب  
الاقتصادية والاجتماعية من تاريخ مصر (١٢) .

قدم الميريزي للمكتبة العربية انتاجا فريدا فيها يرجع الفضل فيه الى عدة  
عوامل اولها ان الميريزي كان يمتلك مكتبة كبيرة نسخة تضم العديد من الكتب في  
مختلف العلوم والمعارف المعروفة في ذلك العصر وثانيها توليه عدة وظائف مختلفة .  
اعطته الفرصة لمعرفة سير العمل بالحكومة والتوقف على النظم الادارية والقياس  
واحوال الشعب الاجتماعية والاقتصادية . وثالثها اشتغال الميريزي بعلم الحساب  
والتاريخ . وهما علمان يعتمدان اصلا على الجرح والتعديل والتقد والتحايل ،  
والثبت من صحة كل قول او رواية او حقيقة علمية (١٢) .

ويجب الحذر في نقل المصادر الاصلية عن الدولة الفاطمية في كتب غير  
شيعية ، ولا سيما ما كتبه عنها المؤرخون السنيون ، فقد كان غاب هؤلاء بعداوتهم  
المذهبية للدولة الشيعية يظهرون تاريخ الفاطميين بظهر مزيف . بل لم يكونوا  
يعالجون عليهم اسم الفاطميين ، وانما يسمونهم العميديين نسبة الى جدهم عميد اله  
المهدي ، رغبة في نفي انتمائهم الى علي بن ابي طالب وزوجته فاطمة بنت النبي .  
ولا نجد تاريخ دولة قد شوه من قبل مؤرخي السنة كما شوه تاريخ الفاطميين لهم في  
رأي السننيين من الرافضيين الذين خرجوا على الدين او من المجوس او من اليهود .  
وهذه المداوة ترجع الى نجاح الفاطميين في تكوين خلافة مستقلة تتنافس خلافة  
بغداد السنية (١٤) .

الدكتور الجليل الدكتور علي حسني الضربومطلي كتابا بعنوان ( عماد  
الدين ادريس : الداعي والمؤرخ الفاطمي ) تحدث فيه عن الترميم الفكرية  
الاسماعيلية ، ونقل فيه كثيرا من آراء المتكلمين الاسماعيليين المعاصرين عن الانتاج  
الفكري الفاطمي . فنقل تصوير الأستاذ الهندي الشيخ رجب علي الأستاذ بالجامعة  
السنية بفنهد الأدب الفاطمي فقال : « امتاز الأديب الفاطمي عن غيره ، وكانت له  
وحدة امتيالية ، ومن خصوصياته ان اعلام الأدب الفاطمي ينطقون عن الكلم البديعة

(١٢) علي ابراهيم : استخدام المصادر ص ١٧٦ .

(١٣) من مقدمة للدكتور جمال الشيبان للجزء الاول من كتاب ( اعماق الجنان ) .

(١٤) عبد التعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ص ٢٠ .

التي يعبرون بها عن التفويجات المنادرة ، ويؤدون ما في أنفسهم من تلك المعاني واللفاظ غريبة وعبارات لطيفة ، ويجمعون في عباراتهم ما استطاعوا وأمكنهم كل ندرة وغرابة من بدائع الالفاظ وتراكيب المعاني كعمل غيرهم من أهل البلاغة فلا يكتفون بذلك فقط بل أنهم مع كونهم محتوبين على تلك المزايا الأدبية بشأن اميليزي يعبرون عن المعنويات والحكمة والفلسفة بتلك الوحدة الامتيازية، وهذا هو الأدب الفاطمي .

« ولا يخفى ان الأدب الفاطمي مع كونه محتويا على تلك البدائع يحتوي على لغون ويجمع مزايا لمست في غيرها . ان الأدب الفاطمي حينما يبدي التوحيد والعقل ، وحينما يفسح بالشرع والعقل ، وانه حينما يلتقي البنا الباهلن والغاويل وحينما الحجة والبحث » (١٥) .

وكان لتقويم الدولة الفاطمية على أسس دينية ومذهبية ، اثره في الحياة الفكرية ثم كان له اثره أيضا بعد سقوط الدولة الفاطمية في بحر في اخفاء المؤلفين الفاطميين لمقتبهم نتيجة ما هاناه الفاطميون - بعد هذا السقوط - من الاضطهاد في مصر واليمن ثم الهند .

وبرى المنكر الفاطمي الهندي المعاصر ، للدكتور يوسف نجم الدين (١٦) ان اخفاء الفكر الفاطمي جعله « تقياً طاهراً برياً نزيهاً من خواص الاستحسان واستجلاب الأفراض الذاتية من تلقائه فمصبح يمثل اندفاع الفكرة تنكراً في موضوعاته من دون تلك الدوامي الخارجة عن المنسبة له . فجاء من ذلك المعنى للقرنات التي تالفت بها القلوب ، ثم حاولت لتؤثر غيرها بتلك الاحتفل ، في تقلم التفتيل الذي ترمى في بيئنا فاطمية محضة » .

وتحدث الدكتور يوسف نجم الدين عن خصائص الفكر الفاطمي فقال انه :  
« الضخيل الذي رأى الدنيا وما فيها من حاسن ومساويء كما رأى الدين وما فيه من مزايا وخصائص ، فرأى كليهما يعين الدين في ضوء الفلسفة التي ضمير عن عبارة الدنيا والآخرة ، وأبصر كليهما وسيلة الى ما شام بين يديه كالمثل الأعلى وهو كون الشخص الفاضل الذي هو الأمل المعامل من اولاد ناطقة الزهراء . في كل عصر .

(١٥) على حسنى الخربوطلى : مواد الدين ادريس ص ٨٧ .

(١٦) وهو مدير الجامعة السنية بالهند . وتتميق سلطان البهرة .

( انظر كتاب مواد الدين ادريس - للدكتور الخربوطلى ص ٨٩ - ٩٠ ) .

وزمان . نكل ما انتهى اليه جاء في مضمره ، وكل ما أدى اليه اخذ طريقنا واضحا مستقيما . فكانت وجهة منزلة ، ولمكرة تلبية بذاتها جامعة لجميع الفكر في نطاقها » (١٧) .

وهن الكتب الفاطمية التي حررنا على الامالاع عليها كتب القاضي النعمان بن حيون (توفي ٣٦٢ هـ — ٩٧٣ م) وهو من العلماء المسلمين الكبار وقد ألف في الوعظ والتاريخ والأخبار والصبر والامتناد ، والحقائق في التلويل والفتحة (١١٨) وهو خير من يصور الفكر الاسماعيلي الفاطمي .

ومن هذه المصادر الفاطمية ايضا كتاب سيرة جعفر الصاحب ، وهو جعفر بن منصور البهن ، وهو حجة في علوم الفاطميين وعكرهم حتى بز القاضي النعمان نفسه . وهذه السيرة وضمت في عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي ، وتناول نشأة الدولة ، وتؤيد حق الفاطميين في الخلافة كما تناول بعض الأخبار (١١٩) .

كان منصور البهن موضع ثقة الائمة القائم والمنصور ثم المعز ، كما أصبح (باب الابواب) في عهد المعز ، ومن كتبه : « تكويل الزكاة » و « الشواهد والبيان » و « الكشف » و « الفترات والفترات » وتمثل هذه الكتب الفكر الاسماعيلي (١٢٠) .

ومن المصادر الفاطمية كتاب « سيرة المؤيد » للمؤيد في الدين الشيرازي (توفي ٤٧٠ هـ — ١٠٧٨ م) وفيه يتعرض المؤلف لفترة عملة في تاريخ الفاطميين ، في المرحلة الوسطى منه ، في الربع الثاني من القرن الخامس الهجري في أيام المستنصر . ويزيد من أهمية الكتاب لن المؤلف نذل في وظائف متعددة لم يسفل وظيفة داعي الدعوة الأخص بالدعوة للمذهب . كما يشتمك الكتاب على رسائل كتبها المؤيد الى بعض الوزراء والولاة والقواد الفاطميين وتعتبر من الوثائق الرئيسية . ثم هناك « المجلسات المؤيدية » وهي ثمانمائة مجلس حول المسائل القوية الفاطمية (٢١) .

(١٧) المرجع السابق ص ٩ .

(١٨) كان من أشهر كتب القاضي النعمان : رسالة افتتاح الدعوة ، ودعائم الاسلام ، والهمة في آداب اتباع الائمة . وترج الأخبار والمجالس والمسائرات ، والافتتاح .

(١٩) ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ص ٢٤ .

(٢٠) حسن إبراهيم : الدولة الفاطمية ص ٤٨٩ .

(٢١) ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ٢٥ .

ومن مصادرنا كتاب ( التكت المصرية في أخبار الوزارة المصرية ) ، وولد الفقه  
عمارة البيهقي ( توفى ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م ) عن وزراء مصر ، ولقيه تصانداً. تقدم موراً  
شعبة حياة ونفوذ الوزراء وسيطرتهم على الخلافة الفاطمية . وقد زار عمارة مصر  
في أواخر العصر الفاطمي ( سنة ٥٥٠ هـ ) ونشيع لهم وقال حفته على يد صلاح  
الدعبل الأيوبي . ويصور هذا الكتاب نور الوزراء في الحياة الفكرية في مصر في  
العصر الفاطمي .

ولم تخل المصادر التي حاجت الفاطميين حتى تعرفت جميع وجهات النظر  
مثل كتاب « كشف أسرار الباطنية وأخبار الدراطة » للحمادي البهائي ( حوالي  
القرن الخامس ) وهو فقيه سني دخل في مذهب الفاطميين لبطاع علي عتائدهم وكتبهم .  
يقصد انهيار نتائج مذهبهم . ومثل كتاب « الترق بين الفرق » للبيدادي ( توفى  
سنة ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م ) وهو معاصر للدولة الفاطمية في مصر ، وكتب بتعمد  
شديد ضدها . فمعد تصلا عن مذهب الباطنية ويقصد به المذهب الضمير . ومثل  
كتاب « فضائح الباطنية » للغزالي ( توفى سنة ٥٠٥ هـ - ١١١٢ م ) الذي سخر من  
عقائد الشيعة إذ دعاه الخليفة العباسي المستظهر بالعراق ليرد على الدعوة  
الفاطمية (٣٢) .

وأطلعنا على المصادر التاريخية التي تهتم بتاريخ مصر وهي مصادر سني  
شعبة مثل كتب الكندي وابن الجاسق والسبوطي وغيرهم . وولد أهم أبو الحسن  
أ توفى ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م ) بأخبار الخلفاء الفاطميين وأحوال مصر في عهدهم ،  
وأبدي المسوطي ( ٩١١ هـ ) عداه نحو الفاطميين . كما أمدا ابن ميسر ( ٦٧٧ هـ )  
في كتابه تاريخ مصر بأخبار كثيرة عن الخلفاء والوزراء الفاطميين .

واستفدت من كتاب « الكليل في التاريخ » لابن الأثير ( توفى ٦٢٠ هـ -  
١٢٣٢ م ) وقد شهد سقوط الدولة الفاطمية وأمدا بكثير من الأخبار وكتاب  
« نجسرب الأمم » لسكويه ( توفى ٢١١ هـ - ١٠٣٠ م ) وقد أكمل الرودراوري  
المعروف بابن شجاع هذا الكتاب فقدم لنا « دليل تجارب الأمم » والمؤلفان معاصران  
للفاطميين وهما من السنة . كما استفدنا من كتاب « الإشارة الي من نال الوزارة »  
لابن الصيرفي ( توفى ٥٤٢ هـ - ١١٤٧ م ) حيث ترجم لعهد كبير من الوزراء . كما

قدم ابن خلكان (توفي ٦٨١ هـ - ١٢٨١ م) في كتابه «وفيات الأعيان» كثيرا من الأثر الجليل للخلفاء والوزراء والأعلام .

ومن حسن الحظ أن التاريخ الفاطمي قد لقي اهتماما كبيرا من أساتذة الجامعات المصرية فقدموا مكتفينا العربية دراسات قيمة وفي مقدمة هؤلاء العلماء الأجل الدكتور حسن إبراهيم حسن ، والدكتور محمد جمال الدين سرور ، والدكتور على حسنى الخرموطى ، والدكتور عبد المنعم ماجد ، والدكتور محمد كامل حسين ، وغيرهم . كما أهتم هؤلاء الأساتذة الأجل بتوجيه بعض تلاميذهم إلى تقديم رسائل للماجستير والدكتوراه تتناول جوانب عديدة في العصر الفاطمي مازال معظمها - للأسف - مخطوطا ، ونرجو أن تجد هذه الرسائل القيمة طريقها إلى المطبعة ، وقد نصحنا في الإطلاع على بعض هذه الرسائل .

## تمهيد

### الحياة الفكرية في مصر قبيل قيام الدولة العاطمية

يلقى هذا التمهيد ضوءاً على الحياة الفكرية في مصر قبيل قيام الدولة الفاطمية وبمعرض حياة الدولتين الطولونية والاضشينية ومدى دورها في الحياة الفكرية في مصر بلجاز : جاء أحمد بن طولون الى مصر والطموح بلوح في الاثاق امام نظريه فتمكن بذكائه من تسييس الدولة الطولونية حيث عمل على استقرار الحياة في مصر وجعلها مرهومة الجاه نقد كان أحمد بن طولون اميراً مستقراً . (١) يصب العلوم والآداب ويرعاها بتعضيده وحيافته ، ويجعل مجالس العلم وحلقات الآداب مما تشجع على ازدهار الآداب والفنون في عهد (٢) .

وبعد بدأت هذه المنتديات والمجالس العلمية في التصور المصرية منذ فلوليوت الدولة الطولونية . ويقول ابن زلانة : انه في عهد الطولونيين لم تكن هناك مدارس فكانت الدروس تلقى في قصور الامراء والوزراء وبنازل العلماء (٣) .

ولا ننسى ان جامع ابن طولون كان منذ منتصف القرن الثالث الهجري بمثابة معهد ديني جديد للدراسات الدينية والشعرية (٤) . وكانت الفسسطاط وبسبب جدها بالجامع أيضاً مشوى الحلقات والمجالس العلمية والآدبية في هذا العصر لأن مدينة التطلخ التي شيدها ابن طولون كانت مركزاً للسياسة والإدارة ومقراً للجامع وحاشيته .

كذلك اغرى قيام الدولة الطولونية كثيراً من العلماء من الكتاب والشعراء

(١) تلقى ابن طولون العلم في طرسوس . وهي مدينة أفريقية قديمة . وأصبحت مركزاً هاماً للتجارة والبحث والدرس فضلاً عن أهميتها العسكرية .  
(٢) ابن الداية : سيرة ابن طولون ص ٤ - ٥ .  
(٣) الكندي : كتاب الولاة والقضاة ص ١٢٤ .  
(٤) عبد الحلهم منصور : تاريخ العلم ص ٥٣ .  
(٥) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ص ٢١٦ .



الى مصر حيث كانوا اهل كرم وبذخ . فاستقدموا الشعراء والادباء وفروهم  
ووصلوهم فكانوا حولهم بلاط ادبيا ائبى ما يكون ببلاط خلفاء العباسيين (٥) .

للدولة الطولونية التي حكمت البلاد ثمانية وثلاثين عاما انفتحت فيها البلاد  
واستردت ثورتها وعظمتها ، دراجت تجارتها ونشطت صناعاتها وزراعتها وقوى  
الجيش ، وانتشبه الاسطول البحرى ، واصبحت مصر دولة عظيمة تمتد من العراق  
الى بلاد برقة بما في ذلك اسيا الصغرى والشام وفلسطين .

وكان بعدها عهد نهوض بنى العسارية والزخرفة والنقش وعهد سلام ورفاه  
وعناية بالرعى والضعفاء وتشجيع للعلم والعملاء (٦) .

وقد اهتم ابن طولون بديوان الانشاء اهتماما كبيرا لمحااجة الدولة آنذاك فانه  
الذى امننت املاكها خارج مصر حتى حدود الدولة البيزنطية فكلر بمصر الكتاب منهم  
من وفد اليها امثال احمد بن محمد الواسطى ، والحسين بن مهاجر ، وانحلق بن  
نفسه اليفغادى وقد عملوا مع ( ابن عبدكان ) الذى راس مدرسة الانشاء وخرج  
على يده بحار الكتاب وخلقه عليها على بن احمد اللؤلؤى (٧) .

وكان احمد ابن طولون اول من اخذ في ترتيب الملك واقامة شمامسة السلطنة  
بالقهار المصرية ، ولما شخ سطرانه وارتفع بها شأنه ، اخذ في ترتيب ديوان الانشاء  
لما يحتاج اليه في المكاتب والولايات المستكتب ( ابن عبدكان ) فاعلم منسلر ديوان  
الانشاء وربع مقدار ، وكان يمتح ما يكتبه عنه في الولايات بلاط « ان ولى كذا »  
« ان احق كذا » (٨) وعمل لدى الطولونيين محبوب بن رجك واحمد بن ايمن واحمد  
ابن يوسف المعروف بلبن الداية وابن جدار . وكان ابن طولون اهل الى استخدام  
الكتاب المصريين كجدهم بن عبد الغفار لسهولة انجاز العمل عليهم .

كما انتعش الشعر أيام حكم الطولونيين نتيجة لتفسيح الحكم واغداقهم  
الجوائز والأمطيات على الشعراء مما جذب الشعراء من الخارج من ناحية ونهض

---

(٥) د . مصطفى المساوى الجوينى : ملحق التسطحية المصرية في الدراسات  
البيانية في القرن السابع الهجرى ص ٥١ .  
(٦) على ابراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٨٤ .  
(٧) ابن الداية : سيرة ابن طولون ص ١٩ .  
(٨) القلقشنبدى : صبيح الأعشى ص ١١ من ٢٩ .

بالشعر المجرى من ناحية أخرى « وعلى رأس الشعراء المصريين نجد الحسين  
ابن عبد السلام المسمى بالجلول الأكبر ولد سنة ١٧٠ هـ وفوتى ٢٥٨ هـ والحسين  
المسمى بالجلول الأصغر وانقسام بن يحيى بن جعلاوية وبتصغير بن اسماعيل  
ابن عمر (٩) .

فقد روى المريزي (١٠) عن القاضي ابن عمر عثمان التائبى الذى قال في  
كتابه « حسن السيرة في اتخاذ الحصن الجزيرة » انه رأى كتابا لا يقل حجمه عن  
اثنى عشرة كراسة يحوى مبرسة شعراء ميدان ابن طولون . فلما كانت أسماء  
الشعراء في اثنى عشرة كراسة فكم يكون عددهم ؟ وكم يكون مقدار شعرهم وما  
يكافلون به من الأموال (١١) .

وبعد دولة بنى طولون عند ذهابها اياها بكاء لغال شاعرها سعيد القاص من  
تمجدة طويلة رائعة :

طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها  
بتقد بنى طولون والإنجم الزمير  
وتهد بنى طولون في كل موطن  
امر على الاسلام عمدا من التطير  
تذكرتهم لنا مشيوا فتنالعمير  
كما اوعض سالك من جبان ومن شبيبر  
بين يك شيئا ضباغ من بعد اهله  
لغتمدهم فطيسك جزنا على مصر  
لييك بنى طولون اذ بان عصرهم  
نيورك من دهر وبورك من عصر

وعقب سقوط الطولونيين ٢٩٢ هـ - ٩٠٥ م عادت مصر الى عهد التيمورية  
المطلقة للعباسيين الا ان الاضطرابات تشرت في البلاد بعد خضوعها لدار الخلافة  
وذلك لشعب الخلفاء العباسيين في بغداد وعجزهم عن المحافظة على سلطاتهم فيها

(٩) تاريخ اللغة العربية في مصر للدكتور أحمد مختار عمر ص ٥٩ .

(١٠) الخطط المريزي ج ١ ص ٢٣٦ .

(١١) المجلد في التاريخ المصرى للدكتور حسين ابراهيم ص ١٥٢ .

لاستبداد الأتراك بسبب المنافسة القوية بين الولاة وعمال الخراج (١٢) .

وعلى أثر زوال الدولة الطولونية جاء بنو الإخشيد (١٣) محمد بن طنج (١٤) وولدها أئوجور وعلى ، ثم وزيرهم الخصي النلبه كلجور (١٥) ، حيث استمرت دولتهم زهاء ثلث قرن ٣٢٤ هـ / ٣٥٨ هـ - ٩٢٥ م / ٩٦٩ م حسنة للعلوم والآداب (١٦) .

وكان بلاط الإخشيديين في مصر قد اشتهر بطائفة كبيرة من العلماء والمحدثين والتصوف والأدباء والشعراء والمؤرخين تذكر معهم على سبيل المثال من ظهروا في أوائل القرن الرابع الهجري حيث كانت القسطنطينية تضم جماعة كبيرة من أقطاب المفكرين والأدباء وكانت أبواؤها ومجالسها الأدبية حافلة زاهرة ، نفس تلك الفترة اجتمع زعماء الفكر والأدب ، أبو التمام بن عديد الأزدي توفي ٢١٢ هـ وتلميذه أبو عمر الكندي المتوفى ٢٥٠ هـ مؤرخ الولاة والقضاة ، وأبو جعفر النحاس المتوفى ٢٢٨ هـ المصري الكاتب والشاعر ، وأبو بكر الحداد المتوفى ٢٤٥ هـ قاضي مصر وأبو القاسم بن طباطبا الحسيفي الشاعر المتوفى ٣٦٥ هـ وأبو بكر بن محمد بن موسى الملقب بسبيويه المصري المتوفى ٢٥٨ هـ والحسن بن زولاق المؤرخ المتوفى ٢٨٧ هـ وكثيرون غيرهم . فكان لاجتماع هذه الصفوة العلمية والأدبية البريزة في هذه الفترة أثر كبير في ازدهار الحركة الفكرية بمصر في أوائل القرن الرابع الهجري فكانت حلقات الأدب في أوج نشاطها . فكانت الدروس تلقى في منصور الأسراء والوزراء ومنزل العلماء وفي بلاط الإخشيد كانت تلقى بحوث تاريخية كل مساء (١٧) . وكان جامع عمرو بن العاص وجامع أحمد بن طولون (١٨) من أهم مراكز

(١٢) الدكتور على حسن إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٨٥ .  
(١٣) كلمة ( إخشيد ) معناها ( ملك الملوك ) وهمسده بن طنج من أولاد ملوك فرغانة في بلاد ما وراء النهر وكانوا يلتقبون بالإخشيد ( أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٦ وما بعدها ) .

(١٤) كلمة طنج معناها ( عبد الرحمن ) .

(١٥) وهو أبو المنك كلجور وكان مملوكاً للإخشيد وتولى الحكم سنتين وأربعة شهور ، وكان يقرب الشعراء ويكافئهم ( أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦٠ ) .  
(١٦) محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ٢٢٢ .

(١٧) الدكتور عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ص ٥٣ .

(١٨) إمام أحمد بن طولون جامع سنة ٢٦٣ هـ بعد بناء القلعة وهو على جبل يشتر شمال المسكر واتفق أبواؤه شيشمة في بنائه ( المقريزي : الخطط ص ٤٠٧ ب ٤١٦ ) .

الفتنة في عهد الطولونيين والاختشيديين حيث عاهد المسلمون روثها وبهاؤها بعد  
تخريب مدينة القطائع (١٩) .

وتبع في عهد الاختشيديين كثير من المتقاه والأدباء والمؤرخين والشعراء حيث  
كان للملم والأدب دولة ذات بال في البلاط الاختشيدى فبرز من العلماء عدد كبير في  
هذه الحقبة منهم أبو اسحق المروزي وكان من ثمة الدين وأوسع المعرفة ككثير  
التاليفه ، ومنهم على بن عيسى المعلىرى ، قاضى الاسكندرية ومن المحدثين  
الحسن بن رشيق المصرى الذى ولد ٢٨٣ هـ ووفى ٣٧٠ هـ ومن التحاة احمد بن  
الوليد القيسى المصرى ومن المؤرخين أبو عمر الكندى ومن الشعراء كشاجم وكثيرون  
سواهم من اهل الملم والأدب (٢٠) .

كما اتخذ الاختشيديون كتابا آخرين كعلى بن محمد كلا الذى سافر بينهم وبين  
الخليفة العباسى وكذلك سافر بينهم وبين ابن رائق ، وقد وصل كتاب مصر حدا  
من البروعة حتى تمتهم دار الخلافة اذ أن اهل بغداد كانوا يحصلون أهل مصر على  
طيطب المهرى وان ميد كان انكاتب ويقولون : بمصر كاتبة ومحرر ليس لأمر المؤمنين  
بمدينة السلام مظهرها (٢١) .

وقد ذكر عدد الكتاب في مصر في عهد هاتين الدولتين من أمثال : الحسن بن  
رافع ويعقوب بن اسحق وأحمد بن كيرن والحسين بن مهاجر وعلى بن احمد  
المانزائى واسحق بن نصير العبادى وابراهيم بن عبد الله النيجرمى ومحمد بن كلا  
المانزائى وكلهم عامر الدولتين واتخذ الكتابة فنا للنكسب ومؤملا فتولى أرفع  
الغاصب في خدمة الأمراء بها دعا الى شدة التجويد والتنافس واتقان الصنعة (٢٢) .

لقد كانت مصر تعج بالحلقات العلمية التى استقطبت شعر أبى الطيب قيسل  
ان تستقبل الثمار نفسه ، ثم عنيت بما قلله الشعاع في مصر عناية أشد وجلس

---

(١٩) أرسل الخليفة العباسى المستكفى قائده محمد بن سليمان الكاتب لاستعادة  
مصر من الطولونيين فأشعل النيران في القطائع ودمروا جميع بنايتها عسدا الجابع  
( خطط المقرئى ج ١ ص ٣٢٢ ) .  
(٢٠) الدكتور أحمد تلبس : التاريخ الاسلامى والعصارة الإسلامية ج ٥  
ص ١٠١ .  
(٢١) العلكندى : صبح الاعشى ج ٣ ص ١٧ .  
(٢٢) المصدر السابق .

أبو الطيب بتفحصه في مسجد عمرو بدرس أخيه ويفسر شعره وخلفه على هذا الأرشاد شاعر مصر وكتبها صالح بن رشيد بن (٢٢) ، وقد لازمه في مصر شعراء وأدباء من اعلام المصريين روى عنه شعره وتناولوا منه بالفقد والتفسير من قبل : محمد بن موسى بن عبد العزيز المعروف بابن الطيب والملقب بسبيويه المصري صاحب الحوارات الشهيرة مع أبي العلوب (٢٤) وعبد الله بن أبي الجرع وأبي القاسم بن أبي الفعير الأنصارى وقد كانت له مصالوات ومجادلات في مجلس كاتوم وفي مجلس وزيره ابن حنزيه ، ومن هؤلاء كذلك أبو محمد الحسين بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي الذي أرف رسالة لها المتصف للمارق والمسروق من المتنبي (٢٥).

وكانت حلقات للنسطاط الأدبية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري حيث كان المسجد الجامع متوى لأهم هذه الحلقات وأشهرها وأنها كانت دورية منتظمة تمتد على الأهلبي في عصر يوم الجمعة وتجمع بين المثباء والأدباء وينمقد ليها الجدل الكلامي أو الحوار . وكان ينتهي أحيانا إلى بعض ما ينتهي إليه في عصرنا من مرارة واتهام وترائق . وكان بعض المفكرين والأحرار يتعمون على مصرهم وينتقدون الامتداء على حرية الرأي والفكر وكان بعضهم يرمى بنهم المروق والألحاد . إذ تطلق لنفسه حرية البحث والرأي على نحو مما يشير إليه سبيويه المصري في قوله من تصبذة أوردها ابن زولاق :

لما سبيل أطراح المعلم فهو على	ذى اللب أعظم من ضرب على الراس
فإن سبكت مسبيل العلم تطلبه	بالبحث ابت بتكسر من الفيلس
وإن طلبت بلا بحث ولا نظير	لم تضج منه على ايشان الفيلس
وأيذ متسللة من ينهك عن نظير	نيد الطيب لبدا المرحه الأسي (٢٦)

وهذه ظاهرة فكرية خطيرة يسجلها الشاعر المصري على عصره ، أعنى أوائل القرن الرابع الهجري ( حوالي ٢٢٠ هـ / ٢٤٠ هـ ) وهي تدل على أن الجدل العلمي والأدبي . كان يرتفع يومئذ إلى مرتبة الإيهان والمعقدة أحيانا وينحدر أحيانا أخرى

(٢٢) التعليل ، : ينبيه الدهر ج ١ ص ٢٩٩ .

(٢٤) بلقوت الحوي : معجم الأدباء ج ١٩ ص ٦١ .

(٢٥) التعليل : ينبيه الدهر ج ١ ص ٢٩٥ .

(٢٦) محمد عبد الله عثمان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ٢٢٤-٢٢٤ .

الى فرك التراسق والمهاترة . كذلك هناك في قول الشاعر ما يدل على أن بعض المفكرين والأدباء كانوا يؤثرون الصمت على الجهر بأرائهم .

وقد كانت حلقات المسجد الجامع بلا ريب أهم الحلقات الأدبية العلمية ولكن هناك في اقوال ابن زولاق ما يدل على أنها كانت تعقد أيضا في المساجد الأخرى ، مثلا كان الشاعر الأكبر أبو الطيب المعتز (٢٢٦) الذي وفد على مصر ٢٢٦ هـ / ٩٥٧ م ليستظل بصاية بني الاخشيد بجلس في مسجد ابن عروس ، وهناك يجتمع اليه الأدباء والشعراء وكانت حلقة المعتز يسلا ريب من أهم مجالس الشعراء والأدب والفلسفة في هذا العصر (٢٢٨) .

وأما عن الحلقات والأدباء الخاصة فيشير ابن زولاق الى المجالس العلمية والأدبية التي كان يجمعها محمد بن طنج الاخشيد وولده أنوجور . (٢٢٩) ثم مجالس الوزيرين ابن الفضل جعفر بن الفرات والصحب بن محمد المدائني .

والظاهر ان هذه المجالس والحلقات الأدبية كانت يؤخذ من نقاليد الحياطة الرقيقة وكانت نوعا من الترفق الذي يأخذ به الأمراء والعظماء والأسر الكبيرة فغن لهم جميعا على نحو ما بينا من سير الأدباء الأدبية في تلك العمور أكبر تصيب وتكر ويرجع اليهم في اتمامها ورعايتها أكبر الفضل (٢٣٠) .

وكان المسجد الجامع يؤخذ كالجامة يروج بهذه الاجتماعات العلمية والأدبية الشهيرة وكانت تولة التفكير والأدب في بغداد قد أخذت في الضعف والاضمحلال ولخذت مصر تتأهب للتعليم بدورها في رعاية التفكير الاسلامي في المشرق .

والجدير بالذكر أنه كان على حكم مصر ابو المسك كلفور (٢٣١) الطليح الذي

---

(٢٢٧) مارق المتنبى سيف الدولة الصيداني مقاضيا ، ورحل الى مصر وندح كلفور وطبع في توليته بعض اهلل مصر . وأكرمه كلفور واعتذر من توليته الاميال لانهاه بادعاء النبوة ، فغضب المتنبى وأسرها في هجاء كلفور ( أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦٦ ) .

(٢٢٨) سيبويه المصري : كتاب اخبار سيبويه ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢٢٩) المصدر السابق ص ٢٦ .

(٣٠) محمد عبد الله عثمان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ٢٤٤ - ٢٤٥

(٣١) تولى كانور الحكم سنة ٣٢٢ هـ وصيا على أنوجور بن الاخشيد وحمل لقب

( الأستاذ ) واستبد بالسلطة وأثره الخليفة العباسي المتقي . وأراد أنوجور مسنة

٢٤٢ هـ استرداد سلطته ثم مات سنة ٣٤٩ هـ وبتم المؤرخون كانوا بأنه سمي به

ملا نفسه حب السلطان فترب اليه الشعراء والحكباء ورجال التعلم وأهل الفطنة والشجاعة ليحظى ضمة أصله ويشتملى بوجودهم على العاملين ليكون شأنه في هذا شأن ساداته وأولياء نميقه . وكان بلاط أبو المنك قبلة الطامعين والمغامرين (٣٢) .

ولقد جمع الأشعبيون حولهم لنيفا من الشعراء المصريين الذين وجدوا في رعاية كلفور ووزيره أبي جعفر بن الفضل بن الغرات بادنهم الى الإحصان والتجويد (٣٣) .

روى أبو الحسن (٣٤) في النجوم الزاهرة عن الذهبي : « وكان كلفور يدانى الشعراء ويجيزهم . وكانت تقرا عنده في كمل ليلة السير وأخبار الدولة الأيوبية والعباسية وله نساء . وكان عظيم الدرمة وله هجاب . وله جوار مغنيات . وله من النلمان الروم والسود ما يتجاوز الوصف . زاد ملكه على ملك بولاه الإخشيد . وكان كثير الهبات والخلع خيرا بالنسياسة لعلنا ذكينا . جيد العقل . ذاهية كل يماذى الممز صاحب المغرب ويظهر ببله الجبه وكذا بدمن بالطاعة لبني العباسي ويدارى ويخادع هؤلاء وهؤلاء ونم له الأثر ٢ .

ومن الشعراء الذين مدحوه أبو الطيب المتنبى أشهر شعراء عصره . فبارق سيف الدولة الصيدانى بمقاصبها وتمعد مصر : وأمدح كالمورا بأحسن المدائح طبعا في ان بوليه بعض أعمال مصر لخلع كلفور عليه . وانزله في داره . وعين جماعة لخدمته : وحمل اليه كثيرا من المال . ولكنه لم يوليه ميسلا من الاعمال مفضرا بأنه لا يستطيع ان يولى رجلا يدعى التوبة فانقلب مدح أبى الطيبه هجاء كما أسرف في مدحه من قبل (٣٥) .

ولكن المتنبى مدح كالمورا بتصيدة قال فيها :

وأخلاق كلفور اذا شئت مدحه . وان اسم اشبا على على واكتب

---

= الى موته ثم تولى أبو الحسن على بن الإخشيد ولكن كلفور احتفظ بالسلطة ومات أبو الحسن سنة ٣٥٥ هـ فانفرد كالمورا بالحكم وأقره الخليفة .  
( ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٧ خطط المقرئى ج ١ ص ٢٣٠ - وما بعدها ) .

(٣٢) سنية قرامة : تاريخ الأزهر في الف علم ص ٣٥ .

(٣٣) الدكتور النعمان القاضى : كلفوريات أبى الطيب دراسة نصية ص ٦٠-٦٢ .

(٣٤) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦ .

(٣٥) عبد الرحمن البرقوتى : شرح ديوان المتنبى ج ٢ ص ٥٤ .

إذا ترك الإنسان أهلاً وراءه      ويمسم كانوا لها يتغريب  
فنى بملا الأحلام وأبى وحكمة      ونسائرة أحبان يرضى وينصب  
إذا ضربت في الحرب بالسيف كفه      تبينت أن السيف بالكف يضرب  
تزيد عطشاه على الليث كثرة      ولبيت أمواه السحاب ينصب  
أبا المسك حل في الكاس فحل أماله      فاني أغنى منذ حين وتشرب (٢٦)

ولما لم ينل المنين من كافور ما طلبه استمد للرحيل ٢٥٠ هـ وهجا كانوا قبل  
مغادرته مصر بيوم واحد - فشد المهجاء في تصيدة منها :

عبد بأية حصل عنت يا عبد      بما مضى أم لاسر فيك تجنيد  
جنود الرجال من الأيدي وجودهم      من اللسان نلا كانوا ولا الجود  
لا تشتر العبد إلا والمصامحه      أن العبيد لأجاسي يتكيد  
من طعم الأسود المخصى مكبرمة      أفوامه البيض أم أمواه الصيد  
من كل رحمو وكاء البطن منتقى      لاني الرجال ولا النسوان معدود  
أكلنا افتال عيب السوء سيده      أو ضامه فله في مصر تهبيد  
صار المخصى أسلم الأيقين بها      فالحر مستعبد والعبد مضود  
العبد ليس الحر مسلح يساخ      لو أنه في ثيلاب الخبز منولود  
ما كتبت أهسبني أحبا إلى زمن      يسىء بي فيه كلب وهو مهورود (٢٧)

ويقال أن المنين ضرب من مصر في نفس اللبلة خوفاً من بطش كافور وقد كان  
كافور على الهمة ملوماً بالتدار العلماء والوجوه والأشراف ، روى أبو جعفر بن عبد  
الله بن طاهر الشريف العلوي أنه بينما كان كافور راكباً في موكبه يوماً إذ سقط سوطه  
فناولته الشريف أياه فقبل كافور يده (٢٨) .

ونستنتج من شعر المنين أن النظام الذي كان يسود مصر في ذلك الوقت  
كان نظاماً امتناعياً مطلقاً بمعنى أن كل كورة أو محافظة عليها حاكم قوى يفسبها  
للوالى ومن أشهر هؤلاء الاتطاعيين فيمن القائد المرومى أبو شجاع الذي كان زميلاً  
لكافور في الخدمة على عهد الانشيد ويرى أنه أحق من كافور في حكم مصر . لهذا

(٢٦) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٨ .

(٢٧) عبد الرحمن البرقوتى : شرح ديوان المنين ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧٦ .

(٢٨) الفكتور حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٢٧ .



كان كلفور بلاطه ويدبره وقد زاره المتنبى في تطاعه بمنظلة الفيوم وهدبه  
بقصيدة قال فيها :

لا خيل عندك تهبها ولا مسيل  
فليسعد النطق أن لم يسعد الحسيل  
كسالك ودخول لكاب منعمية  
كالتشمس قلت ولا للتشمس انيسال (٢٦)

على أن كلفورا لم يصدق للمتنبى مطامحه القاصدة بنعه ولاية من الولايات  
مجهاه كما ذكرنا سابقا .

والواقع أن أدهم الأديب ربيع في الغالب إلى عهد كلفور المبدع الحيثي  
المحب للهو الذي حكم البلاد بعد موت مولاه ٩٤٦ م اثنتين وعشرين سنة .

وكانت هذه الطغاة تجميع الكثر من العلماء المبرزين ورجال الفكر هنا كتمت  
بني فلكندي مؤلف كتاب « نسابل مصر » الذي يدين له المقرئى بالكثير مما كتب  
والبحترى النحوى المشهور وابن عاصم الذى كتب الكثر من الشعر الغنائى . وكان  
كلفور ينشئ على هؤلاء جميعا ويجيزهم . فقد منح أحدهم مادحيه من الشعراء ألف  
دينار وثروته الضخمة كان يتفق منها بسعة على الشعراء والعلماء (٤٠) .

كما نال اصداقاه من الشعراء جانباً من هذه الثروة لأنهم قبلوا هذا الهبات  
بالأمراد والمديح الذى كان ينطوى على كثير من الملق والرياء بشال فلك أن أحد  
الشعراء حين نظم قصيدة ذكر فيها أن الزلازل المتكررة كانت تحدث في ذلك العصر  
كسما كانت ترجع إلى أن مصر كانت ترقص طرباً لما كان يقطى به كلفور من  
فضائل (٤١) .

كل هذا بوضوح زيفاً ما ادعاه بعض المؤرخين بأن مصر لم تكن قبل الفاطميين  
مستعدة لإنشاء دوحه الأديب أو تشجيع الشعراء بالجوائز أو الصلوات وكان ولائها  
من قبل العبديين بعيدين في جملتهم من تناول اللغة وفهم اسرار البلاغة العربية  
للإطلاع على حيلتها ودقائقها . أما الشعر البديع فلم يكن له مدخل إلى نفوس

(٢٩) الدكتور أحمد مختار العبدي : في التاريخ العباسي والفاطمى ص ١٤٦ .

Lane-Pool : Egypt in the Middle Ages. pp. 90, 91. (٤٠)

Lane-Pool : Egypt in the Middle Ages. pp. 101. (٤١)

الجمهورية ولا يتعد إلى صدر المال وقد ورد المتنبي بمصر وسمرعان ما أدخل منها حاملا في قلبه ذلك الحد الذي ضمه تمساده ومضى بطلبه من بلاد المشرق لشغفه مستقما ومجيزا (٢٢) . ولكن عهد كلفور لم يخل من حسنات فتد اظهر نهضة ادبية وعلمية . (٢٣) فقد اتاح كلفور للحياة الفكرية والادبية في مصر ان ترتق وتنتشط ودمعها إلى الخى في طريقها إلى القوة والرقى والعصق والانتساع ، وقد كانت البيئة المصرية مؤهلة لذل هذا الرقى وهذا النشاط غير انها الحضارى الشديد وانتاجها على بقية الامصار الاسلامية وما يجرى فيها من حركات علمية وانبية في كل فروع المعرفة كتليل لها بكل ما احزله من ازدهار (٢٤) .

وتشهد الروايات بأن كاتورا كان مطلقا وله نظر في العربية والادب والعلم ، وأن عددا من فضلا العلماء مهل له وممن كان في خدمته ابو اسحاق ابراهيم بن عبدالله النيجرمى النحوى صاحب الزجاج (٢٥) .

وقد نقل لنا المؤرخ ابو المحاسن جغيا من احد مجالسه الادبية يواه ابن الذين النحوى لقال : حضرت مع ابي مجلس كلفور غاصا بالنفس لتمام رجل عدما له ، وقد في دعائه اذام الله . ولانا لما نكر كلفور والحاضرون ذلك فقام رجل (٢٦) من اوساط الناس فقال :

لا سمرو ان الحق الداهى لسيدنا  
ويمثل سببنا حالت مهائمه  
فان يكمن خفض الأيام من فلظ  
تقد شباغت من هذا لسيدنا  
بلن ايامه خفض بلا نمسب  
وأن أوقاتة صفو بلا كسز . (٢٧)

(٢٢) محمد حسن الاعظمي : عبقرية الناطقين أصواء على الفكر والتاريخ

ص ١١٢ .

(٢٣) الدكتور على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٩٧ .

(٢٤) الدكتور النعمان القاضى : كاتوريات ابي الطيب ص ٥١ .

(٢٥) هو ابو الفضل بن عياشى كما في تاريخ الاسلام للذهبي في أحداث سنة

٣٥٠ هـ .

(٢٦) هو ابو اسحاق ابراهيم بن عبدالله النيجرمى النحوى - تاريخ الاسلام للذهبي .

(٢٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢

ولم يكن اهتمام كائنور بالحركة الفكرية والأدبية تاصرا على مجلسه في القسطلط وإنما امتدت رعايته للعلم والأدب إلى جميع أركان البيئة المصرية تظهر شعراء عديون من مثل ابن مهران الذي ندد بمحاولات العاطميين لغزو مصر بقيادة حياصة الكتلى (٤٨) .

وندد وأجب الحركة الأدبية في مصر في هذا للمصر نوع آخر من الشعر وهو شعر الجون حيث وجدنا شاعرهم الفكه الملقب بلقانى البشر ومن شاعره المساجن (٤٩) .

يارب دعنى بسلا صلاح . . يارب غرنى بسلا صلاح  
يدى مدى الدهر سوق رنق . . وراحتى تحت كأس راج

واشتهر في هذا العصر أيضا أبو هريرة أحمد بن أبي عمامة - وفيه يقول صاحب المغرب : « كان من شعراء الأندلسيين المصريين من أصحاب التوأمة والجون والابنان على شرب الخمر ، ومن شعره في وصف بجائس الشراب :  
مجلس لا يرى الآلة به غير رنل بسلا وضوء وطهر  
تسجد للكؤوس من دون تسبيح سح بسوى نعمة لعود وزمر (٥٠)

وروى له صاحب البيهية أبياتا ذكر فيها دير القصيد ومجونه به (٥١) ولكننا لا نستطيع أن نهكم حكما واضحا منها على شاعرته . كما اشتهر مسح عفين الشاعرين في تنبؤ الحقة ابن بلبلطيا نقوب الحالبين بمصر ونجد في شعره الذى رواه صاحب البيهية وصاحب المغرب نفس التنبؤ السابقة من اللهو والجون بقوله : (٥٢) .

الفرك الشرب والانواء (٥٣) دائمة والكل منها على الأشجار منقود  
والقطن بهنز كالنشوان من طرمه والورد في المعود بطوى وختود

- 
- (٤٨) الفكتور النعمان الغاضى : كاموريات أبى العليپ من ص ٥١ .
  - (٤٩) ابن سعيد الأندلسى : المغرب فى حلى المغرب من ص ٧٢ .
  - (٥٠) ابن سعيد الأندلسى : المغرب فى حلى المغرب من ص ٢٧٣ .
  - (٥١) الثعالى : بيته الدهر ج ١ من ص ٣٦١ .
  - (٥٢) ابن سعيد الأندلسى : المغرب فى حلى المغرب من ص ٢٠٢ .
  - (٥٣) الأندلسى : الأطلال .

تمتد أواخر القرن الأول للهجرة أخذت الدراسات الإسلامية تتقوى وتعمق في مصر ومساعد على ذلك قدم المعهد في مصر بالحياة العقلية على اختلاف ألوانها والناس جميعا يعلمون أن علوم الدين وفنون الأدب ازدهرت في الممسطط قبل وجود بغداد (٥٤) إذ كان العلماء يندون إليها من الكوفة والبصرة ومن بغداد بعد ذلك .

وتطلع المصريون للاخذ عن العراق علوم النحو واللغة فنبغ في مصر عند من العلماء وكثرت مؤلفاتهم كبنى ولاد أشهرهم الوليد الذي وسد على مصر من البصرة واستقر بها ثم رحل إلى العراق وعاد إلى مصر وبه كتب أهل العراق في النحو واللغة وكان تلميذاً للخليل بن أحمد وتوفي بمصر ٢٦٢ هـ . وأهم ابنه محمد بن نور ابنه فرحل إلى العراق وأخذ عن المبرد وتعلم وعاد بعلم الناس في مصر العلوم العربية ووضع كتاب « المنقح في النحو » وتوفي ٢٩٨ هـ ولكن بنى ولاد هو أبو العباس أحمد بن محمد الذي رحل كذلك إلى العراق وتلمذ للزجاج وكان يثنى عليه وأما ليؤلف « المتصور والمتمود » وهو الكتاب الذي خالف فيه عن طريقة الخليل مبتدئاً بالألف دون العين ، وكان له مكانة رفيعة بين كتبه النحو وأخذ علماء مصر في تربيته وتقدم حتى أن هذا الكتاب يقرأ على أبي الطيب فتدته في بعض الموضوعات كما وضع المهلب المتوفى ٢٨٥ هـ كتاباً في الرد عليه .

ومن علماء مصر في تلك الفترة أحمد بن جعفر الدينوري الذي ألف « المهذب في النحو » وسهره بالحديث عن الخلاف بين البصريين والكوفيين وقد قرأه الدينوري على المصريين أيضاً كتب ابن قتيبة . (٥٥) كما قرأ عليهم وعلى بعض علماء الأندلس والمغرب كتب سيويه .

وتبع في مصر أبو جعفر أحمد بن محمد النخاس النحوي المصري في اللغة والنحو قبل الفتح الفاطمي بقليل رحل إلى العراق وأخذ النحو عن أبي الحسن علي بن مسلمة الأختي النحوي وأبي أسحاق الزجاج وابن الأنباري ونفطويه ومشهورى أبناء العراق . وكان من علماء عصره ، فبعد تيسخ في الفلاس والأغمة والنحو والأدب والشعر من كتبه : كتاب أصراب

(٥٤) الدكتور طه حسين : وضع المتن من ٩٠ .

(٥٥) الدكتور الصالح القاضي : كالمؤيد أبي الطيب من ٥٢

الفران والفايبيخ والمنسوخ وكتاب الفناجية في النحسو وكتاب الكافي في الفحو ايضا وكتاب ادب الكتاب وكتاب في الاثفتاق وتلمسبر ابيسك سيويه - وكتاب طبقات الشعراء .

وعلى الرقم سنا لخذ عليه من الشح والتحليل على زملائه بن علماء عمره - تهابت النلس على درسه واخذ العلم عاية كثر من كلفاس وانادوا بن علمه وسبعة اطلابه وقد توفي ابو جعفر النجس في ذى الحجة ٢٣٨ هـ (٥٧) .

وقد ازدهرت في مصر دراسات الحديث النبوي الشريف بشكل لم يعرف في مصر من الامصار وبخاصة بعد ان وقد اليها الشافعي وقد جاء ابو القاسم الكفاني المصري الذي روى مند ابن منده والدارقطني وقرهما (٥٧) .

ومثل ابن بكر محمد بن احمد بن محمد بن خروف النعوي المحدث التوفي ٢٥٤ هـ وسعيد بن عثمان بن سعيد بن المسكن العالظ ابو على البغدادي ثم المصري البزار . وقد روى عنه البخاري وتوفي ٣٥٢ هـ . ومحمد بن احمد بن محمد بن جعفر بن ابي بكر بن الصمد الكفاني المصري الفقيه الشافعي شيخ المصريين الذي كان له وجة في مذهب الشافعي وتوفي ٢٤٤ هـ (٥٨) وبطل ابي بكر محمد بن علي بن حسن المصري القيسي الذي سمع الكفاني وروى عنه الدارقطني (٥٩) وتوفي ٢٦٩ هـ وبغاصر الحصن بن رشيق ابي بكر محمد العسكري المصري وروى عن الكفاني واخذ عنه الدارقطني كذلك عبد الفتى بن سعيد الذي يقول بيبه ابن الطيخان في ذيل تاريخ ابن يوفى : ما رايت عالما اكثر حديثا منه وتوفي ٢٧٠ هـ .

وقد اجتمعت مصر كتسرا من اعلام المؤرخين كالامام ابن الحسن بن علي بن الصين بن على العلامه المسعودى (٦٠) الذي اقام بها الى ان مات ٢٢٦ هـ .

(٥٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٨٢ - ٨٧ .

(٥٧) ابو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٠ .

(٥٨) ابو الحسن : السائق ج ٢ ص ٣١٢ .

(٥٩) المسيوطي : حسن المعاشرة ج ١ ص ١٩٩ .

(٦٠) قضى المسعودى ربع قرن في رحلات مستمرة بعد خروجه من وطنه بغداد - ثم استقر في مصر في العصر الاخشوي حتى مات ووضعت كتابه في مروج الذهب ومسابد الجوعر \* و \* القنبيه والاشرايد \* انظر كتبا المسعودى المذكورة على حسنى الخريوطي .

وعبد الله بن جعفر بن محمد بن البرد البغدادي الذي تولى ٢٥٢ هـ (١١١)  
وأورخنا نستعرض مشاركات المصريين في نمون العرمة المختلفة بقر هذا  
العصر لأعوزنا وقت طويل ولكن نقول في إجمال :

إن الدراسات الإسلامية والعربية قد ظفرت باهتمام المصريين منذ تعربت  
مصر بسبل وقيل أن يتم تعريبها فكثر بها عدد المشتغلين بهذه العلوم ورحلوا إلى  
مراكز الثقافة الإسلامية والعربية في الأمصار المختلفة ، ثم كانت مصر على هذه  
المعارف تدرسها ودهاق مليها وتشرحها ثم تنشرها مرة أخرى في تلك الأمصار  
بعد أن تطبعها بطاويها المميزة التي تعكس طبيعتها ومزاجها (١٢٢) . مما جعل  
مصر تنسج في هذه الدراسات بالعمق والأصالة .

ويجمع المؤرخون على أن مصر في ظل الفولتين ( الطولونية والاختشيدية )  
قد اشتهرت بطائفة كبيرة من العلماء والحديث والتسونة والمؤرخين والأدباء  
والشعراء كالفاضي بكار بن تميم (١٢٣) وأبي الفيس ذي النون المصري والربيع بن  
سليمان الشلمسي وابن عبد الحكم (١٢٤) .

ولذا تميزت هذه الفترة بنشاط فكري في مجال الفقه والعلم والأدب لأنها فترة  
خصبة بطوائف العلماء في جميع المجالات حيث كانت مجالس الدولتين ( الطولونية  
والاختشيدية ) اثبه بخلية نهل في مجالسها التي تضم عليه الفوم وتحظى بتقديرهم  
ورعايتهم .

كما كانت المصطاط سوتنا كبيرا للوراثين يسمى إليه أهل العلم والأدب ،  
وقيل أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أرسل من الأندلس عشرة آلاف دينار لتفريق  
على ندهاء المالكية ، فأمر كلور بعشرين ألف دينار لتفريق على ندهاء التسلمية

---

(٦١) أبو المصاين : التجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٥ و ٢٢٤ .  
(٦٢) الدكتور النيمان القاني : كاتوريات ابن الطيب ص ٥٧ .  
(٦٣) الدكتور فخيد كامل حسن : الحياة الفكرية والأدبية بمصر ص ٩٤ .  
(٦٤) وهو المؤرخ المشهور . منطحب كتاب فتوح مصر والمغرب ( انظر كتابه من  
البراث الإسلامي للتكوير على حسنى الخرموطي )

وكان الغنهاء والعلماء والادباء يلقون في المساجد للمناظرة وبحث المسائل الفقهية والأدبية (٦٥) .

كذلك تسانست هذه الإمارات المستقلة ( الطولونية والاخشيديية ) في الناحية الثقافية وعمل كل امر بقدر ما وسعه لتشجيع العلم واستخدام العلماء واظهار بلده بظهور التنوير في الناحية الثقافية (٦٦) .

وقد أدى هذا الى تحقيق المرحلة التالية في التاريخ تطور الثقافة العربية في مصر إذ ان مدارسها أصبحت من حيث علمائها ومن حيث إنتاجها الثقافي لا تقل عن مدارس الشام والحجاز والعراق . وظهر هذا التنوير في الميادين الثقافية كلها فنشأت طائفة من المؤرخين المصريين لا يعنون بتاريخ الاسلام بوجه عام بل يعنون بتاريخ مصر الاقليمي ويتحفظون عن المصريين وعن حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومن هؤلاء المؤرخين عبد الرحمن بن الحكم صاحب كتاب فتوح مصر والكندي صاحب كتاب الولاية والفضيلة وابن ابدية مؤرخ ابن طولون وصاحب كتاب المكاتبة . بل ظهر تنوع المدرسة المصرية في الدراسات الأدبية واللغوية وفي المنهج والمهذبت والتنسيق . (٦٧) وظهرت طبقة جديدة ليست كبيرة العدد من العلماء ليمسوا من العرب الذين استوطنوا مصر وانما من المصريين الذين آلت اليهم الامانة في كثير من الميادين الثقافية امثال ابن الخطيب وصعبد بن زياد وسعيت بن طيد ويحيى بن بكر وغيرهم . (٦٨) ورغم هذا المستوى الذي بلغته الثقافة العربية في هذا العصر ورغم بلوغها مستوى المدارس الاسلامية الأخرى . فان مدارس مصر الاسلامية في ذلك العهد كانت وبقية الصلة بالبيئات الثقافية الأخرى في بغداد وغيرها يناهلون العلماء والطلاب والانتاج . ولم تكن حركة توطن الثقافة العربية في مصر قد وسعت اتماماً لأن كثيرين من المشتغلين بالعلم في مصر طوال ذلك العهد كانوا من الوافدين لغير مصر من البلاد العربية الاسلامية الأخرى من العراق والشام أو المغرب .

وكانت الخطوة المرتقبة في طريق تطور الثقافة العربية هي رسوخ افهامها

- 
- (٦٥) للدكتور على حسني الضربوطلي : مصر العربية الاسلامية ص ١٤٢ .  
(٦٦) كان ظهور الدول المستقلة مظهراً للانحلال السياسي ولكنه أدى الى نهضة حضارية اثارها كتاب الحضارة الاسلامية في الشرق للدكتور محمد جمال الدين مبرور . وكتاب الدولة والخلافة للدكتور محمد جلال أحمد .  
(٦٧) روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ص ٧٠ .  
(٦٨) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٩٣ .

في مصر وانتشارها على نطاق واسع بين أهل البلاد وظهور مدارس مصر الإسلامية وتبوّتها على جميع المدارس الإسلامية الأخرى منسحب مصر بحق زعيمة العالم الإسلامي في ميدان الثقافة والعلم . وهذه القطوة سيستحق جانب منها في العصر الفاطمي (٦٩) .

نفي أواخر عهد الدولة الإخشيدية سادت أحوال البلاد الداخلية سياسيا واقتصاديا لشعرها لهجات القراطة والنوبيين ووقوعها في لزمت اقتصاديا متوالية ظلت نحو تسع سنوات (٢٥١ هـ - ٢٦٠ هـ) بسبب انخفاض ماء النيل . وقد قامت البلاد الأمرين ما أصابها من القحط والوباء واشتد الغلاء ونذر وجود التمتع ونشا الموت بهالة عجزت معها الناس من تكفين الموتى وعم السلب والنهب حتى أن كانوا لم يستطيع أن يدفع أرزاق الجنود (٧٠) . مما يمر للفاتميين مهمتهم فقد كانوا على علم بكل ذلك فانتهر الخليفة المزمّل لدين الله الفاطمي فرصة موت كائور وأخذ يستعد للغزو فأمر بفتح الأبار على طول الطريق إلى مصر وفق أعداد الجيش الذي فقد لواءه جوهر الصقلي (٧١) . وبعده مائة ألف من عساكر المغرب وبأن يحضر للديار المصرية ويتسلم المدينة ويتولى عليها (٧٢) .

وعكذا استعانت الدولة الإخشيدية نعت منسلك الفاطميين الذين نتحوها بعد محاولات غزو ملحة استمرت زهاء نصف قرن .

ولم يثأر لهذه المحاولات أية فرصة للنجاح خلال حكم الإخشيد الذي أسفر تجربة خيبة وتلاثين عاما استأثر بها كائور بالحكم المطلق ما يزيد على اثنين وعشرين سنة أما في زمن وصلبته وأنا في إمارته الشرعية الأمر الذي يظهر بجلده أن تدبير كائور لأمر مصر هو الذي أخرج غزو العز لمصر حتى بات كائور .

ولقد تكررت محاولات الفتح الفاطمي لمصر منذ عهد الخليفة الفاطمي الأول بالمغرب عبيد الله المهدي فقد أرسل ثلاث حملات ، الأولى في سنة ٢٠١ هـ - والثانية

---

(٦٩) الدكتور حسن أحمد محمود وآخرون : في تاريخ مصر في العصور الوسطى والحدثية ص ٧٢ .  
(٧٠) خطط القرظي ج ٢ ص ٢٧ - جيسون إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٢٥ .

(٧١) القرظي : الصلح الحقا ج ١ ص ٦٠ وما بعدها .  
(٧٢) ابن أبياس : بذائع الزهور في وقائع الدهور ج ١ ص ٢٣ .  
(م ٢ - الحياة الفكرية في مصر )



في سنة ٢٠٧ هـ - والثالثة في سنة ٢٢١ هـ - وقد استمرت الصلوة الأخيرة في عهد  
أبيه الخليفة القائم سنة ٢٢٤ هـ - وقد أخفت الحيلات للثلاث . وأرسل القائم  
إلى الأشيد خطيباً يطلب فيه السماح بنشر الدعوة الفاطمية في مصر . وحينها توترت  
العلاقات بين الأشيد والخليفة العباسي جعل الخليفة للخليفة الفاطمي السلام .  
وقام مشروع بمصاهرة بزواج إحدى بنات الأشيد من المتصور بن القائم وأخفق  
المشروع لوفاة الأشيد والقائم سنة ٢٢٤ هـ - وكانت الاضطرابات الداخلية  
بالمغرب وخاصة ثورات الخوارج من عوامل إخفاق محاولات الفتح (٧٢) .

وكان هذا إيذاناً ببداية عصر جديد هو قيام الدولة الفاطمية . التي ستدرس  
الحياة الفكرية في مصر في عصرها الزاهر .

---

(٧٢) ابن الأثير : الكامل في أخبار الخلفاء العباسيين : النهجوم الزاهية نو : ١٤٤  
المعبري نو : ٢ .

## الكتاب الأول

### العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي

موقف المصريين من قيام الدولة الفاطمية في مصر  
أثر الحياة السياسية في الاتجاهات الفكرية  
المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية

## مقدمة

كانت مصر بلوح للفاطميين وكلها درة خضراء ، نظرا لوضعها الجغرافي الفريد وقربها من مراكز الإحصار الإسلامية ، ووفرة خيراتها وثرواتها العظيمة .

لكل هذا يمان البيئة المصرية ذات الحتمية العظيمة دفعت بالخطباء الفاطميين أن يبرهنوا بصرهم التي فتح مصر ، فأنتد الخليفة الفاطمي الرابع المعز لدين الله الفاطمي جوهر الصقلي ٢٥٨ هـ عنم له فتحها وتحقق له ما أراد ، وقد سبق الغزو الفاطمي دعابة واسعة النطاق لاستمالة الشعب المصري بشتى الوسائل لمذهبهم (١) .

وكان لابد من الجدل والنقاش بين الفاطميين الشيعة والشعب المصري السني وهذا ينضج لنا من مؤلف المصريين من قيام الدولة الفاطمية .

لكن طبيعة الدولة الفاطمية وانجازاتها السياسية كان له أثر في الحياة الفكرية في مصر . فسرعان ما صارت مصر درة في تاج الفاطميين وانظلم اليها كرسى الخلافة الفاطمية وعلا تدرها وذاع صيتها وطبقت شهرتها الخلافة العباسية في المشرق والاموية في الأندلس وتملكت القاهرة المعزية على بسداد العباسية وقوطبة الأندلسية (٢) وصارت تظ العالم الإسلامي النابض ومحور نشاطها الدائقي . كما أن انتشار الثقافة الإسلامية في هذا العصر يدعو الى الاعجاب بتفضل الترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة من اليونانية والفارسية والهندية الى العربية ونضج ملكات المسلمين أنفسهم في البحث والتأليف وتشجيع الخلفاء الفاطميين رجال العلم والأدب وكثرة العمران واتساع أفق الفكر الإسلامي بارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها (٣) .

(١) كان الفاطميون يريدون إقامة دولتهم في مصر لترسيخها العالم الإسلامي ولتكنهم قنموا باقامتها في بلاد المغرب لبعدها عن مركز الخلافة العباسية بالعراق . مستفيدين من سخط بربر المغرب على الحكم العباسي وقد نجحت المحاولات الأولى للفتح الفاطمي في نشر مذهب الشيعة بين المصريين ( أقرأ كثيرا من التفاصيل في كتاب الدولة الفاطمية في مصر للدكتور محمد جمال الدين سرور ) .

(٢) شحاته عيسى إبراهيم - القاهرة ص ٥٤ .

(٣) آدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٢١٠ .

ولا قرو كان من اثر قيام كثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية ان نشطت الحركة الفكرية وراجت الثقافة . (٤) وزخر بلاط الدولة الفاطمية بالعلماء والشعراء والادباء وغيرهم . اضافة الى ذلك ظهور كثير من الفرق التي اتخذت العلم وسيلة لتحقيق مآربها العباسية والدينية وخرير مثال لذلك ما نشاهده من الآثار التي خلفها المعتزلة ودعاة الاسماعيلية من العلماء المنسوجين وغيرهم .

وكان للجدل والنقاش الذي قام بين هذه الفرق من ناحية وبينها وبين العلماء من السنيين من ناحية أخرى أثر بعيد في هذه النهضة العلمية التي يبرز بها العصر الفاطمي (٥) .

لما عن المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية لمقد كان المجتمع المصري في عهد الفاطميين يتقسم بصفة عامة الى سنيين وهم جبهة المصريين قبل ولود الفاطميين الى مصر وشيعيين وهم الذين وفدوا اليها من بلاد المغرب . وقد تحول كثير من السنيين بل ومن النصارى واليهود - بعد اسلامهم - الى المذهب الشيعى طبعاً في الهيئات التي كان الفاطميون يخرون بها النفس للانضمام الى مذهبهم وتقلد كثير من اليهود بعد اسلامهم وتشيعهم ارتضى المناصب في الدولة من بينها منصب الوزارة (٦) .

كما ان الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الفاطمي تميزت بالبذخ والترفع سواء ظهر ذلك في الأعياد والمواسم أو الاحتفالات للخلفاء والوزراء أو مجلسي الغناء والطرب (٧) . مما دفع لازدهار الحياة الفكرية في مصر كما ان اهتمام الدولة الفاطمية في مصر بالجوانب الاقتصادية قد جعل جانباً كبيراً من الشعب المصري يربح بحكم الفاطميين لمصر . وقد كان للمؤثرات الاقتصادية وخاصة في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة اثرها على الحياة الفكرية في مصر (٨) .

(٤) شكور محمد حلمي : الدولة والخلافة ج ٢ .

(٥) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢١ .

(٦) صحاحه ميسى ابراهيم - القاهرة ص ٦٢ .

(٧) ذكر المتريزى اخبراً كثيرة عن اعياد ومواسم الفاطميين في الجزء الأول من كتابه ( المخطط ) .

(٨) انظر كتاب الدكتور راشد البراوي : الحالة الاقتصادية في عهد الفاطميين ( طبعة القاهرة ١٩٤٨ تجد كثيراً من التفاصيل .

أما عن علاقات الدولة الناطمية بالدول الإسلامية والأجنبية فقد دمج بالدولة الناطمية إلى خير العناصر ذات الكفاءة التي يمكن أن تتسلح بسلاح الفكر لقمع أهل صقلية وإيطاليا والبيزنطيين قائمة على أسس الاحترام المتبادل .

لهذا كله نماننا مسوفاً نتحدث عن العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية في عصر في العصر الناطبي بالتفصيل .

## توقف المصريين من قيام الدولة الفاطمية في مصر

كادت ظروف مصر الداخلية بهيأة للفتح الفاطمي فقد كان من بين المصريين من يفتي أسنلاء الفاطميين على مصر . كما انتشر المذهب الشيعي في مدن مصر وكان بعض الاخشبيين يسمعون بالدعوة الفاطمية وبشجعونها وخاصة بعد النزاع العنيف بين الاخشيد والتولة العباسية (١) .

وربما كان المصريون هم الذين طلبوا مجيء الفاطميين بسبب سوء الحكم العباسي لبلادهم بحيث انهم سهلوا لجوهر طرد جيش العباسيين (٢)

وفي جمادى الآخرة ٢٥٨ هـ سقطت الاخبار بمسير عمسك المزم من المغرب الى مصر عليها بيده جوهر الذي كتب لاهل مصر الايمان : **بسم الله الرحمن الرحيم** ، هذا كتاب من جوهر الكاتب - عبد امير المؤمنين المزم لدين الله صلوات الله عليه . لجماعة اهل مصر الساكنين بها من اهلها ومن غيرهم : انكم اتفستم كتابا يستول على ايمانكم في انفسكم واهوالكم وبلادكم وجيبج احوالكم فعرغتم ما تقدم به مولانا وسيفنا امير المؤمنين صلوات الله عليه وحسن نظره لكم .

لجانبهم جوهر الى رجالهم وكتب لهم عهدا ووعده فيه ان يطلق فيه الحرية الدينية والمذهبية لجميع المصريين . واعلن المصريون ولاءهم للخليفة الفاطمي وتبنوا طاعتهم للخليفة العباسي فقد ادرك المصريون ان انتقال السلطة والتفوذ من خليفة عباسي منى الى خليفة فاطمي شيعي لن يغير شمسنا من الاوضاع السياسية او الاقتصادية ، وانتصرت معارضة الفاطميين على الكاثوريين والاشخبين الذين اتهم ضياع السلطة منهم . وفي ٢٧ شعبان خرج الوزير بن الفرات والاشراف والفتنة والعلماء والتجار الى الجيزة وتابلوا جوهر وعناوه بالفتح (٣) .

- 
- (١) د . على حسنى الخربوطلى - التعزيز بالله الفاطمي ص ٢٢ .  
(٢) د . عبد المنعم باجد - الامام المستنصر بالله الفاطمي ص ١٢ .  
(٣) د . على حسنى الخربوطلى : التعزيز بالله الفاطمي ص ٢٤ .

وأصبحت مصر جزءا من الامبراطورية الفاطمية ولكن مصر لم تصبح ولاية تتبع الدولة كما كانت في العصور الاموية والعباسية . بل أصبحت قلب الدولة الفاطمية (٤) فقد انتقل المعز لدين الله الفاطمي الى الديار المصرية وصحبته ثوابت آياله فوصل الى الاسكندرية وعند نلقاه اعلان مصر (٥) فخطب هناك خطبة بايعة وجلس قاضي مصر ابو الطاهر الذهلي الى جنبه فقال : هل رأيت خليفة أفضل مني ؟ فقال : لم ار أحدا من الخلائف سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحجبت ذلك ؟ نعم . قال : وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نعم . قال : وقبر أبي بكر وعمر . قال : فتحيرت ماذا أقول ، ثم نظرت فإذا ابنه قائم مع كبار الأعمام فقلت : شغلني عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولي العهد وتمضت اليه فسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس الى غيره . ثم صار من الاسكندرية الى مصر فدخلها في خامس رمضان فنزل بالقصرين فكان أول حكومة انتهت اليه (٦) .

وقد أمر المعز لدين الله الفاطمي بعرض الكتاب على المشايخ في سائر مدن مصر : فخر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ( أمير المؤمنين ) على بن ابي طالب عليه السلام وألقت اسم المعز لدين الله وأسم ابنه عبد الله الأمير . . . (٧) . وجلس المعز في قصره على سرير الذهب الذي عمله جوهري في الإيوان الجديد وأذن بدخول الأشراف أولا ثم بعدهم الأولياء ومسائر وجوه الناس وجوه قائم بين يديه يقدم للناس ثوبا بعد ثوب ثم مضى جوهري بهديته ظاهرة براءها للناس وهي : من الخيل مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجبة منها بذهب ومنها برصع ومنها يعنبر . وتسبع فوق محبوبية مزينة بثقل وثلاثة وثلاثون بغملا للنقل . ودرجته من فضة مخرقة فيها جوهري وشاشية مرصعة في غلاف وشمعائة ما بين سفط وضفت (٨) فيها سلتر ما أعده له من خلائر مصر (٩) .

- 
- (٤) د . علي جسنى الخربوطلي : التعزيز بالله الفاطمي ص ٢٥ .  
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٢ .  
(٦) الصيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٠٠ .  
(٧) المقرئبي : المعانيخ ج ١ ص ١٢٥ .  
(٨) الفخت وعاء تصان فيه الثياب ، فارسي محراب اللسان .  
(٩) المقرئبي : المعانيخ ج ١ ص ١٢٦ .

وحسب أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني حديثه وهي : أهدد عشر سفنًا من ثباغ توتة (١٠) وتيس ونمياط وخيلا وبغالًا .

وقال : « كتبت أشبهى أن يلبس منها المعز لحين الله الفاطمي ليلاً أو بنعم بالعمامة التي فيها ما صل لخليفة قط مثلها » .

هكذا ترى الفاطميون مصر غنقوها بسبيلهم كما نزلوها بعفاندهم ومبولهم واتخذوا لذلك طريقاً نذل على قرط ذكائهم فاستعانوا على الترويج لدعوتهم بالسيف والظلم والسياسة والعلم والدين والآداب جميعاً .

وقد انجهوا منذ بداية أمرهم إلى الجوامع فجهروا فيها بشيء من آرائهم وبشروا فيها بجزء من عقائدهم ثم كذبوا فيها : « بحى على خير العمل » وهو اذان الشيعة وخدمهم لا شعره نوتة فيرعم . فكان ذلك ايداناً منهم بحرب طاحنة لم يكن بد من وقوعها بين مذهب الشيعة الذى ينشر به حكومة الفاطميين ، ومذهب السنة الذى كانت عليه الكتلة المطلقة من الشعب العربى إلى ذلك الحين (١١) .

وقد قال المعز : انى لم اتخذ بحر طمعا في زيادة ملكي ولا رفية في المال وانما عمل بما أمرني الله به وبما أمر جندي محمد صلى الله عليه وسلم (١٢) .

وقد أخذت مصر تحتل مكانا مرموقا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى بين الدول الإسلامية المجاورة فقد أصبحت على أيدي الفاطميين مقراً لدولة إسلامية تنافس الدولة العبّاسية التي امتدت رحلتها إلى كثير من أقطار العالم الإسلامي في الشرق (١٣) .

كما نجح الفاطميون في تأسيس امبراطورية شاسعة الأرجاء وحضارة باهرة لم يعرفها الشرق من قبل إلا نادراً . تلك الحضارة التي اشتهرت بنظمها الادارية الحكيمة وعنونها وجيوشها واساطيلها وعدالة محاكمها وتسامحها الدينى (١٤) .

وكلن في سر ما لانتته الحكومة الفاطمية من هذا الشعب السنى انه أعلن شكه

١٠. قرية قديمة كانت قريبة من تيس ونمياط ، وكانت مشهورة بقبابها وطرزها .  
 (١١) د . سد اللطيف حيزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢٧ .  
 (١٢) أنظر نس الخطبة في الجزء الأول من اتعلا الحنفا — للمقرئى .  
 (١٣) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ١٢ .  
 (١٤) المرجع السابق ص ١٣ .



في نسب الثالين بها وغلظ ذلك الفساطيين حتى تُبطل أن بعض الأشراف اجتمعوا  
بالعز عند وصوله الى مصر فسلوه عن نسبة فأجاب العز بسيفه وماله (١٥) .

ولهذا بعد عاش الخلفاء الفاطميون كثيرا وبنوا جهدا عظيما لازالة ما سلق  
بأذهان الناس في مصر من الشك في نسبهم ، ومازالوا كذلك حتى استقرت أمورهم  
نهائيا في تلك البلاد ، وأمنوا على أنفسهم بكر الخلافة العباسية في بغداد (١٦) .

وأبدي المبسريون رسالهم لقيام الدولة الفاطمية الخفية في مصر ورضوا من  
عهد جوهر الصقلي لهم الذي يؤمنهم فيه على أرواحهم وأموالهم ويضمن حياتهم  
مما لحقهم من ظلم حكامهم السابقين ومن أغارات الغرابة طالما تعدوا على حجاجهم  
ومن غزوات الاغريق الذين وقع في أيديهم أغلبهم كبلنكا (١٧) .

وقد أدرك الفاطميون أنهم أمام شعب له لضم في الثقافة والحضارة منذ عهد  
طويل ، أدركوا أن استسلام المصريين كان تبعية سياسية لأخصوها بحمل بالعميقة  
والذهب ، ومن أجل هذا نجد ذلك الشعب يطلب الأمان والحرية الدينية والمذهبية من  
جوهر الصقلي .

وبلى هذا أدرك الفاطميون أن نشر مذهبهم بين المصريين لن يكون عملا يسيرا  
ومن هنا بدعوا يرسمون الخطط ويحشدون القوى والتأثير في هذا المعاد أو قبل العداء  
الذي أظهره المصريون ضد التشيع منذ اللحظات الأولى (١٨) . وكانت خطة الفاطميين  
تشمل مرحلتين : المرحلة الأولى مرحلة التعليم والتشريع ، والمرحلة الثانية مرحلة  
الدعوة السرية (١٩) . ولم يكن فتح مصر غنما سياسيا للفاطميين بحسب بل كان  
انتصارا للدعوة الشيعية التي ما لبثت بنو العباس يطاردونها زهاء قرنين . والتي  
رفع لواحقها مهيد اله المهدي بعد المعز . وبدأت تظهرها السياسى بالفتح المغرب  
بكانت مسألة الإمامة ما تزال بسند الفاطميين وكان عليهم أن يؤيدوا هذه الدعوة وأن  
يشبوا قدسيتها كما كان ولكهم الجديد في مصر يصلح بنفس الصيغة الدينية العميقة

(١٥) د . عبد اللطيف حيزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢٧ .

(١٦) نفس المرجع السابق .

(١٧) د . علي حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمي ص ٢٧ .

(١٨) أحمد نسلي : تزيخ التربية الإسلامية ص ٢٩١ .

(١٩) المرجع السابق ص ٢٩٢ .

التي حملت لمواهب المغرب . فثبتوا في وجه المنكرين لتبصيرهم وشرعية دعوتهم وأنهم  
كنا يدعون بسلالة المهلمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

كان المهز حريصا كل الحرص على صـبغته الدينية وعلى مظاهر الإمامة .  
وكيف كانت الصفة الدينية المعينة تطيع سياسة الدولة الفاطمية في مفتتح عهدنا  
بمصر وخصوصا أن هذه الصبغة لم تكن بمنجاة من المطاعن (٢٠) لس الفاطميون مصر  
ومعهم هذه المنيعة يجرب عناصرها وأفهموا أصل مصر أنهم من آل البيت وأن الله  
تعالى مصدر العلم وأنه أناده على محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن محمدا أورث  
هذا العلم الإلهي كله عليا من بعده ، وأن عليا أورثه ابنائه واحدا نواحدا على النحو  
الذي رآه كل من فرقتي الكيسانية والفاطمية ، ولذلك وضعوا نظاما دينيا دعوتهم  
ونظاما دنييا لطريقة تعليمها (٢١) .

بيد أنه منذ اتسام الفاطميون خلافتهم بمصر فأنهم عملوا على تحويل جهـاز  
الدولة الرسمي إلى مذهبهم الشيعي . فعلموا على إحلال التشريع الشيعي مكان  
التشريع السنني في القضاء والفتيا وانكار ما خالفه ، كذلك غيروا نظام الموارث  
وجعلوه على أساس رأي أهل البيت . فلهروا بالأل بيت مع البنت أخ ولا أخت ولا عم  
ولا جسد ولا ابن مع الولد ، فلما نزل فقهاء السنة (٢٢) ضد هذا التغيير في التشريع  
أخذ النعمان كبير القضاة (٢٣) في ذلك الوقت بعض العنويات ضدهم ووطد حكم  
التشريع الشيعي وتوفى ذلك عمل الفاطميون على إدخال خصائص المذهب الاسماعيلي  
في الجوامع الرسمية وهي خصائص لا تختلف غالبا عن خصائص المذهب السنني حيث  
دناؤها الدين الاسلامي . وكان شعور الفاطميين قويا بتوطيد مركز خلافتهم في مصر  
فعدوا حينئذ إلى نشر عقائدهم بين المصريين بقصد تحويلهم إلى الشيعة . وقد  
يكون الدافع إلى اتخاذ هذه الخطوة أن الهبسيين والقرامطة من أعداء الفاطميين

---

(٢٠) محمد عبيد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية  
ص ١٠٢ - ١٠٧ .

(٢١) د . عبد اللطيف حيزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٧١ - ٧٥ .

(٢٢) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم المفترى عليه ص ٧١ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ .  
(٢٣) هو أبو حنيفة النعمان المغربي (ت ٣٦٢ هـ) وينسب إلى قبيلة تميم ويطلق  
عليه أبو حنيفة الشيعي - دخل في خدمة عبيد الله المهدي سنة ٣١٣ هـ والقب في  
المذهب الاسماعيلي ثم تولى القضاء في عهد القائم والقصور والمهز ثم أصبح قاضيا  
لقضاة ( ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٦ ) .

كانوا يذيعون بين المصريين طعنا يرمى الى التشكيك في نسب الفاطميين الى بيت النبي وهو الاساس الشرعي الذي ثابت عليه خلافة هؤلاء (٢٤) .

ولما كانوا يعرفون ان الشعب المصري السنّي لديه احساس بلطيمى بالعداوة ضد مذهب غير مذهبه فاتهم تحاشيا لاغضابه كانوا يحفظون بهذه الذكريات في اوسانهم الخاصة بين ائمتهم وموظفيهم الذين كانوا بالضرورة من ائمتهم عقيدة الدولة وقد وجد بعض الخلفاء الفلاة الذين لم يترددوا في جعل هذه الامهات الخاصة اعبادا بشروعة عامة ، وان كان لنا ان نؤكد صحة عامة ان هذه الاعباد الشيعية كانت دائما تحتفظ بطابعها المذهبي الخاص (٢٥) .

وقد تسهتت القاهرة العاصمة الفاطمية الجديدة احتلالا دائما بتنصيب العزيز بالله باعتباره اول خليفة يحتل بتسميه في مصر حيث كانت تولية الممزر في بلاد المغرب . غزوات بالرايات والانوار المساطعة وشارك المصريون الخليفة وحاشيته هذا الاحتفال تخرجوا الى الحدائق العامة وشواطئ النيل وركبوا الخوارب المزودة بالانوار واقام في القصر حفل رائع امة رجالات الدولة ووجوه المصريين (٢٦) .

ونعرف ان الفاطميين ائسسوا في مصر دولة مذهبية تختلف في عقائدها عن مذهب الشعب المصري السنّي لذلك كان من الطبيعي ان يعمل الفاطميين على الإبتاء على ذكريات مذهبهم الشيعي منذ ظهوره وصراعه الى ان اصبح دولة كبرى (٢٧) .

ولن الخلافة الفاطمية بالرغم من استمساكها بعقائدها المذهبية العتيقة لم تستطع ان تحشد سواد الشعب المصري الى جانبها في هذا الصراع ولم تحاول دائما ان تجرى على سياسة الارغام في طبعها بطابعها . وفي فرض ثوبها المذهبي على عقائده بل نراها في احبان كثيرة تلجأ في ذلك الى سياسة الرفق والتسامح . وليس ادل على ذلك من ان الامة المصرية كانت تحيط عرش الخلفاء الفاطميين برحمتها

(٢٤) عند الدكتور حسن ابراهيم الباب الثاني من كتابه ( تاريخ الدولة الفاطمية ) عن نسب الفاطميين ( ص ٥٧ - ٨١ ) .

(٢٥) د . عبد المنعم ملحد : نظم الفاطميين ورسولهم ج ١ ص ١٢٦ .

(٢٦) د . على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله - الفاطمي حن ٣٠ .

(٢٧) د . عبد المنعم ملحد : نظم الفاطميين ورسولهم ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٦ .

واعجابها وولاتها لثبتت من الفلمية المذهبية طوال عهد الدولة الفاطمية محتفظة بمذهبها السنني لا يضي به بديلا (٢٨) .

على ان المصريين وان كانوا قد احبوا الفاطميين الا انهم لم يتابعوهم في مذهبهم الشيعي وذلك لان الشعب المصري شعب محافظ في المسائل الاعتقادية ولهذا ظل على مذهبه السنني ومن طريف ما خلفه الفاطميون في مصر في هذا الصدد بعض كلمات من سبب السلف السالم مثل ابي بكر وعمر بن الخطاب اذ لا تزال تقال كلمة يا عمر (٢٩) .

ثم ما كانت الخلافة الفاطمية تفرغ من نشر مذهبها والتمكين لدعوتها حتى انتهت بعد بايضاء السننسيين في مصر بمذهب السنة فقيل انه في سنة ٣٨١ هـ قهر رجل وظيف به المنيفة من اجل انه وجد عنده كتاب الموطأ لذلك بن انس (٣٠) .

والرأى عندنا في ذلك انه حادث شاذ لما نعرفه من الفاطميين من ميلهم الى التسامح مع اهل المذاهب والديانات الأخرى .

ان المصريين كانوا اكثر استعدادا لقبول المذاهب الشيعية بسبب ميلهم الى على بن ابي طالب والثقاتهم حول واليه محمد بن ابي بكر وذلك من العوامل التي ادت الى انتشار نفوذ الفاطميين في مصر قبيل الفتح الفاطمي (٣١) .

وفي الحق ان اهل مصر - لم يكونوا يبتغون المذاهب الشيعية . بل كانوا يرحبون بالفاطميين ابتداء على وفلمطة ترحيبا حارا . ويؤثرونهم على العباسيين كما ان حالتهم الاقتصادية والادارية كانت تتطلب تغييرا شاملا .

ولذلك رأى كثير من المصريين انهم قد يجدون تحت حكم الفاطميين ما لم يجدوه في عهد العباسيين (٣٢) . فلقد كان الفتح الفاطمي الذي تمخض عن المذبسة العظيمة القاهرة بمثابة تغيير في المذاهب وفي نظم الحكم والثقافة . وكان المصريون

(٢٨) محمد عبد الله عنان : الحاكم بامر الله . ص ٢٥٢ .

(٢٩) د . احمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٦٢ .

(٣٠) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر .

(٣١) د . حسن ابراهيم : المعز لدين الله الفاطمي ص ٢٠ .

(٣٢) المرجع السابق ص ٨٦ .

قد تأسوا كثيرا من المجاعة التي أصابها وباء هلك فيه أكثر من نصف مليون من السكان في مصر وما جاورها وخضعوا لقيادة ضعيفة وعرضوا لنهب الجند الفارين . فنقدم جوهر وتم له ما أراد من أحداث التغيير في الحبسة المصرية فلم يكن التغيير أكثر من أبدال عقيدة بمتيدة أخرى ويرجع الفضل في ذلك إلى سياسة التسامح التي سار عليها الفاطميون وتعميم مبادئ الشيعة المتطرفة فقد رضى الناس بالنظام الجديد ولم يقابلوه بالامتنان والتعصب . اللهم إلا عندما جابههم الشيعيون بالاحضال في اليوم الأول من شهر المحرم تكريما لذكرى شهداء كربلاء .

وظل السواد الأعظم من الشعب يدين بمعتقد المذهب السني (٣٢) .

وحذا ما كان جوهر الصقلي جريما عليه بعدم مغاجة السنيين في مساجدهم بأدلة شعائر المذهب الفاطمي حتى لا يثير كراهية المصريين . لذلك وضع جوهر أسس الجامع الأزهر في ١٢ رمضان ١٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م وتم بقاؤه في سنتين وأقيمت الصلاة فيه في رمضان سنة ٣٦١ هـ (٣٣) .

اتهم الفاطميون في مصر حكومة منظمة قائمة على أسس حتى . فلتعبت البلاد نحو الرعي بفضل هذه النظم الرشيدة التي احتذاها من جاء بعده من الملوك غير أن سياسة الفاطميين ( التي ترمى أولا إلى نشر مذهبهم ) كثيرا ما كانت تضارب مع مصالح الأهلين ومساعدتهم لأن أكثرتهم المسابحة كانوا سنيين .

ولقد نطلب نجاح هذه السياسة أن يهل انصار الفاطميين - حتى من غير المسلمين - محل السنيين في مناصبهم . من ذلك ترى أن السنيين كانوا في أول حكم الفاطميين ينظر إليهم بعين السخط والكراهية فتحاولوا لذلك كثيرا من جور القوائين التي كلن يسمونها الفاطميون وذلك أنه كان لزاما على أبناء الطوائف الثلاثة ( السنيين والنصرى واليهود ) الذين كان منهم المصريون ، أن يطهروا تلك القوائين حتى ما كان منهم غير يتفق مع معتقداتهم الدينية (٣٤) .

(٣٢) سررة القاهرة للمستشرق ستانلى لوبنول ترجمة حسن ابراهيم وآخرون ص ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩ .

(٣٤) د. حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ٢١٦ .

(٣٥) د. حسين ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٢٤ .

أن استقرار الفاطميين بمصر جعل مصر متزلزلة ومتوى ملكهم ودولتهم  
شعرت الخلافة الفاطمية بالحاجة الى مساعدة جهودها المذهبية . ذلك انهما  
لم تجد في مصر كيا وجنت في تقار المغرب السانحة بهذا خصبا لدعوتها . بل  
الفت في مصر مجتمعا عركته الاحداث السيلسية . فكان عليها ان تتوسل  
لغزوه بكل الوسائل السبلية والفكرية .

ولم يكن اعتماد الخلافة في بث دعوتها على سلاح التشريع قدر اعتمادها  
على الدعاية السرية وغزوها الأذهان بطرق منظمة لأنه اذا كان التشريع وسيلة  
لسيادة الكلمة وتحقيق القاعدة الظاهرة فان الدعاية المنظمة حير الوسائل  
لغزو الأذهان المستغرة وحشدتها لتأييد الدعوة المنشودة (٢٦) .

وقد كانت الدعوة السرية انفسد ووسائل الفاطميين . الى تبصوا  
الملك . فلما جنسوا نهار ظنهم الاولى كانت الدعوة السرية وسبلتهم الي  
حياتها وتدميها . فكان لهم دعاة في سائر الأقطار الاسلامية فكانت مصر  
منزل ملكهم وخلافتهم . غير هذه الدعوة ومركزها ومجمعها . تنسب معه الي  
جنات الامبراطورية السابعة والى سائر الأقطار الاسلامية الأخرى (٢٧) .

وكانت الدولة الفاطمية تجذب اليها الأنظار بغوتها وغناها وكان سواد  
الشعب يؤثر الانضواء تحت لواء دولة قوية فنية وتبنتل بلواء الإمامة  
الاسلامية كالدولة الفاطمية على الاستقرار في معاناة هذه القوضى السياسية  
والاجتماعية .

وحكذا الفى الفاطميون حين مقدمهم الي مصر جوا بهذا يبشر بتحقيق  
الفتح المنشود على خير الوجوه (٢٨) .

ولكن يجعل الفاطميون مصر قاعدة ملكهم أنشأوا فيها بمجرد فتحها عاصمة  
عند ملتقى النيل . بلنتا . سموها القاهرة المعزية . بنوا فيها قصورهم  
ونواوينهم والجامع الأزهر الذى يقوم ينشر الدعوة الي مذهبهم وتد متحسوها  
الترغيب البالغ وساعدهم على ذلك ان مصر مطبوعة على الحضارة الراتية حتى

(٢٦) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله من ٢٥٣ .

(٢٧) المرجع السابق ص ٢٥٣ .

(٢٨) نفس المرجع ص ٢٩ .

أصبحت جوهرة ملكهم وبذلك أصبحت في مصر لأول مرة عاصمة خلافة إسلامية  
نشأ بوقتئذ من بغداد عاصمة العباسيين المشهورة وقد أصبحت مصر بحق  
ثلثة القاطنين تنهر أعداءهم وتحقق أهدافهم .

حقا إن المعز لول مجيئه لقي صاعيا شديدا لتوتوخ اندلس في المذهب  
الشيعة بسبب أن شيعته في البحرين الذين عرفوا بالقرامطة نسبة إلى  
قرمط الدامية التميمي ثاروا على إمامته وهاجموه في الشام ومصر إلا أن المعز  
وبن بعده العزيز تمكنوا من صد القرامطة وأجبارهم على الرجوع إلى البحرين (٣٩) .  
وقد بدأ القاطنيون حكمهم في مصر بداية طيبة ، واستطاع المعز أن يوطد  
أركان دولته ، واستطاع أن يتخلص من تهديد القرامطة الذين وصلوا حتى أسوار  
القاهرة ثم مد نفوذه إلى الشام والحجاز (٤٠) .

وهناك من يرى بأن المصريين رفضوا مذهب التشيع التي حاول القاطنيون  
— ضلال حكمهم مستخدمين أساليب السيطرة — أن يفرضوه على المصريين  
فازدادوا استمساكا بتعاليمهم الصحيحة (٤١) .

يرى الدكتور أحمد أمين : بأنه كانت تحدث فتن ومصائد بين المصريين  
المسلمين والشيعة في المناسبات المختلفة — فقد روى أنهم قطعوا لسان من  
أهتج على منع صلاة التراويح كما ضرب رجل من أهل مصر — كما ذكرنا —  
وطيف به المنيئة لأنه يملك كتاب الموطأ لمالك بن أنس (٤٢) .

وفي سنة ٣٩٢ هـ عوقب رجل بدمشق وطيف به في المدينة وناقوا عليه  
H هذا جزاء من بحب أبا بكر وعمر " . ولكن هذه السياسة لم تكن ثابتة  
مطلدة . بل كانت قلقة مضطربة كاضطراب سياسة القاطنيين . فلحياتنا يبذلون

---

(٣٩) د. عبد الغفور مجاهد : الأيام المستنصر بالله من ١٢ .  
(٤٠) د. محمد حمدي المنياوي : مصر في ظل الإسلام ج ١ ص ٧٤ .  
(٤١) د. حسن أحمد محمود وآخرين : تاريخ مصر في العصور الوسطى  
والحدیة من ١٥ .

(٤٢) د. أحمد أمين — ظهن الإسلام ج ١ ص ١٩٤ .  
(م ٤ — الحياة الفكرية في مصر )

في اضطهاد أهل السنة وأحيانا يسمحون لهم بحريتهم كما كانوا يضطهدون اليهود والنصارى إلى أقصى حد ، وأحيانا يبالغون في اكرامهم (٤٢) .

ولا عجب فإن المصريين كانوا قد انصاعوا إلى تعاليم الذهب الإسماعيلي البهلئى وأفادتهم بما شاعروهم واصطبتت بزورها عواطفهم ووجدانهم وأخذ تفكيرهم يدور في إطار تلك التمسك ، ويحد بلغ من تأثير المصريين بقواعد ذلك المذهب وتعاليمه أن أصبحوا يعتقدون أن الإمام الفاطمى بضر ويطيح ، وأنه يرزق من بقاء بيا شاء وبجرم من شاء إذا شاء وبصدق ذلك قول ابن هانئ الأندلسى (٤٤) في مدح الامير ادين الله الفاطمى :

ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار

ولقد اندمجت الدولة الفاطمية في الحياة المصرية وشاركت فيها بجليل الأعمال التى كان لها أثر كبير في توحيد عناصر الأمة المصرية وتنبؤ شخصيتها ، ذلك لأنها كانت دولة بتسامحة إلى حدود بيعة فالمسلم والقبضى واليهودى كانوا يتقون معاملة واحدة . وهذا يساعد على مزج العناصر المصرية بعضها ببعض كما يساعد على ازدهار الحياة الاقتصادية والفنية في البلاد . نكتبر من مخططات الفاطميين المحفوظة في المتحف الإسلامى كالأوتى الزجاجية والخزفية ذات العويق المهدنى والمنسوجات قد نقش عليها أسماء صناعتها وأغلبها أسماء مسيحية . ويقبل بهذا مشاركة الفاطميين في الاحتفال بالاعياد القومية والمسيحية في مصر مثل عيد النوروز والتطاس وخميس العهد . الخ . (٤٥) .

كما كان عهد الفاطميين عهد اصلاح ونهضة من أمثال بناء القاهرة (٤٦) وحاج الأزهر (٤٧) مما لا يزال قلما إلى اليوم .

وبهذا يكن من شىء نغد فوى أمر هذه الثقافة العلوية وعظم مسلماتها حتى

(٤٢) د. أحمد أمين - المرجع السابق ص ١٩٤ .

(٤٤) د. على صفى حسين : ابن الكيزائى حياته وشعره ص ٦٠ .

(٤٥) خطط القرينى ج ٢ ص ٢٧٩ - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢

ص ٩٥ وما بعدها .

(٤٦) القرينى : الخطط ج ١ ص ٢٧٢ - انعاظ الحنقا ص ٧٤ .

(٤٧) القرينى : الخطط ج ٢ ص ١٧٢ - التلغىسى : سبع الأمتى ج ٣

ص ٢٦٤ .



لقد كان الخليفة (الإمر) (٤٤٨) تحدثه نفسه بالمسفر إلى الشرق والغارة على بغداد لتوحيد المذاهب الأدوية في جميع الممالك الإسلامية ولقد مثل الإسرُق ذلك شعرا منه هذان البيتان :

دع اللوم عنى لست منى بموتق      غلابد لى من سنقه المتحقق  
واسقى جياى من فرات ودجلة      واجمع شمل الدين بعد التفرق

وهكذا بقي العالم الإسلامي كله أو أكثره موزعا بين خلفين عما الخلافة العلوية الفنية في مصر وأخرب والخلافة العباسية التي هربت وكادت تنحصر في بغداد .

لم انه حول منتصف القرن الخامس الهجرى كانت الخلافة العباسية قد تخلت نهائيا من سلطان البوميين المعروفين بتخصمهم لذهب الشيعة ووتعت هذه الخلافة تحت سلطان الأتراك الذين عرفوا بتخصمهم لذهب السنة (٤٤٩) .

---

(٤٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٦٥ - وما بعدها . أبو المحاسن :  
النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٦ - ١٤٨ .

(٤٩) ابن الأثير : الكامل ج ٨٧ ص ٢٨٠ وما بعدها . ابن خلدون : العبد  
ص ٢٥٤ وما بعدها - أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٤ وما بعدها .

## أثر الحياة السياسية في الإتحادات العسكرية

لا نستطيع أن نضع على قسم المسلحة الدواة الفاطمية مع الدولتين الطولونية (١) والأخشيدية (٢) هاتان الدولتان الأخيرتان وإن قلنا بعض الاستقلال عن الخلافة العباسية لأننا كنا على عكس الدولة الفاطمية بتقصها قبل الأصل حتى يتمكنوا من فرض سيادتها المطلقة في مصر .

ولذلك بقي أمراء هاتين الدولتين يعتقدون في حكم مصر على مواضع الضريبة العباسي في بغداد . وبقية مصر - تبعا لذلك - جزءا من الدولة العباسية التي سادت فيها نفس النظم السنية . فضلا عن أن مدة حكم كل من هاتين الدولتين قصيرة . فلم يكن من المتوقع أن تنجز نظم الحكم في عهدهما أو أن تطبع بولايه خاص .

ولكن مصر في عهد الفاطميين أصبحت قاعدة لامبراطورية واسعة لا يحكمها ولاية معينون من بغداد . وانها تنافسون لظناء العباسيين يتوافق لهم نيل المحت اذ ينهون الى أسرة ملولية وعلى . فكان تحول مصر من ولاية شبه مستقلة الى خلافة مستقلة استتلا تالما له اثره الكبير في نظم البلاد التي تطورت الى أفق لوسع وجد أكثر مما كانت عليه في عهد الطولونيين والأخشيديين .

بل انه لا يمكن مغارزة تمام الدولة الفاطمية في مصر ونظما في شمال إفريقيا حيث كانت هذه البلاد الأخيرة تسكنها عناصر سلجقة متردة على عكس شعوب مصر الهادي المتعود على الحضارة وما كان له ثره في تدور نظم الحكم الفاطمي في مصر .

كذلك كانت الدولة الهادية تزداد في جوهر فسنتها عن الدولتين السنتين - الطولونية والأخشيدية - فهي لم تكن دولة دينية نصيب مثل غيرها من دول العصور الوسطى . لا فرق فيها بين سلطة دينية وأخرى دينية ولكنها كانت دولة ذات عقائد مذهبية خاصة .

(١) حكمت الدولة الطولونية من سنة ٢٥٤ الى سنة ٢٩٢ هـ ٨٦٨ الى ٩٠٥ م .

(٢) حكمت الدولة الأخشيدية من سنة ٢٢٢ الى ٢٥٨ هـ ٩٢٣ - ٩٦٩ م .

فالدولة الفاطمية دولة شيعية نخلفنا بانكارها الدينية والسياسية ما ساد  
من نظم في مصر حتى ذلك الوقت (٢) .

ولما كانت الدولة الفاطمية شيعية أصبحت مذهبية تطبقت فيها الصفة  
الدينية على كل مظاهر الحياة وصيغت كل نظامها من الخليفة أو الامام ، حتى اقل  
كاتب فيها . وكانت العقيدة الفاطمية في مصر كما كانت سابقا في المغرب ، الأساس  
الذي تقوم عليه الدولة ، فكل تنظيم سياسي في الدولة ما هو الا انعكاس لروح  
العقيدة الفاطمية نفسها (٣) .

على اننا يجب ان نقرر ان الدولة الفاطمية سواء اكانت في المغرب ام مصر  
مثل غيرها من الدول الاسلامية في اساس بنائها على الدين وقد لاحظ ابن خلدون  
الفكر المسلم الكبير انه ليس من السهل أو الممكن فصل الدين عن الدولة (٤) .  
فالدولة الاسلامية تقوم على اساس تشبكيك فيها الدولة بالدين .

وبرغم ذلك فاننا نستطيع ان نقيم حدا مميذا بوضوح بين نظم الدولة  
السياسية التي تركز على اساس دينية وبين النظم الدينية الخالصة التي تقوم على  
اساس العقيدة المذهبية والفلسفة الدينية ذاتها ويعني آخر نستطيع ان نفصل بين  
نظم الدولة والمذهب .

فنظم الدولة الفاطمية تتشابه مع نظم الدول الأخرى القبطية « الدينية »  
الاسلامية في المصور الوسطى فالعقيدة الفاطمية مثل العقيدة السنية كانت جزءا  
من عناصر دينية وتشريعية (٥) .

ومهما يكن من شيء - فقد كان من الممكن الفصل بين النظم السياسية التي  
لا تخلص من الدين ، والدين نفسه . وان كانت كلمة « دولة » (٦) التي تعني سجالات  
ديوان الإنشاء الفاطمي وتكون جزءا من القاب كبار الموظفين (٧) . لم تعن يومئذ المعنى

---

(٢) د . عبد القم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ١٢٩ - ١٤٠ .  
(٣) المرجع السابق ص ١١ .  
(٤) ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٣١٢ .  
(٥) د . عبد القم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ١ ص ١١ .  
(٦) د . عبد القم ماجد : السجلات المستخرجة ص ٢٧ - ٢٤ - ٥٢ - ٦٣ .  
(٧) المرجع السابق .

الذي نلصقه بها الآن على العصور انوسطى كانت الدولة تركز على اسس ديشى ومبىاسى .

واذلك لما استقر المعز بهمر انفراد بها ولم يدخل تحت طباعة الخلفاء العباسيين وادعى الخلافة لنفسه ببعمر . وقال نحن افضل من الخلفاء العباسيين لاننا من ولد منطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكل الخلفاء الناططيون يحكمون من مصر الى الشام الى طاب . الى مكة والمدينة الشريفة الى القدس والخليل وصارت مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة (٩) .

فقد قامت الدولة الفاطمية على أسس المدعوة الشيعية في ظروف غامضة وانتشج الناططيون بذوي الامامة الدينية وردوا نسبهم الى على بن ابي طالب وناطمة ابنة النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ومصلى امامتهم الى اساميل بن جعفر الصادق من ولد الحسن بن على ومن ثم كانت نسبهم ليضا بالاسماعيلية (١٠) .

وقد ظل العلويون يعتقدون انهم احق بزعاية المسلمين لانهم اولاد على - ابن عم النبي وزوج ابنته ناطمة . وظل هؤلاء العلويون يفاضون في سبيل هذه الزعامة بالسيف تارة وبالمكيدة والدهاء مارة اخرى حتى توجت جهودهم بقيام الخلافة الفاطمية في المغرب ، تناس الخلافة العباسية في المشرق وقد قامت الخلافة الفاطمية على اسس فكرة تقديس الامام ومصمته (١١) .

لذا فان الامامة هي اصل جميع نظم الحكم في الدولة الفاطمية في مصر (١٢) وتسمية « امامة » التي كان يستعملها الشيعة بعامة والفاطميون بخاصة لها مدلول كلمة « خلافة » التي كان يستعملها غالبا الامويون والعباسيون فقد تمسك الفاطميون بطاعة الامام المطلقة لكن بقوا سلطتهم الزمنية ولجعلوها مقدسة رهبة (١٣) .

ولذا يرى علماء الفاطميين ان هذه « الولاية » ليست جزئية لانها يجب ان تشمل جميع الامة الاسلامية وقد اناقوا على المكن الذي توجد فيه هذه الامة

(٩) ابن اياس : بدائع الزهور في ونايع الدهور ج ١ ص ٢٦ .  
(١٠) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٢٥٢ .  
(١١) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٦٤ .  
(١٢) مجموعة الوثائق الفاطمية ص ٢٠ وما بعدها .

الإسلامية التسمية العامة بدار الإسلام . وعلى ذلك فيجب الا بطاع فيها غير سلطة شرعية واحدة : هي سلطة الامام الفاطمي وكان امكان وجود امامين أو خليفتين في وقت واحد ليس له مكان في العقيدة الفاطمية .

نرى ناصر خسرو ان حكم هذه الامة ملك للامام وليس لغيره أي حق فيه . ولم يجد هذا الرأي نبولا من أهل السنة على الأخص حينما أتسعت رقعة الإسلام فأصبح من الصعب حكمها بشخص واحد وفي هذه الحالة فانهم يسمحون بعقد شرعي مع شخصين في وقت واحد (١٤) .

وكانت هذه الامامة بلاذا لسيادة الفاطمية وعهادها ادى الكافة وكان الخلفاء الفاطميون يحرصون جد الحرص على صفة الامامة وعلى توطيدها ونشر لوائها يختلف الوسائل اذ هي شعارهم الاسمي وعهاد سلطانهم الروحي ويعتقد مطامعهم التباسية .

وقد استطاعت الخلافة الفاطمية ان تجنى غبر ثروة كفاها وظفرها ، فبسطت ظلها بعد الفريقية على مصر والشام والديلم فكان هذا الانضواء تحت اواء الخلافة الفاطمية يمدد قبل كل شيء لون الظاهر السياسي . بيد ان الخلافة الفاطمية كانت تحرم على تحقيق ظفرها المعنوي الى جانب ظفرها المادي . وان تنزوا عقائد المجذبات التي يدغمها للفتح أو دعائها السياسية على الانضواء تحت لوائها . ومن ثم كان نشاط الخلافة في بث دعوتها المذهبية وفي الامسك على توطيد دعائها وتكوين نفوذها المعنوي الى جانب سلطانها السياسي .

وليس ادل على ما كانت ثروته الخلافة الفاطمية من عظيم الاهمية على بث دعوتها المذهبية واتخاذها وسيلة نافذة لتبني المؤمنين والكافة تحت لوائها مما ورد في كتاب المعز لعين الله الى الحسن الأعصم زعيم القرامطة من تلك العبارة القوية التي يشر فيها المعز الى قيام الخلافة الفاطمية ببث دعوتها في مختلف الامتياز : لا عما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجاج ودعاة يدعون اليها ويدلون علينا ويأخذون ببعثنا ، ويذكرون بجهنمنا ، وينشرون علينا ، وينظرون

(١٣) سيرة المؤيد ص ٨٥ .

(١٤) د . عبد المتعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ١ ص ٥١ - ٦٢ - ٦٤ .

بأسنا ، ويشيرون بلباننا ، بنصـاريف اللغات واختلاف الألسن ، وفي كل هزيمة  
وأقليم رجال منكم يفتخون وعندهم يأخذون » (١٥) .

وهو يقول الله عز وجل : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه لمبين لهم » .

ولا ريب أن الخلافة الفاطمية كانت ترمي بيت هذه الدعوة إلى غاية سياسية  
أكثر منها دينية : أن يحتشد المستتريون والخاصة تحت لواء الخلافة الفاطمية وأن  
يجعلوا من دعائها ملجأ للزعامة الدينية في العالم الاسلامي وأن يكونوا سبغاءها  
لدى المؤمنين والكلالة يحركونهم لتأييد كلمتها وتوطيد سلطانها وتنفيذ غايتها . تلك  
هي الغاية الحقيقية لتنظيم الدعوة السرية وبثها على هذا النحو . واتخاذها  
أداة لغزو العمول والمعاند عن طريق الدين والفلسفة الكلامية .

ذلك انه من الحق ان نشوء هذا بيان الخلافة الفاطمية وان كانت تخدم كسل  
الحرص على بث دعوتها المذهبية بهتكتف بالوسائل المذهبية فانها لم تكن تلجأ في  
ذلك إلى وسيلة للضغط أو الإكراه الأدبي أو المادي ، بل كانت تترك أمر الدعوة  
والاستماع إليها حراً من كل قيد وضغط وكان للناس يستمعون إليها أحراراً يحضرون  
أختبارهم ويقتلونها أو يرفضونها وفق مشيئتهم (١٦) .

وكان تنظيم الخلافة الفاطمية لدعوتها المذهبية على هذا النحو المدهش مما  
يشهد له بكثير من المصلحة والبراعة في سبغ أغوار المجتمع وتعميق عظيمه . وإذا كانت  
مجالس الحكمة لم تحقق كل ما فيها . ولم تنجح كثيراً في تحويل الشعب المصري  
عن ميخته المذهبية .

فلا ريب أنها قد فعلت كثيراً لتوطيد الدولة الفاطمية وتوطيد أركانها المذهبية  
وسلطتها السياسية كما فعلت كثيراً لتقويض المذهب الخصية ولكنها أفلتت في  
الوقت نفسه سحباً كثيفة من الريب على عقيدة الفاطميين الدينية .

ومن الواضح أن نظام الحكم كان في ظل الخلافة الفاطمية كما كان في سائر  
الدول الاسلامية الأخرى في العصور الوسطى نظاماً مطلقاً يستأثر فيه الخليفة  
بجميع السلطات الروحية والزمنية . وقد سارت الخلافة الفاطمية على هذا النحو

(١٥) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله من ٢٥٢ — ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(١٦) أنظر لصل الدعوة الفاطمية في القصور من ٢٨١ والدعوة الفاطمية في دور

العلم من ٢٨٢ في كتاب الدكتور حسن إبراهيم ( تاريخ الدولة الفاطمية ) .

منذ قيامها بالمغرب ثم بعد ذلك منذ قيامها بمصر . فمكسان الخليفة الفاطمي (١٧) هو الدولة ، وهو صاحب السلطان المطلق وحكم العز والعزيم والحاكم والمظاهر وفقا لهذا الأسلوب في عصر الازدهار والقوة وكان هذا الأسلوب المطلق في الحكم لسرا طبيعيا . يتفق بالأخص مع نظرية الامالة الفاطمية انها من الناحية الدستورية نظرية الحكم المطلق ؛ بل هي تتجاوز فوق ذلك بل رئيس الدولة الاعلى فيها وهو الامام يمتاز بصفات المعظمة والقداسة ؛ باعتباره قائم الزمان ، وأن قيامه يرجع الى مشيئة الله . على ان تمتع الخلافة الفاطمية بهذا السلطان المطلق الروحي والزمني في مصر لم يطل أكثر من سبعين عاما ومنذ الشدة العظمى التي وقعت في بداية عهد المستنصر (٥١) هـ - ١٠٥٩ م (١٨) تدخل الخلافة الفاطمية في عهد انجلائها وتباعد سلطانتها تباعا ، ويبدأ عصر الوزراء العظام باستيلاء القائد بدر الصالح على ازمة الحكم في ٦٧٢ هـ - ١٠٧٥ م (١٩) وفي ظل اولئك الوزراء العظام الذين تماثلوا في الحكم من ذلك التاريخ يفقد الفاطميون كل سلطة ويصبحون ادوات لينة لا حول لهم ولا قوة ويستبدون كذلك حتى ذهاب نولهم (٢٠) .

كما ان الفواجة الفاطمية تمتاز بصيغتها المذهبية العميلة كذلك تمتاز بطرانة نظنها السياسية .

فقد كانت العمولة الفاطمية مبتكرة مجددة في كثير من قواعد الحكم والادارة وفي كثير من الرسوم والتنظيم وكانت هذه النظم والرسوم توقي طرفتها الدستورية تلعبها نفس الصبغة البلاغية التي تطبع الدولة الفاطمية ومساير مظاهرها .

فلما اتسع ملكها وعظم سلطتها بالفتح مصر والشام شعرت بالحاجة الى التوسع في النظم السياسية والادارية التي يقوم عليها هذا الملك الباذخ ولم تكف بالاعتماد على الخطط العسكرية والدينية والمدنية المعروفة بل عدت الى الابتكار في تنظيم الاموال والخطط الدستورية ومعدا لمعاجتها وغيابها السياسية والمذهبية (٢١) .

(١٧) محمد عبد الله عنان - الحاكم بامر الله من ٢٨٠ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٦ هـ .  
(١٨) انظر اخبار المجاعات والشدة في كتاب ( اغاثة الامة بكشف الغمة )  
للقريني .

(١٩) القريني : الخطط ج ١ ص ٢٨٢ .

(٢٠) جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر من ١١٣ وما بعدها .

(٢١) محمد عبد الله عنان - الحاكم بامر الله من ٢٢٦ - ٢٢٨ هـ .

اتسقت الى ذلك أن السجلات المستنصرية تودنا بمعلومات عن نظم الدولة الفاطمية السياسية في مصر فهي تبين لنا معالم نظام الإمامة الفاطمية فتذكر علينا دائما في تعابير دنيوية خاصة بالمذهب الفاطمي فهو والد الأئمة ومحمد جددهم (٣٢) .

وحقا إن الفاطميين لم ينسخوا بمجربتهم مصر ككل تقليد الحكم التي وجدوها بهذه النظم وهي مزيج من نظم سنية ونظم متأخرة على ظهور الاسلام - كانت قد بُنيت أقدانها في بناء مصر منذ الفتح العربي . ثم أن الفاطميين انتسبهم لم تكن عندهم آنذاك نظم راسخة لبناء دولة جديدة ولكن عقيدة الدولة الشيعية - سيكون لها أثرها في نظم مصر بالترويج وبالدعوة - لزعم الدولة وقد أصبح الإمام الفاطمي شخصا معصوما ، يحكم بالحق الألهي المنفرد حيث كان مفصيه « الإمامة » أساس كل نظم سياسي وديني كذلك تغيرت قوانين الدولة لتواءم عقائد المذهب الشيعي وقد عمل الفاطميون منذ وصولهم على إحلال الفقه الشيعي مكان الفقه السني الذي كان أساس الحكم منذ فتح العرب مصر في ٢١ هـ - ٦٤٢ م ولكن أهم نظام جديد دخل في نظم مصر السياسية ويعبر بحق عن العهد الجديد في حكم البلاد هو نظام الدعوة وجسد الى تغير حياة الخلفاء الفاطميين أنفسهم الذين ملأوا الى ناعم الحياة ولينها بعد أن كانوا في المغرب يأخذون أنفسهم بالفتش .

الدولة الفاطمية ولا ريب كانت عنصرا حاسما في تطور نظم مصر الاسلامية التي لازالت بعض آثارها ماثورة في أعياننا وتقاليدنا الدينية حتى الآن (٣٣) .

ونحن لا نعرف شيئا لدولة اسلامية اخرى استقامت طبع مصر بطابع جديد سوى كما طبع الفاطميون في مصر - قامت الخلافة الفاطمية على أساس فكرة تقديس الإمام وعصمته ولذا خلق الشيعيون على خلفاتهم من صفات التقديس ما لم يوصف به خلفاء بني العباس .

ولكن بحيث الخلفاء الفاطميون انتسبهم بهالة من التقديس صعدوا الى تأسيس المدارس الخاصة لتدعيم عقائد المذهب الذي يقوم على تقديس الأئمة (٣٤) .

وتل من أثر هذه الجهود أن راجت فكرة تقديس الأئمة في كثير من أرجاء

---

(٣٢) د . عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية ص ٢٢ .  
(٣٣) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسولهم ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤١ .  
(٣٤) د . علي حسني الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي ص ٦٩ - ٧٢ .



العالم الإسلامي كمصر واليمن وفارس والهند بل انتشرت بين الأمويين والستينيين في الأندلس (٢٥) .

وأحيط شخص الخليفة الفاطمي بالرهبة والقداسة ويتفنن للتشبيب أن لخليفتهم قدرة خارقة للمادة لأن الله اصطفاه من شجرة النبوة الباسقة ليحكم بين الناس بروح من عنده فعليهم السبع والطاعة له لأن حكمه هو الحق والمعدل اللهم له من آية سبحانه وتعالى وللإمام عند الفاطميين صلة روحية من جنس التي للأنبياء والرسل (٢٦) .

وبلاحظ المؤرخ ( براون ) أن نظرية الحق الإلهي المقدس لم تكن في دواة من الدول أثبتت وأكثر فروعاً منها في فارس في عهد آل ساسان غير أن هذه النظرية كانت بهصر في زمن أمروك في القدم من عصر آل ساسان في عهد المراغة الذين ادعوا لأنفسهم كل صفات الله (٢٧) .

ويبتدح ( آدم منز ) نظام ولاية العهد في العصر الفاطمي فيقول : نادى الفاطميون بأن الإمامة والأفضلية صفة خاصة تنقل من الوالد إلى الوالد فكأنهم ذلك من أول الأمر مؤونة التنازع على عرش الخلافة ويضاف إلى عذا هذوه السياسة الحزبية وطمأنيتها في عهدهم (٢٨) .

وتبهزت الخلافة الفاطمية بالعظمة والإبهة التي كانت في الاحتفالات بمصلاة الجمعة وفي توديع الحملات الحربية والاحتفال بولاء النيل وبعيدى الفطر والأضحى وفي جلوس الخليفة بإقامة الذهب وكانت الشيعة تركع عند رؤية الخليفة وتعتبر نقبل رداًه فرماً عظيماً (٢٩) .

ويصف مؤرخ عربي الخلافة الفاطمية بأنها حكومة بيروقراطية عمدة كان الخليفة يعتمد في إدارة شؤون الدولة على كبار الموظفين الإداريين ويمنح كلا منهم

- 
- (٢٥) دوزي : المسلمون في إسبانيا ص ٤٠٦ .  
(٢٦) د . علي حسنى الخربوطلى : التعزيز بالله الفاطمي نقلاً عن ( نظم الحكم في مصر ) : عطية مصطفي شرف ( د نا ص ٥٨ ) .  
(٢٧) د . علي حسنى الخربوطلى - التعزيز بالله الفاطمي ص ٧٢ .  
(٢٨) آدم منز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٢٤ .  
(٢٩) د . علي حسنى الخربوطلى : التعزيز بالله الفاطمي ص ٧٣ .

جربة التصرف في الأمور التي يباشرها بعد مراقبته لهم ومعالجتها حسبهم أمام علي  
أعمالهم (٣٠) .

ويرى المستشرق آدم مزر ( نفس الرأي وهو يشهد بسياسة الخلفاء  
الفاطميين الحازمة واستقرار الإوضاع المالية والإدارية واتباع نظام اللامركزية  
ثم يقول : ومن أمثلة ذلك أن والي التمسلم كتب مرة إلى المعز لدين الله مباشرة  
وتخلى عن سونه . فتمنع الخليفة من ذلك . واعداد الكفاح إلى التواهي من غير  
أن تقض أختائه (٣١) .

وقد سار الفاطميون على نهج الخلفاء الأمويين والعباسيين في تولية ابنائهم  
العهد . فكان الخليفة الفاطمي إذا أترك قرب وقتته مهد بالخلافة إلى أحد أبنائه  
ثم تتجدد هذه العادة بعد وفاته . وكان الفاطميون ينظرون إلى الخليفة الفاطمي  
باعتباره أمياً يرث آباءه عن طريق التعيين بالنص وأنه لابد أن يعين الخليفة أو  
الإمام ولي عهده قبل وفاته حتى لا يخلو المعالم من أمام (٣٢) .

وقد كان لهذه الطريقة مميزات إذ كان ولي العهد كبير السن واسع التجربة  
كنواً لثوياً ذلك المنصب الخطير فقد استطاع المعز أن يفسد الجيوش الفاطمية  
ويتنصر على القرامطة في حياة أبيه ويعددها . وأما الحاكم مثلاً فقد كان سفر سنة  
وفلة تجاربه ونجس كتابه من العوامل التي أثارت المتاعب في وجه الخلافة الفاطمية  
في عهده كما كان ذلك من عوامل ضعف هذه الخلافة فيها بعد .

وكذلك كان الخليل بالنسبة للظاهر والمستنصر من الخلفاء  
الفاطميين (٣٣) .

وقد تطلب نظام الوراثة عند الأسماعية وهو الذي أخذ به الفاطميون منذ  
نشأة دولتهم أن تنقل الإمامة من الأب إلى الابن عن طريق التعيين بالنص .

وحرص الفاطميون على اتباع هذا النظام منذ أقاموا دولتهم ولكن بعض

---

(٣٠) د . علي حسني الخريوطي : العزيز بالله الفاطمي نفسه عن د . عطية  
مدحتي شرف نظم الحكم في عهد الفاطميين ص ٦٦ .  
(٣١) آدم مزر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ص ٢٤ .  
(٣٢) د . علي حسني الخريوطي : العزيز بالله الفاطمي ص ٧٥ .  
(٣٣) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٦٧ .

الأحداث صلتهم على الخروج عليه لمحاول الخليفة الحاكم بأمر الله أن يحرم ابنه أبا الحسن على الذى ولى الخلافة من بعده بإسهم الظاهر من ولاية العهد ويعهد بها لابن عمه عبد الرحمن بن الياس غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل وخلفه ابنه الظاهر ، كذلك خولف هذا النظام بعد وفاة الخليفة الأخر حين ولى الخلافة بعده عمر الحافظ كما أنه بعد وفاة الفائز ولى الخلافة ابن عمه العاضد لمدين الله (٢٤) .

والواقع أن الخلافة الفاطمية كانت تقوم على فلسفة خاصة حرة التفكير وقد اشتهر كثير من الخلفاء الفاطميين بتزعمهم الدينية الحرة الثورية أحيانا والروايات الفاطمية المعاصرة تؤيد قبل هذه الدعوة السرية والقاءها بالفتن في مجالس خاصة ثم تلقيبها بعد ذلك للدعاة وفي دار الحكمة الفاطمية (٢٥) .

وبد انطلقت الخلافة الفاطمية بالنفوذ المصرى انطلاقا عظيما فتحقق الاستقلال التام للبلاد وشهدت إصلاحات اقتصادية كبيرة وشهدت رخاء اقتصاديا لم تشهد من قبل وانطلاق الشخصية المصرية في العصر الفاطمى لم يكن في الناحية السياسية وإنما في الفن والثقافة أيضا (٢٦) .

وكان لنظم الحكم الوثيقة التى سار عليها المعز لدين الله اثر بعيد في رقى البلاد ولاغرو فقد كان يمثل الحكم المشرى الذى يجتمع في يده السلطات كلها . ولكنه بمعنى دائما لاسماد شعبة . ويعتبر الحكم أمانة من الله أتتخه عليها . وأن زعامته للمسلمين واجب اقتناه على عاتقه انتصابه للرسول ( صلى الله عليه وسلم ) فجامعت نظم الحكم التى سننها مثلا أعلى في الدقة والاتقان . حتى ثابت أمثالها عند الأمويين والعباسيين .

ويعتبر المعز لدين الله الخليفة الفاطمى الرابع من كبار رجال عصره فقد ميز أقرانه ومناصبه علما وسياسة وحربا ولهذا لانفوا اذا قلنا ان نفوذ الدولة الفاطمية بلغ أقصى مداه في عهده وأن الفاطميين لم يستطعوا ان يحتفظوا بذلك التراث المجيد الذى تركه لهم هذا الخليفة ومن ثم أقيمت الدولة الفاطمية في الضعف

(٢٤) د - محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر من ١٢٩ .

(٢٥) عمر أبو النصر : قلعة الموت - الحسن بن الصباح من ٧٢ .

(٢٦) د - حسن إبراهيم وطه شرق : المعز لدين الله من ٣ .

والانتحلال بعد وفاة العزيز بن المعز وسقطت في ميدان التنافس بين السنيين والشيعية بعد أن دركت أثرا لا يحويه توالي الأيام والأعوام (٣٧) .

وقد ساهم المعز لحين الله في انعاش الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر بما سمنه من النظم الإدارية الحازمة ولم يكتفه بذلك بل نهض بالناحية العلمية والثقافية المذهبية حتى أصبحت المنصورية في بلاد المغرب والشاهرة في مصر كمعبدة العلماء والطلاب والمستجيبين والدعاة .

ولا تغلو إذا قلنا أنه يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية لأنه وطد سلطتها ووسع رقعتها ووضع نظام الحكم الذي أصبح نبراسا يعتدى بهديه من جاء بعده من الظلمة والأبرار والسلاطين .

ويحرص المعز في خلافته على أن يقترب إلى الرعية وإلى الكتلة خاصة فكان يتف منهم موتف الاستاذ من تلميذه والاب من ابنائه وكثيرا ما كان يجتمع بكبار شعبه ويزودهم بنفساتحه ويضرب لهم المثل الاعلى ويبين لهم أنه يتعبد ويشقى في سبيل هفتهم وسعادتهم ، ويطلب منهم مساعدته على النهوض بالدولة والدعوة (٣٨) .

كما كان المعز نزيها وسياسيا بارعا خيرا بشئون السياسة وكان إلى جانب ذلك خطيبا ملوها . . والشهيد بأنه مسلم عادل أمين لأذهب الشيعة (٣٩) .

وتد تحدث المؤرخ العربي المعاصر ( د . حتى ) عن مميزات العصر الفاطمي في مصر فقال : أما من الناحية السياسية فإن العصر الفاطمي يعتبر بدءا لعصر جديد في تاريخ مصر إذ تم تفتح البلاد بغزو كامل سلوة بالحوية ومؤسس على قواعد دينية منذ أيام الفراعنة قبل ذلك الحكم الفاطمي . أما الدولتان المسابقتان ( الطولونية والاختيسيدية ) فام يكن لهما سلطان قوي ولا ديني في البلاد إذ كان ظهورها ونقلها راجعا إلى القدرة الحربية من أسسها من رجال الحرب كما كان راجعا أيضا إلى الحالة المينة التي كانت عليها الحكومة المباسية (٤٠) .

(٣٧) المرجع السابق ص ٩٤٤ .

(٣٨) د . حسن إبراهيم وطه ترمب : المعز لدين الله الفاطمي ص ١٠ - ٢٢ .

(٣٩) ستانلى بول : سيرة الشاهرة ص ١١٦ .

(٤٠) د . تولىب حتى : تاريخ العرب المطول ص ٨١٠ ( العزيز بالله الفاطمي

الدكتور على حسنى الخريوطى ) .

وان كان الامر قد وضع نواة الحضارة الفاطمية في مصر فقد شهد العزيز بالله  
معرض ابيه حتى نما وترعرع ونضج وانى بالتميز العجوة وجميع المؤرخون على  
انتداح العزيز بالله في اخلاقه وعقله وسياساته ونساجته ويعتبرونه آخر خلفاء  
الفاطميين الاتوياء المعطاء وهناك فرق كبير بين العزيز وبين من خلفه من خلفاء  
الفاطميين مثل الحاكم بأمر الله او الظاهر او المستنصر او غيره من الخلفاء .

فقد أصبحت الدولة الفاطمية في عهده ابراهيمية عظمى واستقرت الأحوال  
الداخلية ولم تقم ثورات داخلية ذات أهمية مثل الثورات التي كانت تقوم في عهد  
آبائه وأصبحت الدولة الفاطمية موضع احترام وعبية من جميع الدول في الشرق وفي  
أوروبا (٤١) .

ولقد اتساق المؤرخ ستانلى بول بعصر العزيز فقال : كان العزيز يشبه ابيه  
في حبه للفلسفة وإدارة شئون البلاد ولم يكن لما عرف عنه من حب الترف أو  
المهذب أمر في الحد من مقدراته السياسية والإدارية (٤٢) .

ويصف ه آدم مقر في العزيز بالله في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع  
الهجرى ويقول عنه « انه كان أعظم الخلفاء الفاطميين » (٤٣) .

كان الخليفة العزيز باعذاره خليفة فاطميا تولى الإمامة بعد ابيه بنص منه  
بجميع في يده كل السلطات فكان المهين على جميع أعمال الدولة ويعين في الاقاليم  
ويرسم لهم طريقة الحكم ويرثب سياستهم كما كان العزيز بالله السائد الأعلى  
للجيش (٤٤) .

كان للخلافة في عهد الحاكم بأمر الله ثلاثة أدوار :

**الأول :** من ٢٨٦ هـ / ٢٩٠ م - ١٠٠٠/٩٩٦ م :

في نفس اليوم الذي مات فيه العزيز في مدينة بلبيس بويج بالخلافة ابنه  
الوجيد « المنصور » تلقب بالحاكم بأمر الله وقد ولد المنصور في ٢٢ ربيع الأول

(٤١) د. على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمى ص ٢٢ .

(٤٢) ستانلى بول : سيرة القاهرة - ترجمة د. حسن إبراهيم وآخرين

ص ١٢٢ .

(٤٣) آدم مقر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٢٤ .

(٤٤) د. على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمى ص ٦٩ م ٧٠ .

مسندة ٣٧٥ هـ من أم نصرانية وأقيم العبد الخصى برجوان وصيها عليه امتثالاً  
لرغبة أبيه غير أن برجوان لم يستطع أن يخضع لسلطانه فالتد الجيش ابن عمار  
المغربى الذى كان الخليفة الحاكم قد منحه رتبة الواسطة ولقيه بأمين الدولة (٤٥).

وكان لمحاباة هذا القائد بنى جنسه من الكتابيين وتفضيلهم على أخوانهم  
من الجنود اثر سيء أثار النفوس إلى درجة الخديان لعمد الجنود الشرك آخر  
الامر إلى امتشاق الحسام لرد عدوان البربر أخوانهم فى السلاح .

وانتهت هذه الفتنة بهزيمة البربر واستولوا عليهم ابن عمار وقد عفا عنه  
الخليفة الا أنه سرعان ما دبر امر الخلاص منه فاعتزل واصبح برجوان الآن  
مطلق السطان فركبه القورور والزهو وترك مقاليد الأمور غلت من يده ثم  
انغمس فى اللذات بضم بتروته الطللة موملا تنقيف الخليفة القاصر بل تغالى فأخذ  
يلتبه الأقباء تجعله موضع الاستهزاء مما جر فى نفس الخليفة على أن برجوان  
عرف حقيقة خاق الخليفة فكان يجهله من قبل نفسه سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م أمر  
الخليفة بتلته ولجا الحاكم بعد هذه الفعلة التى ثار لها الناس إلى الشغب  
ليشيد أمره فى هذه السن البانعة التى يحتاج فيها المرء إلى كل عون (٤٦) .

#### العوز الثاني : من ٣٩٠ هـ / ٤٠٨ هـ - ١٠٠٠ - ١٠١٧ م :

وربما استطعنا أن نعيين خلق الخليفة فى المجرى الذى سار فيه بعد وفاة  
برجوان اذا مرنا لطبوعات الكاتبة تحت تلكم التعصب الذى التشيد الذى جعله  
ببعض جاهدا نى التشدد فى تطبيق بعض أحكام الاسلام بصفة عامة تطبيقا  
حرفيا واتسامة آراء الشيعة الاسماعيلية بين اناس ما زالت آراء أهل السنة  
غالبة عليهم . فإذا كانت هذه الظاهرة هى أبرز ما التسمت به تصرفاته فقد كان  
يزيدها تعقيدا شهور مطلق بالقوة أخذ بتلك هذه التخصيصية العجيبة شيئا  
أشسيتا وأهوا فلتب لا تقف عند حد تمزج بها امتزاجا قويا طبلج فطرت عسلى

(٤٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٢ - ابن القلائس : ذيل تاريخ  
دمشق ص ٥ وما بعدها - خطب المرزى ج ١ ص ٢٨٦ وما بعدها .

(٤٦) ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٦٠ - أبو المعانين : النجوم الزاهرة ج ١  
ص ١٦٠ .

التسوية والبطش . وقد تضرر هذه الخزعات الحاترة التي أصدرها حتى سنة ٢٩٦ هـ الموافق ١٠٠٨ م كضخ الذم . مرض اليهود على النساء . الخ (٤٧) .

ولا شك أن بعضها قد نصد به أهل السنة واضطهاد أهل الكتاب : النصراني واليهود . فقد نبذ الحاكم سياسة التسليح التي سار عليها المعز والمعز ونهج سياسة الشدة مع غير المسلمين من رعاياه سنة ٢٩٣ هـ نتيجة استنفارهم بالسلطة والثروات (٤٨) .

#### الدور الثالث : ٠٨ هـ / ٤١١ هـ - ١٠٢١/١٠١٧ م :

ومها يكن من شيء فقد كان الخليفة يتبع تصاليم الاسماعيلية الباطنية الى غايتها وفلسك انه وافق على اعلان تالله متأثراً في ذلك بالأحزم وحيزة والروزي ودوزي ، الداعي الباطني وذلك سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م اما وقد عرفنا فلسفته فليس بمستغرب أن يخطو هذه الخطوة .

اما ان الحاكم وقد اظهر آخر الأمر تامها عظيما في أمور الدين فشيء يتفق بينها وعقائد الاسماعيلية التي كانت غالبة عليه إذ ذلك نأبها العقوبات التي سنتها وبدأ النصراني واليهود يتنفسون الصعداء (٤٩) .

وقد ذكر المؤرخون المسلمون والكتبة النصراني المعرضون بطبيعة الحال بادعاء الحاكم الاوهية (٥٠) . آخر الأمر فتجفوا عليه ولم يقفوا هذه الشخصية الفذة في نهجها وعتودها كما طائفية مذبذبا لدماء ويادروا لتسجوا حول شخصيته الغريبة سلسلة من الاتصيص الشخصية التي ما تزال تفتقر الى تحييص دقيق وتكثر معظم المؤرخين الاوروبيين بهذا الرأي أيضا ولم يتسدد منهم الا دوزي . وتبعه في ذلك الأبر مولر فاجتهدا أن يحكما على شخصية الحاكم حكما منزها عن الهوى وفي رأيهما ان شخصية الحاكم قد جمعت بين الفيرة على الدين الى حد التمصب وبين النزوع الأثور عن المشاركة الى الاستياد .

- (٤٧) القلتشدي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٨٨ وما بعدها — خطط المعريزي :  
٢ ص ٤ - ١٥ .  
(٤٨) دكتور محمد جمال الدين سرور : تاريخ الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٧ .  
(٤٩) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي ص ٢٣٢ .  
(٥٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٤ .  
( م ٥ - الحياة الفكرية في مصر ) .

ولكنها لا تخلو من خلة تهدف الى التث الاغابى . فمن المبين لمن كثيرا من النظم التي سنها واشتد الناس في ذمها قد روى بها الى كبح جماح الفساد الذي تردى فيه شعبه وقد (ضرب ) لهم مثلا رائعا بسلوكه الذي لا تشوبه شائبة واحتراره لكل مظاهر الابهة والخصفة وليس ينكر علمه الحاكم مصلحته وجوده (٥١) .

وكان الحاكم يركب حمارا بشائسية مكتسومة بغير عملية واتكر من الركوب تخرج في يوم واحد ست مرات راكبا في الاولى على فرس وفي الثانية على حمار وفي الثالثة على الامتاق في محفة وفي الرابعة في عشارى بالانيل واصاب النفس منه شر شديد الى ان فقد في احدى الليالى ليقال ان رجلا افتله غيرة لله وللإسلام ويقال ان اخنوخ : ست الملك : دسست له رجلين اغتلاه وأخيبا الزه (٥٢) .

واعلم حيزة انه احتجب وسيمود لئلا ينشر الايمان بعد الفرية (٥٣) قل الذهبى :  
وتم اليوم قبيل سنة ٧٥٠ ه طائفة من طغاة الاسماعيلية يحاطون بغيبة الحاكم ما يعتقدون الا انه باق وانه سيظهر وأخباره كثيرة جدا اورد بعضها المقرئى في الكلام على جامع المتس وهو ما انشاء صاحب الترجمة وبين كتب الشروز كما أخبرنى احد مشفقهم بضع رسائل يقولون : انها من انشاء الحاكم بلها منها : خير اليهود والتصارى والسجل الذى وجد معلقا على المساجد والسجل المنهى فيه عن الخير وفي الذريعة الى تصانيف الشيعة تطلب القموذ في صناعة الاكسبر بالاسم التهمة الشاهية . اول ترجمة الحاكم ونسبه واحواله واجداده . وصفت في سيرته كتب (٥٤) .

كان الحاكم كما رأينا كثير التطون في انعماله واحكامه واتواله جائرا وقد كان يروم ان يدعى الالوية كما ادعاها فرعون وقد أمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه ان يقوم الناس على اقدامهم صغونا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه كما فعل ذلك في الحرمين الشريفين .

- 
- (٥١) دائرة المعارف الاسلامية ج ٧ ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .  
(٥٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٥ — ١٩٠ خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٨٨ — ٢٩٠ .  
(٥٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢١٠ .  
(٥٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ١١ .



وأمر أهل مصر أن يسجدوا له عند ذكر اسمه كما أمر لاهل الكتلبيين  
الدخول في دين الاسلام اكراما ثم اذن لهم في العودة الى دينهم وهرب كتابهم  
ثم عبرها (٥٥) .

وعلى كل حال لم يكن هناك ما يعلق الفاطميين في مصر فقد اعلى الخلافة في  
سنة ١٠٣٦ م طفل صغير يبلغ من العمر ثمانية اشهر هو المستنصر الذي  
استطاع نونان يكون له اى نفوذ ان يحتفظ بالسلطة حتى سنة ١٠٤٩ م وقد  
اكثرت هذه الفترة الطويلة منذ ان اعلى الخلافة بأحداث سيئة نتيجة لتدخل  
السودانيين في الحكم وانتشار الأزمات الاقتصادية (٥٦) .

وساد مصر احيانا في خلافة المستنصر عهد من الاستقرار والهدوء يدل  
على ذلك ما كتبه ناصر خسرو في كتابه ( سفر نامة ) و ( زاد المسافر ) ١٥٧١  
حيث قل ان مصر عامية كانت في فترة زيارته لها في بحبوحة من العيش وانها  
كانت في هدوء واستقرار لم تشهد من قبل وكان الخليفة المستنصر محبوبا من  
الشعب ولم يكن احد يخشى سلبا وتعديا في ظل حكومته .

ولقد ساد الأمن والنظام في وقته حتى ان تجار الجواهر والمصارت لم يكونوا  
يجعلون باغلاق حوانيتهم اذ كانوا لا يخشون عليها من اللصوص . وكان في  
التاهرة وحدها ما يربو على عشرين الف متجر كانت كلها مئكا خاصا للخليفة وكان  
ايجار كل منها في الشهر يفراوح بين فينارين وعشرة دنائير وكان الخليفة  
شانا في مقتل العمر بهي الظلمة خليق اللجة يرتدى كسساء داويلا ناصع  
البياض (٥٨) .

استقرت الدولة الفاطمية في عهد المستنصر استقرارا تاما واتسعت  
اتساعا عظيما وبلغت ذروتها الشعبية اتصى انتشارها ووصل قناتها الفروة  
الا ان وقوعها في ابدى الظلم حين اصاع منها كل شيء فبعد ان كانت تعد من اتص

- 
- (٥٥) ابن كثر : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩ .  
(٥٦) خطط المقريزي : ج ٢ ص ٣٦ - ٣٨ . أبو الجاهل : النجوم الزاهرة  
ج ٥ ص ١٥ .  
(٥٧) انظر كتاب ( الرحلة المسلمون في العصور الوسطى ) للدكتور زكي محمد  
حسن ص ٥٦ - ٦٣ .  
(٥٨) ستانلي لينبول : سيرة القاهرة ص ١٤٠ - ١٤٢ .

المحيط الأطلنسي إلى الفرات انتشرت على مصر قاعدة حكمها وبعد أن كانت لزمى الدول واغناها أصابها المجاعة المسارمة التي اتسمت ما حدث في تاريخ مصر القديم أيام يوسف الصديق .

وبعد أن كانت خزائن الخليفة قد تكدست بلتظ والاموال أصبحت قاعا منقسما والخليفة نفسه في فقر مدقع (٥٩) .

والواقع أن تولية المستنصر الخلافة صغيرا أدى إلى وصاية أمه عليه (٦٠) . وقد توفرت من قبل ست الملك على أبيه الظاهر بعد اخفاء الحاكم . فحللت على الدولة من الظالمين إذ وصفت بأنها أمقل النساء . وأحرصون ولكن وصاية أم المستنصر على ابنها تحولت إلى رغبة جامحة للسيطرة على الحكم . بحيث أنها استمرت تحجر طبعه وتحكم دوله حتى بعد بعد بلوغه سن الرشد . ولم ينكر المؤرخون أن أم المستنصر ، لها صلة ست الملك في العقل والخزم - بل على العكس أصدرت الحكم بتدنيلها ونسبها في تكويش دعائم دولة ابنها (٦١) . واصبحت الدولة في يد أمواتها من الرجال أو حتى من النساء المجائز بالقصر كذلك وقع الخليفة هو الآخر تحت نفوذ رجال يصفهم المؤرخون بأنهم رجال مسوء من الأوغاد والرعاع والأراذل . ولكن في النهاية أجمع المعاصرون له بحسن السيرة وأنه محبوب من الرعية وأنه كان يخاطب الناس ويستمع إلى شكواهم (٦٢) ، ولما التسيمة لقد يحوه بشعر كثير وطمعوا له صفة العظيمة التي تجعله معصوما من جميع الخطايا والتكابر والفسخاتر فيذكر المؤرخون أنه كان عادلا لا يطمح في أموال أحد (٦٣) .

كان الفاطميون في مصر يمثلون الخلافة الشيعية الوحيدة التي كان لها بعض الشأن (٦٤) فالنظام الإداري في مصر أيام الفاطميين هو الميراث المباشر للنظام

(٥٩) د. عبد النعم ماجد : الإمام المستنصر بالله ص ٧ و ٨ .  
(٦٠) كانت أم المستنصر في الأصل جارية في بيت ( النسترى ) وهو يهودى اضطهد المسلمين ( السيوامى : حسن الحاضرة ج ٢ ص ١١٦ - ابن ميسر : تاريخ مصر ص ١٥ وما بعدها ) .

(٦١) د. عبد النعم ماجد : الإمام المستنصر بالله ص ٢٠ .

(٦٢) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥ - ١٧ .

(٦٣) خطط المقرئى ج ١ ص ٤٧ .

(٦٤) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٢٥ .

الإداري الذي يمتد بأصوله إلى النظم الإدارية في القرون السالفة على الفتح العربي ٢٦ هـ / ٦٤٢ م وقد تأصنت هذه النظم ذات الطابع السني رسوخاً تميز بحيء الفاطميين في عهد تولي العادلونيين والأخشيديين شبيه المستقلتين اللتين ابتغتا على النظم الإدارية العباسية .

غير أنه بحيء الفاطميين استغلت مصر استقلالاً تاماً فقد كلن حكامها يتناسين لظلاء بغداد وصارت القاهرة مابصوتهم مقر خلافة واسعة وإن كلنت هذه الخلافة شيعية ذات عقيدة مخالفة للعقيدة السنيه العباسية .

فهل ياترى تثيرت النظم الإدارية في مصر لتتوافق مع العقيدة الدينيسية الجديدة ؟

في الواقع أن النظم الإدارية بقيت كما كلنت سابقاً محتفظة بطابعها السني الذي تأصل في البلاد فلم تعد تتأثر بمبادئ الدولة الجديدة . هذا وإن النظم الإدارية في ذاتها غير شائلة بطبيعتها لتتأثر العقيدة النينية فيها .

ولكن الفاطميين ولا ريب عملوا على زيادة تركيز زمام المسلمة الإدارية في أيديهم لاستكفاء مصالح حكومتهم المنسقلة استقلالاً تاماً وممفح خلافتهم واسعة فأصبحت السلطة الإدارية في القاهرة لها الأثراف على ما ييس إدارة البلاد في الخلافة .

وهكذا في أيام الفاطميين كان النظام الإداري شديد المركزية تدار شئونته من العصر -

وكلنت الإدارة في عهد الفاطميين تدار كما كان سابقاً بواسطة سلطة الدواوين التي كان يطلق عليها أو على وخالفتها اسم « الووظفاب الديوانية » (٦٥) .

إن حكومة الفاطميين كانت حكومة مدنية ومصدر ذلك أن القواطم أتوا مصر ومهنتهم الأولى والأخيرة هي الدموة الفاطسية وحكومتهم لهذا حكومة الدموة المذمبية على هذا الوجه ثم أن الفاطميين استقلوا بمصر فانشأوا فيها خلافة جديدة ناهضت الخلافة العباسية المذمبة وبزتها في كثير من مظاهرها واستئمان الخليفة الفاطمي في إدارة مصر بحكومة معقدة التركيب كثيرة الدواوين مشدونة بهدد فخيم من

الموظفين على رأسهم الوزير فمن دواوين الحكومة الفاطمية اذ ذاك ديوان الاتشاء وديوان بيت المال وديوان الجيش وديوان الاحباس وديوان الرواتب ، وديوان خزانة الكسوة والطراز . وفي كل ديوان من تلك الدواوين صند كبير من الموظفين (٦١) .

أما الوزير في العهد الفاطمي فكان في أول أمره وزارة تنفيذ بمعنى انه لا يستبد بأمر من الأمور تون رأى الخليفة ثم أصبح في أواخر العهد الفاطمي وزارة تفويض يستبد تون الخليفة بكل أمور الدولة (٦٢) .

وعلى الرغم من العظمة التي كان يتمتع بها الوزير في العصر الفاطمي الاول كانت سلطته محدودة ، اذ كان يناوؤه في مركزه يتوقف على رضا الخليفة ، غير ان ذلك للمنظمة لم تلبث ان يبدلت ولاسيما في العصر الاخير ٤٦٥ هـ - ٥٦٧ هـ - ١٠٦٦ / ١١٧١ م (٦٣) .

نقد وزير للمعز جوهر القائد وللعزيز أبو الفرج يعقوب بن طلح وكان يهوديا فاسلم ، فلما ملك سنة ٢٨٠ هـ حزن عليه العزيز حزنا شديدا وافلق للديوان لها من أجله وبعد يعقوب ختمت تمان الوزارة وتحولت الى ما يسمى الوساطة خشية ازدياد نفوذ الوزراء (٦٤) .

ووزر بعد يعقوب نصراني يقال له عيسى بن نسطورس ثم قضى عليه ، ووزر للظاهر أبو القاسم علي بن احمد سنة ٤١٨ هـ الى ان مات زمن المستنصر سنة ٤٢٦ هـ فوزر بعده أبو نصر صفقة بن يوسف الفلاحى وكان يهوديا فاسلم . ثم ولى بدر الجمالى أمير الجيوش الوزارة فاتم على ان مات سنة ٤٨٨ هـ (٦٥) . فقام في وزارته ولده الاتضل أبو القاسم شاهنشاه فوزر للمستنصر بقية أيامه وللمستعلى وصغرا من ولاية الأمر ثم انه قتل وطرب لداوى وهو ركب سنة ٥١٥ هـ فقام مقامه في الوزارة أبو عبد الله محمد بن مختار يلبك البطاحى ولقب المنون وهو باني الجامع الأحمر (٦٦) .

(٦٦) د . عبد اللطيف جهز : الحركة الفكرية في مصر ص ٤٥ - ٤٦ .

(٦٧) المرجع السابق .

(٦٨) د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ٢٩٩ .

(٦٩) د . محمد جمال الدين سرور : دولة الفاطمية في مصر ص ١١٢ .

(٧٠) ابن نجيب الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٢٥ وما بعدها .

(٧١) السبولى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٠١ - ٢٠٤ .

أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد في أيامه ولول من قيل له الوزير في الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلثوم وزير العزيز بالله ابن منصور تزار بن المعز فاما مات لم يستوزر العزيز بعده احدا (٧٦) .

لكن حين بعد ابن كلثوم في الوزارة على بن العباس سنة واحدة ثم أبو الفضل جعفر بن الفرات سنة ثم أبو عبد الله الحسين بن الحسن البازيل سنة وثلاثة اشهر ثم أبو محمد بن عمير شهرين ثم الفضل بن صالح الوزيري أيها تسم عيسى بن نسطورس سنة وعشرة اشهر وكان تسماته أبو الطاهر محمد بن أحمد ثم الحسين على بن النعمان ثم أبو عبد الله محمد بن النعمان (٧٦) .

ومن وظائف آرياب السبوف الوزارة اذ كان الوزير صائب السبوف والنظر في المظالم وزم الأقارب ومقابلة العلويين وزم الرجال والعلوانف كالأمية والحنظلية والأفضلية وغيرهم . وولاية الشرطة وولاية المعادن ، والأحداث وولاية الحماية وولاية حفظ الثغور والامارة على الحج ، والامارة على الجهاد وولاية الأمانيل وغير ذلك (٧٦) .

وكان بحر الجمالي « وزير سيف » وبه بدأ استبداد وزراء السبوف . ولكن منذ بدر تحولت وزارة السبوف إلى وزارة تنويض فكان الخليفة يفوض الي وزير جميع أمور الدولة لتصريفها ولم يعد له أي سلطة على هذه الأمور . بل تطاول الوزير على سلطة الخليفة الدينية فكان وزراء التنويض الفاطميون ائمه يلموا انقصر في عهد الدولة المرومونية يتدخلون في تولية الامام وولي مهده بحيث فدا هؤلاء لعابن ايديهم (٧٥) .

وقد عظم أمر وزراء السبوف وتمويت شوكتهم نتيجة لضعف نفوذ وزراء العظم فكان هؤلاء في الفترة الاخيرة دائس الصرف والاعادة ولا يتولون الوزارة الا لسدة بضعة أيام .

(٧٢) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ .

(٧٣) المقريزي : الخطط ج ٣ ص ٢٤٧ .

(٧٤) القلائدي : صبح الأعشى ج ١٠ ص ٣٠٨ .

(٧٥) د . مهدي النعمان : نظم الفاطميين ورسولهم ج ١ ص ٨١ — ٨٢ .

ففى خلال أربع سنوات تولى الوزارة أكثر من عشرين وزير تلم مما يدل على  
عشمل هذا النوع من الوزراء الذين كانوا اضعف من أن يقبوا النظام فى الدولة ، وقد  
كانت الوزارة الفاطمية وزارة عربية لان مصر فى الواقع لم تعرف نمسند الوزراء فى  
ذلك العصر أو فى عصر المهاليك (٧٦) .

ولكن سرعان ما ضعف شأن الوزارة بعد وفاة ابن خلفى - وتحولت الى ما  
يسمى (بالوساطة) خشية ازدياد نفوذ الوزراء . فى اوائل عهد الحاكم بأمر الله  
الذى خلف أباه العزيز مزل عيسى بن نسطورس وقتلد الحسن بن عمار زعيم  
الكتابين المعارضة الوساطة وتلقب امين الحولة (٧٧) .

يقول القلقشندى : ان الوزارة هى أرفع الوظائف عند الفاطميين واعلاها  
رتبة وانها كانت تارة فى ارباب السيوف وتارة فى ارباب الأتلام . وفى كلا الجانبين  
تارة تملو وتكون وزارة لغويض ويعبر منها حينئذ بالوزارة . وتارة تنحط لتكون  
دون ذلك ويعبر منها بالوساطة (٧٨) . ولكن متى عرف الفاطميون الوزارة كتظام  
من نظم الحكم الى تقوم عليها دولتهم ؟

لا شك أن التنظيم الداخلى لاي دولة لا يبنى الا بعد ان تستقر قواعدها  
وتستقيم أمورها . فمن هنا تبدأ الدولة فى وضع الأسس التى يقوم عليها نظام  
الادارة فيها فننشوء الوظائف المختلفة ونعطيها المسميات التى تتفق مع اختصاصاتها.

والدولة الفاطمية دولة مذهبية قامت لنشر مذهب دينى يخالف مذهب الدولة  
القائمة وكان أهمها شوط حاويل ومبارك رهيبه حتى تستقر لها الأمور وتتوطد  
أركانها . ومن الطبيعى فى هذه الفترة أن يقبض الخليفة الفاطمى بيديه على كل  
سلطان ويصرف الأمور بما يراه ويشرفه على جميع أوجه التسلط فى هذه الدولة  
الفائسنة ولا يعنى ذلك أن الخليفة كان يقوم بكل الأعمال وحده ولكنه كان يستعين  
ببعض من يثق فيهم وقد نعلو منزلة البعض لدى الخليفة ويقوم بما يقوم به الوزراء  
عادة . الا أن نظام الوزارة لم يعرف اطلاقا فى الفترة المغربية وكان المروى -  
وقد قامت الدولة الفاطمية على أسس دينى يركز على المذهب الامعايلى - ان

(٧٦) المرجع السابق ص ٨٨ .

(٧٧) د . على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمى ص ٨١ .

(٧٨) الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى د . محمد حدى الخياوى : ص ٣٣

تقلا عن صبيح الاعشى للقلقشندى ج ٣ ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

يكون الوزير هو الرجل الثاني في العولة بعد الامام او الخليفة شيعيا اسماعيليا ولكن من الملاحظ أن الفاطميين لم يتقيدوا بذلك . فكان من وزراءهم المسام وغير المسلم حتى ان اول وزراءهم كان يهوديا قبل اسلامه كما استعانوا باليهود في كثير من اعمالهم مما دعى لانتهابهم بل ان اصلهم من اليهود . ولا شك أنه تحت حكم الفاطميين صوبوا لى قير المسام من مسيحيين ويهود حاملية طيبة وكانت مناصب الدولة حقا لكل من تواترت لديه الكفاءة اللازمة دون اى دخل لمعتقد او مذهب (١٧٦) .

واما كانت الموارد المالية لها اهميتها للدولة اختار الخلفاء وزراءهم من المهرة في الشؤون المالية ومن هؤلاء عدد كبير من اهل الذمة الذين اسلم بعضهم قبل تولية الوزارة وبذلك البعض الآخر على حبه . وان كان كسلب النظم يجيزون أن يكون وزراء التنفيذ من اهل الذمة دون وزراء التفويض الا ان الفاطميين لم يتقيدوا بذلك ايضا فاختاروا وزير تقويض نصرانيا هو بهرام الارمنى وزير الخلفاء واذا رجعنا الى قائمة وزراء العصر الاول عند الفاطميين (٨٠) نلاحظ أن بعضهم من اهل الذمة والبعض الآخر وان كان مسلما الا أنه يتمذهب بغير مذهب الدولة بلبن كلس وأبو منصور سقفة بن يوسف الفلاحي وأبو علي والحسن بن ابي سعد التنغرى كانوا يهودا قبل اسلامهم ومن الوزراء المسيحيين أيضا عيسى بن نسطورس وأبو العلا مهد بن ابراهيم والشافعي زرعة بن نسطورس وأبو سعد منصور بن اليم نورس ابن مكراده الذي يقال أنه اسلم وان انكرت النصرى اسلامه . وكان وزراء التنفيذ المسلمون وزراء على قير مذهب الدولة مثل : التياورى الذي يعتبر من أهم وزراء التنفيذ فقد كان سنيا حنفيا .

اما وزراء التفويض فقد كانوا كلهم مسلمين عدا بهرام الا أن جلهم كانوا على غير مذهب العولة مع أن القضاة والُدعاة كانوا نوابيا عنهم بمدر الجمالى وابنه الامضل وحنيدة أبو علي احمد والماءون البيطاحى وآل رزيك كانوا اماميين مغالين في مذهبهم ورضا...وان بن الولخشي وابنه الملا - واسعد الدين شيركوه وعلاح الدين سينج .

كما لم يتقيد الفاطميون بالناحية الدينية ولم يتقيدوا كذلك بجنسيات الوزراء

- 
- ١٧٦ د . محمد حمدى التياوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى ص ٢٨ .
  - ١٨٠ د . محمد حمدى التياوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى ص ٢٨ .

هذا وان اعتهد الفاطميون في مبدأ الأمر على المثالية في إدارة شؤونهم حتى أن جوهر الصقلي عندما فتح مصر جعل على كل موظف مصري آخر مغربيا الا انه منذ عهد العزيز أبتدأ الخلفاء في الاستعانة بالمشاركة عابن كلس لم يكن مغربيا بل كان بتنادى الأصل كما أن أغلب وزراء التنفيذ الذين لعبوا دورا كبيرا في سياسة الدولة كانوا من المشرق كالجزجرائي كلن عراقيا من قرية جوجرايا من سواد العراق واليازوري كان غاسطونيا (٨١) . الخ . كما استعان الفاطميون ببعض المصريين خصوصا من التملري لما لهؤلاء من خبرة في الشؤون المالية مثل عيسى بن تسطورس وزرعة بن تسطورس وأبو سعد منصور بن مكرهه وأبو عبد الله حابد التنيسي .

لما وزراء التتميمس فاطميين من الأرمين مثل ابن الجمالي وابنته وحبيده ، نباتس وزير الخايف وبهرام والمصالح وملاح بن رزيك .

والملاحظ أن هؤلاء الوزراء الأرمين هم الذين لعبوا دورا كبيرا في حياة هذه الدولة كما كان من هؤلاء الوزراء الفخري مثل الوزير عباسي والبرقي كلين محمد بن الكلي والكردي مثل : ابن السمار وشركوه وصلاح الدين الأيوبي (٨٢) .

لما من سياسة الدولة الفاطمية في مصر نحو أهل المسيحية ، فقد كان أصل السنة يكونون السواد الأعظم من المصريين النصارى في مستهل القرن الرابع الهجري حيث شرع الفاطميون بوجهون حملاتهم إلى مصر وقد استطاع دعاتهم نشر المذهب الفاطمي بين عدد قليل من المصريين كانوا خير عون لهم على فتح مصر فتدخل جوهر قائد الخليفة العزيز لدين الله الاسكندرية ٣٥٨ هـ نون مقابوة وكتب لمانسا أطلته للمصريين (٨٢) .

ولم يعمل الفاطميون بكتساب الأمان الذي التزم عليه جوهر بإطلاق الحرية للمصريين في المعتقدات الدينية بل تركز الاهتمام في تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي وانبعث الخلافة الفاطمية لذلك عدة وسائل منها : استناد المنصب العليا وخاصة الفقهاء إلى الشيعيين واتخاذ المساجد الكبيرة مراكز للدعاية الفاطمية وهي وقتذاك مسجد عمرو بن العاص ومسجد أحمد بن طولون والجوامع الأزهر والاهتمام

(٨١) المرجع السابق .

(٨٢) د . محمد حمدي المتياوي : الوزراء والوزارة في العصر الفاطمي ص ٢٩ .

(٨٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٢٥ .



بشعيرين أحد كبار المفتحين في مذهب الشيعة للتعليم بنشر دعوتهم وتكأن يعرف بداعي  
الدعاة كذلك آمن الفاطميون في النهار شعائرهم المخالفة لشعائر السنين كاذان  
يحي على خير العمل والاحتفال باليوم العاشر من المحرم وهو اليوم الذي قتل فيه  
الحسين بكرلاء وعبد الغدير المرفوف بخديرخم (٨٤) . ثم اثار احياء الشعائر  
الشيعة في مصر استياء المصريين السنين لما كان يفتن بها في كثير من الأحيان  
من اعتداءات الشيعيين والمغاربة عليهم فند حدث عند الاحتفال بعيد غدیر خصم  
١٨ ذى الحجة ٣٦٢ هـ ان تلم المقاربة بانارة الشغب والاضطرابات فخرج جوهر  
بنفسه ليحول دون تصاليفهم في الاعتداء على اموال الأهالي (٨٥) كذلك أصاب  
المصريين السنين كثير من الضرر والأذى بسبب ارغلم الشيعيين لهم على مشاركتهم  
في اظهار شعائرهم .

ولقد رأى السنون المصريون ازاء اهتمام الشيعة باظهار شعائرهم ان يفتنوا  
مقاسبة دينية يحتفلون بها مضاهاة لميد غدیر خصم مند الشيعة ونكابة لهم احتفلوا  
في ٢٦٣ هـ باليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم غار ثور هو  
ولبو بكر الصديق وقالوا انه يوافق ٢٦ من ذى الحجة وبالغوا في هذا اليوم في  
اظهار الزينات ونصب القباب وايقاد الفيران (٨٦) ورات الحكومة الفاطمية في عهد  
المعز الا تمنع اهل السنة في مصر من احياء هذا العيد حتى لا تثير غضبهم . ولكن  
لم ينشأ التوتر بين المصريين والمغاربة والشيعيين من احياء الشعائر الحقيقية وحدها  
بل ادى انحياز الفاطميين الى المغاربة والاعتماد عليهم في ادارة شئون دولتهم الى  
استغلال نفوذهم في الحاق الأذى بالمصريين فقاهاوا بنهب اموالهم واغصبوا الدور  
واجلوا السكان عنها مما حصل المصريين على رنج شسكياتهم الى المعز فلصدر  
أوامره الى المغاربة باخلاء هذه الدور والانتقال الى نواحي عين شمس (٨٧) ولما  
الت الخلافة الى العزيز ٣٦٥ هـ عنى كايه المعز بنشر المذهب الشيعي وحتم على  
القضاة ان يصدروا أحكامهم وفق هذا المذهب كما نصر المناصب للعبادة على الشيعة  
واصبح لزايما على الموظفين السنين الذين تطلقوا بعض المناصب المسفرة التي

- 
- (٨٤) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨ .  
(٨٥) المتريزي : التمايز الحقا نقل منه د . مهدي جمال الدين سرور في الدولة  
الفاطمية في مصر ص ٨١ .  
(٨٦) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨١ .  
(٨٧) المرجع السابق ص ٨١ .

يسرون طبقا لأحكام المذهب الإسماعيلي وإذا ما ثبت على أحدهم التمسير في مراعاتها عزل من وظيفته . وكان ذلك مما دفع الكثيرين من الموظفين السنيين إلى اعتناق مبادئ المذهب الفاطمي (٨٨) .

وقد تميزت حكومة العزيز بالله الفاطمي باتها حكومة رشيدة عادلة منتظمة بل كانت من أفضل حكومات الخلفاء الفاطميين . وإن كان أبوه المعز لدين الله قد وضع أسس وقواعد السياسة والادارة إلا أنه لم يحكم في مصر سوى عامين ولذا فقد أكمل العزيز بالله النظم للحكومة وتبلورت في عهده حتى ظهرت في صورتها الكاملة الناضجة ، حيث حدد الخليفة المعز واجبات الخليفة بحيث تدور كلها حول اصلاح الرعية وحمايتهم من أعدائهم فقال : « للفاسي شغل بئناهم وما يفتقدون به منها وتسفلنا اقلية دورهم واصلاح احوالهم والنظر فيما يعود عليهم ويهدى حياهم ويندفع عن بيضتهم ويحصن دماءهم ويحصن حريمهم واموالهم ويكف ايدي الموالين بذلك ندفع لولنا ونهارنا والله المستعان على ما قلناه من دورهم وانفراضه علينا من القيام باسبابهم وترغب اليه في اصلاحهم وهدايتهم الى ما فيه خصلهم ونجلائهم في دنياهم واخراهم » (٨٩) .

وسحروا لاهل السنة بالظهار شعارهم على اختلاف مذاهبهم . ونذا أصبحت شعاليه مذاهب الامام مالك والامام الفاطمي والامام احمد بن حنبل تدرس في مصر طوال عهد الخليفين المعز والعزيز بل كان الخليفان يراعيان مذهب الامام مالك وكان من يسألها انحكم به يجيبانه الى طلبه . اما مذهب الامام ابو حنيفة فلم ياتي نليدا من الفاطميين لانه مذهب اعدائهم المبرهانيين فظهر في عصر الخليفة العزيز بالله بعض علماء مذاهب اهل السنة فكانوا يلغون دروسهم على جمهور الناس في جامع عمرو بن العاص بمدينة القسطلط (٩٠) .

ولما قبض الحاكم بلهر الله على زمام الامور في مصر بعد تخلصه من وصيه برجوان ٣٩٠ هـ عمد الى اصدار كثير من الاوامر والثواتير الجنبية الى التعصب

[٨٨] المقريزي : اتعاظ الخفيا ص ٢٨٦ — جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٢ .

[٨٩] د . علي حسيني الخربوطلي : العزيز بالله ص ٦٩ ، فضلا عن المجلس والسايريك للفتيان ص ١٤٢ ، ١٤٤ .

(٩٠) د . علي حسيني الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي ص ١١ .

الشديد للمذهب الفاطمي فأمر في ٣٩٥ هـ بنقش سبب الصحابة على جدران المساجد وفي الأسواق والشوارع والدروب وصدرت الأوامر إلى العمال في البلاد المصرية بمراعاة ذلك (٩١) . واشتد في معاملة أهل السنة فقد تقوى في ٣٩١ هـ على رجل من الشام لانتهاجه بعدم الاعتراك بلخل على وجديس فاضى القضاء لعدم امتثاله بأمانة على ويعد أربعة من الفقهاء للتحقيق بحسه وجهله على الاعتراف بذلك الإمامة (٩٢) .

وإسالم بفلحوا في اقتناعه زعموا أمره للحاكم فأمر بقتله ولكن في ٣٩٦ هـ ثار إمر ركود الذي ينسب إلى الأيوبيين في الأندلس وهجم على مصر بجيش من المغاربة ولكن يصاح الحاكم الأمر بينه وبين رعاياه السنين خلف من تشدده في مراعاة المذهب الفاطمي وعدل عن سياسة اضطهاد أهل السنة رائده في ذلك أنه لا يسير على سياسة واحدة إلى النهاية إزاء طائفة بعينها وأبطل كثيرا من الأمال التي قام بها ضد السنين مثل لمن الخلفاء الأول وغيرهم من الصحابة وبلغ في مصالحة المتقين حتى أمر بسدو السجائب الذي نقش بلعنهم ومعاتبة كل من أقدم على مسيهم ولم يكلفه بذلك بل أنشأ في نفس السنة ٣٩٦ هـ مدرسة لتعليم فوائين المذهب السنني وأهدى هذه المدرسة كثيرا من الكتب التنسية وكانت آثار هذه السياسة التي سار عليها الحاكم أن سمعت سمعته عند الشيعة الذين وجدوا أنفسهم في بلد يسير في اتجاه عادات المذهب السنني (٩٣) .

كذلك أصدر الحاكم مرسوما ٩٣٨ م وفق فيه بين السنين والشيعة وأطلق لكل فرقة منهم الحرية في أداء شعائره الدينية وذلك على أثر ما حدث بينهم من خلاف على أهم بعض الأحكام وتطبيقها (٩٤) .

فأجاز في هذا المرسوم للشيعة صوم شهر رمضان دون أن يتقيدوا برؤية الهلال وسمح للسنين صوم رمضان إذا ثبت لديهم رؤية الهلال .

كما أباح للشيعة أن يكبروا في الصلاة على الميت خمس مرات . أما السنين

---

(٩١) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٣ نقلا عن ابن خلكان : ج ٢ ص ١٦٦ .

(٩٢) د . علي حسن إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ١٣٦ .

(٩٣) د . علي إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ١٣٧ .

(٩٤) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٣ .

فاجاز لهم ان يكبروا في صلاة الجنائز لربيع تكبيرات . ومضلا من ذلك فان الحاكم بأمر الله اطلق الحرية للمؤمنين في ذكر عبارة حي على خير العمل في الاذان (١٩٥) .

فلت سياسة اللين التي سار عليها الحاكم ازاء السنين ثلاث سنوات غير انها ما لبثت ان تبدلت على حين ففلة ففي سنة ٤٠٦ هـ امر بإقامة الاذان بحي على خير العمل كما ابطال صلاة التراويح وصلاة الضحى (١٩٦) .

ثم اتجهت السياسة الفاطمية زمن الخليفين الظاهر والمنصور الى عدم اثره السنين فتمنعوا بطلاق الحرية في اداء شهادتهم . كما اهدت بعض المظاهر الشيعية نصار المؤمنون لا يحرصون على ذكر عبارة حي على خير العمل في الاذان حتى تقلد بدر الجمالي الوزارة في اواخر عهد المنصور وكان غالبيا في مذهب الشيعة فأظهر روح العداء والكراهية ازاء اهل السنة ٤٧٨ هـ و امر بالصفحة حي على خير العمل الى الاذان . كذلك اعد بدر الجمالي نقش عبارات تتضمن لعن الصحابة على الجدران واصدر لوامره بان يكون التكبير على الميت خمسا فقط طبقا للمذهب الشيعي (١٩٧) .

وعلى الرغم من ان الخلافة الفاطمية حرصت على نشر مذهبها الشيعي بين اهالي البلاد التي ضمت الي عوزتها سعيها وراء توطيد سلطتها فانها لم تنجح في اداء رسالتها الشيعية في مصر . فظل المذهب السنني محتفظا ببقوته رغم تحول بعض المصريين الى المذهب الفاطمي خوفا من تطبيق القوانين الجنائية التي رغبت فيها الفاطميون دلي مخالفتهم في المذهب ويرجع السبب في ذلك الى ان الفاطميين راوا حين دخولهم مصر واستقرارهم بها ان يتركوا القسطنطينية حاضرة المصريين السنين ويتخذوا لهم حاضرة جديدة تكون مقرا لانصارهم ودعاة مذهبهم (١٩٨) .

كما ظهر في العصر الفاطمي بعض علماء مذاهب أهل السنة وكانوا يأمون بروسهم على جمهور المستمعين بجليل عمرو بن العاص . كذلك كان من بين الأسباب التي جعلت أهل السنة في مصر يحتفظون بمذاهبهم وتتلبيدهم تشريعات

(١٩٥) نفس المرجع السابق .

(١٩٦) المرجع السابق ص ٨٤ .

(١٩٧) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٤ نقلا من

النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٢٠ .

(١٩٨) الدولة الفاطمية در حسن ابراهيم ص ٢٢٥

الوراثة التي أخذها الفاطميون إذ رأوا فيها ما يتفق مع ما نص عليه القرآن وما أثر من السنة . فيجيز شاتون الشيعة أن تراث البنت كل ما تركه أبوها إذا لم يكن لها أخ أو أخت مع وجود ذوى العصبة وهذا مذهب يتخالف مذهب أهل السنة الذي يفرض بالا تراث البنت أكثر من نصف الثروة (٩٩) .

وكان الفاطميون منذ أوائل حكمهم مصر إلى آخر عهد الظاهر يهكمون بأنفسهم ولم يكن الوزراء قد بلغوا من التسلط والاستبداد بالأمر هذا المبلغ الذي نراه في عهد المتأخر ومن بعده من خلفاء الفاطميين .

فمن العصر الأول كان اضطهاد أهل السنة أمرا طبيعيا لتثبيت أركان الدولة وحياتها من أعدائها أمويي الأندلس في الغرب ومن العباسيين في الشرق فكانت السياسة تقضي على الفاطميين أن يكونوا على حذر من كل مخالف لعقيدتهم وأن يشحذوا السيف لكل من تحدته نفسه بالخروج على سلطانهم ولا سيما أن العباسيين وأمويي الأندلس يسيئون إلى الفاطميين في نسبهم وفي عقائدهم ، وحاربوا الفاطميين بالسيف طورا وبالدمعابة طورا آخر فكتبوا المخاض في سبب الفاطميين وطلبوا من العلماء والكتبة الملحن في عقائد الفاطميين مثل ما نراه في كتب الغزالي وغيره واضطر الفاطميون إلى أن يكونوا على يقظة من أمرهم إذا جد الجسد وأن يعتبروا كل من لم يعتقد عقائدهم عدوا لهم .

ولهذا نستطيع أن نفسر تطورات الحاكم بأمر الله في سياسته لكل حيننا بقرب أهل السنة ويغنى عليهم أمواله ، وطورا يشقت شملهم ويمعن فيهم بالقتل والسجن وهو في كلا الأمرين مضطر إلى اتخاذ هذه السياسة كونه تلك حسب مقتضى الحال مع خصومه وأعدائه . للحاكم لم يكن مجنونا كما يصور في كتب التاريخ وإنما كان سياسيا حازما في سياسته . يعقو في وثائق العفو ويقال حين يشهد به الأمر وهكذا كان الحال في سياسة الفاطميين نحو أهل السنة (١٠٠) .

رأى بعض خلفاء العصر الفاطمي الأول بعهد أن جاءوا إلى مصر بهذا تسمى خلفوا به جههور المسلمين أنهم بحاجة إلى من يعاونهم في تثبيت

(٩٩) د. محمد جمال الدين مرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٥ .

(١٠٠) د. محمد كامل حسيني : في أدب مصر الفاطمية ص ١٠٤ .

سلطانهم ولما أبغضوا انه من المعتذر عليهم الاعضاء على المسلمين من انصار الدعوة العباسية قرووا اليهم اهل الذمة واظهروا لهم كثيرا من التسامح واستخدموا في اهم شئون الدولة على ان هذه السياسة لم يتمسك بها الفاطميون كثيرا ما اضطروا الى المعول عنها (١٠١) .

استوزر الخليفة المعز لدين الله ٣٨٠ / هـ ٩٩٠ م عيسى بن نسطورس النصراني واستجاب بالشام منشأ اليهودي قتل الوزير الى النصراني وشجع الغائب اليهودي فضج الناس بالشكوى فالتى الخليفة اللبض عليهما واخذ من عيسى ثلاثمائة ألف دينار وغرم منشأ مبلغا ضخما (١٠٢) .

نسطورس المعز لدين الله بكثير من الاطباء اليهود وما لبث ان عظم تقوؤهم في بلاطه وصار يعنوب بن كلبي اليهودي الاصل ماهرا مذكرا متقنا ذكنا واسعة حسن التدبير واسع الخيلة باذلا المال ، رافيا في الجاه لمج اسمه في العهد الاخشيدي واسلم وتعلم القرآن والحديث والادب العربي وسافر الى المغرب وانزل بجوهرة القائد مولى المعز ادين الله وهنل له علمه من مصر وامته بآرائه في وسائل فتحها ورجح صحبه الجيش الفاتح ، وخدم المعز وارثه حتى كان وزيرا للعزير بن المعز وهو الذي وضع قواعد الدولة وتظهيرها وكان الى هذا الجانب السياسي الاداري جانب علمي وكانت زوجة العزيز نصرانية على مذهب المكية وكان لها اخوان وكان لهذه السيدة نفوذ عظيم على العزيز في تسامحه مع النصراني والسماح لهم بالعادة بما يحض الكنائس وقد ولدت هذه الزوجة النصرانية من العزيز بنتا هي المسماة بسنت الملك (١٠٣) .

وكان اسم الوزير غير مقبول في اول الامر عند الفاطميين بل كان غائبا للقضاة اجل ارباب الوظائف عندهم ولم يتخذ خلفاؤهم وزراء الا في عهد الخليفة الثاني الفاطمي وهو الوزير ابن كلبي الذي كان يهوديا غلاما مسلم وتوفي ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م (١٠٤) . وقد اسند اليه المعز بعض دواوين دولته حتى صار يتحيز الى

(١٠١) د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٦ .

(١٠٢) أس. ترون : اهل الذمة في الاسلام ترجمة د. حسن حبشي .

(١٠٣) د. احمد أمين : مظهر الاسلام ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(١٠٤) آدم متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة د. محمد

أبو ريعة ج ١ . ص ١٥٧ - ١٥٨ .

أخوانه في الدين من قبل ، حيث بلغ من عطف العزيز على المسيحيين أن احتفل بأعيادهم ومواسمهم الدينية بمشاركة في شعورهم وكان من أثر سياسة التسامح التي اتبعها العزيز نحو الذميين أن ازداد نفوذهم في أقاليمه وأصبح بدواوين الدولة كثير من كتابهم وخاصة بعد أن عين هذا الخليفة منشأ بن إبراهيم النزار اليهودي واليسا على بلاد الشام وولى عيسى بن نسطورس كتابته فاستاء المصريون المسلمون من استتار القميين بمناصب الدولة . فقدموا للمؤيد الفاطمي الإحتجاجات على محاباة المسيحيين واليهود . وتبين للخليفة حقيقة استئثار القميين بمعظم السلطات . فلهذا بالقبض على عيسى بن نسطورس وزملائه من الكتاب كما قبض على منشأ وغيره من الموظفين وأعاد الكتاب المسلمين إلى أعمالهم بالدواوين (١٠٥) .

ويرى المستشرق ليهبول أن العزيز بالله لم يكن إلى أن عرف عنه حب الترف أو البذخ أثر في الحد من مقتونه السياسية والإدارية (١٠٦) . ويصفنا آثم متر الخليفة العزيز بالله في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري فيقول عنه أنه كان أعظم الخلفاء الفاطميين (١٠٧) . على أن تسامح العزيز مع أهل الذمة جعله يقول : وقد أظهر الخلفاء الفاطميون الأولون لأهل الذمة تسامحا لم يجب له إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثاهم لهم مذهب خاص أتبعوا به ، وخالفوا به جمهور المسلمين (١٠٨) .

وقد عرض الشاعر الميموني الحمصاني بن بشر بأهل الذمة لمكانتهم عند المؤيد بقوله :

فمنر فلننمر حين حرق علبسه زمائسا هذا يدل  
وقبل بثلاثة مزوا وحلوا وعطل ما سواهم فهو عطل (١٠٩)

وقد أشاد المؤرخ سناتلي بول بسياسة تسامح الخلفاء الفاطميين عامة

- 
- (١٠٥) د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر من ٨٦ — ٨٧ .  
(١٠٦) سيرة القاهرة — ستانلي بول من ١٣٢ .  
(١٠٧) آثم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة أبو ريدة ١ ص ٢٢ .  
(١٠٨) د. علي حسني الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي من ٢٤ — ٣٦ .  
(١٠٩) آثم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٩٥ .  
(م ٦ — الحياة الفكرية في مصر)

وتسليم الخليفة العزيز خاصة فقال : بوصول الخلفاء الفاطميين الى مصر بدأت فترة من التسامح العيني لا عهد لاهل السنة بها . فقد كان الخلفاء الفاطميون باستثناء الحاكم بأمر الله يرمون على النوام رعاياهم المسيحيين وكثرا ما بنيت او اصعدت كتائهم في عهدهم . وكان لزوجته العزيزة اخوان كانوا من اصدقاء العزيز فكان يدعوها الى قصره ليتحدث معها في المسائل الدينية (١١٠) .

وأبدى المؤرخ أولبرى رايه في استخدام أهل الذمة في المناصب الادارية في الدولة الفاطمية فقال : ان استخدام المسيحيين واليهود في المناصب الادارية والمدنية هو عرف شائع في قبلاذ الانلالية وان يبلغ الفاطميون في استعمال اكثر مما جرت به العادة من قبل (١١١) .

وقد نابت الدولة الفاطمية على اساس ديني يرتكز على المذهب الاسلامي وان يكون الوزير هو الرجل الثاني في الدولة بعد الخليفة شيعيا اسماءيليا . ولكن من الملاحظ ان الفاطميين لم يتقبلوا كثيرا بذلك . فكان من وزراءهم المسلم وغير المسلم ولا شك انه تحدث حكم الفاطميين عموما لدى غير المسلمين من مسيحيين ويهود وماملة طيبة وكانت مناسبت الدولة حقا لكل من توفرت فيه الكفاءة اللازمة دون اى دخل لمعتقد او مذهب (١١٢) .

وقد اشغرت ايضا بين يتولى الوزارة الاخلاص لتعبئة الدولة الفاطمية لان الدولة قائمة في بنائها على العقيدة الشيعية فلم يكن بد من ان يكون الوزير الذي يحتل المكان الثاني بعد الخليفة شيعيا او على الاقل من انصار الدولة . ولكن لم يخل الأمر من اقتضاء بعض الوزراء الفاطميين عن منصبهم او حتى قتلهم ذلك لانهم على غير مذهب الدولة (١١٣) . ولما كانت اهم الوثائق المالية واكثرها في ايدى الكتاب من الأقباط واليهود فيبدو انهم كانوا يثخنتونها وسيلة لجمع الأموال واقتناء الخزوات .

والحقيقة كان الأقباط على وجه الخصوص يحتكرون الوثائق المالية في الدواوين المختلفة وساءت عليهم على ذلك مهارتهم في الحساب وروح التسامح

(١١٠) د. علي حسيبي الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي ص ٣٦ قتلا عن سقائلن بول - ميرة القاهرة ص ١١٨ .

(١١١) A Short History of Fatimid Khalifate : P. 114 : O'Leaty.

(١١٢) د. محمد حيدى المنياوي : مصر في ظل الانسلم ج ١ ص ٩٥ - ٩٦ .

(١١٣) د. عبد المتعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ١ ص ٩٢ - ٩٣ .



الدينى الذى امتاز بها العصر الفاطمى وفي هذا يقول ابن الحاج :  
لعن النصارى واليهود فانهم      بنفوا بذكرهم وبنوا الآمالا  
خرجوا اطباء وحسابا لكي      تنقسموا الارواح والاموالا (١١٤)  
ويحل على المركز الذى وصل اليه اهل الذمة في هذا العهد ما قاله الشاعر  
المناصر الرضى :

يهود هذا الزمان قد بلغوا      غاية آملهم وقد ذكروا  
العز فيهم والمال عندهم      ومتمم المستحسار والمالك

ويظهر ان عداوة المسلمين لأتراك هاتين الطائفتين كان ناشئا عن اعتبارات  
مالية (١١٥) . وتقص الروايات العبرية انه في أثناء تشييع جنازة احد زعماء اليهود  
ويدعى شحاريا في عهد الخليفة الحاكم بامر الله عمر بن شوفاء المسلم  
للمسيحيين ورجعهم (١١٦) بالأحجار فتكا اليهود من الضريبة .

ويقول ناشر هذه الوثائق تعطينا على هذا الحادث : ويبدو ان التهم الموجهة  
الى اليهود كانت متعلقة بالأعمال الخاصة بالاختلاس في الضرائب (١١٧) . وقد  
ذكرنا من قبل كيف حمل عيسى بن نسطورس . . . ر. ٣٠٠٠ دينار الى بيت المال بعد  
ان قبض عليه الخليفة العزيز ومن المؤكد انه حصل على هذا المبلغ بطرق لا تمت  
الى الأمانة والتزامه بصله . وقد وصفه وسفتقول في هذه المباحة : « وكان عيسى  
ابن نسطورس تولى القاب سرايا . وخص نفسه بكل عمل يدر عليه المكاسب  
وحلبى اهل ملته وعينهم في الوظائف الهامة بعد ان عزل الاسكندرانيين وجباة  
الضرائب » (١١٨) .

لها الخليفة الحاكم فام شكك في استقرار الامور حتى نيز سياسة التسامح  
الدينى التى سار عليها كل من المعز والعزيز اذ تقدم اليه الكتابيون وهم مصعب  
الدولة الفاطمية طلبة عزل بن نسطورس وتولية زعيمهم ابن مهدي الحسن بن

---

(١١٤) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٢٢٧ .  
(١١٥) هذا يوضح نظرية المسلمين الى هذا الاحتكار للوظائف في مختلف  
العصور .

(١١٦) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٢٢٧ .  
(١١٧) The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimide Caliphs. P. 39.  
(١١٨) د. راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٢٢٨ .

عمار فأجاب وانه لا اكراه في الدين وإن من آثر منهم الدخول في الاسلام اختيلا  
من قلبه وهداية من ربه . فليدخل فيه مقبولا مبرورا . ومن آثر الإبقاء على دينه  
من غير ارتداد كان عليه ذمته وحياطه .

أخذ الشعوب العدائى نحو الذميين بقل ويضعف من ذلك الوقت ولم يظهر  
له اثر الا في لغرات قهيرة وبخاصة حين يقتل احدهم منصبا كبيرا من مناصبه  
الدولة (١١٩) .

وكانت سمت الملك كما يصفها الزويرى قوية العزم بصيرة بالأمور وكان لها  
اثر كبير في ابيها وفي توجيهه نحو سياسة التسامح مع النصراني كما كانت في عهد  
لخبيها الحاكم بأمر الله ذات اثر فعال فيما وقع من أحداث (١٢٠) .

ثم عاد للحاكم فلستور عيسى بن نسطورس والفضل بن ابراهيم وزرعة بن  
نسطورس (١٢١) لكن الحاكم سرعان ما تغيرت سياسته نحو اهل الذمة ففى  
٢٠١ هـ أمر بهدم الكنائس الموجودة في البلاد التي يملكها واستولى على محتوياتها  
وبيعت في الأسواق اوعايتها الذهبية والفضية . وكان بكنيسة العاقبة مخزن  
كبير يحتوى على كثير من المصوغات والملابس الزاهية . ويقال ان المسلمين  
كانوا يصلون في كنيسة ام سودة فصودرت لراضيتها . واستولى كل فرد على  
ما يتعلق اليه منه . ويشير أحد المؤرخين الى أن يد الهمم أصابت أكثر من  
ثلاثين لك كنيسة مما بناها الروم في مصر والشام وغيرها .

أما ابن العبرى فمثل بمبالغة من ذلك المؤرخ إذ يتكلم بالقول « بلن آلاما من  
البيع هدمت » من بينها كنيسة القيسية ببيت المقدس (١٢٢) . فقد هدمت عن  
آخرها ودللب الناس كل ما كان بها . وأملت بها الفكرة الكبرى بين عامى ٢٠٣ هـ /  
٢٠٥ هـ على الرغم من أن إحدى الروايات تجعل تاريخ الفتنة في بيت المقدس  
٤٠٠ هـ وهى الفتنة التي حوت فيها كنيسة القصر بمصر وسرق العمارة الخشب  
من الأتقانس ولم تسلم من أيديهم نوحى الموتى .

(١١٩) د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(١٢٠) د. أحمد أمين : ظهور الإسلام ج ١ ص ١٩٠ .

(١٢١) أ.س. فرتون : اهل الذمة في الاسلام - ترجمة د. حسين حبشى ص ٢٢ .

(١٢٢) فرتون : اهل الذمة في الاسلام - ترجمة د. حسن حبشى ص ٥٦ .

وقد رجع الحاكم قبل موته عما كان أخذ به من اضطهاد النصارى وإجبار لهم إعادة بناء أماكن عبادتهم فأكملوا على تجديدها وجعلوها أحسن مما كانت عليه من قبل على أن أحدى الروايات تزعم أن القول بأن الكنائس ظلت مغلقة الأبواب مدة سبع سنوات (١٢٢١) .

وقد منع الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العسيزم بالله النصارى من تزوين كتاباتهم وحملهم الخوص على ما كانت عليها عاداتهم وقبض على عمدة من وجد معه شيئاً من ذلك . وأمر بالقبض على ما هو محبوس على الكنائس من الأملاك وادخلها في الديوان وكتب لسائر الأملاك بذلك وأحرقت عدة من صليباتهم على باب الجامع العتيق (١٢٢٤) .

وقال المسيحي في تاريخه من حوادث ٣٦٧ هـ في منع الفصارى من الظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع ونزول الماء والظهار الملاهي ونودي أن من عمل ذلك نفى من الحضرة وقال في ٢٨٨ هـ عهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاذ برجوان وأوتدت له الشموع والمشاعل وحضر المنسرون والمهون وجلس مع أهله إلى أن كان وقت القطاس فمطس وانصرف (١٢٢٥) . ثم عين الخليفة الحاكم القبط في مناصب الدولة العمالية وتقلد الوزارة من القبط في عهد منصور بن عبدون وزيره أخو عيسى بن نسطورس (١٢٢٦) .

ثم سمع الناس من ملابس النصارى مرة أخرى زمن انصالحكم حيث ألزم الذميين بلبس السواد وهو شعار خصومه العباسيين تحذيراً لهم كما مرض على النصارى جعل الصلجان الخشبية في أمتاعهم زينة كل صليب منها خمسة أرطال وحض على اليهود لبس خشبة على شكل ثلث رأس العجل إشارة إلى ما كانوا يعبدونه أيام ضلالتهم في البرية وأمر بأن تكون سروجهم من حزينة . وحرم عليهم لبس الخواتم في يدهم اليمنى لأن خاطفوا شسونا من هذه الأوامر أخذوا بالعنف والتسوية حتى لقد اضطر بعضهم الخروج على دينه . ونفى الكثيرون منهم

---

(١٢٢٢) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٤٨٧ ، ٤٩٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ص ٢٩٨ .

(١٢٤١) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٤ .

(١٢٥١) المرجع السابق ص ٦ .

(١٢٦٦) د. علي حسن إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٥١٩ .

خارج مصر - كما الذين بقوا بهما وظلوا محافظين على ملتهم فقد حملوا صليبانا من الذهب أو للفضة واتخذوا لانفسهم سروجا بالفسا في تزيينها . واذا ذهب المسيحيون الى الصلوات لبسوا صلبانهم كما حمل اليهود النوافيس كما منع اليهوديات والنصرانيات من اتخاذ نعل كنعان المسلمات وامرهن بلبس « الرموز » واحدة جهراء والاخرى سوداء وظلت هذه القوانين متبعة في مصر مدى تسع سنوآت (١٢٧) .

لقدنا نشر الى ساحة الاسلام فذك ان الاسلام يعر على وجوب اصطناع الرنق مع الشعوب المغلوبة على امرها ويوصى بحسن معاملتها والقرام الممدل معها ومما يروى عن الرسول قوله : « من ظلم معاهدا او كلفه نوق ملافة فلنا حبيبه »

وقال ابو بكر الصديق : « لا تقبلن احدا من اهل ذمة انه يظنك انه يذمته . فيكذبك انه على وجهك في الدار » . والروايات عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرة منها : ما شئت هؤلاء لا تقبل له : انهم اقبوا في الجزية نكره ذلك وقال : « هم وما يقترون به » (١٢٨) .

اما الخليفة الظاهر فكل على النقيض من ابيه الحاكم في سياسته نحو اهل الذمة فلم يكذب بتولى الخلافة حتى عمل على اكتساب عطفهم بان اصدر بيانا اعلن فيه انهم احرار في عقائدهم وشعائيرهم (١٢٩) .

وقد اتن الخليفة الظاهر ٤٢٨ هـ بتدويم كنيسة القتيامة نظير تدويم اجدد المساجد بالقسطنطينية وفي عام ٤٣٩ هـ بسى المطريك ( مطوريس ) في القاهره كنيسة يومرتورة وكنيسة ( السيدة ) بحارة الروم (١٣٠) .

وعلى الرغم من نشر المسلمين في مصر من اسناد بعض المناصب في الدولة

---

(١٢٧) ابي ترقون : اهل الذمة في الاسلام ترجمة د. حسن حبيشي ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(١٢٨) ابي ترقون : المرجع السابق ص ١٥٧ نقلا عن ابو يوسف : الخراج ص ٧١ . الطبقات الكبرى : ابن سعد ج ٣ ص ١٣٧ .

(١٢٩) د. محمد جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ٨٩ نقلا عن تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ٢٢٥ .

(١٣٠) ابي ترقون : اهل الذمة في الاسلام ترجمة د. حسن حبيشي ص ٧٥ .

للإهود في عهد المستنصر قبل هذا الخليفة أظهر عطفًا وتسامحًا نحوهم فبعد مقتل التستري أسند إلى أخيه أبي نصر ديوان خالصه كما اتارت حنيفة ثم المستنصر على سعد بن يوسف الفلاحى لتأمره على قتل التستري وانقضى الأمر بذلك من الوزارة وقتله في أوائل ٤٤٠ هـ (١٠٤١) .

كما جرت فتنة بين المستنصر ياقه ٤٢٧ هـ / ٤٨٧ هـ في صعيد مصر أدت إلى قتل رعيان دير « أبا نوب » قرب الأشمونيين وفي عهد هذا الخليفة بالذات ردت الكنيسة جرجس في « خط الحبراء » إلى أصحابها وكانت قد خربت أثناء دخول الكرد إلى مصر ثم أعيد ترميمها في السنة الثالثة وعبرها من إبيح فتنة العامة لها كان بها وبشنت من جديد وحطيت كنيسة « المرونى » بمختلف الخلفاء الحافظ والظاهر والعاقد على التوالي (١٧٧) .

وفي عهد المستنصر تقلد القباط أرفع المناصب وأعلاها وشغلوا المناصب المالية في الدولة وتقلدوا الوزارة وتمتعوا بسلط وافر من التسامح الدينى كما يتجلى ذلك في بناء عدد من الكنائس واعانتها إلى ما كانت عليه (١٣٧) .

كما أولع الخليفة الحافظ الماطى بمنح الترميز في دير نهبيا القريب من الجيزة عشرة آلاف درهم كما أولع الحافظ الناطى بزيارة أديرة النصارى واتخذ بهرام الأرمنى وزيراً ومستشاراً له يرجع إليه في أمور الدولة واسكنه في قصره وأحلّه من نفسه محل الأكرام . ولما مات بهرام ٥٢٥ هـ حزن عليه حزناً شديداً الخليفة الحافظ ولما حان وقت صلاة الظهر أخرج المؤمن من المنصر بجلده للديباج ويحف به النصارى يحملون المبلخر وأشرف الماويين وغيرهم من عليّة القوم مشاة وسار الخليفة في موكب بنفسه راكباً بقلة ملياً عملة خضراء ومازال الناس في سرهم والقسس يرتنون الأنجيل حتى وصلوا إلى دير الخندق خارج باب الفتح منزل الخليفة وجنم على حافة القبر وبكى بكاء شديداً ثم أمر بتعمير الدواوين ثلاثة أيام (١٢٤) .

وهكذا يقال في اضطهاد النصارى بمصر على عهد الدولة الفاطمية مع ما

(١٣١) د . محمد جمال الدين سرور : التولة الفاطمية في مصر ص ٨٩ — ٩٠ .

(١٣٢) أ . س . لرون : أهل الذمة في الإسلام ترجمة د . حسن حبشى ص ٥٧

(١٣٣) د . على حسن إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٥٢١ .

(١٣٤) د . على حسن إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٥٢١ .

تقدم من منزلهم وحرية الدين عندهم . وأقدم ما فلسوف من تضيق المحاكم في  
طوبسهم وكتلتسهم في أيام الحاكم بأمر الله ٣٩٥ هـ وذلك من تقدم النصارى في  
مناصب الحولة وتماثلهم امرهم مما سوغ الحاكم المبالغة في اضطهادهم وكذلك الحربي  
الشر كانت بين الروم والمسلمين يومئذ (١٢٥) وان أكبر ما تمتاز به الحركة الفكرية في  
القرن الرابع الهجرى ظهور مذهب الشيعة يحصل بين شتاتاه الكثير من الإنكار  
الشرقية القديمة ويجعلها مكان بعض الإنكار الإسلامية (١٢٦) .

---

(١٢٥) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ج ٤ ص ٤١٠ — ٤١٢ .  
(١٢٦) آدم منتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى — ترجمة أبو ريده  
ج ١ ص ١٠١ .

## المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية

كان المجتمع المصري في عهد الفاطميين ( ٣٥٨ هـ / ٥٦٧ هـ ) يظلم من السفين الذين كانوا يؤمنون الأغلبية الساحقة من المصريين . ومن الشيعة وخاصة المغاربة الذين تابت الدولة الفاطمية على أكتافهم في بلاد المغرب أولا ، ثم في مصر والشام والحجاز إذ كانوا يؤلفون الجيش الفاطمي ولم تحصد جنود العداة بين الستين والمشميين طوال العصر الفاطمي .

والطبقة الثالثة هي اهل الذمة وهم النصارى واليهود وقد دفعت رغبة الكثير منهم في المناصب والهيئات الى اعتناق الإسلام والمخول في المذهب الاسماعيلي مذهب الفاطميين وقد عمال الفاطميين النصارى واليهود معاملة تنطوي على الحطف والرعاية فمضوا كثيرا من المناصب المالية في الدولة . بل قتلوا الوزراء وقتلوا بقسط وافر من سياسة التسامح الذي وسمح لهم ببناء عدد من الكتلىس او امامتها الى ما كانت عليه . والطبقة الرابعة هي طبقة الأتراك الذين كثر عددهم منذ أيام الدولة الطولونية وظهر امرهم في مصر في عهد الخليفة الفاطمي .

والطبقة الخامسة هي طبقة السودانيين الذين كثر عددهم في مصر منذ أيام كاهور الأحمدي يظهر امرهم منذ أيام الخليفة الحاكم الذي استعان بهم على الأتراك ثم ظهر امرهم من جديد في عهد الخليفة الظاهر الذي تزوج بسودانية . وقد تنافس خطر الجند السودانيين في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي حتى بلغ خمسين الفا ، وقد طاردهم الأتراك الى الصعيد وأثار الفاقة بينهم الرعب في قلوب الأهلين وحلوا دون زراعة الأراضى واكتسحوا نلتا النيل حتى وصلوا الى الإسكندرية ولتكنهم ظلوا يكونون طبقة هامة من طبقات المجتمع الفاطمي (١) .

والحق ان الفاطميين كانوا من الحثق والمهارة بحيث استطاعوا ان يفتحوا اليهم نظر الشعب المصري لفنا قويا وان يشعروه بعظمة الحكم الفاطمي وكرم رجاله الى الحد الذي لم تعرف له مصر نظيرا . قبل مجيء هذه الدواة وكان من الأشياء التي

(١) د . حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السلسلى ج ٤ ص ٦٢٧ - ٦٢٨ .

امتهد عليها الفاطميون للأوصول إلى اغراضهم السياسية والمذهبية مما اظهروه يومئذ من العناية العظمى بالمواسم العامة فزادوا في بهجة الرعية وتوددوا اليها وملاوا أنوار زعمائها وشعرائها وعلمائها وساحتها ومنحومهم أثنى الفرص لانتهسار سرورهم وفرحهم بها وحدهم عليها . وكانت هذه الأبعاد نفسها جزءا من برامج الدعوة التي نظمت لها الخلافة الفاطمية ونجحت في تنفيذها تجاحا لا ينيل له (٣) .

ويروى لنا أن المعز ٢٩١ هـ / ٢٦٥ م / ٥٩٢ م / ٩٥٧ م وهو أول خليفة فاطمي في مصر استن كل رسوم البلاط في مصر حقا إن المعز وجد بعض هذه الرسوم في مناسبات مختلفة إلا أنها نظرت أن هذه الرسوم الدقيقة جدا قد تمت فيها بعد ذلك لأن حكم المعز كان قصيرا في مصر وأن مركزهم في البلاد لم يكن قد امتدح في البلاد بسبب هجوم القرامطة الذي بنوض أركانها (٤) .

وإذا كنا في حل أن نقول أن الروح المذهبية نفسها هي التي هيأت ظهور مثل هذه الحفلات والرسوم في البلاط الفاطمي فمن الجدير بالذكر هنا أن الدولة الفاطمية كانت دولة دينية ذلك عقائد مذهبية مكثت الحفلات بالالتصبة للفاطميين متناسبة لتأخذ عقيدتهم ولقد عرف الفاطميون كيف يصيغون الحفلات بصيغة اسلامية بمل مذهبية حيث كان معظمها يقام عادة في الأعياد الدينية الخاصة بالاسلام أو بالذهب وكان هذا دليلا قويا على طابع الفاطميين الجديد في الحفلات (٥) .

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن ثراء مصر كان سببا في ظهور حفلات الفاطميين ورسومهم وهذا الذي أحدث تغييرا في حياة هؤلاء الفاطميين فكان حب البذخ يجسب سبيله إلى أعيادهم الرسمية .

ولقد كان من الأقران الرئيسية للسياسة الفاطمية في مصر توطيد سلطانهما بكل الطرق الممكنة وقد تهيأ التمسك المصري السني لأن قتاله أيمه الحفلات الفاطمية فكانت وسيلة ناجحة للتأثير فيه لجميع أعياد الفاطميين وحفلاتهم كانت بطبيعة بطابع خاص من الأتانة والبذخ .

وفستطيع أن تؤكد أن رسوم البلاط الفاطمي وحفلاته لم تظهر كاملة عند

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر من ٥٧٠ هـ .

(٣) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ٤٢ .

(٤) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ٤٢ - ٤٣ .



وصول الفاطميين الى مصر بل بدأت كخطوط باهتة ثم تآكفت شيئا فشيئا وبالمقدريين أخذت شكلها وترتيبها ولكي تتأكد تقاليد بلاط مصر كان لابد لها على ما نعتقد من ولت (٥) .

ولم تنفذ دولة الى صميم الشعب وتغلغل بين طبقاته مثل ما فعلت الدولة الفاطمية في مصر ولم يكن ذلك غريبا فهي دولة شيعية قبل كل شيء، ولم يكن للدمريين سابق عهد بالتشيع .

وقد رأينا كيف تمكنت المذاهب الأربعة خصوصا المذهب الشافعي في مصر قبل الدولة الفاطمية فكانت على الفاطميين ان يروجوا لمذهبهم بكل الأساليب ويزينوا للفتن الأهدى والانضواء تحت لوائه . فاضلوا على الحياة بهجة بما ابتدعوه من اعياد ورواسم ما يزال أغلبها باقيا حتى اليوم . وقد انقضى على عهدهم ثيف وعشرة قرون (٦) .

وقد كانت الحياة الاجتماعية الباهرة المغرقة معا مرآة الدولة الفاطمية نشأت بتغير من خواص ترونها ونخلتها وبهائنها ووحى مناهجها السوسلية والدينية والعقلية . وكان الشعب المصري على اختلافه في مشايعة الدولة الجديدة في مناسجه وعبائنها المذهبية يذود بمرحله المغير هذا الترفق الفاطمي من التبذخ والترف والزين في اعجاب وحماسة . اجل ، كانت يواكبها الخلافة الفاطمية وحملاتها الرسمية والشعبية ورسومها الفخمة وما تبعها الشهرة وبذاتها المنور ايلها ومواقف مشهورة ظهر من حولها ايما اجلال وروعة ، وكانت اعيادها ورواسمها الباهرة ولياليها الساطعة بالمر البهجة والرح العام ومنازل آثار من تلك الرسوم والمواسم الشهيرة تنقل في كثير من اعيادنا ورسومنا وتقاليدنا الدينية فاذا رايت بعض هذه الرواسم والاعباد يجنع الى نوع من القمامة واذا رايت بعض هذه الرسوم يتشج بانواب من الروث والبهاء فانما ذلك يرجع في الأصل الى أثر الدولة الفاطمية في بك هذه الروح البهجة الباذخة الى كثير من نواحي الحياة العامة والخاصة في مصر الاسلامية (٧) .

وانما في العصر الفاطمي تجد ان البلاد قد عاشت مزاجا بالامتثال القام

(٥) د . عبد النعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ١٢ .

(٦) شعله عيسى ابراهيم : القاهرة ص ٧٤ .

(٧) الحاكم بامر الله : محمد عبد الله عنان ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

مدى قرنين من الزمان بغض النظر عن جنسية الأسرة الحاكمة أو أصلها .

ولاربع أن هذا الحال قد عجل بعملية التطور والنهوض وسار بها خطوات سريعة إلى الأمام وقد كان هدف التاطميين كذلك أن يؤسسوا امبراطورية واسعة مترها القاهرة وينشروا مذهبهم الدينى فى العالم الإسلامى ومثلا من هذا كانوا يسعون بكلية السبل والوسائل إلى منافسة الخلافة العباسية ويزعموا فى ميادين العنفة والقوة والبذخ والترف .

ولقد وجد الأتباط أنفسهم أمام حكام يطبقون مبدأ التسامح فامتدوا على أنفسهم وأموالهم والتمتوا إلى أصلهم .

وقد أشر فلتقدم التجارى فى الحياة الاجتهابية ويجهلى ذلك فى القصور الفاطمية وبناؤها وتكثيها فقد كانوا يرصمون آنية المطبخ بالدر والجرهر . ورسموا التماثيل لتزيين مجالسهم (٨) . وقد أدى هذا إلى تقدم أنواع من الصناعة العربية كالصباغة والحياكة والتطريز والعمارة والمزخرفة وغير ذلك من الصناعات التى امتازت بها حضارتهم (٩) .

وكان الموضع المصرى بما انتهى إليه من بذخ وترف ونعماء يجنب إليه اكابر الإسلام من كل صوب يثير فيهم الإعجاب والاحلال وكانت مصر القاهرة فى هاتيك المصور كالمروس بين مدن الإسلام جميعا تبهر العالم الإسلامى بمظمتها وفناها وقوة الدول التى تتبوا ملك مصر (١٠) .

وكانت مصر تنعم فى عهد التاطميين بما لم تنعم به من قبل منذ عهد الفراعنة فقد نعمت لأول مرة بالاستقلال الكامل والحرية التامة بل انه دعى نالحقاء الفاطميين فى صلاة الجمعة فى جميع المساجد من المحيط الأطلسى إلى البحر الأحمر . وفى قبة مكة ومبشق ، وفى ذات مرة فى بغداد وفى الموصل ونعمت بالاستقرار الشمال والإسلام المقيم التذين حفلت البلاد فى ظللها بالرخاء والثراء وبحبوحة العيش (١١) .

(٨) د . راتمسند البراوى : حطة مصر فى الاتعمادية فى عهد التاطميين ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٩) عبد الحميد حسن : صفات من الأدب المصرى ص ٧ ، ٨ .

(١٠) حميد عبد الله عنان : الحاكم يأمر الله ص ٢٦ ، ٣٠ .

(١١) شخصلة موسى إبراهيم : القاهرة ص ٧٤ .

ومن الأعياد التي كانوا يحتفلون بها عيد موسم رأس السنة الهجرية ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن والحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الخاضر وليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان ونصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم نفع الخليج ويوم لتتروز ويوم المطاس ويوم الميلاد وخميس العهد . وأيام الذكوات ، وقد كان لموسم رأس السنة الهجرية اهتمام خاص لدى الخلفاء الفاطميين فكان من رسومهم أن يعمل بمطبخ التنصر عدد من الخراف وتوزع على أرباب الرتب والذواوين من العوائل وأرباب السيوف والأقلام من اللين والخبز وأنواع الحلوى فيعم ذلك مسافر الناس (١٢) .

وتعد كل يشترك في هذه الأعياد الخلفاء والوزراء ورجالهم مع مسافر الشعب (١٣) .

وكانت المواكب الفاطمية لا يثيل لها في التاريخ وكان الخلفاء يركبون في الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان إلى جوامع الحاشم والأزهر وعمرو بن المنصور على التوالي للصلاة .

كما اهتم الفاطميون بالأعياد الدينية الخاصة وخاصة عيدى الفطر والأضحى ورأس السنة الهجرية (١٤) .

كما كان الخليفة يركب لصلاة عيد الفطر في صبيحة الخميس ويخرج من أبواب الفصر ويتوجه إلى المصلى فيمضي ويخطب ثم يعود إلى قصره ويكتب بذلك إلى أعمال الملكة تارة مع خلو الدولة من وزير ونارة مع اشتغالها على وزير (١٥) .

الفاطميون هم مبتدعو الاحتفاء بهذه الأعياد الفاطمية في مواكبها العظيمة التي يعجز القلم عن وصفها في نخاتها وعظمتها وتكون الفاطميون في مواكبهم يتشرون

---

(١٢) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٨٩ .  
(١٣) د . على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الإسلامية ص ٢٢١ - ٢٢٢ .  
(١٤) د . على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الإسلامية ص ٢٢٢ .  
(١٥) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

الذهب على الناس وتبسط القاهرة حلة تشيعة بن البيهجة والزخرف (١٧) .

وفى الخليفة العزيز قسوسا مديدة تشهد براء محمر ورخالها . ومن هذه التصور القصر الغربي الذي بناه جوهر الصملي وقصر الخرافة الذي بنه قمرود زوجة العزيز ، وابن العزيز قسوسا اخرى في عين شمس (١٧) .

ومن قسوس الخلفاء الباطنيين ذاك القصر النخم الذي بناه الخليفة الامر في جزيرة الروضة لزوجته الهدوية الكثينة التي كان مشغولها بجمالها وبوابها الشمرية وقد بنى هذا القصر على هيئة لا نجملها تشمر بوطاة الانتقال من المعيشة البوية التي كانت تعيشها بين امرتها . فقد كان له حديقة رحبة على شاطئه النيل (١٨) .

وكل الوزراء بسرون على نهج خلفائهم في تزيين قسوسهم وخامسة ابن كاس والاضل . واحتم الخلفاء الفاطميون بوضع نقاليد خاصة للبلدان والاستقبالات كما فعلت محمر في القصور الوسطى بالمجالس الاجتماعية وخامسة مجالس الموسيقى والبناء واشهر هذه المجالس ما كانت تقام على شواطئ الخليج المصري في القاهرة واشهر الخلفاء والوزراء والاميان الجوارى والمغنيات من كل مكان (١٩) .

وذكر المقريزي ان الخليفة الحاكم الفاطمي اصدر بين ٢٩٨ هـ / ٤٠١ م اثنين تحرم الاجتماعات للحو واللعب على الخراج او ان تفتح الابواب والتواضع على هذه الشواطئ وتاتها ذواتين اخرى يمنح بعضها سماع الموسيقى والاستمتاع بالالعاب وما اليها ويمنع البعض الآخر سماع المغنيات (٢٠) .

ويقول ابن خلكان ان النساء تبعد في بيوتهن سبع سنين حتى ولي الخلافة الظاهر بن الحاكم (٢١) .

(١٦) شحاته ديسو ابراهيم - القاهرة ص ٧٤ .

(١٧) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦٢٨ .

(١٨) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٤٨٥ .

(١٩) د . على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ص

٢٢٤ .

(٢٠) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(٢١) ابن خلكان : وتيات الاميان ج ٢ ص ١٢٧ .

وقد ذكر المؤرخون أن أبا الحارث البساميري لما أتم الخليفة الفاطمي المنتصر في بغداد شادت إحدى المغنيات بهذا الحادث وغنت في حضرة الخليفة الفاطمي هذين البيتين :

يا بني انهبلس صدوا      ماك الاجر معد  
ملككم كان معسارا      والعواري تسفرد

وطرب الخليفة وأطلعها أرضاً لاتزال تعرف إلى اليوم في مدينة القاهرة بأرض الطبالة (٢٢) .

وفي خلافة الظاهر كان يتفق في ليلة القلانس الكثير من الأموال ما لا يحصر في مآكل ومشرب ويتجاهر الناس بشرب الخمر ويجمع أرباب الملاهي وأرباب الألعاب من كل فن ويخرج الناس في تلك الأيلة عن الجد في اللهو والفرحة وكانت كل الناس ينجون على متوال سادتهم (٢٣) .

ويبلغ من شنف الظاهر باللهو وحبا الفناء أن تلقى الناس في أيامه بمصر واتخذوا المنومات والراقصات وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً واتخذ حجراً لمالكة وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب (٢٤) .

كما اشتغل الأمير بأحكام الله ومن بعده (الظاهر) باللهو والطرب وشرب الخمر وحتى الأديرة كان يفتشها بعض الخلفاء الناطميين (٢٥) . ونجد أن مجلس الإنشيل قد وصفه ابن بيسر بقوله : أن هنالك ثمانية فنانين لثمان جوار متفانيات وكان الأمدل إذا دخل من باب المجلس تكون رءوسهم أجلالاً له . فإذا أخذ مكانه في صدر المجلس استوي قائمات وكان الأتمسل حين يجلس للشراب يجعل في مجلته سواني الذهب مصقوفة وتبها الأواني المملوءة بالجواهر فإذا أمر جعل ما في الأنية على الصسبئية فيبلؤها ويجعل بدله الشراب (٢٦) . توتعت مصر في العصر الفاطمي بغرة من الرخاء الاقتصادية . وإن كان قد شغلها لغترات مجاعات وفسدة

(٢٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦٢٧ .  
(٢٣) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٨٢ .  
(٢٤) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ١٦٢ .  
(٢٥) د . راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٨٢ .  
(٢٦) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٦٢٧ ونقل من ابن بيسر ص ٨٥ .

وحاز الخلاء الفاطميون ثروات عظيمة (٢٧) ، أسهب المؤرخون في وصفها ، ولكن المؤرخ سستانظي بول (٢٨) يرى أن هؤلاء المؤرخين قد بلغوا في وصفهم ويضرب على ذلك مثلا إذ ذكر المقرئ في الخطط أن المعز اشترى متارة من الديباج من فارس بحوالي عشرة آلاف جنيه .

كما حاز الوزراء ثروات ضخمة فيذكر المؤرخ ابن أبيس (٢٩) على سهل المثال أن برجران وزير الحاكم ترك مليون دينار ذهباً وخمسين أردبا من الدراهم الفضية وقد ذكر ابن منجب أن عطاء الوزير من الخليفة المميز كان مائة ألف دينار سنويا ، وكان سائر الموظفين يتقاضون مرتبات كبيرة غير الهدايا والصلوات وكان صاحب الانتشاء والمكاتبات مثلا - يتقاضى راتباً شهريا ثمرا مائة وخمسون دينارا (٣٠) .

وقد بلغت نفقات خزائن الكسوة مسبقا وثمان حوالى سبعمائة ألف دينار وبلغت نفقات خزائن الذوايل خمسين ألف دينار سنويا (٣١) .

وقد وهدت في تصور الفاطميين بالخزائن الخاصة مائة صندوق كسوة فاخرة ما بين موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فضة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة .

تتمت ممر في العصر الفاطمي في معظم فقراته بالرخاء الاقتصادي طوال العصور الوسطى باستثناء فقرات قصيرة وكانت لهذا الرخاء مظاهره في الفنون والصناعات البحرية منذ العصر الفاطمي فصامدا وفي الحياة الاجتماعية الباهرة وفي النهضة الفكرية العظيمة .

وقد ظهرت هذه الثروة الأسطورية في نفقات الدولة في العصر الفاطمي وظهرت بصورة خاصة في ثروات الخلفاء والوزراء ونفقات الجيش والأسطول ونفقات الخزائن والأمجاد والمواضع والهيئات التي كانت تعطى للمساجد والمكاتب وغيرها (٣٢) .

(٢٧) د . علي حسني الخربوطلي : مصر العربية الإسلامية ص ٢٢٤ .  
(٢٨) Stanly-Pool : The Story of Cairo. P. 133.

(٢٩) محمد بن أبيس : وقائع الزهور في بدائع الدهور ج ١ ص ٥٢ .

(٣٠) القلائشي : صبيح الأمتي ج ٣ ص ٤٩ .

(٣١) المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٤٢ .

(٣٢) د . حسن أحمد محمود وآخرون : مصر في العصور الوسطى والحديثة

ص ١٠ - ٥٣ .

ولا يغيب عن البال ما كانت تحدنه احتمالات الناطبيين من انتعاش في الحركة الاقتصادية في البلاد عموماً وفي القاهرة بمقعة خاصة هذا فضلاً عما نضفه عاينها من الوان البهجة والسرور (٣٣١) . وقد كلن المزم هريصاً على أمزال البلاد فقلد أبها الفرج يعقوب بن كلس الوزير وعسلوج بن الحسن وجوء الأموال جديهما والحسبة والسواحل والنجوى والأحياس والمواريث والشرطين وجوب ما ينضف الى ذلك وما يطوى في مصر ومسائر الأعمال وكتب لهما مسجلاً قرىء يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون (٣٤٤) .

وكان العزيز ووزيره ابن كلس ميلين للثروة والبذخ جعل مصر في عهد الناطبيين بمنزلة الأثقال في الثراء والأبهة وكان للرخاء الذي عم البلاد في بعض نفقات الحكم الفاطمي أثره الكبير في قيام نهضة فنية وعمرائية وفكرية شاركت في ازدهارها الخلفاء والوزراء بما أولوه للمفكرين من تشجيع ورعاية ومن أهم الآثار الفاطمية التي بازلت بلقية الى الآن الجامع الأزهر (٣٥٠) .

ومما يفكر ان انتعاش الحياة الاقتصادية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستقرار السياسي للدولة فالخليفة الحاكم يأمر الله لم يتردد أثناء حكمه في صب جام غضبه على مدينة الإسكندرية مهد الثورة فقتلت اثر ذلك معارك طاحنة بين الترك والبربر . من ناحية وبين الجند والزواج المتفطرسة من ناحية أخرى تبيت القوضى في المعاصية واخذت الحالة تمسر من سيء الى أسوأ ثم حلت في البلاد حالة عز فيها القوات حيث يقول ابن الخوج : (٣٦١) « عز القوات ، ثم كان بعد أراجيف عظيمة » .

وفي أيام الحاكم قل ابن فضل الله في المسالك :

« زلزلت مصر حتى رجفت أرجالها وضجت الأمة لا تعرف كيف جازها » .

فقال محمد بن تالمس بن عاصم شاعر الحاكم :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتباً نجل الهدى وسليل السادة الصلحا  
جا زلزلت مصر من كيب يد سراد بها واتهما رتصت من سخله برصسا

(٣٣٠) شحاته عيسى إبراهيم : القاهرة ص ٧٥ .

(٣٤١) المتريزي : أتماظ الصنفا ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣٥١) د . محمد حدى التيلوي : مصر في ظل الإسلام ج ١ ص ٧٤ - ٨٩ .

(٣٦١) السبيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٨٤ .

( م - ٧ الحياة الفكرية في مصر ) .

نما زال التاريخ يروي لنا مسلسلا بمشاهد السنين التي تشحح فيها ماء النيل وكيف كان الحاكم يفتن وسط شعبه مسفوحيا لكل رجاء دالب المسمى لدفع وسائل المجاعة (٢٧) . ثم حلت ساعة الخلاص لجة بالخفاء الخليفة . اختفاء فلهذا في ليلة ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ / ١٠١٩ م وقد جرى القول بأنه تقل بتحرير أخيه سمعت الملك الا ان هذا القول ليس له سند كلف (٣٩) .

وجاء بعده المستنصر حيث اصيبت البلاد في عهده بقحط مروع اتى على الأخضر واليابس فعمت المغبة البلاد وتضور الناس جوما . وتسد اطلق المؤرخون على هذا القحط اسم الشدة العظامى لفظاعته وهوله (٣٩) .

وعظم الامر بالامارة ومحر من شدة الفلاء وقلة الاثوات اما حسد من الاموال بتكرة الذهب وقطع الطريق حتى اكل الناس الجيف واينبات ووقف ارباب الفساد في الطريق يقتلون من ظنروا به في ازمة القصر وحلك من اهل مصر في هذه الحروب والفتن ما لا يحصر (٤٠) واقامت البلاد سبع سنين يزداد النيل فيها ويتخض ولا يوجد من يزرع لوقت الناس واختلاف الولاة والرعية واستولى القربا على البلاد .

نقل ابو يعلى القلائسى : « في ايامه سمعتى المستنصر - ثارت الفتن في بنى حمدان وكالجبر الثواد وقامت الاسعار واضطربت الاحوال واختلت الاممال وحصر في قصره وطمع فيه ولم يزل دلى ذلك الحال حتى استدعى بدر الجمالى من عكسا الى مصر فاستولى على التدبير وقتل جماعة ممن يطلب الفساد فتمهدت الامور ولم يبق للمستنصر امر ولا نهى الا الركوب في العيدين ولم يزل كذلك حتى مات بدر الجمالى وعام يحده ولده الفضل » (٤١) .

ولما تعرضت البلاد للازمة الاقتصادية في خلافة المستنصر امتنع ورود التجار الى مصر حتى تمكن بدر الجمالى من ازالة آثار هذه الازمة وعادت الحياة الاقتصادية للازدهار وشجع اصحاب رؤوس الاموال ونوى اليسار على الحضور الى مصر .

كان للترامة اثرها في الاقتصاد المصرى في عهد الدولة الفاطمية فقد واجهه

(٣٧) دائرة المعارف الاسلامية ج ٧ ص ٢٧ .

(٣٨) دائرة المعارف الاسلامية ج ٧ ص ٢٦٩ .

(٣٩) شحاته عيسى ابراهيم - القاهرة ص ٧٦ .

(٤٠) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٢٩ - ١٢٠ .

(٤١) ابو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٠٢ .



الفاطميون منذ استيلائهم على مصر الجاعة التي انتجت البسلاد في عهد كاتبور الاخشيدى وبدأت سنة ٣٥١ هـ واستمرت في حكم الفاطميين الى سنة ٣٦٠ هـ ولكن جوهر الصقلي عمل على تخفيفها فقام بانشاء مخزن للحبوب وانشأ نظام المحتسب لكن يرانب منع احتكار الحبوب (٤٤٦) . وهذا جعل الدولة الفاطمية توجه اهتمامها الكبير للزراعة باعتبارها ابرز موارد الدولة الاقتصادية فكانت مصر تعاني انخفاض النيل والجماعات في مصر الاخشيدى فعمل الفاطميون على تلاقق مثل هذه الجماعات بزيادة رقعة الاراضي الزراعية وتخزين الحبوب وضع الاحتكار وبلغت مساحة الاراضي المزروعة في عهد الخليفة المزم الفاطمي نحو ٢٨٥ الف فدان ولم تقتصر هذه المساحة الا بعد ضعف الدولة الفاطمية في العصر الفاطمي الثاني ابتداء من الخليفة المستنصر الفاطمي فجلت الدولة الى زيادة الضرائب (٤٤٧) .

وكان انعكاس الحياة في مصر من الناحية الزراعية يعود الى زيادة المساحات الزراعية خاصة في عهد المعز والمعز وكذلك بدر الجبالى . وهذا يعود الى البيئة المصرية الغنية بزيتها وفولها العذب والى الانسان المصرى ( اى الفلاح المصرى ) الذى يمتاز بالتشاط والحوية (٤٤٨) .

وامتدح الكتاب الاوروبيون سياسة الفاطميين ازاء الملاحين فقال الهمض ان التباحح كان يطابع حكمهم (٤٤٩) . وان معالجة الشعب على ايديهم كانت خيرا منها على ايدي سواهم من الحاكمين .

واخيرا فقد كان الفلاح المصرى في عهد الفاطميين يستطيع ان يتصرف في الاراضي ويغير موطن اقله حسبها شاء لانه يمتاز بالصبر والقناعة وقوة الاحتمال (٤٥٠) .

كما اهتم الفاطميون ايضا بالصناعة وتميزت صناعات الفاطميين عن سائر الصناعات المصرية في سائر العصور فقد زينت معظم الصناعات الفاطمية بصور

(٤٤٦) د. على ابراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٤٧٩ .

(٤٤٧) د. على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

(٤٤٨) د. على ابراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٤٨٢ .

(٤٤٩) The Study-Pool : Egypt In the Middle Ages. P. 154.

(٤٥٠) د. راشد البرامى : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٠٦ -

أدمية وحيوانية كثيرة على عكس السفينين الذين كانوا يرون هذا منافسا للشريعة الإسلامية . ومن أشهر الصناعات في العصر الفاطمي صناعة النسيج من الكتان والصوف والحرير كما اشتهرت المصنوعات المبرومة بالدقة والجودة وأصبحت مصر تفسج كمادة الكمية كل سنة وتقدمت صناعة الزجاج والخزف في العصر الفاطمي كذلك تقدمت الصناعات الخشبية وخاصة صناعة بناء السفن (٤٧) .

ويعتبر هذا العصر عصر ازدهار الصناعة ولم تزل هذه النهضة المناعية عنوا بل تعالفت عوامل سياسية متباينة جعلتها من خصائص العصر الفاطمي وأعظم مميزات وأكبر مفاخره (٤٨) .

ولعل تقدم الصناعة عندهم أنها يرجع إلى استتباب الأمن . وفرة الحكومة المركزية ، وإثر المعاملة السخية التي تودع بها الأقباط .

فقد اتخذ الفاطميون من المنسوجات وسيلة لتحقيق افراض سياسية كالعمل على الاسادة بمركزهم الديني المقتار . وتوكيز هذه النكرة في الأذهان وكانت لهم عبارات خاصة استخدموها على اللباس والمباني فقد جاء في تطبيع للنسيج عبارات « وقع قريب لعبد الله وولده المنصور ليس على الامام الحاكم بإمر الله أمر المؤمنين » الخليفة المستنصر بالله آتاة الأئمة الطاهرين وإبنائه المنتظرين (٤٩) .

والمواقع أن الأدمية لها أصولها ونواعدها ..

كما انشأ الممر دارا للكسوة حيث كان الخلفاء الفاطميون يكترون من الانعلم على رجال الدولة بالخلع والهدايا في الصيف والشتاء (٥٠) .

وهناك مراكز لهذه الصناعة وهي : بابلط - تبس - نيرة - بورة - دنق - شطا - وأضيفت أنواع جديدة في عهد العزيز منها العنابي والسقلاطون .

(٤٧) د. علي حنفي الخربوطلي : مصر العربية الإسلامية ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٤٨) د. راشد البراوي : مجلة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١١٩ .

(٤٩) د. راشد البراوي : مجلة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٢١ .

١٢٦ .

(٥٠) المرجع السابق ص ١٢٨ .

وأما الحرير فأكثر مراكزه مدينة الإسكندرية فقد وجد عند اخت الخليفة المعز بست الملك ثلاثون ألف قطعة من مشرق الحرير الأحمر حينما قتل برجوان وجد الف . . وكان المهبط من انشاء الفاطميين دارا للصناعة يتلخص في :

١ - نشر المذهب الفاطمي وبهتل هذا الجانب الغرض السياسي للدولة الفاطمية .

٢ - يرمزون لحركتهم الأدبية .

٣ - اتساع نطاق العلاقات التجارية مع البلاد الأجنبية .

وهكذا كانت التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية ذات اثر فعال في نشر المذهب الشيعي في أنحاء العالم ولغت نظر الشعب المصري بعظم الحكم الفاطمي من الناحية السياسية والذهبية ونبينا لحركتهم الأدبية التي تعتبر الصناعة رمزا لها وايضا ازدياد العلاقات مع الدول الأجنبية وخاصة الدولة البيزنطية ، في توسيع حجم التبادل التجاري بينها وبين الدول الأخرى .

## الكتاب الثاني

### الجوانب الدينية والمذهبية في الحياة الفكرية

مختل

الترقية لجامعة الأزهر في الحياة الفكرية

القصر كمركز للحياة الفكرية

مجالس الدعوة الفاطمية في القصور والمساجد

نور أهل السنة في عصر في الحياة الفكرية

## مختصر

جاء الفاطميون مصر يدعون الى عقيدة تختلف عما كان عليه اكثر المسلمين فقد كان العماد الاظم من مسلمي بحر بنقسطون بين مذهب مالك وبين مذهب الشافعي ، وقليل منهم من كان على مذهب ابي حنيفة .

ومهما كانت الفروق بين هذه المذاهب كلها من مذاهب اهل السنة والجماعة تحالف عقائد الفرق الشيعية وثبائنها . . ففي العقائد الفاطمية ان الولاية هي محور هذه القاعدة . وان فلسفتهم كلها تقوم حول الامام وتمجيده اكثر من اى شئ ، آخر (١٦) . وهم يعتقدون بكل ما يعتقد به غيرهم من المسلمين من موت وحياة وبعث ونشر واواب وعقاب ويقومون بفرائض الدين ويحرمون ما حرمه الله . غير انهم تلووا بادوار الانبياء فكل نبى نوره ويانى المثبى الذى بعده يفسخ شرع النبى قبله فلما جاء نور محمد وهو سادس الانبياء جميع الله له كل ادوار الانبياء قبله ؛ محمد هو آدم وهو نوح وهو ابراهيم وهو موسى وهو عيسى وان ما حدث فى ادوار هؤلاء الانبياء يحدث بظه فى دور محمد وما حدث الاسماعيلية ايضا حول الله فى رموسهم (١٧) .

لهذا نجد ان الفاطميين اقاموا دولتهم على اساس مذهبية بحيث تخصص فى ان آل بيت الرسول من على وفاطمة احق الناس بزعامة المسلمين فمن عقائد الاسماعيلية ايضا حلول الله فى رموسهم (١٧) .

اتى الفاطميون مصر ، ومعهم هذه العقيدة بجميع عناصرها ؛ وانهموا اهل مصر انهم آل البيت ولن عليا ورثه ابناؤه واحدا نواحد على التحسب الذى رآته كل من فرقتى الكيسانية والفاطمية (١٨) .

وجاء الفاطميون ايضا فوضعوا نظاما دقيقا لمدوبهم ونظاما دقيقا لطريقة عملها . اما من حيث الندوة نفسها فقد ذكر المقرئى (١٩) انهم جعلوها تتلصق

- (١١) مقدمة ابن خلدون ص ٧٢ - الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ١١٤ .  
(٢) د . محمد كامل حسين : فى ادب مصر الفاطمية ص ٣ ، ١٨ .  
(٣) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٢٦ .  
(٤) د . عبد اللطيف حبرة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٧٤ .

من شمس مراتبه : منها أن الإيمان يبنى على العقل لا العقل في نظرهم ، وأن النبي يعكس للكلفة والفيلسوف للخاصة ، وأن التكاليف فرضت على العلية لتتساغل الخاصة عنها بما هو أسس منها وهو معرفة الأسرار الخفية التي أنخص بها العالم العلوي دون السفلي (٦) .

أما من حيث طريقة تعلمها فقد أطلق الفاطميون على تلاميذهم أسما لفت إليه أنظار الخاصة بسببها « علوم آل البيت » ثم عهدوا في شرح هذه العلوم إلى فئة خاصة من علمائهم هم الدعاء فكان يعلمونهم في هذه المهمة أئمة الشافعية الوزراء وكان الخليفة هو المرجع الأول والأخير لأنه هو الشخص الذي ورث العلم الأئوي كله عن آبائه وأجداده من لدن علي بن أبي طالب (٧) .

وكان تلك النزعة الدينية التي تميز بها عصر الفاطميين من غيره من عصور ان خضعت مصر لهذا المذهب الديني واتخذها أئمة هذا المذهب قاعدة بلذيم فأنسج هذا المذهب هو المحصور الذي تدور عليه الحياة المصرية من اجتماعية وسياسية وفكرية وأدبية بحيث لا نستطيع أن نعرف حقيقة هذه الألوان المختلفة من الحياة المصرية في عصر الفاطميين إلا على ضوء عقائد هذه الفرقة من فرق المسلمين ، كما أن الفاطميين أتلموا دولتهم على أسس ديني إسلامي وأن الأطفال الفاطميين اتخذوا سندهم من نسبهم إلى الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وأن الفاطميين احتذوا بالأعياد الدينية احتفالاً لم يحد من قبل وأنهم أسسوا المساجد لاتباع الصلوات كما أن كل هذه المظاهر فتبصر الإسلام بلن الفاطميين كانوا من اتسد الناس حرصاً على الإسلام وتقاليد المسلمين (٨) .

ولقد عرف الفاطميون انه لكي يتوطد حكمهم في البلاد التي فحسوها انه لابد من أن يكونوا لمقلدوهم الدينية فهم يرون ان يعضدوا على تنويرهم الخريي في حكم الشعوب الخاضعة لهم حقاً ، ولكن يجب أيضا أن نهقق هذه الشعوب مبادئ الدولة .

(٥) القرظي : الخطط ج ٢ ص ٢١٠ .

(٦) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٧٥ .

(٧) القرظي : الخطط ج ٤ ص ١٥٧ .

(٨) د. محمد كامل حسين : في أئمة مصر الفاطمية ص ٧ .

ولذا سارت القوة العربية والدعوة الدينية جنباً إلى جنب في تأسيس دولتهم في مصر (٩) . وهذه الدعوة نسميها « الدعوة الهادية » أو « الدعوة العلوية » لأن أساسها أن «تقيده» الفاطمية حتى وحدها الصحيحة وأن غيرها تعتبر مزيفة والدعوة الفتن وسبيلة لنشر الدين الصحيح .

فقد كان غاية الدعوة الفاطمية تأييد الحكم الفاطمي في مصر حتى يتوطد بحريته غير قابلة للتنازل في حق الأمامية الفاطمية في حكم العالم الإسلامي منذ ظهور الفاطميين وهم في صراع ضد المعبسنيين يدافعون بصبر عن حق علي المقدس في الخلافة ولذلك ماتهم خاريزياً أمدهم المقتصيين أولاً بالدعوة المستمرة أو ما يعرف بالفتية وبعد تأسيس الخلافة الفاطمية في أفريقيا تم في مصر أصبحت الدعوة علنية وجزءاً لا يتجزأ من نظم الدولة .

ولما كانت الإمامة عماد كل نظام سياسي وقاعده الثم على أساسها بناء المذهب الفاطمي من الدعوة وجهت كل عنايتها نحو تأييد حقها المطلق في ولاية أمر المسلمين بأن وفقت بين المبادئ الدينية وبين أغراضها التي كان محورها الإسلام (١٠) .

والفاطميون الذين بسطوا سلطانهم على شمال أفريقيا ومصر والشام بعثوا في العلوم والعارف روحاً جديدة إذا جدوا في نشر الدعوة لمذهبهم الشيعة في بلاد إسبانيا مضواة لهذا المذهب وأسلمتوا بالفلسفة الأفريقية والعلوم الطبيعية على مساعدتهم في التجدد لتعمر مذهبهم . كما استدعى ذلك إيجاد المكتب وتأليف الكتب وإنشاء دور العلم ومجالس الدعاة في المساجد والجموع والتصور (١١) .

ونتيجة لذلك ظهرت النظم والرسوم التي اختص بها المذهب الامساعيلي فكان هناك فئة امساعيلي يخالف الفقه المسني كما أن المذهب نفسه كان في حاجة الى دعاء يقومون بنشره في مختلف الأرجاء يعملون على جذب الناس بالحجة والافناع ولما كان انخلفة عو راس السلطة الدينية كان يجمع شؤون

(٩) د. عيد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(١٠) د. عيد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ١٧٨ .

(١١) أسماء حسن نهمي : مبادئ التربية الإسلامية ص ١٥ .

المذهب في بدءه وكلني القضاة والدعاة تحدث اشراقه المبشر وكان الخليفة يختلر  
بتفسيه القضاة والدعاة (١٢٦) .

وهؤلاء الدعاة يميزون بميزات خاصة تجعل منهم الرجال الذين يمكن  
الركون الي معتداتهم في نشر الدعوة واستمالة القلوب اياهم ويرأس الدعاة نقباء  
ويبلغون اثني عشر نقيا وعلى رأس هؤلاء جميعا داعي الدعوة الذي يصبر الصلة  
بين الخليفة وبين معتقلي المذهب . وكان داعي الدعاة يعرضها بتورده على  
الخليفة لكي يقرأها ويذيلها بايضائه ثم يعهد المجلس لغيره على الناس ما اعساه  
من محاضرات وما افهه من مصنفات ولذلك اهتم الخلفاء الفاطميون باختبار داعي  
الدعاة (١٢٧) .

وقد لعب الوزراء الفاطميون دورا خطيرا في تاريخ الدعوة الاسماعيلية  
وكان لهم اثر كبير في تاريخ العقيدة وحياة الدولة نفسها . وقد حصل ابن كلس  
العبد الاكبر في تنظيم ونشر المذهب الاسماعيلي . ناهتم بالفتحة الاسماعيلي .  
وعمل على تمام دراسة منظمة له في الجناح الأزهر ورتب له جماعة من الفقهاء  
بتدريسه بعد صلاة الجمعة وابتدى لهم دارا الي جانب الأزهر (١٢٨) .

ولكن ذلك لم يستمر طويلا لما ان استولى بدر الجمالي على شئون البلاد  
حتى كان لذلك اثره بعيد في الدعوة الاسماعيلية فقد اصبح الوزراء منذ ذلك  
الوقت يشرعون على الدعوة والدعاة والقضاة وبذلك سيطروا سيطرة تامة  
على شئون المذهب فكل من اتقاهم : قاضى قضاه المسلمين وعادى داعي  
المؤمنين ه وحصل هذا القبح كل وزير بعد ذلك حتى ان معظم الوزراء لم يكونوا  
اسماعيليين وكان لذلك اثره في ضعف المذهب الاسماعيلي مما مهد لسقوط  
الدولة (١٢٩) .

وقد كانت الامامة حسبنا بينا من قبل عنوان الدولة الفاطمية وشعارها  
البارز . فكانت هذه الامامة تصيغ بمسفة مذهبية صيقة ولم تهجم الخلافة  
الفاطمية في هذا المسبيل عن ان تعدل احكاما وشعائر بشعائر وان تستحدث

- (١٢٦) د . محمد حمدي المنياوي : مصر في ظل الاسلام ج ١ ص ٨٨ .  
(١٢٧) د . محمد حمدي المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٢٢ .  
(١٢٨) د . محمد حمدي المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٣٤ .  
(١٢٩) د . محمد حمدي المنياوي : مصر في ظل الاسلام ج ١ ص ٨٨ .



كثيراً من النظم والتقاليد الدينية والمذهبية وكانت مقدماتها بمصر تعمل بكل ما وسعت لبحث الدعوة الذهبية المفرقة تارة في الجور وتارة في الأخلاء وكانت مجالس الحكمة المشهورة وهي مجالس الدعاية المذهبية تعتمد تارة في القصر الفاطمي وتارة في الجامع الأزهر ولذا الإمامة الفاطمية تتشجع في عصر الحكام بأمر الله بنوع من التسمية الرهبة ، وتمسك بالدعوة الفاطمية إلى نوع من الفلسفة الحرة أو بمهارة أخرى إلى معترك من الاتحاد المشرق وتكثفها في الحجب المظلمة ، وكان الحاكم بأمر الله هو روح هذا التطور الخطير في توجيه الدعوة الفاطمية . فقد كان الحاكم من انبسط وأقوى الخائفين الفاطميين في بيت الدعوة الذهبية ونشرها في الخارج وكان له رهن من الدعاة الأقوياء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ولاسيما في المشرق ، يعملون لنشر الدعوة واستئصال الفاس فيها وبعث بالمال والنفوس إلى مختلف الدعاة للانفاق على سنون الدعوة وبذل الصلوات للمستجيبين وكان من بين أولئك الدعاة هنياء بن الطراز الأول مقل حبيب الدين الكرمانى ، داعية العراقيين بفرس (١) .

وقد هذا الحياكم في ذلك حذو أبيه العزيز وجده العز وعمل لبيت الدعوة الفاطمية في قوة وجراة ولكن في نوع من التناقض وذلك بسبب السلف الصالح أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة .

(١٦) بيجيد عبد الله بنان : الحياكم بأمر الله الفاطمي ص ١٩٤ س ١٥

## أشقيام جامعة الأزهر في الحياة الفكرية

لما قامت الدولة الفاطمية في مصر شغلت فترة من الزمن بتوليد ملكها الفتن - ولم تول الحركة العقائدية كبر عناية ببدء ان الحركة العقلية لم تلبث ان لتعت ملاذها في قسام الجامعة الفاطمية الكبرى اعنى الجامع الأزهر الذي اقيم في البداية ليكون مسجد الدولة الجديدة ويترها الرسوب ، ثم اتمت فيه منذ عهد العزيز تلك الحلقات للدارسين التي اصطلحت فيما بعد الى جامعة حقة ، وكانت الدولة الفاطمية تمنح منذ قيامها بناحية معينة من الدراسات الدينية هي التاهية المذهبية وفي سبيل يشا واذا عنها نظرت مجالس الحكمة في القصر وان الجامع الأزهر وانشئت جامعة دار الحكمة المشهورة في عهد الحاكم بأمر الله (١) .

وانكن لما استقرت الدولة الفاطمية بمصر وحضت مصر ، نزلهم وهوى ملكهم ودولتهم تسمرت الخلافة الفاطمية بالحاجة الى مضاعفة جهودها المذهبية وذلك انها لم تجد في مصر كما وجدت في قفار المغرب السافحة موقعا خصباً لدعوتها ، بل انفت ، مصر مجتعا منها ، عركته الأحداث السياسية والدينية والفكرية ، ولم يكن ، نهاد الخلافة الفاطمية في بحث دعوتها على سلاح التشريع فدر اعتلدها على الادعية السرية وغزو الأذهان بطريقة الدعاية المنظمة - هي خير الوسائل لغزو الأذهان المستتر ، وحشدتها لتأييد الدعوة المنشودة . وقد كانت الدعوة السرية وسيلتهم الى حيايتها وتدعيمها . فكان لهم دعاء في سائر الاقطار الاسلامية حيث كانت الدعوة اتقد وسائل الفاطميين الى تبوا الملك وبها جنوا ثمار ظفرهم الاولى فكانت مصر منزل ملكهم وخلائقهم مثار هذه الدعوة ومركزها ومجمعها ، فساهم به الى جنبات الإمبراطورية الفاطمية الشاسعة والى سائر الاقطار الاسلامية الأخرى (٢) .

ولما تم لجوهر فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ لم يشأ ان يهاجره السفين في

(١) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله الفاطمي ص ٣٦٢ .

(٢) محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطوط المصرية ص ٩٩ - ١٢٧ .

مساجدهم بإقامة شمائر المذهب الفاطمي حتى ٢ ينير كراهية المصريين ؛ لذلك وضع جوهر الجامع الأزهر (٢) في ١٤ رمضان ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م وشرع في بنائه وهو أول جامع بنته الرافضة في مصر وخرج من بنائه في شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ (٤) . بعد ان كان ابنتى القاهرة وركب العزيز الى جامع القاهرة « جامع الأزهر » بالمخالفة وخطب وصلن رثيه خط أساسى الجامع الجديد مما يلى باب الفتوح وبدأ بالبناء فيه وتحاقى الفقهاء فيه الذين يتحاثون بجامع القاهرة وحيل يلتمس الصلوى صاحب الشرحلة الصلوى السباط وبنيت مصاطب ما بين القصر والمصلى ظاهر باب النصر يكون عليها المؤذون والفقهاء حتى يتصل التكبير من المصلى الى القصر (٥) .

والجامع الأزهر بعين ارضى زخرقة من جامع ابن طولون ولكن يجب على من يدرسه أن يذكر أن كثيرا من دقائقه تم بعد انشائه بزمن طويل ومن الواضح أن هذا المسجد لم ينشأ في الأصل ليكون جامعة أو مبعدا للدراسة كما هو الحال اليوم ، وإنما انشئ ليكون مسجدا رسما للدولة الفاطمية ورمزا ادعوتها المذهبية (٦) .

وقد تمتع الجامع الأزهر الذى بدأ بهمله ملل الجامعة منذ ٣٧٥ هـ بشهرة واسعة بين المساجد الاسلامية ، وللجامع الأزهر الآن تثير كثير في بلاد الاسلام والطلاب الذين يتصدونه امرادا وأرسالا من أنحاء العالم الاسلامى وكيف لا ؟ وهو المأجا الأخير لعلوم المغرب في الشرق ، وفي الجامع الأزهر تدرس الآن العلوم والآداب والتوحيد والفقه والطب والفلك والرياضيات والتاريخ وكان عند طلابه اثني عشر ألفا نسيا مضى ولا بقل الآن عن هذا العدد كثيرا ويقتوم بفتحات طلابه القسراء (٧) .

ويبلغ من اهتمام الخلفاء الفاطميين بالجامع الأزهر ان كان المعز لدين الله الفاطمي يؤلف الرسائل والمحاضرات ويبعث بها الى قاضى قضائته أبى هنيئة النعمان كى يلقىها على الناس في الجامع الأزهر المقر الرئيسى للديموة الفاطمية (٨) .

(٣) القلقشندى : صيغ الأعمش ج ٣ ص ٣٦٤ .

(٤) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٣٢ - ٥٤ .

(٥) القويزى : أتعاط الحقا ج ١ ص ٢٦٧ .

(٦) د . أحمد مختار العبادى : في التاريخ العباسى والفاطمى ٢٥٥ و ٢٥٧ .

(٧) جوستاف لوبيون : حضارة العرب ص ٢٣٤ .

(٨) د . أحمد مختار العبادى : في التاريخ العباسى والفاطمى ص ٢٧٨ .

وكان العزيز رجلا عالما محبا للعلم والعماء غيروى المؤرخون أنه كان شامرا وله شعر جيد كما يعتبرونه أول من جعل الدراسة في الأزهر ادراسة جامعة منظمة والواقع أن الفضل في تحويل الأزهر من جامع إلى جامعة لا يرجع إلى العزيز وحده وإنما يرجع إلى وزيره يعقوب بن كلس وقد اعتمد العزيز على وزيره يعقوب في نشر المذهب الفاطمي وقام يعقوب بن كلس في هذا المنصب بأشياء كثيرة إذ حول الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم النقلية والعقلية وماهام هو نفسه بالقاء المحاضرات في بعض ما كتبه مثل أصول المذهب الشيعي والرسائل الوزيرية ومختصر عقده الشيعة إلى جانب المجلس العلية والأدبية التي كان يعقدتها في قصره لتشجيع الآداب والعلوم من جهة ولتشر الدعوة الشيعية من جهة أخرى (٩٤) .

وقد ابغى العزيز بجوار الجامع الأزهر دارا لجامعة من القهاء عندهم خسة ولذا لم ينكثوا يجتمعون فيه بعد صلاة الجمعة ويلتزمون القرآن إلى صلاة العصر وقد أجرى عليهم الخليفة الأزلي وافسق عليهم وزيره يعقوب بن كلس الأموال ونقل إليه الحاكم نصف ما كان يدار الحكمة من كتب كما زاد في بنائه وزاد ما وقفه عليه من قبل من أوقات وما تقدم له من هبات (٩٥) .

واعلم الباحثون بنشر الثقافة نارتقت العلوم والآداب والفنون ولعب الجامع الأزهر الدور الأول في نشر الحركة الثقافية وخاصة بعد احوايه إلى جامعة في عهد العزيز (٩٦) . وما زال الجامع الأزهر غرس الدولة الفاطمية القائم منذ استقرت بمصر كما كان الجامع الأزهر كمبة العلماء والأدباء لا في مصر وحدها بل في المسلم الاسلام كله وأداة مسجدها الجامع في تطور الحركة الفكرية والأدبية في مصر (٩٧) . ثم جدد فيه العزيز والحاكم بأمر الله وكذلك المستنصر بالله والخافظ لدين الله الذي أنشأ مقصورة بجوار الباب الغربي وهكذا كان المسجد محل رعاية الأئمة وعنايتهم في العصر الفاطمي فلم يتصرفوا في تجديده والزيادة فيه .

والذي يهمنا الآن هو أن الفاطميين كانوا يشجعون الأطباء واللاهية للتحاقق في هذا المسجد المتيد وانتخروا منه جامعة علمية تعد بحق أقدم جامعة عرفتها التاريخ

(٩٤) د . أحمد مختار العبيدي : في التاريخ العباسي والفاطمي ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٩٥) شحاته عيسى إبراهيم : القاهرة ص ٦٢ .

(٩٦) د . علي حسني الخريوطي : مصر العربية الإسلامية ص ٢٣٥ .

(٩٧) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

على هذا المسجد انضمت الدعوة الفاطمية مكانا لهما بين أماكن أخرى ، ففيه عقد أول اجتماع يصر للاحتفال بعيد الفتح كما أن الفاطميين اتخذوا من المسجد الجامع في الأزهر مركزا من مراكز دعوتهم ومهدوا نفس عليه علوم آل البيت (١٦) .

ولقد شيد الناطليون في القاهرة الأزهر ودار الحكمة لتفريس المذهب الشيعي والدعوة له ، وهما من مآثر الفاطميين ، ولم تكن وظيفة الأزهر مقصورة على التلمذة الجمعة والصلوات الرسمية فحسب . بل إنه كان في أيام الفاطميين رمزا لامة الدولة الجديدة ومركزا لدعوتها . ولذا لبث الأزهر منذ إنشائه محتفظا بهذه السفة ومع ذلك أخذ نامسته مساجد فاطمية أخرى في اقامة الجمعة والصلوات الرسمية .

وكان الأزهر أيام الممزر والعزير والحاكم مركزا لجالس الحكمة الفاطمية لبث الدعوة وتتخذ صورة الدعوة الى قراءة علوم آل البيت والمدنقه فيها وكان يثل فيها النساء (١٧) .

وفي مصر في زمن العزيز كان فيه مجلسان أحدهما للرجال وآخر للنساء . كذلك استقر لتألهما في دار الحكمة أو دار العلم التي أنشأها الحاكم سنة ٢٩٥ هـ / ١٠٠٥ م (١٨) .

وقد بدأ الجامع الأزهر وهو جامع القاهرة يأخذ مكانته ويلعب دوره في التوجيه الفكري فعرفه الناس وراحت جموعهم تتقاطر وتتوافد على رحابه للدرس والمناظرة والوقوف على غوامض الفقه الشيعي وأسرار وأحكامه كذهب له خطورته جساء به غرباء ليرسوا دعائم حكم جديد ودولة جديدة فاضت على دولة خلافة لبث في تاريخ الدين والحضارة والفنوح دورا خطيرا .

مر على قيام جامع القاهرة بهذا الدور الروحي ذي الأثر المخلد قرابة ثلاثة أعوام انتهى خلالها المعز لدين الله رجل البلاغة والمصاحبة والتبحر في العلوم والخبرة بدراسة الفلك وتنقالت النجوم في أبراجها وقد استولت الفرحة على يعقوب بن كلس واذ به يقول ردا على حديث سبده الأول المعزير : لن يكون الأزهر دار علم وتلقيف

(١٣) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٣ .

(١٤) د . عبد الرحمن زكي : الأزهر وما حوله من ثار ص ١١ - ٥٩ - ٦٠ .

(١٥) د . عبد التعم ماجد : الإمام المستنصر بالله الفاطمي ص ٥٦ .

( م ٨ - الحياة التخرية في مصر )

يعرف الناس عن طريقها حقائق مذهبة فقط يا مولاي ، بل سيكون دار دعابة لنا  
تدري قوائم ملكة العريض في قرارات النفوس وبذلك ألب الروح : أن يكون  
الأزهر دار علم وفتوى بل جامعة - جامعة يلوي إليها الطلاب للعلم والمعرفة  
الراغبين في الحياة والطلّامعين في الحصول على المكانة في الدولة الفتية الجديدة التي  
انتشر عليها في الشرق الاسلامي واصبحت قوة روحية وزنية لها اثرها (١٦) .

وضامف انعامه من اكبارهم المثلثة العزيز بعد ان فتح ابواب الجامع الأزهر  
للدروس والخصول وانعقاد حلقات العلم ومساجلات العلماء (١٧) التي جعلت الناس  
يذكرون حلقات جامع عمرو وغيره من المسجود القبري ذات الأثر النافع للمدين  
وجموع المسلمين ، أما رجل الدواة وعقلها الناضج السيد التفكير « أبو الفرج يعقوب  
ابن كلس » فقد وقف طويلاً أمام ما أصليه مشروع من نجاح . لقد أراد رؤوس  
الفاطميين أن يكون الجامع الأزهر مقر دعوتهم المذهبية ولكن بفضل جهود ابن كلس  
أصبح جامعة كبرى لعالم الدين وفي جبلتها علوم الشيعة (١٨) . وهذا خرج الأزهر  
من الهدف الفاطمي الى هدف 'وسع فيه ارضاء لقلبي الرغبات الفكرية والمذاهب  
المختلفة واخط لنفسه بنفسه طريقاً وان لم يكن ملطماً في مجرعه فقد كان شيعياً  
مذهبياً في روحه ومبناه .

ونتيجة للخطوات الواسعة التي خطاها الجامع الأزهر نحو هذه وجد يعقوب  
نفسه يفكر جدياً في أمر ذلك المسجد الذي استفحل الى جامعة اسلامية خطيرة  
الشان ومذارة هادية للعالم والعلماء في مختلف بقاع الارض بل لقد أرادوا المعززين  
دار دعابة مذهبية ورعى من وراء تعميم الدراسة فيه الى تعيق الثقة بأهل البيعت  
ونشر تعاليم الشيعة واستنهم (١٩) .

وكان للأزهر في العصر الفاطمي موارد أخرى كثيرة بالإضافة الى الاحباس (٢٠)  
تشمل الاعطيات ومسال النجوى الذي يؤديه المستمعون للمحاضرات التي يستلقي  
بمجالس الدعوة وكان بعض هذا المال ينفق على الدعابة وبعضه الآخر يخصص

- 
- (١٦) سنية قرآنة : تاريخ الأزهر في ألف علم ص ٩٤ - ١٠١ .  
(١٧) القريزي : المخطط ج ١ ص ٢٧٣ .  
(١٨) القلائدي : صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٦٤ - ٦٥ .  
(١٩) سنية قرآنة : تاريخ الأزهر في ألف علم ص ١٠٨ ، ١٠٩ - ١٢٣ .  
(٢٠) القريزي : المخطط ج ٢ ص ٢٧٢ وما بعدها .

لجامع الأزهر ليوزع على من يحتاجون إليه من الطلاب الذين كان لهم نصيب من المصنفات القومية والمالية التي كان ينفقها بعض الأمراء والكبراء لهم (٢١) . ولم ينقطع هذه الموارد عن الأزهر طوال العصر الناطقي بل لقد توالى الأرزاق والاعطيات الدبنة لأساتذته وملايه (٢٢) .

وظل الأزهر يتمتع برعاية الحكماء الفاطميين وعنايتهم فمدت له الزعامة الثقافية والعلمية والدينية على غيره من الجوامع ومساعد العلم ونكح بما كانوا يظلمونه عليه من زخرف وزينة وما يضاف به في المراسم والأعياد من أنوار ساطعة نور مسجدهم المفضل الذي يخطب فيه الخطبة وتمتد فيه مجالس الدروس وتنتشر به تعليم المذهب الناطقي وينعم فيه الأساتذة والطلاب بالأوراق الوفيرة والهدايا الحسنة ولقد اقتصه الحكام بومنية هي أول وقفة حسنة للأنفاق على هذا المسجد وقف فيها ربع كثير من ممتلكاته من دور مرانيت ومخزن للأنفاق على أبنائه وخدمة أئمنه وعلى عمارته وأصلاحه (٢٣) ؛ لذلك لم يكن غريبا أن يسبح أكبر جامعة إسلامية في الشرق يذأ إليه الطلاب من كل صوبه وحذب يملكون فيه مختلف العلوم الدينية والفلسفية والمطلق وبعض الرياضيات والطب على يد علماء تلك العصر مثل ابن علي مهدي بن الحسن بن الهيثم الذي رحل إلى مصر في زمن الحكام والحدوف أمام العربية والنحو وابن باشا المقتوي سنة ١٦٩ هـ / ١٠٧٦ م وغيرهم من علماء اللغة والدين واللغة العربية ونحوها وصرفها وأدائها (٢٤) .

وتعد الفاطميون من النشأة التي جعلت الأزهر أن يكون جامعة شيعية ولم يدروا أنهم يضعون أسس أكبر جامعة إسلامية سنوية . بل واعتلم قطعة حصينة يذاع منها الإسلام خالصا صحيحا في مشارق الأرض ومغاربها .

وقد تحدث ستانلي بول (٢٥) : عن أثر الأزهر في انتشار الثقافة فقال :  
« كانت الثقافة الأزهرية مثلا طيبا للتعليم الحر الذي يفتح أبوابه للفقراء دون تمييز في الجنس أو اللغة أو الطقعة وليس من السهل أن يفسى المرء منظر الطلاب وقد

(٢١) د . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السني ج ٤ ص ٦١٨ - ٦١٩

(٢٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٣٥ - ٥٣٧ .

(٢٣) المقرئزي : الخطب ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢٤) شخصته عيسى إبراهيم : القاهرة ص ٨٩ -

(٢٥) ستانلي بول : سيرة القاهرة ص ١٣١

التفوا حول أستاذهم واخذوا يتصنون إليه وكان على رؤوسهم الطير أو منظرهم وهم يمشون مقلين مخبرين يستظهرون ما تعلموه من أستاذهم : والواقع أن هؤلاء يمثلون في أذهاننا ما كانت عليه الثقافة العربية في العصور الوسطى حيث الرقبة الساذجة في العام التي لا تقصص في طلبه بقصد للحصول على الجوائز أو اجتناب الامتحانات وذلك ما تنظر إليه الجامعات الغربية (١٣١) .

وكان القاضي أبو الحسن علي بن النعمان أول من تلقى دروسا في الأزهر (١٣١) . وبروي المؤرخ عبد الأليف البغدادي : أنه كان يلقي في الجامع دروسا في الطب كل يوم . وأسهم في التدريس به بحول من العلماء وعلمة الحكماء والأدباء المحدثين ويعتمد نظام التدريس على نظام الحلقات (١٣٢) .

وقد تخرج في هذا المعهد العريق العلماء أمثال الخوف والعلفصندي والمديزي . والكسيوطي والبلتيني الذين اشتهرت على أيديهم الآداب والعلوم وأصبح الأزهر مهدرا للعلم ومثملا للثقافة وكعبة يقصون إليه من كل أنحاء العالم .

وقد ظل الأزهر يغذي الحركة الفكرية وينشر الثقافة العربية ويحافظ على التراث الإسلامي على مر العصور وهو مصدر إشعاع لطلبة وأساتذته في العلم والدين والآداب ومركز النقل الحضاري في كل العصور وقد امتدح الدكتور جرمانوس القاهرة وحياتها في عيدها الألفى بقوله \* لا توجد مدينة في العالم تستطيع أن تلخص بتاريخها العريق كالتاهرة حيث خرجت منها للعالم أئمة وأعظم ثقافة إنسانية وأن تاهرة العصور الوسطى العربية والفارسية لتزهو على العالم بأثارها ومساجدها ومعاهدها العلمية . لقد أعان الأزهر ذو الألف عام كيف استطاع أن يحصل على المعاتب من قرة الانسان وعظمته وتاريخه القاهرة لم يتأخر ولم يتغير وظل دائما تاريخا عربيا اسلاميا لأن في هذه المدينة ولد الأدب العربي وعندما كان القسولوسه في أوروبا يحاولون معرفة القراءة فقط كانت المدن العربية في القاهرة ودمشق وبغداد والاندلس على قدر كبير من المعرفة وبينما كانت المخطوطات اللاتينية في الأديرة المسيحية الأوروبية نعلوها الاترية من أثر عدم استعمالها كانت المكتبات العربية

(١٣١) د . علي حسني الخربوطلي : التعزيز بفتح المثلث ص ١١٨ .

(١٣٢) سنية قراة : مساجد ودول .

(١٣٣) محمد الحسيني عبد العزيز : البهجة الملهية في الخولة الاسلامية ص ٨٩ .



تؤخر بنسخت الأثوف من المخطوطات تقف في خسة طالبي العلم ورافقيه . لقد ترجم علماء العرب علوم الأقدمين من يونان وپرس وهند ونبغ الكبر منهم في علوم الفلسفة والميكانيكا والجبر والظك . حيث لاتزال بعض النجوم تحتفظ باسمائها العربية الأصلية كما طور العرب علم الطب منذ العصر القديم - والتطور العلمي الذي أحرزوه في مجال الكيمياء يسجل بنقز وعظمة الحياة الحرة التي ألقها العرب في أقطارهم .

\* ولا تزال بعض آثار هذه الحضارة العلمية باقية الى الآن فقد خلفنا نلصر نراثنا هلمما هو الجامعة الأزهرية وبيكنا أن نذكر الجهود التي بذلها الفاطميون في أيامهم من نظام الدوام التي بقيت في الأزهر حتى الآن .

وكان من أثر الدعوة الى العلم والعمل والاستزادة من جميع العلوم والآداب أن تلقى نجم الدعاة الفاطميين في مساهم الحركة الثقلبية في مصر وأسسوا على أن يجادلوا خصومهم بأدلة علمية وأن يتخذوا من سعة انقيهم ومداركهم وثقافتهم مجالاً يبرزون فيه غيرهم فلا تعجب إذا كان أحد دعائهم المؤيد في الدين عبدة الله الشيرازي يحرف جميع ألوان العلوم التي كانت معروفة في عصره . واستطاع أن يرد على جميع الفرق الإسلامية وأن يجادل خصومه بأدلة علمية منطوية وأهل ذلك يفسر ما عهد إليه الفاطميون من اتخاذ الجامع الأزهر مركزاً من مراكز ديمونهم ومهدداً تلحق عليه علوم آل البيت (٢٩) .

بيد أن هذه الصلة المذهبية الرسمية التي أصبحت على الجامع الأزهر منذ نشأته لم تكن لتحول دون انتمائه فيما بعد بالسية الجامعة فإن المدرسة لم تكن قد وجدت بعد في مصر الإسلامية وكانت المساجد الجامعة تقوم برسلتها العلمية الى جانب رسالتها الدينية فكان جامع عمرو - أول المساجد الجامعة في مصر - هو أيضا أول معهد تلم فيها للدرس والقراءة .

وكانت هذه التقاليد الجامعية قد غدت صفة لازمة للمساجد الجامعة لا في مصر وحدها ولكن في المشرق في بغداد وفي الأندلس في قرطبة وإشبيلية وغيرها حيث كانت المساجد تؤدي رسالتها العلمية (٣٠) .

(٢٩) د. حسن أحمد محمود وآخرون : في تاريخ مصر في العصور الوسطى والحديثة ص ٧٤ .  
(٣٠) محمد عبد الله عثمان : تاريخ الجامع الأزهر ص ٢٩ .

كما كانت مجالس ابن كلس في الواقع أول مجالس علمية حقيقية عقدت بالجلب الأزهر وكانت تمتاز عن مجالس بنى النعمان بتحررها من القيود الرسمية واتجاهها نحو الغايات العلمية قبل اتجاهها نحو المثل المذهبية (١٢٦) .

وفي عهد التحاكم بأمر الله أنشئ معهد جديد أطلق عليه دار الحكمة أو دار العلم (١٢٦) ولهذه التسمية مخزى يدل على الاتجاه الفلسفي الحر الذي أريد أن يتخذ هذا المعهد أو بالأحرى هذه الجامعة العربية نلتك لأن دار المحكمة كانت جامعة حقة تضم عدة حلقات أو كليات دينية وأدبية والمرحمت للجامعة الجديدة دار كبيرة ملاصقة للقصر الصغير تعرف بدار مختار الصغلى . وقسمت الى عدة أقسام أو مجالس لعلوم القرآن والفقه وعلوم اللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم وغيره وعين لها أقطاب الأساتذة من كل علم ومن (١٢٦) .

وكانت دار الحكمة في ظاهرها جامعة حرة علمية يلتحق بها من يشاء ويدرس ما يشاء من مختلف العلوم والفنون (١٢٦) . ولكن هذا المظهر العلمى لم يكن في الواقع إلا ستارا للفالية الأصلية التي أنشئت دار الحكمة لتحقيقها وهي بث الدعوة الفاطمية بطريقة منظمة تمتزج فيها النظريات والآراء الفلسفية بالأصول والمبادئ المذهبية وتكون إبعاد أثرا في غزو الأذهان والعقائد من مجالس القصر وبذا نجتمع جهود الدعاة في مركز رئيسى يخدم فيه المؤمنون من كل صوب ليقوموا فيما بعد بتسليمهم في حل الدعوة وبثها في سائر المجتمعات والأثناء .

وإذا تتبعنا نشاطها من ناحية علاقتها بسر الحركة العلمية في مصر في القرن الخامس الهجرى وصلته بالدير الذى كان يديره الجامع الأزهر لهذه الحركة ذلك أنه كان لتعليم الجامعة الجديدة أثر كبير في سير الدراسة بالجامع الأزهر وكان مناسبا لتسديد الوطأة لمعهد لم تستقر نظمه ولم تتوطد بعد . ومن لم فقد ركبت حلقات الأزهر يومئذ وانتفض منه كثير من الطلاب والأساتذة الى الجامعة الجديدة وكانت تجذب الأنظار بجفتها وروعها وتصنيفها علومها .

- 
- (١٢٦) محمد عبد الله عثمان : تاريخ الجامع الأزهر ص ٤٢ .  
(١٢٦) المتريزى : الضبط ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٥ .  
(١٢٦) محمد عبد الله عثمان : تاريخ الجامع الأزهر ص ٥٠ .  
(١٢٦) المتريزى : الضبط ج ٢ ص ٢٧٥ .

بيد أنه بلوچ لنا من جهة أخرى أن الأزهر ليث في هذه الفترة بلاذا للمعلوم الدينية في حين عنيت دار الحكمة الى جانب مهنتها في نشر علوم آل البيت بتدريس علوم اللغة والعلب والرياضة والتطقي والفلسفة وما إليها (٣٥) .

ولبثت دار الحكمة مدى ثرون تنقلس الأزهر في مهنته العلمية لكن عصر ازدهارها لم يثل ، فقد اضطريت شؤون هذه الجامعة المذهبية ونثر نسماتها منذ منتصف القرن الخامس الهجري . وتعدت الكثر من أهميتها إيلام الخليفة المستنصر بالله حيث أصيبت الحياة العقلية في مصر الإسلامية بكثير من الاضطراب والاضعف ونكبت مصر بالشدة العظمى وماتت ميف التحط وأوباء في سنة ٤٤٦ هـ / ٤٦٦ م . وشغل المجتمع المصري حينما توالى عليه من الحن والارزاء وشغل الخلفاء ورجال الدولة بالتنازع على السلطان وعجزت الدولة عن الاتفاق على معاهد التعليم لغضوب واردةم وهدمت خزائن الكتب أثناء الفتنة وكانت اتقس واعظم ما عرف العالم الإسلامي .

وكان لهذا الاضطراب انسره في الأزهر ودار الحكمة تركت حركة الدرس والتحصيل تبعاً ليكود الحياة العلمية واضطراب الحياة الخاصة ولكن في اواخر القرن الخامس الهجري بقدم بسدر الجبالي وولده الأفضل شاهنشاه عاد النظم والأمن لبلاد وانتظمت الحياة العامة واستمادت الحياة الفكرية نشاطها بما اسبغ عليها من الرعاية وما بذل للاتفاق على معاهد الدرس من الأموال والأوراق (٣٦) .

وحسبنا ان نشكر حقيقة تلمضية هامة وهي ان الكتب الأولى التي قررت للتدريس بالأزهر هي كتب اشرفت من المصادر المذهبية الرسمية اعنى من اولياء الخلافة الفاطمية ذاتها . وكان لها صيغة رسمية واضحة وكان التدريس بالأزهر يجرى يومئذ على مذهب الشيعة بصفة رسمية وشهدت في ذلك في البداية حتى انه في عهد العزيز بالله فبضج على رجل وجد عنده كتاب الموطأ للإمام مالك وجلده من أجل اهرازه (٣٧) .

وفي سنة ٤١٦ هـ أمر الخليفة الظاهر لامساز دين الله ولده الحاكم بامر ان

(٣٥) محمد بيد الله منان : تاريخ الأزهر ص ٥٥ .

(٣٦) محمد بيد الله منان . تاريخ الجامع الأزهر ص ٥٩ .

(٣٧) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٦١ .

من يترس الدعاة كتاب « دعائم الإسلام » وكتاب « مختصر الوزيد » ورفق لأن يحفظها مالا ، والدعاة هم استاذة دار الحكمة وقد كانوا يجلسون للتدريس بالجامع الأزهر في أحيان كثيرة (٢٨) .

والمرجح أن كثيرا من الكتب الذهبية التي كانت تدرس بدار الحكمة تدرس أيضا بالأزهر .

ومن الأسف أننا لم نعثر على التصوص أو البيانات الأخرى التي تظني ضوءا على أنواع الكتب التي كانت تدرس بالأزهر في هذا العصر في العلوم الأخرى .

بيد أنه يمكن أن يقال أنها كانت تشمل بمسئفات اعلام الاستاذة المعاصرين الذين انتوت اليوم الرياسة في بعض العلوم أو الفنون تولوا التدريس في الأزهر يومئذ مثل العلامة أبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي امام العربية والنحو وصاحب كتاب « أحزاب القرآن » وابن بابشاذ الحنفي القوي صاحب كتاب « المعجم » وشرح الجبل . وابن القطاع صاحب كتاب « الأفعال » وأبي محمد عبد الله بن بدي المصري امام اللغة في عصره وأبي العباس أحمد بن عثمان المحدث والقريء وابن فاسم الرموني الشاطبي امام القراءات وصاحب التفسير الشريفة في علم الفرائد « حرز الأماني في وجه التهاني » وغيرهم ممن انتهت اليهم الرياسة في هذا العصر واعتبرت بمسئفاتهم متونا ومراجع بل لبنت تدرس بالأزهر حتى العصر الأخير (٢٩) .

وهناك من اعلام التفكير والادب في هذا العصر من كانت لهم صلة طيبة بالأزهر فظفوا فراعتهم وتولوا التدريس به ومنهم المسيحي الكاتب والمؤرخ المشهور وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله بن أحمد الخراساني ولد بهيمر سنة ٢٩٦ هـ - وتوفي سنة ٤٢٠ هـ وكان من اقطاب الامراء والعلماء ومنهم أبو عبد الله القضاعي الفقيه والمحدث والمؤرخ وهو محمد بن سلامة بن جعفر ولد في مصر في اواخر القرن الرابع وتوفي بها سنة ٤٥٤ هـ وكان من اقطاب الحديث والفقه الشافعي ومنهم أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي تلميذ القضاعي كان أيضا من ائمة اللغة والنحو وتوفي سنة ٥٠٢ هـ والفقيه العلامة الحسن بن الخطير القزويني كان من اقطاب الفقه الحنفي والتفسير وكان أيضا عالما بالرياضة والطب وعلوم الفقه والتاريخ وله

(٢٨) ابن خلكان : وفيات الاعيان هـ ٢ ح ٢٦٧ .

(٢٩) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ص ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ .

مصنفات فيها استغل زمتا طويلا بالفتريس بالأزهر - توفي سنة ٥٩٨ هـ .

وهن كل هذا نستفتح ان الجامع الأزهر كان منارة يطل منها على العالم في زمن الفاطميين ودوى حسيته في الخلفين حتى بعد المساطيين ، ولذلك عمروس الفاطميون شجرة وارمة الظلال تعدا المسلمون في ظلال جامعوها الا وهو الجامع الأزهر الذي كان ولا يزال بحمل زاية الاسلام والعروبة النابض بروح الفاطميين عبر الالام السفين ، ميرا عن جهودهم المعظية في بناء الجامع الأزهر الذي كان يمثل الحياة الفكرية ، فقد اثر فيها وتأثر بها .

## القصر كرس للحياة الفكرية

لقد كثفت قصور الخلفاء السلاطين ووزرائهم مراكز للحياة الفكرية في مصر وامتدى العلماء يتجادلون ويتناقشون وكان الخلفاء الغاطليسون ووزرائهم سبائقيين الى اتخاذ مجالس المناظرات (١) . فقد خصصوا لماكن في قصورهم لتعقد هذه المجالس بل وحضروا المناظرات بأنفسهم واشترك بهم من غيرها وكانت هذه المنوالت حلقزا على البحث العلمي وعاملا في التقدم والازدهار الذي حدث في أيام المعز والمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمعتسر وكانت مساهمة الخلفاء ورجال الدولة في الحركة الفكرية ذات اثر واضح وكانت مجالس العلم بيدنا لتنافس العلماء الذين يريدون التحلوة لدى الخلفاء أو لمن يريدون تسفل المتاصب أو الممل كبريين ومعلمين لإبقاء للخلفاء الذين اختاروا أفضل العلماء لرعاية أبنائهم والاشراف على تعليمهم وتربيتهم ، وكان الخلفاء الغاطليسون يجلسون العلماء حيث افضروا انفسهم حياة للعلم ومساهل للمعرفة . كما كان بلاط الغاطليين يروج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والادب والشعر والالباء والفلاسفة الذين استخدمهم تشجيع الخلفاء لهم من جهات متعددة من العلم وتسيبهم جميعا بعناية موهبا كانت مساريهم او جنسياتهم وكثيرا ما اخذ الخليفة المعز نفسه نورا رفيقا في المناظرات التي كانت تدور في مجلسه واسهبت هذه المجالس في حركة التقدم العلمي وشهدت هم العلماء والمتناظرين من البحث والجدل ومحاولة اثبات رأيهم بالمنيل المتبع (٢) .

ولم تقتصر مجالس العلم على قصور الخلفاء بل كانت هناك ندوات تعقد في قصور الوزراء وخاصة ابن كلث والامير شهاب بن بدر الجمالي حيث تعقد الندوات (٣) .

وكان المر على درحة كبيرة من الثقافة والعلم فهو يجيد عدة لغات منها

(١) القرظي : الخطوط ١ ص ٤٦ .

١٢١ المرجع السابق .

(٢) محمد الحسيني : عبد العزيز : الحياة العلمية في النولة العربية الإسلامية

ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

اللغة التليانية التي تعلبها في صباء بجزيرة صقلية وهذه هي البيئة التي نشأ فيها المعز قصر يحل بالعلماء والأدباء دأب على التزود بالمعالم والنتائج ويحرص على اتقان اللغات الأجنبية (٤) .

وكان للخلفاء الفاطميين بالمشاهرة وظواهرها تصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقي الذي وضعه القائد جوهر (٥) . عندما أتاح في موضع المشاهرة ومنها القصر الصغير الغربي والقصر اليلقي وقصر الذهب وقصر الأتبال وقصر الظاهر ، وقصر الشجرة ، وقصر الشوك ، وقصر الزمرد ، وقصر بقال له القصر الزاهر ، وقصر النسيم ، وقصر الخريم ، وقصر البحر . وهذه كلها قطاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير وتسمى مجموعها القصر وكان بجوار القصر الغربي الميدان والبيستان الكاوي يمكن لهم عدة مناظر ودور سلطانية في هذه القصور منها دار للضيفة ودار لأوزار القديمة ودار للضرب والمظرة بالجامع الأزهر (٦) .

أما قاعة الذهب فكان يقال لها قصر الذهب وهي إحدى قاعات القصر الذي هو مقر المعز لدين الله الفاطمي وقد جدد الخليفة المستنصر هذا القصر في سنة ٤٢٨ وفي هذه الساحة كان الخلفاء يجاسون في الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس ، وكان يعمل بها مسماط شهر رمضان للأمرء ومسماط العبيد (٧) .

وكذلك اتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة الشيعية خاصة والحقوا بها مكتبات تحتوي على مئات من المصنفات غنرى بمكتبة القصر الشرقي عندا من الرموف يقسمها إلى أقسام لكل قسم منها باب . وهذه المكتبة على ما رواه المفريزي تحتوي على مائتي ألف مجلد عدا الكتب الأخرى في اللغة العربية والتاريخ والحديث والسيرة والفلك والكيمياء هذا عدا المصاحف ومجموعة ابن البواب (٨) .

(٤) د. علي حسني الخردوطلبي : المعز لدين الله الفاطمي ص ١٤ .

(٥) ابن خلدون : الاتصار ج ٤ ص ٥٦ وما بعدها .

(٦) المفريزي : الخطط ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٧) المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٨) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٢٤ نقلاً عن المفريزي -

الخطط ج ١ ص ٤٠٩ .

وقد بلغ من عنابة الفلوطيين بنشر عقائد مذهبهم أنهم فتحوا أبواب قصورهم  
لأنصارهم من الإسماعيلية وأصبح داعي الدعوة يشرف على مجلس الدعوة —  
وقد أسندت رئاسة الدعوة إلى داعي الدعوة وكثيرا ما كان يشغل منصب  
آخر وهو منصب تلاميذ القضاة في نفس الوقت (٩) .

كما كانت تصور الخلافة ومساجدها مكانا يتلقى فيها الإسماعيلية أصول  
مذهبهم عن طريق المنشورات والكتب (١٠) .

فقد أعد المعز والعزير في قصر الخلافة مجلسا يلقي فيه محاضرات في أصول  
المذهب الإسماعيلي على يد علي بن النعمان وأخيه محمد بن النعمان الذي قام  
بتدريس هذه الأئمة الإسماعيلية في الجامع الأزهر (١١) . كما كان علي بن النعمان  
بمطالع بأعباء داعي الدعوة في عهد المعز لدين الله الفاطمي وكان فاضل الكفاية  
يلقى الوزير في الرتبة ورتبته تعلو داعي الدعوة وكان بعض قضاة الإسماعيلية  
يجمعون بين المنصبين وما يدل على صحة هذا القول أنه إذا انعقد مجلس الملك  
في قاعة الذهب بقصر الخليفة — وأخذ زمام النصر ومدايح بيت المال والحجاب  
أمكنهم عند الأبواب وأخذ غيرهم أمكنهم المختصة لهم أخذ الأنساء في تقديم  
ما ينبغي تقديمه للخليفة (١٢) .

وقد خصص لداعي الدعوة مكان بقصر الخليفة يشرف منه على مجلس  
الدعوة وتكر الدعوة فيتصل بالدعاة ويزودهم بتعليماته (١٣) .

وشملت القصور في افتتاح الكتب فكان في كل قصر مكتبة تحوي عشرات  
الألوف من كتب الفقه والأدب . . . الخ (١٤) . وما من قصر من قصور الملك في  
المشرق والمغرب عسى في ذلك العصر بهل ما عبرت به القصور الفاطمية من

---

(٩) وزارة الأوقاف : الأزهر وتاريخه وتطوره ص ٢٤ ب ٢٥ .  
(١٠) د. حسن إبراهيم : المعز لدين الله الفاطمي ص ١ .  
(١١) أبو المحاسن : النجوم للزاهرة ج ٢ ص ٢١٤ .  
(١٢) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : تاريخ الأزهر وتطوره ص ٢٦ .  
(١٣) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ٤٢٩ — ٤٣١ .  
(١٤) المقريزي : الكحلط ج ١ ص ٤٠٩ — ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١  
ص ٢٥٧ .



للتشعراء والأدباء مما من رجليه أنجبه العلم الأسلاى لم يفتخ من مصر مقسما  
لو مزارا في تلك الأيام .

وفي العصر كانت تعدد مجالس المناظرات تحت اشراف الخليفة ووزرائه  
وبعضور العلماء والأدباء وكبار رجال دولته فيتلظر العلماء في مختلف المسائل  
وفي نهاية المناظرة ينهض الشعراء فينشدون القصائد ويقارون في مدح الخليفة  
والاشادة بيمجد آباءه واجداده ولا غرو اذا وفد على مصر كثير من الشعراء من  
مختلف الأقطار يسمون إلى مجلس الخليفة ينشدون عطاء وينشون كرمه ،  
من هؤلاء أبو حنيد الأتلاكي محمد بن القاسم بن عاصم وأبو الحسن على بن  
عبد الواحد البغدادي المعروف بصريح الولاة ، وأبو الحسن على بن نويخت ،  
وعبد الوهاب بن نصر الأتلاكي ، وفد مدح ابن هاشم الأندلسي المعز لدين الله  
بقوله (١٦٦) .

ما سمعت لا ما شامت الإقرار فاهكم غانت الواحد التمسار

ونجد انه بعد أن كان الشعراء يعيشون على الهبات فقط ، فقد أصبحوا  
موظفين يتناولون مرتبات ثابتة : ففى القولة الفاطمية مثلا كان الشعراء يكونون  
طبقة متميزة في قصر الخليفة الفاطمي (١٦٧) .

وامتد الخليفة العزيز بالله في بلوغ اغراضه في نشر المذهب الشيعي على  
الشعراء والأدباء والعلماء وكبار الموظفين فأصبحوا نساينا نطقا بما يريد العزيز  
ولذلك أصبح القصر في عصر العزيز بالله كما كان في عصر ابيه المعز لدين الله مركزا  
من مراكز الدعوة الفاطمية وكان قصر العزيز مزودا بمكتبة كبيرة تهوى كثيرا من  
الكتب الخاصة بالدعوة وسمح لهامة الناس بالاطلاع على كتبها (١٦٨) .

وقد خصص مكان خاص في قصر الخليفة هي دار العلم لداعي الدعوة . .

وكذلك كانت الدعوة تعقد في أماكن متعددة لا في مكان واحد مثلا كان  
العمل في عهد العزيز . غانت تقرا في مكانين بقصر الخليفة : واحد للرجال في

(١٥) عباس مصمود العقاد : عاطية الزهراء والفاطميون ص ١٥٤ - ١٥٦ .

(١٦) شحاته عيسى إبراهيم - القاهرة ص ٩١ .

(١٧) د. عبد المذم ناجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٩٧ .

(١٨) د. علي حسني الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي ص ٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ .

العمالة ذات الأعباء « الفيلان » والفانى لنفسه في نواقى خالص اسمه المحون الذي وصفنا على انه اعظم البائى وأوسعها (١٩) . وهذا المحول يشبهه قاعة المحاضرات العامة في عصرنا الحديث وكان يؤمه الخاصة وشيوخ الدولة وخدم القصر العطارون على مصر وعامة الناس (٢٠) .

ويروى عنه المسيحي أن عدة الخزائن التى يرسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة بعضها داخل القصر لا يتوصل إليها أحد ومضها في خزائن القصر البرانية وهذه المكتبات التى عبر عنها المسيحي « بالبرانية » فارجح أنها كانت كالمكتبات العامة في عصرنا هذا ولا سيما في تلك الأيام التى كان يجتمع فيها الناس بالقصر لسماح مجالس الحكمة التأويلية . وكانت هذه الخزائن تشتمل على مجلدات في كل فن من فنون العلوم الإسلامية من لغة في سائر المذاهب الى نحو ولغة وكتب حديثة وتاريخ ونجامة وروحانيات وكتبها غير المصاحف الكثيرة . ويقال أن العزيز بالله ذكر هذه كتاب العين بخط الخليل نفسه ، وحصل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بثلاثة دينار لمير خلزنه فأخرج من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة منها نسخة بخط ابن جرير (٢١) .

حقا لم يذكر لنا اللدباء أن الساطعيين استخدموا هذه المكتبات التى كانت بالقصر في خدمة الدعوة . فلم يعقد فيها الدعاة مجالس الحكمة ولكن هذه الكتب الكثيرة لم توجد في القصر مينا . ولم يحافظ عليها الساطعيون ليساهروا بها غيرهم ومنتسبيهم فحسبه بل كانت أداة من أدوات تنقيف الدعاة وتعليمهم حتى تكون لديهم ذخيرة غنية للتيام بما تعرضه عليهم طبيعة عملهم ولا سيما هذه الكتب التى كانت في داخل القصر والتي لا يقرؤها الا الخاصة وهى الكتب التى قلنا انها كتب الأئمة أى كتب الدعوة (٢٢) .

وهكذا كانت خزانة كتب القصر (٢٢) ولعلنا نستطيع ان نترك في هذه اللوحة

- 
- (١٩) د . د . عبد المتعم باجد : الحاكم المقتدى عليه ص ٨٠ .  
(٢٠) الفانى الثممان : المجالس والمسائرات ج ٢ ص ١٢٣ - ١٣٤ هـ .  
(٢١) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٧ تتلوا عن المقرئى الخطط ج ٢ ص ٢٥٣ .  
(٢٢) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الباطنية ص ٣٠ .  
(٢٣) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٣٦٥ .

العصيرة مدى عناية الخلفاء الفاطميين بليقتهاء الكتب في كل من وحرصهم على أن تجيع خزائهم الطرائف والتفاسير في كسل علم وهن وذلك تشجيعاً منهم للعلماء ، حتى ينسئ لدعاتهم أن يكاسروا خصومهم بأدلة علمية وإن يتخذوا من سعة لغتهم ومداركهم وثقافتهم مجالاً يجلون فيه حتى يبرزوا غيرهم . فلا تعجب أن رأينا داعياً من دعائهم مثل حبة الله الشيرازي المعروف بالمؤيد (٢٤) .

ويؤوه المسيحي مؤرخ الدولة الفاطمية بإقبال الكفاة على الاستماع لهذه الدروس والجلسات الذهبية فيقول لنا انه في ربيع الأول سنة ٣٨٥ هـ جلس القاضي محمد بن النعمان بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد فمات من الزحام أحد عشر رجلاً . (٢٥) فكفهم المزيز بالله .

بد أن هذه الدعاية الذهبية الظاهرة التي بدأت في مسورة الدروس المفتحة الذهبية وهي دروس كان يطلق عليها مجالس الحكمة فكانت سبباً لدموية أخرى بعيدة المدى ؛ كانت تصاط بنوع من التحفظ والتقم هي الدعوة الفاطمية السرية التي كانت الخلافة الفاطمية تجد في بنها وسيلة لغزو الأذهان المستترة ، وحشدتها في حظيرتها الذهبية والدينية والسياسية وكان من عناية الخلافة الفاطمية بتنظيم هذه الدعوة وبينها أن كانت قمة مجالس أخرى تمتد بالقصر لبعض الهيئات والطبقات المتلذذة من أولياء الذهب ورجال الدولة والقصر ونساء الحرم الخاص وتعرض فيها الدعوة الفاطمية على يد دعاة تفتقروا في درسها وعرضها وكان تلقين هذه الدعوة هو أخطر مهمة يقوم بها الدعاة بل كان في الواقع أهم غاية يراد تحقيقها وكان الداعي يشرف على هذه المجالس جليماً إما بنفسه أو بواسطة نقيبائه وفوايه ويرتفع الدعاة بالخاصة المستنيرين إلى مراتبها وأسرارها العليا (٢٦) .

تلك الدعوة السرية الفاطمية التي كانت تلقى على الأولياء والمؤمنين في مجالس القصر الفاطمي ثم بجامعة دار الحكمة أنها لم تكن سوى دعوة فلسفية حرة صيغت بنظمي الذكاء والاهلرة ونظمت مراتبها الذهبية بدفة مدهشة تنم عن براعة أولئك الذين ساقوها وفاق نهمهم للفنسية الكافة وتدل على أنهم كانوا كلمة عصرهم (٢٧) .

(٢٤) د . محمد كاهل حسين : في أدب مصر الفاطمية من ٢٧ .

(٢٥) محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطوط من ١٢٧ .

(٢٦) المرجع السابق من ١٢٧ .

(٢٧) محمد هبة الله عنان : المصاحم بلمر الله من ٢٨٠ .

وتم وجه الفاطميون في عهد العزيز اهتمامهم إلى بث عقائد المذهب الشيعي وأصبحت كل أمور الدولة في أيدي الشيعة (٢٨١) وتمتد أولها الفاضليون كثيرا من العناية فتمتدوا لها المجالس في القصور والمنتجعات والمساجد .

وفي عصر الحاكم بأمر الله اتخذت مجالس الحكمة أهمية خاصة ونقلت في معهد رسمي خاص يعمل لبث الدعوة الفاطمية السرية ، ويكون مركز الوحي والتوجيه وقد يبدو غريبا أن تتخذ الخلافة الفاطمية هذه الخطوة الجريئة على يد الحاكم بأمر الله فكانت ظروف العصر واتساع نطاق الدعوة واضطرار الحركة المذهبية بين الخلافة الفاطمية وخصومها مما يدعو لقيام هذا المعهد ، ليشراف بطريقة منظمة تدعيمها الرعاية الرسمية على بث الدعوة الفاطمية وتوجيهها هذا المعهد الفريد في صحف الدعوات السرية هو دار الحكمة المصرية أو دار العلم التي أنشأها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ (٢٩٩) .

وهي كانت الفاطميين تلك الدار التي أنشأها المسلمم بأمر الله وسماها بدار العلم وجعلها جزءا من قصره ولعلها الخزان التي أشار إليها المسيحي باسم الخزان البرانية وتمتد حول التي هذه الدار الكتب من خزائن القصر من سائر العلوم والآداب ما لم ير مثله مجتمعا لأحد قط ، من الملوك (٣٠٨) .

وقد جعل الحاكم النظر على دار العلم إلى عبد العزيز بن محمد بن النعمان الذي القضاة (٣١١) . وظلت تؤدي أغراضها العلمية ويقتل علما الطلاب والعلماء من كل صوب وحديب (٣٢٦) .

وبها يكن من شيء ملخص ودار العلم كانت من أبرز مراكز الدعوة في العصر الفاطمي وكانت الدعوة في مصر ظاهرة مكتسبة تؤيدها الدولة بلها وسلاحها (٣٣٢) . ولقد جاء قيام دار الحكمة متوجها لهذه السبيل التقليدية في العمل على بث

(٢٨١) د - حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ١٥١ - ٢٠٤ .

(٢٩٩) محمد عبد الله عزان : الحاكم بأمر الله ص ٢٦٢ .

(٣٠٠) د - محمد كامل حسين : في أدب عصر الفاطمية ص ٢٠ .

(٣١١) الكندي : الولاية والقضاة ص ٦٠ .

(٣٢٦) د - محمد كامل حسين : في أدب عصر الفاطمية ص ٢١ .

(٣٣٢) د - محمد كامل حسين : في أدب عصر الفاطمية ص ٢٢ .

الدعوة السرية ومع أن مجلس القصر العتيق تم اعيدت ثمر مرة ثمان دار الحكمة استمرت عصرا في تامة رسالتها الخطيرة ، نيك العقائد الفاطمية والهادية الضخية والظاهرة وكانت جهودها السرية اخطر واتسدت اثرها في توجيه الحركة الروحية في مصر . بيد انها لم توفق كثيرا الى تحقيق الغاية التي عملت لها . ولم تستطع بالأخص أن تطبع الجذيع المرعى بظابع عميق من التكررة المذهبية التي كانت مستقوها وبيعها . وقد كانت مجلس القصر ودار الحكمة بيلا ربب من اقوى هذه الوسائل واسطعها (٢٤) .

وكانت دار العلم ائسبه بخلية نجل داخل حرم القصر الكبير حيث كان المقتنون على اخلاص آرائهم بجنهمون ويفالشنون في أي موضوع شاعوا تقديم مكتبة قديمة (٢٥) .

اما الجاوسات فهي أيضا من رسوم القصر الفاطمي ونماني استقبالات الخليفة التي تقام اسبوعيا في القصر ويحضرها أهل مصر بسائر طبقاتهم : الوزراء والقتاب والمفضاة والتقياء والقواد والأجناد وأعيان المائة إذ كان من عسادة أهل مصر أن يسلموا على الخليفة بيدي الاثني والخميس وهو ما عرف بالجاوس العلم .

وكان الجاوس يعقد في القصر الكبير في الابوان وهو القاعة ذات الاعيدة وار كان المستنصر وبما يعقده في قاعة اخرى باسم القصر تعرف بقاعة الذهب أو قصر الذهب بناها العزيز وحدث في أول عهد المستنصر سنة ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م (٢٦) .

كما كان للوزراء لصور هي مراكز اشماع فكري وخاصة عند الوزير يعقوب بن كلس الذي كان يشجع العلوم والفنون (٢٧) وأنه كان يجمع الاجتماعات الكبيرة في بيته في كل يوم خميس ويقرأ على المجتمعين مؤلفاته وكان يحضر هذه الاجتماعات العلماء والفقهاء واسلذة الثراءات والمفضاة وعلماء الحديث وكبار رجال الدولة واصحاب المواهب الميئزة وكان يتقدم اليه الثعراء حين يفتون الاجتماع فينتسدونته معانكهم ورجال ابن كلس في قصره جمعاة من الثعراء والائمة وعين لهم الروايع الخاصة وكل الدم اقامة الصلاة في المسجد الذي بناه في هذا القصر (٢٨) . وهكذا فقد كانت قسور الخلفاء والوزراء مراكز فكرية للعلم والعلماء .

١٢٤١ محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٢٩٦ ، ٢٩٢ .

(٢٥) سنانلي لينبول : مسرة القاهرة ص ١٣٨ .

(٢٦) د . د . عبد الله ماجد : الامام المستنصر بالله ص ٤٨ .

(٢٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٤٤١ .

(٢٨) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٦ .

( م ٩ الصهاة الفكرية في مصر ) .

## مجالس الدعوة القاطمية في القصور والمساجد

كانت مراكز الثقافة في مصر متعددة ومتنوعة وكان كسمل مركز منها يقوم بدوره الخاص في نشر الثقافة الإسلامية وكثير منها كان مشهورا برعاية الحكام ونوى القراء وأشهر تلك المراكز المسجد الجامع وكان أهم مركز ثقافي في تلك الفترة فكسان من أشهر الجوامع في مصر جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون وجامع الأزهر (١).

ولقد رتب القاطميون لدعوتهم نظما دقيقا حكما لا أكاد أجده له مثيلا في تاريخ الدول والدعوات (٢) ، حتى في عصرنا هذا الذي عرف فيه للدعاية قسرها ومكانتها . ولعل القاطميين هم أول من أقام للدعاية مناصب رسمية في دولتهم (٣) . ومن الحق علينا أن نذكر أنه كان للعباسيين نقباء يدعون لهم قبل أن يستولوا على الحكم ولكن هؤلاء النقباء لم يظهر لهم شأن بعد أن تم الأمر للعباسيين وكان للمعتزلة دعاء يدعون لأنهم في الأقطار الإسلامية ولكن المعتزلة لم يكن لهم كيان سياسي ولم تكن لهم دولة لها حكومتها .

أما القاطميون فكان لهم نظم ادعوتهم قبل ظهور دولتهم على مسرح السياسة وبعد ظهورها . بل لا تزال هذه النظم قائمة إلى اليوم بين من ورث دعوتهم وهم المعروفون بالجمهرة والمعروفون بالاسماعيلية الاغاثية (٤) .

فالامم يختار من شيعته اقوامهم لسانا واصدقهم جنانا والحنتم بالحجة وأغزهم علما فيجعله في مرتبة داعي الدهاء أو باب الأيوان (٥) . وهذه المرتبة أعلى مراتب الدعوة لأنها على مرتبة الامام مباشرة من الناحية المذهبية فهو الملك لجماعة الحجج والدعاة واليه الاشراف على الدعوة في جميع الاقطار . وقد حدد القاطميون الصفات التي يجب أن تتوافر في الداعي تلخصها في سعة العلم والثقافة وشدة

(١) د . أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر من ٦٥ - ٦٦ .

(٢) أنظر كتّاب ( عباد الدين ادريس ) للككتور على حسني الخربوطلي .

(٣) المقرئزي : المعامل الحنفا ج ١ ص ٢٧ .

(٤) د . محمد كمال حسين : في أئمة مصر القاطمية من ١٩ - نكتور على حسني

الخربوطلي - عباد الدين ادريس ص ٤٥ وما بعدها .

(٥) المقرئزي : الخطة ج ١ ص ٣٦٢ وما بعدها .

التقوى والورع والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية وأن يكون حسن السياسة يمنع  
أن يتصل بهم ولا سيما اتباعه وأن أهم أعمال دامي الدعوة هو عقد مجالس الحكمة  
التأويلية لقراء علوم آل البيت على جمهور المؤمنين لتتخذت مراكز للثناء هذه المجالس  
التأويلية ولعل أهم هذه المراكز هي المساجد والقصور ودائر العلم (١٦) .

وكانت الدعوة تقام في كل المساجد في طول دولتهم وهرغها وقد أحصيت في  
مصر وحدها نوجد مدها ستة وثلاثين ألف مسجد (١٧) . وأخذت الدعوة الفاطمية  
على وسائل لم يسبقها اليه سابق . ومنها نسخير العلم والعلم والتفنن والفلسفة والتخصص  
في نشر الدعوة الظاهرة والأخفية ومنها الأسمانة بالجماعات المسرية وترتيب  
الأدوار المنظمة (١٨) لاتباع سياسة بعد أخرى ومنها الأواكب والاراسم والحاصل  
والاعباد والعادات الاجتماعية (١٩) وكانت لها آثار على الدعوة ولا تزال معها إركان  
الملك من تشييد المدن وتنظيم النواوين وترتيب الرقب وتدريب الجيوش وبناء  
الأساطيل وفتح المدارس والجامعات وتزويدها بالكتبات وتشويق الناس إليها  
بمجالس المحاضرة والمناظرة في أيام محدودة يشهد بها الرجال والنساء ، فقيام الدولة  
الفاطمية في الواقع تهلج لقيام الدول بالدول والحيلة (٢٠) .

وأم يكن أياض على بناء الجوامع منذ الوقت منحسورا على الأضراف الدينية  
وحدها بل كان ذلك راجعا أيضا لأسباب سياسية واجتماعية وكانت هذه الأكتة  
وأمثالها تستخدم منذ ظهور الإسلام لاجتماع العلماء فيها ، كما اتخذها علماء  
التفسير والحديث مقرا لهم . ولما لم يكن من الممكن الفصل بين السياسة والدولة  
والدين وكان الجامع المكان الذي تذاق فيه الأخبار الهامة التي تتماق بالمسالم  
العلم (٢١) .

بعد ذلك استخدمت المساجد معاهد للتعليم بطرق نزيها الأبطال اللغة العربية  
وأسول الدين ومن الأمثلة الصالفة على ذلك الجامع الأزهر الذي كان مركزا  
للتعليم الإسلامية تروفا عدة ولا تزال شهرته باقية الى اليوم . وقد أقيمت صلاة

- 
- (١٦) محمد كامل حسين : في أئمة مصر الفاطمية ص ٢١ - ٢٣ .  
(١٧) د . عبد المنعم هاشم : الأمام المستنصر الفاطمي ص ٥٧ .  
(١٨) أبو الحسن : الفجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٥ وما بعدها .  
(١٩) المقرئ : الخطوط ج ١ ص ١٤٩ .  
(٢٠) عباس محمود العقيل : فاطمة الزهراء والفاطميون ص ٦٥ - ٦٦ .  
(٢١) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٧٢ .

الجمعة في المسجد العتيق وقد خطب فيه المعز في التاسع عشر من شعبان سنة ٣٥١ هـ = ٩٦٩ م بعد استيلاء جوهر على القسطنطينية بأبام قلابة . وبذلك تحققت الفكرة التي كانت ترمى الي بث الدعوة القاطمية باسم الفاطميين (١٢) .

وفي يوم الجمعة الثامن عشر من ذى القعدة في السنة نفسها دعا الخطيب لال البيت وزاد في الخطبة العبارة الآتية : « اللهم صل على كل بحمد الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا . اللهم صل على الأئمة الراشدين آباء أمر المؤمنين المهديين » . . . . . تطورت الدعوة القاطمية في جامع ابن طولون وقد ودمج هذا التطور في الدعوة الشيعية في أيام الفاطميين بما طرأ عليها من زيادات . بل أدخل المؤمنون على الأذان عبارة « حي على خير العمل » وهي العبارات التي يشار بها الأذان عند الشيعة وإن تم زيدت هذه العبارة في الأذان في مساجد العمارة ومنها انتظمت إلى جامع عمرو في شهر جصدي الأولى من السنة نفسها (١٣) .

وكانت هذه الأمور كلها مما أرضت جوهرًا فبصحت للمعز بزره إليه هذه الأتساء وقد حضر الصلاة في جامع ابن طولون (١٤) .

وفي خلافة المعز تطورت الدعوة القاطمية تطورا مظهرها فقد أمر الخليفة على إثر وصوله إلى مصر بنقش العبارة الآتية على جدران مصر القديمة وهي عبارة : « خير الناس بعد رسول الله أمر المؤمنين على بن أبي طالب » .

كما كان بناء مسجد الجامع الأزهر بجمع فيه المسلمون للجمعة وهذا ما كانت ترمى إليه سياسة أمراء المسلمين وخاصة عند تأسيسهم عاصمة جديدة ، وأقيمت الصلاة فيه أول مرة في اليوم السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (١٥) .

وكانت الدعوة الشيعية في المساجد الأخرى حيث أسس مسجد الحاكم الخليفة العزيز أبو الحاكم سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م (١٦) تحت إشراف وزيره يعقوب ابن كلثوم وقد وضع أسسه العزيز في العاشر من شهر رمضان من هذه السنة

(١٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة القاطمية ص ٣٧٠ .

(١٣) المرجع السابق ص ٣٧٦ .

(١٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ .

(١٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٠٠ - المقريزي : الخطط ج ٢

ص ٢٧١ .

(١٦) المقريزي : الخطط ج ١ ص ٤٥٧ - أهل المصانف : النجوم الزاهية ج ٤

ص ١٨٥ .



خارج باب الفتوح ولكنه أصبح داخل القاهرة بعد أن وسع بدر الجبلى هذه المدينة وكفل بناء هذا المسجد وانتقلت إليه قراءة القرآن بعد أن كانت مقصورة على الجامع الأزهر فكان يطلق عليه جامع الخطبة . ويحدثنا المقرئ (١٧) عن المسيحي أن الخليفة العزيز صلى الجمعة وخطب في هذا المسجد في الرابع عشر من رمضان سنة ٣٨١ هـ وذلك قبل أن يتم بناؤه وسار في ركابه ذلك اليوم ثلاثة آلاف وعليه طيلسان وبيده سواجان وزاد المسيحي أن الحاكم أمر في سنة ٣٩٢ هـ / ٩٠٥ م ببناء هذا الجامع فتم ذلك سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م وصلّى فيه الحاكم صلاة الجمعة وهي أول صلاة أقيمت فيه بعد الفراغ من بنائه وفي سنة ٤٠٢ هـ حبس الحاكم عليه الأوقاف مع ما وقفه على المساجد الأخرى فخصه بشيء القدر (١٨) .

ولقد أتت هذه الدعوة الشيعية مُدبرتها في عهد المستنصر بحيث بين المؤرخون تجاهها يقولهم أن المصريين أنبلوا عليها رجالا ونساء وأصبح المذهب السنّي قريبا ومثل هذا المنجساح في الدعوة الفاطمية لم يفكر نأى خليفة سابق من ذلك كانت نتائجها السياسية هائلة وقد كان هديفا العمل على الطعن في أعدائها السنين ولاسيما في العراق والى استمالة رعاياهم بالانتماء اليهم ليقرّدوا الصراع في بلادهم فهيدا لسيادة الفاطمية الفاطمي على جميع المسلمين (١٩) . وقد جر ذلك إلى قيام قضاء العراق السنين بالرد على الدعوة الفاطمية أظهرهم الفقيه الفزالي سنة ٥٠٥ هـ الذي ألف كتابا سماه فضيلح الباطنية اتهم فيه الفاطميين بأبطل الشرائع وأيد شرعية الخليفة العراني السنّي .

ولابد لنا أن نقر أنه على الرغم من الحماس للدعوة في عهد المستنصر فان الدولة في هذه لم تكن تجبر اصدا على اعتناقها أو أنها تعصبت ضد المذاهب الأخرى (٢٠) .

وتد . يسل دعاء الفاطميين على ترويج المذهب السنّي (٢١) بين السنين

(١٧) المقرئ : المخطوط ج ٢ ص ٢٧٧ .

(١٨) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٧٧ .

(١٩) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٥ - ١٦ - المقرئ : المخطوط

ج ١ ص ٤٧ .

(٢٠) د . عبد المنعم ماجد : الامام المستنصر الفاطمي ص ٦٢ - ٦٤ .

(٢١) لفاطميين دعوة عنتية يذيعونها بين الناس ولهم تعاليم سرية ياتنونها

للخلة من الجماعة .

والإسماعيليين بحيث يرضى هؤلاء ولا يثر سخط المستنير .

ومما يلفت للنظر أن المؤرخين قد تصدقوا لهذه التغيرات الذهبية أما الدعوة السرية فلم يتناولها أحد بالبحث بل أن المؤرخين يكادون يجمعون على أن دراسة عقائد المذهب الإسماعيلي وأصوله لم تبدأ إلا في أواخر عهد الخليفة العزيز بالله ، وفدا الدعاء الفاطميون يتناولونها بالبحث والدراسة (٢٢) .

لها عن نظام الدعوة فكان دأبى الدعاء شخصية رسمية تحتل منصباً كبيراً في الدولة إذ كان من عمله هو ومعاونوه أن يحولوا كل موظف في مصر بل وفي الأناطورية إلى نصر أو تابع لمعتقد الدولة الجديدة (٢٣) .

فالخليفة الفاطمي بنفسه يعين الدعاء ويكلفهم بنشر العقيدة (٢٤) التي بشرحها لهم وهو وحده المسئول عن صحتها فيقوم الدعاء بتقديم التفسير أو التاويل للنص القرآني إلى الإمام قبل قرأته على المستجدين أو على الخطيبين في مجالس الدعوة . أو في المساجد فإذا فال مراقبته وضع عليه علامة فيصبح الكلام الذي يلقى يتدسا غير قابل للتبديل أو التغيير . وأحياناً أخرى كان الإمام يرتب في نفسه محاضرات أو مجالس يلقيها بنفسه ويدعو العلماء إلى تكليف الكتب عن عقائد المذهب الفاطمي (٢٥) .

فقد طلب المعز من النعمان الإطلاع على العلوم الخاصة بأهل البيت والتأكد من صحة النصوص التي تنقل عنه . فكان النعمان في مؤلفاته عن الأئمة دائم الخوف من أن يرتكب غلطاً وكان المعز يراجع بعناية جميع المؤلفات التي تقدم إليه كذلك كان على الإمام أن يقوم بإجابه الجهاد ضد الكفار وهو فرض صريح في العقيدة الفاطمية (٢٦) .

وفي الجبهة كان الأئمة الفاطميون يميلون إلى الاحتفاظ بظهورهم كرؤساء للدين لكثير منهم خلفاء فهم قبل كل شيء زعماء المذهب الفاطمي إحدى تفرق الشيعة

(٢٢) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٤ .

(٢٣) د . عبد النعم مآجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ١ ص ١١٠ .

(٢٤) القرظي : الخطط ج ١ ص ٣٩ وما بعدها .

(٢٥) د . عبد النعم مآجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ١ ص ٦٧ .

(٢٦) أنظر مقدمة رسالة امتناع الدعوة للقاضي النعمان ، فادكتور و داد القاضي .

فكان الامام يشترك في كل الاعياد الدينية والشعبية على الخصوص فيخرج في حفل رسمي للصلاة بالناس وللخطبة في الجمعة (٢٧) . فهذا في رأي ناصر خسرو كان من شأنه ان يعلى مرتبة الامام .

ويدل على مدى الاهتمام بالدعوة اننا سمعنا عن دعاه في جميع انحاء البلاد المصرية حتى في القلزم على البحر الاحمر اما في خارج مصر فكان بيدان تسيطر الدعاء واسع المدى ينقسم الى اثنا عشر جزائر جمع جزيرة تشتمل على املاك الناطليين وبلاد الاعداء في المذهب وفي بلاد خارج دار الاسلام . ويبلغ عدد هذه الجزائر اثني عشرة تبدو موزعة على اساس جغرافي او جنسي وهي المغرب والبربر والزنج والحكسة والحزر والصين والنديم ، ابي العربي ، والروم والهند ، والافغانستان الصافية ، والسند والصقالية (٢٨) .

وقد خصص للدعوة زمن الحاكم (٢٩) في اول الامر يومان في الاسبوع لم يصبح ثلاثة ايام فكان لعامة الرجال يوم الاحد وللنساء يوم الاربعةاء وللانثرف وذوي الاقدار يوم الثلاثاء ولكن يبدو ان الدعوة اصبحت تعقد كل يوم فكان مجلس للخاصة ومجلس للموظفين ورجال اتقصر ومجلس لعامة الناس ومجلس للطائرين على البلد ومجلس لعامة الناس ومجلس لحريم اتقصر حتى ان مؤلف كتاب غلبه المواليذ يقول بان المراد الشيعية قد تصيح داعية يضاهي ذلك انه كان يدعى الى مجالس الدعوة في مصر من بلاد الاعضاء رجال معروفون او من يمر بها من الطائرين بقصد جعلهم دعاء لتعقيده الناطبية في بلادهم وادوات طيبة لخدمة افراس للسياسة الناطبية العالمية وان كانوا في نفس الوقت من الشيعة المختمين فكانت هذه الدعوة الواسعة تحتاج الى عقد مجالس عديدة لتغذية هذا العدد الكبير من الرافيين فيها بعقائدها (٣٠) .

وتوق ذلك فقد اسس الحاكم عدة جوامع منها : جامع المسوية بجامع الحاكم او الجليلق الاثور او الجامع الكبير او جامع الخطبة (٣١) وكان يمسد انثىء

(٢٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٤٦ .  
(٢٨) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم المتفرد عليه ص ٧٩ .  
(٢٩) ابن خلكان : وفيات الاميان ج ٢ ص ٢٦٥ - المتريزي : الخطوط ج ١ ص ٤٥٧ .  
(٣٠) د . عبد المنعم ماجد : الحاكم المتفرد عليه ص ٧٩ : ٨٠ .  
(٣١) ابو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٦ - ١٨٧ - المتريزي : الخطوط ج ١ ص ٤٥٦ .

خارج سور القاهرة في عهد العزيز الذي توفي قبل انبثاقه ، فأمر الحاكم باتمامه واستمر بناؤه زهاء عشر سنين إلى سنة ٢٩٣ هـ / ١٠٠٢ م - ١٠٠٣ م ومنها جامع رائدة الذي كان في الأصل كنيسة على النمط البيزنطي ، تحولت إلى جامع سنة ٢٩٢ هـ / ١٠٠٢ م وقد صحح علي بن يونس الفلكي المسحور قبلته (٢٧) . وربما عرف بجامع رائدة على اسم ثبيلة رائدة التي نزلت موضعه إبان الفتح العربي أو على اسم الكنيسة أو على اسم مئة الحاكم رائده بنت المعز التي نوبت في أيام الحاكم وخلفت ثروة هائلة ومنها جامع القسي الذي أنشئ على النيل (٢٧٧) . وقد أحصيت الجوامع في مصر فكانت تفوق العدد الذي ذكرناه سابقا فكل من مسجد الحاكم يحل إليه التتليل والتفايز والمصاحف والبخور والستور والحصر والانساء الخلسة بشهر رمضان في مواكب سمجة يهلل الناس فيها ويكبرون لميردوني لا حول ولا قوة الا بالله والله أكبر ه (٢٩) .

حسب ان الدولة الفاطمية كانت تشكل بفتحة الدموع وتنفق عليها الأموال الطائلة .

أما عن مجالس الدعوة الفاطمية في القصور فقد أسعدان الفاطميون في نشر مذهبهم بالدعاة الذين كانوا يمجونهم في جيوشهم لبث الدعاية باسمهم وكانت الدعوة للمذهب الفاطمي وبعد انتج تذاق على يد داعي الدعاة ، وكان من كبار الموظفين وقد خصص له المنز مكانا في قصره (٣٥) .

وكان داعي الدعاة بمتد المجالس في مكاتب كبيرين من قصر الخليفة فكل من يجلس على كرسي الدعوة في المجلس وهو اصطلاح فاطمي يطلق على الكراسي التي تكتب فيها نصوص الدعوة لتلقى على المرادين المؤمنين بالمذهب الفاطمي وكان داعي الدعاة يعتقد هذه المجالس ويوقع عليها الخليفة لاعتماده ثم تدفع إلى الدعاة لتلاوتها في الأيام المحددة لذلك وكانت المجالس تملأ في محتوياتها تبعا لتساوت من تكتب لهم رجالا أو نساء ، ومؤمن من الغدباء أو مرادين من المستجدين (٣٦) . ويبدأ

(٢٧) التفتشدي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٤٩٩ وما بعدها .

(٢٨) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ص ٥٢ .

(٢٩) د . عبد النعم ماجد : الحاكم المقتدى عليه ص ٨٠ .

(٣٥) د . طي إبراهيم : جوامع المسلمين ص ٦٢ .

(٣٦) المقرئزي : اتعاطف الخلفاء ج ٣ ص ١٢ .

بمخاضة الرجال ثم يعقد للنساء مجلسا خاصا يعرف بمجلس الداعي وهو المحول  
فبمجلس الداعي في القصر الذي تخصص لنشاط الدعاة الرسميين القاطنين بالقاهرة  
ويعرف بقصر البحر ويدخل إليه من باب الريح وبابه من باب البحر . كما كان الداعي  
يصلى بالناس في رواقه في أثناء الاجتماعات . وما يروى عن نشاط الدعاة فيه أن  
القاضي محمد بن الفهمان جلس على كرسي بالقصر لقراءة عظيم آل البيت على  
الرسم المعتاد له ولاخيه بمصر وهكذا كان النشاط الدعائي المدعوم يشرف عليه داعي  
الدعاة الذي تلى برئته القاضي العنقاء ومن هذه الشخصيات ابن سلامة أبو الفتح  
عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوى المعروف بالمجلس قاضي القضاة وداعي  
الدماء (١٧٦) . فكان داعي الدعاة يحاضر الناس ويلغتهم المذهب الشيعي في المكاتب  
السابقين فاذا فرغ من القاء محاضراته على الحاضرين ساروا إليه لتقبل يده .  
فيسمح على رؤوسهم بالجزء الذي عليه امضاء الخليفة كما كان داعي الدعاة يجتمع  
النجوى من الاسماعيلية وهي ثلاثة وتلاثون بينا را فيعملى رقعة شجاة بتوقيع  
الخليفة وفيها هذه العبارة « بارك الله عليك وفي مالك وولدك ودينك » . وجمعي  
النجوى من الاسماعيلية يتم في أثناء انعقاد هذه المجالس (١٧٨) . كما ان انتقال  
النعمان في عهد المعز لدين الله القاطن قد اضطلع بأعباء داعي الدماء الذي قد اتم  
بتدريس لغة الائمة الاسماعيلية في اجتماع الأزهر (١٧٩) .

كما أعد قصر الخلافة مجلسا يلتقى فيه القضاة المحاضرات في اصول  
المذهب الاسماعيلي في زمن المعز والمعز حتى اذا انعقد مجلس الملك في غامبة  
انذهب بقصر الخليفة وأخذ الأئمة في تقديم من يتبعي تدبيره للخليفة فكان الوزير  
أول من يقوم الى الخليفة فيحيى أمير المؤمنين بلثم يديه ويلف رداه . فيأذن له  
لخليفة بوسادة وجلس عليها الى جانب الخليفة اليمين . ثم وتلوه قاضي القضاة  
بالتوبيخ من الخليفة ويحييه « برفع يده اليمنى ويشتمر بسببخته قائلا « السلام  
عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » وبهذا ينجز على سائر أعضاء  
المجلس اغراما بهرزه الديني الرنيع ثم يسمح بزماء العلوات المختلفة بشجاة

(٢٧) القريري : المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٦٨ - ٢٩٨ .

(٢٨) المصدر السابق ص ٢٩١ ج ١ .

(٢٩) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوراته ص ٢٦ .

(٣٠) القلقشندي : مبيح الأعشى ج ٢ ص ٤٩٨ - ٥٠٠ .

الخليفة باسم جهاتهم (٤٠) . وإذا خرج الخليفة من الجامع بعد الصلاة —  
الوزير عن يمينه وسار القاضى عن يساره يتبعه داعى الدعوة (٤١) .

وقد بلغ من اهتمام الفاطميين بنشر عقائد مذهبهم أنهم عتقوا أبواب مصورهم  
لأنصارهم من الإسماعيلية (٤٢) .

لهذا نجد ان الخليفة العزيز بالله قد اعتمد في بلوغ اغراضه في نشر المذهب  
التسمي على الشعراء والأدباء والعلماء وكبار الموظفين فاصبحوا لمسائنا ناطقا  
بما يريد الخليفة العزيز بالله (٤٣) .

وكان القصر مركزاً من مراكز الدعوة الفاطمية في عهدي المعز والعزيز حيث  
تولى امر الدعوة الاسماعيليه فيها موظف كبير يسمى داعى الدعوة وحدد له مكان  
خاص في قصر الخليفة هي دار العلم (٤٤) .

وكان داعى الدعوة يدسلم كتب الدعوة التي تقرا على الناس في القصر من  
سلجة المباشرة اما هذه الكتب فتد للها علماء مشهورون من أمثال ابي حنيفة  
النعيمان المغربي وبيعتوب بن كلثوم وزير الخليفة العزيز (٤٥) . لقد الخليفة العزيز  
ناضى انضمام محمد بن النعمان منسب الدعوة الى المذهب الفاطمي في انصر كما  
كان اخوه الحسين يتولى الدعوة في القاهرة . وكان قصر العزيز بالله مزودا  
بكمية كبيرة نحوي كثيرا من كتب الدعوة الفاطمية (٤٦) وسمح لعامة الناس  
بالاطلاع على كتبها كما اعتمد الخليفة على بيت النعمان في نشر الدعوة الفاطمية  
وكان ابو حنيفة النعمان اول من اسس الدعوة الاسماعيليه في معهد الخليفة  
المعز (٤٧) .

كما اتخذ الفاطميون في مصر من مساجدهم ومصورهم مراكز انشر العقائد

(٤١) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ١٦ - ٢٧ .

(٤٢) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٠ .

(٤٣) د. على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمي ص ٤٥ .

(٤٤) المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٤٥) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧٧ - لبيبول : سيرة القاهرة ص ٧٠ .

(٤٦) اللطائفى : صبح الأعشى ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٤٧) د. على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمي ص ١٥٧ .

الشيعة خاصة وهي تدل على ذكولهم ومهارتهم فانهم الحقوا بها مكتبات نحصوي على مئات الألوف من الكتب ( من المستفاد ) ( ٤٨ ) .

ومن ثم رغب الفاطميون في الحصول على أكبر عدد من الكتب ابتغاء نشر تعاليم مذهبهم وقد حمل المهدي معه على ما ذهب ابن الأثير ( ٤٩ ) : من سلبية جميع الكتب والوثائق التي كانت لإبائه .

ولهذا نرجح أن المعز قد حمل معه إلى مصر عددا عظيما من الكتب التي كانت في مكتبته الخاصة بالقيروان مع ما حمله من الأتقال عند رحيله إلى هذه البلاد وقد ظلت هذه المكتبة مفتوحة يفتتح الجمهور بما فيها من الكتب إلى سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م حيث أمر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي بإغلاقها ( ٥٠ ) . إذ نرى أنه ان رجلين بمنزلة عائد الطائفة المرومية بالديلمية اثني بدين اشيعاها بمذهب السنة الثلاثة وهي : المشائعي والحنفي والمالكي ، يترددان على هذا المكان وان كثيرين من الناس أسفوا اليها واعتقدوا هذا المذهب . وقد أعقب هذا المذهب شيخان من الأئمة الحنكيين في القصر ( ٥١ ) .

لهذا وذلك أمر الأفضل بإغلاق هذه المكتبة لأن وجودها أصبح لا يلقى والفرس الذي انتسنت من أجله وهو يت عقائد المذهب الشيعي لا غير وكانت نتيجة ذلك أن قتل نفر من دانوا بعقائد المذهب وبعد وفاة الأفضل أصغر الخليفة ( سنة ٩٥ هـ / ٥٢٤ م - ١١٠١ م / ١١٢٠ م ) بأمر بإعادة دار العلم إلى ما كانت عليه ( ٥٢ ) .

وفي عصر الحاكم بأمر الله اتخذت مجالس الحكمة أهمية خاصة ونظمت في معهد رسمي خاص يعمل لبث الدعوة الفاطمية السرية وقد انشئ هذا المعهد المعروف بدار العلم داخل حرم القصر الكبير حيث كان المثقفون على اختلاف آرائهم

( ٤٨ ) د . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السلسي ج ١ ص ٤٢١ .

( ٤٩ ) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٤ .

( ٥٠ ) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٢٦ وما بعدها - ابن خلدون : المعبر ج ٤

ص ٦٦ .

( ٥١ ) السيوطي : حسن الحاضرة ج ٢ ص ١٤ - ١٧ .

( ٥٢ ) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

يجتمعون ويتناقشون في أي موضوع شاسعوا تفتديهم مكتبة قهسة (٥٤) ويكون مركز الوحى والتوجيه (دار العظم) . وقد يبدو غريباً أن نأخذ الخلافة الفاطمية هذه الخطوة الجريئة على يد الحاكم بأمر الله (٥٤١) .

وحقيقة أن مجالس الدعوة التي كانت سعة بالانصور كانت من أعم المجالس وأوفرها سرية وتكتماً وأرقاها من حيث مسنرى الطوائف التي تشهدا حتى كان تيسام دار الحكمة متوجا أهذه السيلسة وقد كانت مجالس القصر ودار الحكمة بلا ريب أنوى هذه الوسائل وأسطمها . وذلك لأنها تحتوي على انضمام مخالفة « فسمم لأركان الكريم وعلوم الدين » وسمم نعلوم النحو واللغة ، وسمم للمطب « (٥٥) .

وهكذا كان التعليم في هذه الجامعة الكبرى على نلضة الدولة وكان أمر الإتراف عليها وعلى سير الدراسة بها موكالا إلى رجل عظيم من كبارها هو داعى الدعوة رطلى قاشى اقتضات باثرة (٥٦) .

وهما يكن من شيء فلا شك أنه كان في التشر وفي دار العلم مجسومة عنلية من الكتب الغرض منها تعضيد نشر عقائد الفاطميين وتثنيها الناس . ولا فرو غتد على الفاطميين عنابة خاصة بلزدياد عدد الكتب والجصول على المنسوخ المفردة النادرة كما قلنا حتى أخرج لمكتبة القصر في القاهرة أن تنفس ونيز غيراً من المكتبات في العالم الإسلامي .

على أن تدياع هذه المجالس جعل من التسديد أن لم يكن من المستحيل على الباطنيين في تاريخ التساديين في مصر أن يننوا وقونا دقيقا قنا على تاريخ الإمبراطورية النمامية العظيمة غالاويويون التسانيون الغلاة مع الفين كانوا أهدا . الأداء للتسيسة لم يحاولوا القضاء على التسعائر التسيمية تسحب بل عظموا على إزالة كل معالم الحضارة الفاطمية (٥٧) .

رغد رأينا أن فنحدث عن تسير علماء الدعوة الفاطمية نتذكر مفهوم التساضي

- 
- (٥٢) سننأى بول : سيرة القاهرة ص ١٢٨ .  
 (٥٤) محمد عبد الله منان : الحاكم بأمر الله ص ٢٦٢ - ٢٦٢ .  
 (٥٥) المعريزى : الخط ج ١ ص ٢٦٦ .  
 (٥٦) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٧٦ .  
 (٥٧) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٨١ - ٢٨٢ .



أبو حنيفة وهو النعمان بن محمد بن منصور أبو حنيفة بن عمران التميمي (٥٨) ويقول القريزي هر في الأصل « انقاضي أبو حنيفة محمد بن النعمان محمد وهو غير صحيح ولكن هو القاضي أبو حنيفة النعمان ولم يكن محمد بن أسبلة بل محمد ابنه » .

وقد اختلفت المراجع في ذكر ولادته والمراجع انه ولد في العشر الآخر من القرن الثالث وتوفى سنة ٢٦٢ هـ / ٩٧٤ م بالقاهرة وبمصر في تاريخ الدعوة الناطقية باسم القاضي النعمان تمييزاً له عن أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب النفس المعروف وكان مقوماً كبيراً واتصل بذلاء الغاطيين منذ قيام الدولة واتى مصر بسحبة الخنز . وولي بنا القضاة بكسرية مع أبي القاهر الذهلي الذي كان ولي القضاة قبل الفتح الإسلامي وتلقب النعمان لقب الشريعة الأكبر وهو الذي دون عنه الاسماعيلية في كتاب كثيرة أهمها كتاب « دعائم الاسلام » الذي نشره لأول مرة في القاهرة ولا زال هذا الكتاب مهتم بالثقة البهية بالمت (٥٩) .

والقاضي النعمان من أركان الدعوة الناطقية ومذهبهم مصر وكان والدهم العثم بالله والقوانين والأدب والتاريخ من أهل القيروان مولداً ومعتقاً تلقه بمذهب المالكية وتحويل إلى مذهب الإبليزية : صادر الهدى والتكم والتصور والخنز منشور القاهرة وخدمهم وقدم مع المزمع إلى مصر وهو كبير قضائه . وقال ابن حجر أيضاً في كتبه ما يدل على الدلائل عقيده له : « اختلاف أصول المذهب » برد فيه على أدلة الاجتهاد وينصر الاسماعيلية وكان الخليفة الظاهر قد أمر الدعاء بخض الناس على كتاب دعائم الاسلام وفكر الخلاك والحرث (٦٠) ، وجعل ان يحفظه مكانة وله « مختصر » وشاويل دعائم الاسلام في جزئين وينسب قربة المؤمن كما ان للقاضي النعمان من المؤلفات الكثيرة تخص بالذكر منها كتاب « المجلس والمسائرات » و « أخبار الحديث » و « افتتاح الدعوة » الذي سماه ابتداء الدعوة لغطاطيين بالمفسوب و « التوبة في اتباع الأئمة » و « مختصر الآثار فيما روى عن الأئمة الاطهار » وهو متداول الآن بين طائفة البهية ، و « أسس الناويل الباطن والمنتاب والمثالب » وردود على بعض الأئمة « كالشاهي ومالك وأبي حنيفة » وشرح

(٥٨) القريزي : الختلط ج ١ ص ٤٧٥ .

(٥٩) القريزي : اتباط الحنفا ج ١ ص ٢١٥ .

(٦٠) أبو المعالي : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٢ .

الإخبار في فضائل النبي المختار وآله المعظمين الأخيار \* والمنتخبة قصيدة في  
المقاه ٢ . وقال الذهبي : كنية كبار مطولة وكان وافر الصنعة عظيم الخربة في  
أولاده قضاء وكبراء (٦١) .

ولما توفي العزيز وخلفه ابنه الحاكم أمر ابن خديون على القضاء وبسط  
وركب إلى داره يوم ولماته وصلى عليه ووقف على دفنه (٦٢) .

وقد جلس في ربيع الأول سنة ٣٨٥ هـ التماسي محمد بن النعمان على كرسي  
بالصر لقراءة علوم كل البيت وحضره الناس فمات من الزحام أحد عشر  
رحلا (٦٣) .

ولد تبيع القاضي النعمان في مجال القضاء والفكر حتى أنه لما ذوى المعز  
الإمامة فاستتت صلاة النعمان به حتى أنه كان يجالسه ويسايره وقتل أن  
بغارته ووضع النعمان كتابه المجالس والمسائرات جمع فيه كل ما رآه وما سمعه  
من إمامة المعز . ولما رحل المعز من أترقبة إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ اصطحب به  
بنو النعمان وكان النعمان إذ ذاك قاضي الجيش (٦٤) . وكان من الطبيعي أن يظل  
النعمان قضاء مصر ولكن المعز بعد أن استقر بمصر ترك القضاء لأبي طاهر  
الذهلي محمد بن أحمد الذي كان على قضاء مصر منذ سنة ٣٤٨ هـ وطلبه إلى  
أبي طاهر أن يحكم بفتحه الفاطميين فكان لابد للقاضي من أن يسترشد في أحكامه  
القاضي النعمان وما زال كذلك حتى توفي سنة ٣٦٣ هـ (٦٥) .

فلد أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان القضاء إلى ما بيده من  
النظر في المظالم وخلع عليه وقتل سببا محلي بذهب وحسب على بغلة وبين يديه  
سبع نسياب (٦٦) .

كما خاطب المعز على بين النعمان بالقضاء وأذن له في النظر في الأحكام فجاس  
في داره ومسجده ونظر في الأحكام . قال ابن زولاق : « حضر على بن النعمان

(٦١) خير الدين الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٨ .

(٦٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٦٣) المقرئزي : أتعاط الحنفا ج ١ ص ٣٨٥ .

(٦٤) المقرئزي : الخطوط ج ٢ ص ١٤٦ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢

ص ٢٠٠ .

(٦٥) د. محمد كامل حسين : في أمم مصر الفاطمية ص ٤٤ .

(٦٦) المقرئزي : أتعاط الحنفا ج ٢ ص ٥٥ .

الغاضي جامع القاهرة ( الجامع الأزهر ) وأما مختصر أبيه في الفقه عن أهل البيت ، ويصرف هذا المختصر « بالاختصار » وكان جمعا عظيما (٦٧) . وقد نبغ من أسرة بني النعمان عدد كبير من العلماء والفهاء تولوا جميعا القضاء وثولوا بعضهم الدعوة بالقاهرة وتركوا اثرا كبيرا في الحياة العقلية بصر في العصر الفاطمي قرابة قرن من الزمان (٦٨) .

وانلك كانت أسرة النعمان من كان لهم اثر في الحياة العقلية والسياسية وكذلك كان بنو النعمان اساتذة مدرسة المذهب الفاطمي بصر كما كان بشو النعمان في مكانة لا تقربها مكانة أخرى لدى ائمة الناطيين وقد أسس أسرة النعمان رجل عرف أنه من أشعر فقهاء المذاهب الفاطمي ومن أكثرهم دلغا لأدب وتعد مؤلفاته من الأبيس التي تبعها من جاء بعده من علماء هذا المذهب بل لا تزال بعض كتبه الى اليوم من أهم الكتب وأقومها لدى طائفة البهرة الاسماعيلية . هذا الرجل هو النفاضي أبو حفصة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن حيون التجيبي المغربي (٦٩) .

ومن برز من أصلهم الدعوة الفاطمية في العصر الفاطمي هو المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي المسلماني أبو نصر المؤيد في الدين داعي الدعوة من زعماء الانسماءولية وكتابها ولد وتعلم بشيراز . ثم له التمام بدعوة الفاطميين فيها واضلر الى مغادرتها فخرج متنكرا الى الاهواز سنة ٤٣٦ هـ واتمام مدة في حلة منصور وتوجه الى مصر فخدم المنتصر الفاطمي في ديوان الانشاء وتقدم الى ان صار اليه أمر الدعوة الفاطمية سنة ٤٥٠ هـ ولقب بداعي الدعوة وياب الأيووب (٧٠) ثم نجى وأبعد الى الشام وعاد الى مصر متوفى فيها من ثلثين عاما وصلى عليه المنتصر لما نسبته الى سلمان الفارسي قيل هو من نسبه وقيل بل رثته عند الاسماعيلية كرقية سلمان وكانت بينه وبين ابن العلاء المعري رسالة حوالي سنة ٤٢٩ هـ في موضوع اكل النبات نشرها المستشرق مرجيلوت

(٦٧) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٧ .

(٦٨) المغربي : اتماظ الحنقا ج ١ ص ٢١٥ .

(٦٩) د. محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٤٢ - نكتسور على

جسني الشربوطلي من عماد الدين أنريسي المؤرخ والداعي الفاطمي ص ١١٠ .

(٧٠) أبو المحاسن : المنجوم القاهرة ج ٥ ص ١٥ وما بعدها ؛ المغربي : الخطوط

ج ١ ص ٤١٠ .

في مجموعة الجمعية الملكية الإسسيوية سنة ١٩٠٢ م وكانت رغبة الاستشرق  
الانجليزي أن يعرف عنه شيئاً فخطاه التوفيق واكتفى بذكر اسمه دون حيلته .

تبارك من أن المؤيد لم يكن مصري المولد والنشأة فقد وفد على مصر وأقام  
بها زهاء ثلاثين عاماً واستمع له جمهرة من المصريين اختلفوا عنه علوم الدعوة فأثري  
الحياة العقلية المصرية بمبادئه التي كلن ينادي بها وفي مصر أخذ عنه مالك قاضي  
الصلحيين باليمن انتقلت عن مصر علوم الدعوة إلى الدين واصبح البيانيون يدينون  
بالولاء للمؤيد بالاستفادة في علوم الدعوة . وفي مصر أنشد المؤيد أكثر قصائد  
ديوانه والتي مجالسه التي بلغت الثمانمائة مجالس (٧١) .

وقد كان المؤيد من الذين من أكر علاء عصره وتدلنا كتبه التي وصلت إلينا  
على أنه كان واسع الثقافة ولما أتاه بها تارها بصيغ المطبوع التي عرفت في العالم  
الإسلامي إذ ذلك توى الحجة في مناظراته وجداله مع مخالفيه . وقد صدق  
في العلاء المصري حين وصفه بقوله : « .. وبتنا الوثيق الأعلى المؤيد في الدين  
لا زالت حججه باهرة ودولته عليية .. » وأما نظمه لرسائله لجمال إن يندبه أو  
بلاطون لتبذ حججه خلفه » (٧٢) .

ويكنى أن فنظر إلى مناظرات المؤيد مع المصري لتدرك كيف كلن شامخ المعرفة  
وتبرها من هذه المناظرة وأنه كان يفتش قوة منطق المؤيد وحجته مع لصاحة بيانه .  
فاعترف له بالتفوق في الجدل وأنه ورث علم الأولين (٧٣) .

والمؤيد في الدين داعي الدعوة هو العالم الذي بلغت علوم الدعوة الفروخ على  
يديه فمن مؤلفاته لو نسائيه : السيرة المؤيدية بلسم مسرة المؤيد في الدين  
داعي الدعوة وفيها كثير من أخباره ومجرومة لشعاره - ديوان المؤيد في السنين  
وله بالفارسية - أساس التأويل ترجمه عن العربية وأسنه للخاني النعمان (٧٤)  
وهو تأويل تصم الأتبياء . وكتاب تأويل الأرواح وكتاب نهج العبادة وكتاب المسألة  
والجواب وكتاب شرح المعاد ويعتبر المؤيد أستاذ الدعوة في اليمن والهند . كما  
يعد أستاذ ناصر خسرو الشاعر الفارسي المعروف . فقد ذكره ناصر في أشعاره  
ووصف مجالسه (٧٥) .

(٧١) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر العظيمة ص ٥٩ - ٦٠ .

(٧٢) معجم الأدياء : ليالوت الحصري ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٧٣) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر العظيمة ص ٦٤ .

(٧٤) خير الدين الزركلي : الإعلام ج ٩ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٧٥) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر العظيمة ص ٥٤ - ٦٥ .

وهكذا كان للويد أثر في الحياة السياسية والمثالية والأدبية . ويعتبر  
اعتوب ابن كلس من اشهر علماء الدعوة الفاطمية الذين كان لهم اثر في الحياة  
العقلية ببصر ، كان مولده ببنداد من أسرة يهودية ثم أسلم ، عمل في الدولة  
الاخشابية ثم هرب (٧٩) ، بن كافور وعاد مع جيوش العزيز لدين الله الفاطمي فولاء  
العزيز النظر في جميع أموره في قصره ، وبعد قليل تولى العزيز نفوس العزيز بالله  
يعتوب النظر في سائر أموره وجعله وزيراً له سنة ٣٦٧ هـ فكان ابن كلس أول  
وزير في الدولة الفاطمية (٧٧) .

وقد عكف ابن كلس على الفرس والبحث فتعقب في الدين الاسلامي حتى  
اصبح عالماً من اعلام الدعوة الفاطمية فقد كان محباً للعلم والعلماء مشجعاً ان طلب  
العلم يفتق المنح والمطايا للكتاب والشعراء وكانت داره تنعم بالنساج والكتب  
نمنهم من نسخ القرآن الكريم والحديث والفتى وبتأوين ويشملون من مؤلفات ابن  
كلس : كتاب في القراءات ، كتاب علم الأبدان ومسلحتها ، كتاب في الأديان وهو  
في الفقه ، مختصر الفقه وهو المعروف بالرسالة الوزيرية ، كتاب في آداب  
الرسول (٧٨) صلى الله عليه وسلم . لكن ابن كلس قد تولى سنة ٣٨٠ هـ حيث  
اجتمع الناس فيما بين القصر وداره لفتحيه الي مقره الأخير . ولبس أدل على  
حب العزيز لابن كلس من ان قال له : « وحدثك أنك تباع مايتباعك بهالي او تعدي  
نمديك بولدي » (٧٩) .

أما حميد بن عبد الله الكرماني حميد الدين وباعب بحجة العرائين من دعاة  
الاسماعيلية وكتابهم كان داعي الدعوة للحاكم يأمر الله الفاطمي في مصر والمستول  
في أيامه عن الدعوة في المشرق وهو يخالف غلاة الاسماعيلية الذين أصبحوا دروزاً .  
ومن مؤلفاته : مجموعة رسائل تبلغ ثلاث عشرة رسالة أهمها : الرسالة التاسعة ،  
اسمها « مباسم البشارت بالامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين » ، والعاشرة  
واسمها « الواعظة في الرد على الفرغاني والأجدع » ، والحادية عشرة واسمها  
« الكافية في الرد على الهلواني الحسن » . ومن أعظم كتبه « واحة العنسل »  
في مجلد (٨٠) .

(٧٦) المقريزي ج ٢ ص ٧ — الخطط ج ٣ .

(٧٧) د . محمد كابل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٥٥ .

(٧٨) د . محمد كابل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٥٦ — ٥٧ .

(٧٩) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٩ .

(٨٠) خير الدين الزركلي : الإسلام ج ١ ص ١٤٩ .

( م ١٠ — الحياة الفكرية في مصر )

## دور أهل السنة في مصر في الحياة الفكرية

وهنا نعرض لموضوع ذكر فيه اختلاف الكتاب منذ العصر الفاطمي إلى الآن ، فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن الفاطميين كانوا شديدى التعصب لمذهبهم الدينى ونظروا في عصبيتهم حتى أنهم أكرهوا الناس على اعتناق عقيدتهم رهبة لا رغبة وانهم في سبيل ذلك اضطهدوا علماء مذهب أهل السنة بل افنواهم تقريبا (١) .

ويقول السيوطى : ان الفاطميين افنوا من كل بصر من ثمة المذاهب الثلاثة : اى الشافعية والمالكية والحنفية قتلا ونفيها وتشريدا واقبلوا مذهب الرضى والشيعية . وذهب البعض الآخر من المؤرخين الحديثين إلى أن الفاطميين كانوا أهل تسامح ورفق بالرعية وان جوهر الصلح أعطى الأمان للمصريين بان يقبلوا المذهب الدينى الذى يرتضونه ولا اكراه في الدين وبلغ من تسامح الفاطميين إلى أن استخيموا في أكبر وظائف الدولة من لم يكن مسلما (٢) . فكان من الوزراء والقواب في الأقاليم وكتاب دار الإنشاء من كل مسجدا او يهوديا . أما الاضطهاد الذى حاق بأهل السنة فقد كان في أيام الحاكم بأمر الله الذى عرف بالانقلاب في سياسته وحكمائه (٣) .

ومما يؤكد هذا أننا اذا نظرنا في كتب التاريخ رأينا عددا كبيرا من علماء أهل السنة كانوا يمشون في مصر الفاطمية ويلغون تعاليمهم على جمهور المسلمين تحت بصير رجال الدولة الفاطمية ودماء دعوتهم ترون أن يسهم سوء . فمن علماء مذهب الشافعى القاضى أبو الفضل محمد بن احمد بن عيسى البغدادى نزيل مصر فقد أبلى بها وانفاد حتى توفي سنة ٤٤١ هـ (٤) وأبو القاسم نصر بن بشر بن على فقد كان فقيها محققا ومناظرا ميرزا وتوفى سنة ٤٧٧ هـ هو القاضى أبو الحسن على بن الحسين الموملى الخلعى المولود بمصر سنة ٤٠٥ هـ وكان فقيها مشهورا له

(١) د . محمد كابل حسين : في لب مصر الفاطمية ص ٦٩ - ١٠٠ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٧٤ .

(٣) مقر : الحضارة الإسلامية ج ١ ص ٩٠ - ٩١ .

(٤) د . محمد كابل حسين : في لب مصر الفاطمية ص ١٠٠ .

نصائفة وروايات متسمة وكان أعلى أهل مصر أسفادا وجبج له أبو نصر أحمد أبي الحسن الثمري عشرين جزءا وخرجها عنه وسماها النظمات وبالرغم من أنه كان شافعي المذهب فقد ولاء الفاطميين سنة ٤٠٥ هـ ولكنه استقال بعد يوم واحد ومات ببصر سنة ٤٩٢ هـ - وينسب إليه مسجد الخلفى بالقاهرة وكان والده أيضا من فقهاء الشافعية توفى ببصر سنة ٤٤٨ هـ (٥) .

ومن فقهاء الشافعية في ذلك العصر أبو الفتح سابطان بن إبراهيم بن مسلم المقدسي الذي تلم عنه الحافظ السلفى كان من أمته الفقهاء ببصر وقرا عليه أكثرهم . واد بالقدس سنة ٤٤٢ هـ وتلقه على الشيخ نصر المقدسي ثم سفل مصر فنزل بها الى أن توفى سنة ٥١٨ هـ (٦) وكذلك عن أبي الحججاج يوسف بن عبد العزيز بن علي البورقي الذي اتخذ الإسكندرية موطنًا له وصنف تعلقته في الخلاف بين الفقهاء وهو أحد الذين روي عنهم الحافظ السلفى وتوفى بالإسكندرية سنة ٥٢٢ هـ وبمجلس ابن جبير بن نجا المخرومي المصري صاحب كتاب الخصال تعلقه على سلطان المقدسي ويرى في لغة الشافعي حتى صار من كبار الأئمة وتلقه عليه جماعة منهم الصرافى شارح الذهب وبالرغم من تذهبه بمذهب يخالف مذهب أولى البلاد فقد ولي القضاء سنة ٥٤٧ هـ . وتلقب في القضاء عابدين ومات سنة ٥٥٠ هـ ومن نصائفه كتاب أدب القضاء وكتاب الجهر بالبسطة (٧) .

وأبو محمد بن عبد الله وتباعه بن غدير السعدي المصري الذي ولي قضاء الجزيرة فقد كان ماهرا في الفرائض أخذ عنه النظمى ولازمه مدة طويلة وهو آخر من حدث عنه ثم ترك القضاء واعتزل في القرية متعبدا الى أن توفى سنة ٥٦٦ هـ (٨) .

وهكذا نرى عددا كبيرا من فقهاء الشافعية كانوا يعيشون في العصر الفاطمي ومنهم من ولي القضاء أو غيره من مراتب الدولة الفاطمية دون أن يكون لظاهر مبادئهم لذهب الدولة أثر في حياتهم العملية والعملية (٩) .

كذلك نقول عن فقهاء المالكية فقد وجد في مصر الفاطمية عدد كبير منهم أمثال

(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨٨ .

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٨ .

(٧) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ .

(٨) المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٩) محمد كلال حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٠١ .

محمد بن سليمان الجوهري بأبي بكر الفصالح الذي كتبت إليه إجابة المالكية في وثقته  
 واليه كانت الرحلة . بعد فكانت حلقة في الجماهير تدور حول أسبوعه عشر عبوداً  
 لكثرة الطلاب الذين كانوا يتصدرونه للاخذ عنه وتوفي في الجامع سنة ٢٨٠ هـ وبه  
 القاسم الجوهري عبد الرحمن بن عبد الله الثاني المصري صاحب المسند الموطأ  
 المتوفى في شهر رمضان سنة ٢٨٠ هـ ١١٠١ . ومن فقهاء المالكية أيضاً عبد الوهاب بن علي  
 أحد الأئمة الجوتيين في المذهب حتى وصفه الخليل في تاريخ بغداد بأنه لم ير في  
 المالكية أعمه منه . ولقد وفد إلى مصر لتحقيق حاله في بغداد واكرمه المصريون حتى  
 تحول وتحسنت حاله ولما أدركه المرض كان يقول : لا اله الا الله عندها عشنا بقا .  
 وتوفي بمصر سنة ٤٢٢ هـ ١١١١ .

وسمع أيضاً في هذا العصر من عبد الجليل بن مخلوف الصقلي الذي قال ابن  
 ميسر عنه : انه أفتى بمصر أربعين سنة ومات بها سنة ٤٥٦ هـ ١٠٦٥ عن ابن  
 الصن بن محمد بن العباس الكهري صاحب كتاب فضائل مالك وشارح الموطأ وعين  
 أبي بكر الطرطوشي محمد بن الوليد الأندلسي تزيل الإسكندرية (١١٢٦) . وكان تكلم  
 الرحلة في طلب العلم فباز إلى العراق وسمع ببغداد ثم استوطن الإسكندرية واتصل  
 بالوزير المأمون البطائحي الذي اكرمه فمصنف له الطرطوشي كتاب : « سراج  
 الملوك » . وكان له عدة من التلاميذ أمثال سند بن عثمان بن إبراهيم الأزدى الذي  
 خلفه في حلقة والذي شرح المسدونة ونهق الطرطوشي سنة ٥٢٥ هـ وتوفي تلميذه  
 سنة ٥٤١ هـ . لكن نستطيع أن نطمئن أن دراسة مذهب مالك استمرت في مصر في  
 العصر الفاطمي بجانب مذهب الشافعي بالرغم من أن الفاطميين كانوا يوجدون النقد  
 اللاذع إلى هذين المذهبين وأن دعاة المذهب الفاطمي كثيرا ما كانوا يتناولون بالتجريح  
 هذه المذاهب للسنية في مجالس حكمتهم وفي اشعارهم وها هو داعي الدعوة المؤيد  
 في الدين يقول :

ما أبو حنيفة والشافعي حيثهم قد نعموا بطلع (١٧)

ويقول مرة أخرى :

- (١٠) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٦ .  
 (١١) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٠٢ .  
 (١٢) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٠٢ .  
 (١٣) القصيدة الأولى من ديوان المؤيد في الدين داعي الدعوة .



وفريد ليس الثمامي لامالك بديان زين العابدين وجعفر  
وفيس قيس منبرجسا بالاعتزال وترهات الجبر (١٤)

بيد أن الفاطميين تركوا للفتاه في هذه المناسبات حرية المقلية وسمحوا لهم  
بالتحلق في المسجد وبقاء تحليل المذاهب السنية . على من يشاء من الطلاب وقد  
ذكرنا أن الحاكم يدير أمسا أمر بعمارة دار العلم ونقل إليها الكتب من القصر  
اسكنها من شيوخ السنة شيوخين أحدهما أبو بكر الاتطكي وخلق عندهما وترتهما  
وسمح لهما بحضور مجالسه وملازمته وأنه جمع الفتاه والمحدثين إلى دار العلم .  
ويحفظنا عمارة التي أن الملك المصلح طلائع بن رزيق كان يلقي في ولايته  
عقبه السنة ويسمى كلامهم (١٥) . مع ما كان عليه الملك المصلح من أطرط في التعصب  
لذهبه (١٦) .

أما عن المسألة التي أثارها المؤرخون حول ذهاب الفاطميين وتسامحهم  
فيخيل إلى أن الفاطميين كانوا يراون إلى ذبح الإبلا كما بصيفة ، ذهبهم أحيانا  
بالتغيب وأحيانا بالتغريب . فكان الدعاء يردون والزيوم في تشيخ المسلمين في  
ذهابهم السنية ويحبون الزوم المذهب الفاطمي عن المسريع من استجاب لهذه  
الدعوة عن رغبة بعد أن اتنع بأقوال الدهاب (١٧) . وزيوم من استجاب لغرض  
التقرب إلى الحاكم عساه يجد حظوة لدى رذال بآريه . وهذا اللون من الناس  
كثير في كل البيوت والأقاليم . ومن المصريين من أخرج عن التحول عن مذهبه الديني  
واستمر يحافظ على عقيدته التي دان بها والتي نشأ عليها أبواه ولو أدى ذلك إلى  
تعسف الحاكم معه وإذا كان الفاطميون استعملوا الأسيف في سبيل نشر عقيدتهم  
واغضاع الخارجين على ذهيبهم (١٨) .

فلا نستطيع أن ننكر أن الفاطميين الذين كتبوا مصر منذ ألف عام تقريبا كانوا  
يستعملون وسائل الأرباب لمخائلي عقيدتهم ولاسيما أن التسبحة عملة ذاتت من

(١٤) الفصيحة السابعة من حيوان المؤيد في الدين داعي الإذابة .

(١٥) د . محمد كادل حسين : في أمية مصر الفاطمية ص ١٠٢ نقلًا عن الفتحة

العصرية — عمارة البيوت ص ٤٥ .

(١٦) المرجع نفسه .

(١٧) د . محمد كادل حسين : في أمية مصر الفاطمية ص ١٠٢ .

(١٨) المرجع السابق .

العذاب والتنكيل على أيدي خصومهم ما تحدث عنه كتب التاريخ .

ومن أمثلة المنعصب الفلاني في عهد الحاكم بامر أنه الذي أمر بغنل جماعة من العلماء السنين وقتل أسامة بن محمد اللغوي والحسين بن سليمان الأتطائي التحوي وتمر ثالثهم عبد الغنى بن سعيد وذلك بسبب اجتماعهم بدار العلم « دار الحكمة » (١٩) . كما أنه من الناحية المذهبية اتهم الحاكم بتفكيكه بأهل السنة بعد أن كان قد خفف عنهم القيود . (٢٠) وأباح لهم ترأسه مذهبهم ومكانهم من ذلك في دار العلم التي أنشأها للدرس والبحث وهذا الاتهام يهود تخره من سرف الظروف التي أقدم الحاكم فيها على تزييم المالكية ثم على العدول إلى مذهبه القديم . ذلك لأن المعز بن باديس صاحب القيروان كتب إليه يستنكر بعض أعماله فتراد الحاكم أن يسترضيه ويستقبله إليه فأظهر أعضائه بمراسلة مذهب المالكية وأحضر العلماء لتأثيرهم في مذهبهم وأمر بنحو سب الصحابة من المساجد والأسواق ونهى عن تكرهم بغير ما يجب لهم من الاعزاز والتقدير ثم تغيرت الأحوال فعاد الحاكم إلى مذهبه القديم الذي نشأ أسلافه عليه والذي تمسك خلفاؤه به إلى أن قضى الله بزوال دولة الفاطميين (٢١) .

فالحاكم بهذا لم يندم على ما أقدم عليه إلا بدافع سياسي ولم يعدل عنه إلا بعد أن تبين زوال أسبابه وخطورة الإبقاء على موقفه من نايد السنة في دولة تحول كل تنظيماتها العقيدية والمذهبية والعسكرية دون هذا . وما أشبه هذا بما فعله المأمون العباسي - مع مراعاة فارق العصر والظروف حين قارب منه العلويين ولبس شعارهم وخلق الممراد شعار الميائسين ويابح بولاية مهدد لعلى الرضا وتروى أيمته . ثم لم يأت أن عدل عن هذا الاتجاه العلوي بثأير تحرك بغداد ضده وتغير موقف البيت العباسي منه (٢٢) .

أزاء هذا المنعصب ضد أهل السنة اضطر منكرو السنة إلى شحذ فكرهم لتقوية التلميين . ولكن أتى لهم ذلك بعد أن استتعل الفاطميون في مصر ولكن جذوة أهل السنة لم تفلزم الشهرة بل ظير منها رجال عظماء منهم الخصاصي أبو

(١٩) محمد عبد الله عتق : الحاكم بامر الله ص ١١٣ .

(٢٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦ - ابن خلدون : العبر ج ١

ص ٦١ .

(٢١) المقريزي : انعاظ الضمنا ج ٢ ص ١٦ - ١٧ .

(٢٢) المرجع السابق ص ١٧ .

عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم بن ابراهيم بن محمد بن مسلم المعروف بالقضاعي ولد بهصر حيث درس الفقه الشافعي والحديث على كمال شيوخها (٢٢) .

لذا لم يكن القضاعي شيعيا بل كان سنيا وكان فيها شاعبا ثقة ، وهذا كان البعد عن الخثر بتقوؤ القصر انطاكي (٢٣) .

ثم لم يلبث القضاعي ان رحل الى بغداد ومكة والشام رغبة منه في العرس وزيادة التحصيل على كبار العلماء في عصره (٢٤) . والوقوف على احوال البلاد الاسلامية في زمانه وشغف بالبحوث التاريخية كما أحب الأدب وقد أضفت عليه كل هذه العلوم والمعارف سمعة في الامم ووهبته شخصية جذابة لها منزلتها واحترامها مما اكسبه حب المستقر بالله . فغربه انبه وفتحته تفتحه وتغلب في ايامه في عدة وظائف منها وظيفة ناضي القضاة . كما اوفده على رأس بعثة الى بلاط الامبراطورة تيودورا في بيزنطة سنة ٤٤٧ هـ ليعمل على عقد الصلح وتوثيق العلاقة بين البلدين (٢٥) .

وقد كتب القضاعي عدة مؤلفات في التاريخ والفقه منها : « عيون المصارف » وتوجد منه نسخة قديمة مخطوطة بدار الكتب ضمن مجموعة تبدأ من الورقة رقم ١ حتى ٧ كتاب « الشهاب في الحديث الشريف » والموجود منه نسختان مخطوطتان في مكتبة الأسكوريال بدمشق (٢٦) . برقم ٧٣٦ ، ٧٦٧ وكتاب « المختار في فكر الخطب والآثار » وهو أهم كتبه جميعا . وبالرغم من أنه لم يصلنا الا أن الكثير من المؤرخين الفين أتوا بعده اعتمدوا عليه واقتبسوا منه أمثال : القلقشندي والقريزي وابن نغري بردي والسيوطي . وقد توفي هذا العالم الجليل سنة ٥٤٢ هـ .

كما كان منهم أيضا الشاعر الفقيه الأشهر ابو محمد عبارة بن أبي الحسن اليميني (٢٨) وتقدم الى مصر لأول مرة سنة ٥٥٠ هـ في خلافة الملك بالله وفي عهد وزيره الصالح دلائع بن رزيق مسجرا من قبل أمير مكة ثم وفد عليها مرة أخرى أيام

- 
- (٢٣) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .  
(٢٤) محمد عبد الله عثمان : الحاكم بأمر الله ص ٢٢٢ .  
(٢٥) أحمد أمين : فقه الاسلام ج ١ ص ٢٠٢ .  
(٢٦) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٢٧ .  
(٢٧) المرجع السابق ص ٢٢٨ نقلا ليلى برفنسال ج ٢  
(٢٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٧٥ وما بعدها .

العاضد بلثه وبقي فيها حتى وفاة العاضد وسقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ ولم يكن هجرة شيعيا بل كان تقريبا مسلما ولكن لقي من الخلافة الفاطمية ومن ورائها ، من كرم التولادة ومن والر الرعاية والبر والجد ما قبر قلبه بالعرفان وشكر الصنعة وأطلق شاعرته بروائع المديح (٢٧) . ولبت على ولائه للفاطميين رغم زوال دولتهم . وفي سنة ٥٦٦ هـ اتهم مع جماعة من المصريين العلويين بالآثار على صلاح الدين فمضى عليه بالإعدام منهم وأعدم صليبا وله عدة مؤلفات تاريخية منها : « تاريخ اليمن » وكتاب « التكت العمري في أخبار الوزراء المصرية » وله أيضا ديوان شعر لماتق (٢٨) .

وكان رضوان بن ولحشي سنيا حسن الاعتقاد شجاعا مقداما ، قوى القلب ، شديد اليأس . ولد يوم أيلة عيد الفخير سنة ٨٧٧ هـ ومرسى في الضفة إلا أنه مع حسن عبارته وغزاره ابنه خلد طائش السن قليل النبات لا يحسن التدبير ولا يدعى له سلسلة الأمور فمحنه وجرأته ، وكان أخوه الأوحى أنبت عقلا منه (٢٩) .

كما كان السيد الهندي أبو الحسن سالي بن سالي صاحب التصانيف التلمع منها والاحكام وغيره ولد سنة ٥٥٦ هـ وأسفل يذهب الجنبلة ثم انتقل إلى مذهب التسلسل ومهر في المسولات حتى لم يدر في زمانه اعلم منه بها ، ثم سكن مصر ونصير مدة للفرار بالبرايح الفلمري وانتج به الناس ثم حصده جماعة وشبهوه إلى نساء العتيدة فخرج إلى الشام غيات بها ل نالت مصر سنة ٦٢١ هـ (٣٠) .

وتجد شخصية اخرى من شخصية أحمد بن محمد السدفي الحليظ احد الحفان المخرين رجل ن دلف استيما ولف اعين المشايخ وكان نساني الذهب ورد بغداد واشتغل بها على أبي الحسن على الهراسي في انفه وعلى الخطيب أبي زكريا يحيى بن علي البيروزي اللغوي بللغة ، وروى عن أبي محمد جعفر بن السراج وغيره من انبه الكفيل ويطلب البلاذ وطاف الاماق ودخل نهر الاسندرية سنة ٥١٦ هـ وكان قدومه انبه في الدير من مدينه سور وأقام به ولصده اناس من الاماكن البعيدة وسمموا عليه وانتقموا به ولم يكن في آخر عمره في حضره مثله

(٢٩) القلقشندي : صحيح الاعشى ج ٢ ص ٥٢٧ .

(٣٠) محمد عبد الله عنان : الحاشي بئر الله ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٣١) المقرئ : اتعلك الحنفا ج ٢ ص ١٨٢ .

(٣٢) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤١ .

ويبنى المعادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الظاهر الصبيدي صاحب مصر في سنة ٥٤٦ هـ مدرسة بالقطر المذكور فوضحها إليه وهي معروفة به إلى الآن (١٣٣) .

وكان أهل الإسكندرية يميلون إلى المذهب السني ويفضون المذهب الأشعري ويعبر من هذا الشعور ثوراتهم العديدة ضد الفاطميين ويبدو أن سبب ذلك يرجع قيل كل شيء إلى ناهل جذور السنة وعلى الأخص المذاهب المالكي والشافعي بها وقد ساعد على هذا التأصل ما كان يبذره فقهاء الإسكندرية من جهود لتأخره التشيع ومن فقهاء الإسكندرية الملكية أبو بكر الطرطوسي الأندلسي تزيل الإسكندرية وأبو منى مستد بن عثمان بن إبراهيم الأزدي تلميذه توفي سنة ٥٤١ هـ وأبو القاسم مخلوف المغربي توفي سنة ٥٢٢ هـ (٢٤) .

ولكن لما ضعف سلطان الفاطميين من الناحيتين السياسية والعسكرية الأمر الذي أتاح لأهل السنة أن يتفلسفوا المصداق في مصر ومن ثم استطاع ابن الكثير أن يجاهر في نظمه وفي قوله وفعله بمذهبه السني تحت مسح وبصر الخلفاء الفاطميين (٢٥) .

تدبر المضربون تلك الدعوى وقاسموا بواقع الأمر فوجدوا أن الخليفة بشر له ما لهم من صفات العجز والضعف وعدم القدرة على تغيير مشيئته أمة فراحوا يهشون لأنفسهم عن طريق ضم التشيع فكسبهم رحمة الله وتستر عليهم منه وكرمه ، فكان أن تصدقوا أو ظهر بين ربوعهم جماعة تدمو إلى تركيبة النفوس وتصليه المقلوب وتهذيب الأخلاق بغية التقرب من الله والتزلف إليه فسأه أن يتوهم بسوء العاقبة ويتقدم من طغيان الحدثان (٢٦) .

وكانت في أول غرقة صوفية ظهرت في مصر منذ آخريات القرن الرابع الهجري حتى آخريات الربع الأول من القرن السادس الهجري وقد عرفت هذه الجماعه الصوفية باسم الكيزانية نسبة إلى رائدها أو قل شيخها . ورأس منجهجها وأهم

(٢٣١) ابن خلكان : وليات الأعيان ج ١ ص ٨٧ .

(٢٣٤) د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحصارها ص ٢٣٤ .

(٢٣٥) د . علي حسين صافي : ابن الكثير الشاعر المصري حياته

وذيوائه ص ١٧ .

(٢٣٦) د . علي صافي حسين : ابن الكثير الشاعر المصري حياته وشمسه

ص ٢٠ .

به ابا عبد الله محمد بن ابراهيم بن ثابت المشهور بابن الكيزاني بهذا العماد  
الإصمغاني يصف النقيبه ابن الكيزاني المصري الواعظ الثقاتي ابا عبد الله محمد  
ابن ابراهيم بن ثابت بن نرج الانصاري المعروف بابن الكيزاني (٢٧) .

وتد تشا ابن الكيزاني ونرمع وبلغ ائده بالمسطاط وعن ما كانت تعرف  
في زمانه باسم مصر وتلقى تعليمه في جامع عمرو بن العاص بالمسطاط والجبليع  
الأزهر بالقاهرة حيث درس النحو والصرف والبلاغة وعلم الكلام والفقه وأصول  
المنطقي وعلوم الحديث يدل على ذلك قول العماد الإصمغاني (٢٨) : « عالم بالأصول  
والفروع علم المتبول والمفروع بمشهود له أسنة القبول - مشهور بالتحقيق في علم  
الأصول وكان ذا رواية وفراية بعلم الحديث ومعرفة ببلقديم يكون الحديث » .

وبما لا شك فيه ان ابن الكيزاني كان مناهضا للدهود الشيعية مناصرا لأهل  
السنة والجماعة الأمر الذي جعلنا نعدده أحد أئمة يذهب أهل السنة في مصر -  
ولا نعو نعد كان ابن الكيزاني شامعا المذهب حنق أصول أهل السنة وبلغ في  
تقدير الفقهاء برهة الاجتهاد المذهبي بحيث أصبح في عداد الأئمة وأصحاب المذاهب  
الذي يكون له اتباع ومقلدون كالشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل .

ومما يؤيد ذلك في اعتبارنا آياه أحد أهل السنة والجماعة البارزين في  
مصر أثناء القرن السادس للهجري كونه أخذ الحديث عن شيوخ أهل السنة فقد  
ذكر السيكي (٢٩) في طبقاته ان ابن الكيزاني سمع عن أبي الحسن علي بن الحسين  
ابن عمر الأوسلي وأبي الحسن بن محمد الجيلي وروى عنه خلق على ان شعر ابن  
الكيزاني على كثرتة لم يرد فيه أي معنى يخالف ما تعارف عليه أهل السنة بسبل انه  
متفق في روحه ومعتزاه مع مذهبهم ومصداق هذا في شعره قوله : (٣٠) .

داوم على مسما أنت فيه فائسا الدنيسا عيسر  
عسودك تنسى المسيسير والأجر الجزيل لمن همير

- 
- (٢٧) العماد الإصمغاني : جزيرة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر ج ٢  
ص ١٨ .  
(٢٨) العماد الإصمغاني : جزيرة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر ج ٢  
ص ١٨ .  
(٢٩) طبقات الشافعية الكبرى : السيكي ج ٤ ص ٦٥ .  
(٣٠) العماد الإصمغاني : جزيرة القصر وجريدة العصر قسم شعراء مصر ج ٢  
ص ١٩ .

ابن الكيزاني في هذه المقطوعة راض بالتضام والغدر حابر على المحفة والبلاد  
مهور عالم من علماء السنة انتهى به الأمر الى النصف .

فهو إذن من أولئك الصوفية الذين جساء تصوفهم موافقا لما كانوا عليه من  
مذهب أو اعتقاد قبل النصف (٤١) .

وتجعب النصوص التي بين أيدينا على أن ابن الكيزاني كان يتبوأ مكانة سامية  
لدى الشعب ويحتل منزلة رفيعة عند العاطلين بهذا العلامة السخوي في ترجمته له  
يقول ما نصه : (٤٢) .

« كان عظيم الشأن وله اللبوان المشهور . وله كتاب « اثراقتي » وله  
الكتاب المعروف « بليك الخطب » .

وتسد منع في زمانه القراء من القراءة في الاسواق وتمنع معلمى الكتائب من  
مسح الاواح الا في آتية جديدة ، وان يجعب ذلك ويعطرح في البحر وكان كتسير  
الايثار .

فهذا كما ترى أدل شيء على عظم المكانة التي كان يحتلها ابن الكيزاني بين  
لبناء الشعب المصري من جهة ، وفي نفوس الحكم العاطلين من جهة أخرى .

وأية ذلك كونه حظير على الذين كانوا ينتسبون بالقرآن ان يقرءوا في الاسواق  
كما حظير كذلك على معلمى العبيبة وأصحاب المكاتب ان يمسحوا من الاواح الآيات  
القرآنية الا في آتية جديدة ، والزمهم ان يجعوا تلك المحلصة ويلقوها في البحر .  
وذلك ببلاغة منه في تعجيل القرآن الكريم وتعظيم آى الذكر الحكيم .

ولولا أن ابن الكيزاني كان ذا شأن عظيم ومكانة مرموقة وذا منصب رفيع في  
الدولة لما استتاع يصل من الأحوال ان يتحكم في طائفة القراء وجماعة المعلمين اذ  
ان منح للناس من زاولة أى عمل من الأعمال لا يتأتى من سرد عادي أو غير ذى  
سلطان فقد جرت العادة ان تصدر مثل هذه الأحكام عن ناضى القضاة بالنيل  
المصرية أو لوالى أو الوزير الأمر الذى يهملنا على القول بأن ابن الكيزاني كان

(٤١) د . على صفات حسين : ابن الكيزاني حياته وشعره ص ١٦ .

(٤٢) السخوي : الكواكب السائرة في ترويب الزيارة ص ٢٠٢ .

ولو على سبيل الفرض والتخمين - بشئ في رقت من الأوقات بنسب القضاء (٤٢) .  
أن القاطنين كانوا يسمون ابن الكيزاني ويتقربون إليه لا لصلاحه وتقواه  
ولا رغبة في أن يسأل الله لهم ولكن خوفا من أن يدخل شعبة ويغير الناس  
فيدعوهم إلى الانتقاص على الخليفة القاطن وخلع طاعته .

هذا على أن اصبح ابن الكيزاني وعريته كانوا فيها أظن كثيرين ومناظرين في  
اتحاء عدة بالوجهين القبلي والبحري وأنهم كانوا لكثرتهم بجاهريين بإثرهم السارية  
التي تختلف في جوهرها التصليم الفاطمية . ولمست أقول هذا ادعاء ولا رجسا  
بالغيب وإنما هو قول يزيد الطلح من أقوال المؤرخين السابقين وبخاصة من كانوا  
يعيشون في زمن غير بعيد من عصر الفاطميين - بكسيط بن الجوزي وابن خلكان  
وهما ثقتان يلتزمان فيما ينقلانه من الأخبار البتة والأمانة وأثرت من أقوالهما ما  
يدل على أن ثلاثة ابن الكيزاني كانت ذات قدر كبير رؤساء عظيم .

قال سبط بن الجوزي - بعد أن ذكر اسم ابن الكيزاني ونسبه ما نصه (٤٤)  
" رجل مشهور تافه ، وله أصحاب بدمر ، كان يقول إن أعمال العباد تدبىة وبين  
أصحابه وبين شعبة بن المبروك خلافة " .

فيذا لعمري دليل على شسوكه طائفة ابن الكيزاني وقوة شكيتهم والآن لما  
استدلوا أن جاهروا بنخلانة ذهب الحاكمين ، وأصحاب السلطان في البلاد .

لما ابن خلكان فقد قال في هذا الصدد ما نسه (٤٥) : « ويصر ذلكم ينسبون  
إله ويمعتدون مملته » .

ووجهه دلالة هذا القول على خرة أباغ ابن الكيزاني كون ابن ذلكم قد عر  
عقهم بكافة الأشياء . وانطائفة في الأمانة لما يقال في الكثرة . كما أن المفتاحين  
وأصحاب التصانيف في الفرق والذل والنحل قد أطلقوا لفظ « طائفة » على الجياحة  
ذات النحلة الخاصة والمذهب المعين .

كما كان ابن الكيزاني يعظ الناس بالمسطلط والظاهر أيام الجمع وفي مختلف

(٤٢) د . على حياق حيين : ابن الكيزاني حياجه ونسبه من ١٩ - د .

(٤٤) ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ من ١٥٧ .

(٤٥) ابن خلكان : ونيل الأعيان ج ١ من ١٨٦ .



المفلسات شارة بالخطاب الثورية الموقنة ذات الإلتزام الفدائية والعبادات الجزلة والمعاني النبيلة والعمور الرائفة والتضامير الرائفة ونارة بالعصائد والمقطعات الأياض، بالمشاعر الصادقة الفايضة بالأحاسيس البينة والعواطف الإنسانية المفاجئة بهرارة الإبان الوضاعة بنور البيان (٤٦) .

وقد ورد في ابن الكيزاني بأنه واهل مصر كذلك أبو الحسن بن تغرى بردى إذ قال في ترجمته (٤٧) : «الزاهد المصري وكان ابن الكيزاني زعيماً سياسياً تبعاً لزعيمته البينية ، وأية ذلك أنه قاوم العقيدة الفاطمية وهارب تعاليم الإبائية وذلك بتعاليمه طوائف المصريين بذهب أهل السنة وبخاصة فقه الشافعي وروايته لهم احاديث الرسول بثباته أهل السنة أيضاً . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عمل بجهدا على نشر التعاليم الصوفية وأذاعتها بين ربوع مصر متحدثاً بها . (٤٨) ابن الخاطميين (٤٨) .

وبما يمكن من أمر فان ابن الكيزاني قد اسهم الى حد كبير في تهيؤ الخلافة المردية من الصبغة الإبائية الى الفكر المنفي وهو بذلك يعنى بمقد قد مهد السبيل لمام المائلان صلاح الدين أن يتصور على الخلافة الفاطمية في مصر وأطرافها بما فيها تبعية النجاشيين . ولكن تأثيره على الحياة الفاطمية المصرية قويا فلم يكن مقتصراً على نظامه الثمر وتعليم الطلاب وتربية برديه بل جاوز ذلك كله (٤٩) .

هكذا استطاع ابن الكيزاني أن يوطد دعائم الحكم السنني بهتلومته للذهب الابنابيل في أرض وادي النيل . وفي مقهورى أن الفضل في ذلك كله يرجع — في الحقيقة ورائح الأمر — الى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت المعروف بابن الكيزاني .

- 
- ١٦٦) د . على صافي حسين : ابن الكيزاني : حياته وشعره ص ٥٢ .
  - ١٧٦) أبو الحسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٧٦ .
  - ١٨) د . على صافي حسين : ابن الكيزاني حياته وشعره ص ٦١ .
  - ٢٩) د . على صافي حسين : ابن الكيزاني حياته وشعره ص ٦٢ .

# الباب الثالث

## النشاط العامي والثقافي التعلمي

المكتبات الفاطمية ودار الحكمة

المدارس والكتاتيب والزوايا

حركة التأليف

الدراسات العلمية ( الطب ، الفلك والتنجيم ، الرياضيات

والهندسة ، النبات ، الكيمياء )

## المكتبات الفاطمية ودار الحكمة

إن سجلات التاريخ لن تدل على اهتمام المسلمين بحكومة وشعبها بالمكتبات التي أسست وتوالت في مختلف العهود التاريخية الإسلامية وكيف كان ارتقاؤها وكيف كان انحصارها فيما بعد .

وقد اهتم المسلمون بالمكتبات دائما اهتماما كبيرا والتاريخ يشهد أن أعظم الخزائن في الإسلام ثلاث خزائن : أولها خزنة الخلفاء العباسيين ببغداد ، فكانت فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة - ولا تقوم نفائسه ولم تنزل على ذلك إلى أن دهمت التتر ببغداد وقتل ملكهم هولاء المستعصم آخر خلفائهم ببغداد ، فذهبت خزنة الكتب فيها ذهب وذهبت معاربا واعيت آثارها .

ثانيها : خزنة الخلفاء الناطبيين بدمشق وكانت من أعظم الخزائن وأكثرها . جمعا للكتب النادرة في جميع العصور وأما نزل على ذلك إلى أن اندرخت نواتهم بدمشق المعاصدة آخر خلفائهم واستيلاء صلاح الدين بن أيوب على الأمانة بدمشق فالتحقى الأضنى الفاسل أكثر كتب هذه الخزنة ووقتها بدمشق الناضية بدمشق بأوخيا بالقاهرة بدمشق فيها إلى أن استحوذ عليها الأيدي فلم يبق فيها إلا التليل .

ثالثها : خزنة خلفاء بني أمية بالأندلس . وكانت من أجل خزائن الكتب أيضا ولم تنزل إلى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الدوائف على الأندلس فذهبت كتبها كل ذهب (١) .

أما خزنة الناطبيين بلقاهرة فكانت تنفق هذه الخزائن بهاء وبهجة وكانت أعلاها في جميع البلاد الإسلامية وكانت أصولها ثابتة وهوائينها مضبوطة ولا سيما أن الخلفاء كانوا يهتمون بنشر الثقافة فكانوا يؤسسون مراكز ومكتبات لكي يعم ضياء التعليم فتحس آثار الجبال من قلوب الناس (٢) .

(١) القلقشندي : صريح الأملح ج ١ ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٢) محمد حسن الإعتصم : أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي ص ٢١١ .

(٣) م (١) من الحياة الفكرية في مصر (

كذلك كان الوزراء الفاطميون يمسسون على نهج خلفهم في اقتناء الكتب والحصول عليها عن طريق الخلفاء زملائهم ومن هؤلاء ابن كلثوم وهو رائد من رواد الحركة والفكر في مصر (١٦) . وكذلك يرجح أن أسخاخ الخليفة الحاكم بأمر الله من الذي خلف من الكتب ما لا حصر له وأيضا المسير بن ماتك وهو من أمراء مصر كانت له خزائن عظيمة (١٧) . والخزائن الفاطمية اشتهرت بعظمتها وجلالها وكثرة كتبها واهيئتها الكبرى في الإسلام .

وكانت خزائن الكتب هذه في أحد مجالس البيمارستان العتيق اليوم وكان فيها ما يزيد على مائة ألف مجلد في سائر العلوم بطول الأمر في عهدها وكان للفيلسوفين في القاهرة مكتبات منها أربعة خزائن في قصر الخلافة بلاي بنفانس الكتب والمؤلفات الجليلة المقدار وتوارثها المتعددة المثل . وكان أشهرها هذه الخزائن (١٨) .

وكانت من مجالب الدنيا ولم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها ، وكانت تجمع مئتين ألف مجلد كما قال القرظي (١٩) في مختلف العلوم والفنون منها ستة آلاف وخمسمائة مجلد في الفلسفة والطب وكان يختلف إليها العلماء والطلاب لاستشارتها ومطالعتها والاستفادة منها .

ما خزائن القصر الدخلية فكان الامتلاء عليها مخطورا على العادة .

وقد أصاب هذه الخزائن من المخن يتوالى الفتن مثل ما أصاب مكتبة الاسكندرية في عهد الرومان فلقى بعضها في النار والبعض الآخر في النيل وترك بعضها في الصحراء فبستت عليها الرياح حتى صارت تلالا عرفت بتلال المكتب . واتخذ العبيد من جلودها نعالا . وطرح ما بقي منها عند دخول الأكراد للبيسج في أواسط القرن السادس للهجرة وكان في جبلية ما أخرجوه من تلك التصور نحو ١٢٠٠٠٠ كتاب من خواص الكتب اعطاها صلاح الدين للفاضل عبيد الرحيم البيسلي كما ذكر ابن خلدون في تاريخه (٢٠) .

(١٦) ابن خلدون : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤١ .

(١٧) القرظي : الخطط ج ١ ص ٥٧ .

(١٨) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠١ ( الصائفة ) .

(١٩) الخطط ج ١ ص ٤٥٦ .

(٢٠) مجلة الجمع العلمي العراقي مجلد ٢ ص ١٤٢ .

كما كانت خزانة الكتب من أجل الخزانين وأعمالها شباناً عند الفاطميين .  
وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة للقائنة عدة كثيرة من  
الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد مشتملة على أنواع العلوم مما بدعش  
التألف ويخبره وربما اجتمع من المصنف الواحد فيها عشر نسخ (٨) . ولخصوي  
خزانة الكتب في مصر على نيف وثلاثين نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد  
منها نسخة بخط الخليل نفسه : وعشرين نسخة من تاريخ الطبري ومائة  
نسخة من كتاب الجوهرة لابن دريد وبلغ عدد النسخ من تاريخ الطبري عند  
استيلاء صلاح الدين علي مصر ١٢٠٠ نسخة والقرآن الكريم كان في مظنة  
الكتب التي اعتنى بكتابتها الخطاطون كالمثلة وابن البواب ومن جرى مجراها (٩) .  
وتد كانت خزانة الكتب التي تقع بالفصر الكبير تتكون من أربعين حجرة  
وتسم من الكتب ما يزيد على مائة ألف مجلد تشتمل على أنواع العلوم بينها كتب  
نادرة وتكملة (١٠) .

ولا غرو فإنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت  
بالقاهرة في العصر الفاطمي فقد ارادوا أن يملأوا الدنيا بعتبتهم التسوية وكان  
الخليفة العزيز يوزع كل وقته بين خزانة الكتب (١١) .

أما عن كتوز الفاطميين من الكتب النادرة ويتر عدد الكتب الموجودة في  
خزانة الكتب التي تعنى بالعلوم القديمة بنماتية عشر ألف كتاب هذا إلى جانب  
الكتب الأخرى التي تعالج الفقه والنحو واللغة والتاريخ أو التواريخ . وعلى الجملة  
تد كان العصر الفاطمي عصر نشاط علمي واسع المدى في شتى العلوم والفنون  
نفست به القاهرة بزاد العربية بحضارتها وعلومها (١٢) .

كما كانت خزانة كتبهم عبارة بالمخطوطات الثمينة ويكنى لتصور عظم هذه  
المكتبة أن نذكر أنها كانت مقسمة أربعين قسماً وأن عدد المخطوطات فيها قد بلغ نحو  
مايون وستائة ألف في التاريخ والحديث واللغة والكيمياء وغيرها . وقد ملون في

(٨) الفائقندي : صبح الأعشى ج٣ ص ٤٧١ .

(٩) المغريزي : الخطط ج ١ ص ٤٠٨ .

(١٠) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ١٤ .

(١١) د . عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ج ٢ ص ٤٠ .

(١٢) أسماء حسن نهمي : ميلادى التربية الإسلامية ص ١٥

عمل هذه المخطوطات الخطاطون والمصحفون والرسامون حتى أخرجوها تحفة فنية رائعة زادها جمالا ما غلفت به من جلود جميلة النقش بديعة الصنع والذي يؤسف له ان هذه الخزائن العظيمة قد اندثرت في أثناء الاضطراب العظيم الذي وشع أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (١٢) .

ثم عنت الدولة الفاطمية بالكتب عناية كبيرة فكان من أشهر خزائن القصور الفاطمية خزانة الكتب (١٣) . ولم تكن مضمورة على الكتب بل كانت أحيانا مجتمعا يجتمع فيه طلاب العلم والعلماء ويتداولون فيها بينهم المسائل العملية وهذا ما جعل العصر الفاطمي يزخر بالعلم والعلماء (١٤) .

ولعلنا نستطيع ان ندرك من هذه اللوحة التصورة بمدى عناية الخلفاء الفاطميين باقتناء الكتب في كل فن وحرصهم على أن تجمع خزائنها الطرائف والنفائس في كل علم وذلك تشجيعا منهم للعلم والعمل (١٥) .

ولم يكن الفاطميون مستكبرين فتعوا يفتح مصر وتسلمهم على أبوابها بل كانوا يتنصبون خلفاء بغداد ويريدون أن تكون لهم السيادة على العالم الإسلامي كله ومن أجل هذا أنشأوا من المؤسسات ما يضمن لهم علو الخليفة وحسن السمعة ، وكانت المكتبة دعامته من هذه الدعام (١٦) .

وقد اتجه الفاطميون اتجاها قريبا في تكوين مكتبتهم فقد كانوا يحرصون على ان يجمعوا بها جميع النسخ الموجودة من بعض الكتب حتى تكون مكتبتهم المتكاملة الوحيد الذي يوجد به هذا الكتاب أو ذلك ، فإذا جمعوا مئات النسخ من كتاب ما ثم ظهر لهم أنه لا تزال هناك نسخة منه بعيدة عن مكتبتهم أظهروا استعدادهم لان يدعوا لها نهبنا بأعظا مما يولع فيه ليصلوا بذلك الى هدفهم . وفيما يتعلق بالقرآن الكريم فانهم كانوا حريصين على أن يجمعوا بمكتبتهم جميع النسخ الفضية أو التي كتبها مشاهير الخطاطين وهذا يفسر لنا لماذا كل هذه المكتبة عشرات او مئات النسخ من المصاحف أو من كتاب معين . وعلى هذا فاننا نقرأ ان هذه المكتبة كان بها :

(١٣) د . محمد عبد العزيز مرزوقي : ص ٧٤ - الفن المصري الإسلامي .

(١٤) د . أحمد أمين : ظهور الإسلام ج ١ ص ١٩٩ .

(١٥) د . أحمد أمين : المرجع السابق ص ٢٢٢ .

(١٦) المفريزي : الخطط ج ١ ص ٤٠٨ وما بعدها .

(١٧) د . أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص ١٩٦ .

- ٢٤٠٠ مصحف بخطوط منسوبة زائدة الحسن ومحلة بذهب ونقشة وغيرها .  
١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخط المؤلف .  
١٠٠ نسخة من كتاب الجبهة لابن دريد .

نيف وثلاثون نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط المؤلف نفسه الخليل  
ابن أحمد (١٨) . لها الجروع المعلم لكتب المكتبة فيبدو أنه وصل الى رقم خيالي .

ويروي أبو شامة (١٩) أنه سمع ان هذه المكتبة كان بها ٢٠٠٠-٢٠٠٠ كتاب  
وقد ذكر المقرئى عدة روايات ولكنه يميل الى أن العدد كان ١٦٠٠-١٦٠٠ -  
شسلب (٢٠) .

ويذكر المقرئى (٢١) أيضا أن هذه الكتب كانت في موضوعات متعددة لمتها  
الفقه على مسائر الأذهاب والنحو واللغة وكتب الحديث والفواريج وسير الملوك  
والتعجبم والروحانيات والكنبيات ويتفق أبو شامة والمقرئى (٢٢) على أن هذه المكتبة  
كانت من عجائب الدنيا . وأنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منيها  
بالقصر في القاهرة .

كان لعناية المسلمين بإنشاء دور الكتب والمكتبات اثر كبير في تيسر وسائل  
التفاضل والتعليم وتشجيع الطلاب على الاستمرار في الدراسة والبحث العلمي . وقد  
انتشرت المكتبات في الإسلام انتشارا عظيما يدعو الى الفخر والاعجاب فقد كان في  
معظم المساجد والجوامع والمدارس ودور التعليم ودور الحكمة مكتبات كبيرة مزودة  
بالكتب المتخلفة والمراجع النادرة ليرجع اليها الطلبة والعلماء والأقراء والناسخ في  
أي وقت، ساءوا (٢٣) .

كما اهتم المسلمون بالكتب والكتبات . اهتموا بدور الكتب وخزائنها وحرصوا  
عليها وفتروها حتى تدرها وكتبوا من اثرها في تهذيب المعقول وبت البطولة في

- 
- (١٨) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٠٨ - الروضتين ج ١ ص ٢٠٠ وقد ذكر  
أبو شامة أن الخزائن حوت ١٢٢٠ من تاريخ الطبري .  
(١٩) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٠٠ .  
(٢٠) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٠٩ .  
(٢١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٤٠٩ .  
(٢٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٠٠ - المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٠٩ .  
(٢٣) الخطط ج ١ ص ٢٥٨ وما بعدها .

النفوس وتزويد الثراء بالأفكار والآراء (٢٤) . ولكنه لم يفكر إلا في خزانة كتبه فقد كانت تهيئة بنا كثير من الكتب العلمية والإنشائية والنبوية تبلغ مائة حبل وزيادة ، وكان علماء المسلمين يفضلون الجلوس في مكتباتهم الغنية بالكتب للقراءة والإطلاع على أن يتولوا أعظم المنصب والرايز لدى الولاة والحكام وكانوا يرسلون من يجوبون البلاد لثراء الكتب العلمية والأدبية من البلاد الأجنبية ليزودوا مكتباتهم بالكتب النادرة النيسة والجديدة (٢٥) .

كذلك كانت للفاطميين عناية كبرى بالمكتبات فكانوا يحدون بها الجامع العلمية ، الأكاديمية « كالجامع الذي أسسه يعقوب بن إسحاق وكان يفتى عليه الكهنة دينار كل شهر (٢٦) .

ونظير نشاط الحركة العقلية في مصر منذ أن اتخذ الفاطميون القاهرة عاصمة لبلادهم فتفتح الخليفة المعز لدين الله أبواب قصره للعلماء والطلاب وأبسط لهم جميعا الإطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر وهذا الخلفاء من بعده حتىه نصاروا بمقدون المجلس العلمية بقصورهم ويدعون إليها الفتناء والطباء والأدباء فيتأملون بحضرتهم ولم تكن هذه المجلس تفل في تقيتها العلمية عن الدروس التي تلقى بالجامع الأزهر أو بدار الحكمة (٢٧) .

وكان المعز منذ ولاء المنصور بعقد المجلس العلمية فيحضر غير رجال دولته وشايعها وعلمائها وأدباؤها فيظهر مقدرته الفلثة والاهم باللسغة وعلوم التأويل والحديث والنقمة وما إليها يدل على ذلك قول الفهمان الفقيه المغربي « أن المعز قد نظر في كل فن وبرع في كل علم وإن تكلم في فن منها أرسى على المتكلمين وكان فيهما نسج وحده في العالمين » .

أما علم البيان ووجوهه فهو بحر الذي لاتخاض لجنه ولا يدرك آخره أما القول في التوحيد وتثبيت الدين والرد على اقتراض البدع والمحدثين فهو واحد عليه ومخلره وعمدته وأما الفقه والحلال والحرام ومائل الفنيا والاحكام كذلك مجاته

(٢٤) خطاب عطية : التلميم في مصر في المعمر الفاطمي ص ١٥٨ .  
(٢٥) محمد عطية الأبراشي : التربية الإسلامية وعلامتها ص ٦٩ - ١٠٢ - ١٠٧ .

(٢٦) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٧٨ .  
(٢٧) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٧٧ - ١٧٨ .



ومبانه وخسسه وحيواته وكلهم في ذلك عليه يخترع في كل يوم لهم الصنائع ويبدع لهم فيه البدائع من دقائق معالجة وما تحار اذهانهم منه (٢٨) .

وخان المعز يستحث عجم المغاربة للزود من العلم ويلوم من يتقاعد منهم عن ذلك فلم يكن خاويلك الاثراء الذين يرون ان الخير كل الخير في ان يحكموا شسعبا جاهلا لانه يكون اخر خشمونا واستسلاما . وكثيرا ما كان يصرح لجلسائه بلن مسا بحزى في نفسه ان يرى انهالك الناس في اللهو والعبث دون ان يشفقوا بالبحث والاطلاع ومغنية بقولهم بالعلوم والمعارف . واعجب من ذلك ان المعز كان اذا ارق او احس الللى من مشاغل الحياة اكب على الكتب يرفشف منها العلوم والفنون (٢٩) . ومن اكبر الأدلة على حب المعز للعلم ورغبته المتعكشة الى الاسلام بدقائقه . انه كان يجيد عدة لغات تساعد على معرفة لغات الشعوب وطبائعها فكان يجيد غير العربية اللغات البربرية والسودانية واللاتينية والاسبانية والصقلية (٣٠) .

وخانت مغبة المعز في المنصورية ثم في القاهرة زاخرة بالكتب . وقد بلغ من شغفه بهذه الكتب انه كان يعرف بواضع ما فيها من الكتب وما تحويه من المعلومات وقد قيل ان المعز امر خازن كتبه ان يحضر له كتابا فلم يحضره على الفور فقام المعز ويبحث عن هذا الكتاب . ثم فرا عمده من الكتب واستهواه الاطلاع حتى صرف معظم هذه الليلة في القراءة وسر واقف على لظميه (٣١) .

ولاخرو فعد كان يقول : والله ما تذاذت بشيء تذاذى بالعلم والحكمة \* (٣٢) .

وقد شغف المعز بحبه للعلوم واكثر الكتب فمشاد بالقتصر مكتبة الفاطميين التي سردها بعناها الامثال بكثرة مجلداتها ومساحها المنسوبة فكان بها آلاف الكتب في اللغة والى مسائر المذاهب وخانت خزائنها الاربعون في اجمال فاحبة من الامر ودخلها راكبا ويقل بها يخار من الكتب ما شاء ثم يعود (٣٣) .

- ٢٢٨) حسن ابراهيم وطه شرقا : المعز لدين الله الفاطمي من ٢٢٢ نقلا عن القاضي النعمان : المجالس والمسائرات ج ١ ص ١٩٩ .  
٢٢٩) د . حسن ابراهيم طه شرقا : المعز لدين الله ص ٢٢٢ نقلا عن المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٢٨٦ — للنعمان .  
٣٠) المقرئى : اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٦٥ .  
٣١) د . حسن ابراهيم : المعز لدين الله ص ٢٢٢ .  
٣٢) القاضي النعمان : المجالس والمسائرات ج ١ ص ٩٦ .  
٣٣) ابن خلكن : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٠ .

ولم يفتح بمكتبة القصر التي جمعت آلاف الجلدات تحفل الكثير من الكتب إلى مسجد القاهرة وهو الجامع الأزهر وإلى ابن طولون والجامع العتيق فحصل إلى الأزهر من المصاحف والختمات عددا عظيما وكان الناس من القراءة والانتفاع بها فيها (٢٤) .

واقامى بكتبة بغداد والانتطس الخلفاء الفاطميون في مصر بدأ بذلك منهم العزيز بانه ناسى خلفائهم بولي الخلافة سنة ٢٦٥ هـ وهو سلب نقد ألفا مكتبة القاهرة وهي من اشهر المكتبات في مصر الاسلامى (١٥) ، فكان نستيد الواج بالذهب حريصا على ائمتها . لا يكفى بوجود نسخة واحدة من كل كتاب فكان التماس نسخون من كل كتاب =هـ نسخ ويقال انه كان بها ثلاثون نسخة من كتاب العين لخليل بن احمد وعشرون نسخة من كتاب الجبهة لابن سريد . وبأج عدد مجلداتها خراس وليرن وسنائة الفه مجلد كان يقوم على تنظيم كتبها ومهرستها الخطاط السور ابن مثلة وكانت تتوى على خرائط جغرافية وأجهزة هندسية وسقطت بسقوط الدولة الفاطمية في القرن السادس الهجرى وأحرقت معظم كتبها (٢٤) .

وكان للعزيز عناية كبيرة بخزائنه يشمدها بنفسه حينما بعد حين وتد رب لها قبا ببولى شلوها وبالمسه ويقرا له الكتب ويناديه ، ومن تولى ذلك أبو الحسن الشيبسى الكاتب الموق بسنة ٢٩٠ هـ - فكان الخلفاء يترددون على مكتباتهم للاطلاع أو تقدها ويناتتة امثالها فيها بحتاجونه أو تصالجه المكتبة من كتب وبلغ عدد كتب مكتبة القصر أكثر من مائة ألف مجلد ، عدا كرتين سمويين احدهما من القضة بخل لن بطلبوس هو الذى صنعها وكلفه ثلاثة آلاف دينار كما كانت مكتبة القصر حوى كثيرا من المصورات الجغرافية (٢٥) .

واعتم الخليفة العزيز بالله بالمكتبات وكان في قصره الشرقي مكتبة كبيرة تحفل بالاف الكتب . فقد حبل أبوه المعز لدين الله معه عند تدومه إلى مصر من بلاد المغرب عددا كبيرا من الكتب أصبحت نواة مكتبة القصر ثم عمل العزيز بالله على تنميتها وقام وزيره ابن كلس بدور كبير في تطوير هذه المكتبة وبعد وفاة هذا الوزير

(٢٤) ابراهيم جلال : المعز لدين الله الفاطمى ص ٩٦ .

(٢٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠١ .

(٢٦) المقريزى : الخطط ج ١ ص ١٠٩ .

(٢٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨٨ .

نقل الخليفة مكتبته من قصره الى قصر الخليفة . وشجع الخليفة العزيز بالله تجار الكتب على جلب الكتب النادرة ليعرضها الى مكتبة القصر (٢٨) .

وجدير بالذكر ان وزير الخليفة العزيز ابن كلثوم كان محبا للعلم والعلماء وترغب المواوين وقربه اليه العلماء على اختلاف طبقاتهم واجرى لهم الارزاق وجلب الى الخليفة العزيز اقتناء الكتب فجميع منها جانبا كبيرا خصص لها قاعات في قصره وسماها « خزائن الكتب » وبذل الاموال في الاستفكار من المؤلفات الهامة في التاريخ والادب والفقه . واو اجتمع من الكتاب الواحد عشر نسخ او مائة نسخة او اكثر (٢٩) .

وكان في كل جامع مكتبة لانه كان من عادة العلماء ان يوفقوا كتبهم على الخواص (٣٠) . ويقال ان خزانه الكتب يروى كانت نجوى كتب يزيدجرد لانه حملها اليها وفركها وكان الملوك يتلذذون بجمع الكتب حتى كان لكل ملك من ملوك الاسلام القلعة الكبار بمصر ونورطبة وبغداد في اواخر القرن الرابع الهجري ولع شديد بالكتب فكان الحكيم صاحب الاندلس يبعث رجالا الى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند اولي ظهورها وكان يهرس مكتبته يتألف من اربع واربعين كتابا كل منها عشرون ورقة . ولم يكن بها سوى اسماء الكتب (٣١) .

ويشير بعض المؤرخين انه كانت للازهر مكتبة عامرة بالكتب وكان المشرف عليها يحتل نصيبا من اهم المناصب في الدولة الفاطمية كذلك اتخذ الشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م نقيب العلويين والسياس المشهور دارا سماها دار العلم وفتحها لطلبة العلم وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه (٣٢) .

وقد انشئت في مصر ايضا مثل هذه الدور . . فقد استخرى العزيز بالله انظففة الفاطمية سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م دارا الى جانب الجامع الازهر وجعلها لخدمة وثلاثين من العلماء وكان هؤلاء يعقدون مجالسهم العلمية بالمسجد في كل يوم جمعة بعد الصلاة حتى صلاة العصر . فالجامعة الازهرية التي هي اكبر معهد علمي

(٢٨) د . علي حسني الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢٩) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٣٠) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٥ .

(٣١) آدم مقر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ص ٣٠٤ .

(٣٢) الشريف الرضي : ديوانه ص ٣ هـ بيروت سنة ١٣٠٧ هـ .

إسلامي اليوم نشأت في القرن الرابع الهجري فكان الوزير ابن كلثوم يحب أهل العلم والأدب ويفرهم . وكان يجري بأمر العزيز ألف دينار كل شهر على جماعة من أهل العلم والوراثين والمجلدين (١٤٦) .

ولم يكن الخلفاء وحدهم يشغلون باقتناء الكتب ويتقنون منها ويؤمنون القراءة ويطلبون البحث فيها بل أن وزراءهم كانوا يقتنون نهم . وينهجون نهجهم . فقد روى عن يعقوب بن كلثوم وزير العزيز (٤٤) أنه كان في داره الكتب والأطباق وجعل فيها العلماء والأدباء والشعراء والفقهاء والمكتمين (١٤٧) .

ثم جهاد الحاكم بأمر الله فتفتح سنة ٣٩٥ هـ الدار المتبعة بدار العلم ، بمسرى دار الحكمة (١٤٨) بانقاعه وحمل الكتب اليها من خزائن القصور المعصورة وقد وصلت إلينا ميزانية هذه الدار فكان ينفق عليها في كل سنة ٢٥٧ ديناراً من العين انغريسي ضمن ذلك : الورق تسعون ديناراً . للخزائن ثمانية وأربعون ديناراً ، للفراشين خمسة عشر ديناراً ، للمتأخرين في الأوردى والصبر والاعلام اثنا عشر ديناراً ، غرامة الكتب اثنا عشر ديناراً ، ثم الماء اثنا عشر ديناراً ثم الحصر العبداني عشرة دینارات، ثم لبيد للقرش في الشتاء خمسة عشر ديناراً ، ثم طنانيس في الشتاء أربعة دینارات، غرمة السخارة دينار واحد .

وقد بنيت هذه الدار جزءاً من قصر الحاكم ولعلها من الخزائن التي أشار إليها المسيحي باسم الخزائن البراتية .

أذن كانت مكتبة عامة على نحو ما قرأه اليوم في المكتبات العامة ولكنها بجانب ذلك كانت جامعة علمية للمهاجم وكثيراً ما كانت تنقل المناظرات بين علمائها (١٤٩) . من فلك ما يرويه السيوطي أن جفلة بن محمد بن الحسين الأزدى الهروي أيدى أسئلة اللغوي النحوي قدم مصر وصحب الخلفاء ببد الغنى بن سعيد وأباً إسحاق علي بن سليمان المصري النحوي وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة وتجري بينهم مناقشات ومناكرات (١٥٠) .

- (٤٣) آدم بن مازن : الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ من ٣١٢ — ٣١٣ .  
(٤٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤١ .  
(٤٥) شجاعة عيسى إبراهيم : القاهرة ص ٨٨ .  
(٤٦) المنريزي : الخطوط ج ١ ص ٤٥٨ .  
(٤٧) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢١ .  
(٤٨) السيوطي : بغية الدعاء ص ٢١٣ .

ويروى التريزي من المسيحي انه في سنة ٤٠٣ هـ أمر الحاكم باحضار جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغنى بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرته للمناظرة بين يديه وكانته كمل طائفة تحضر على انفراد ، ثم يطلع الحاكم على الجميع ويصلهم (٤٩) .

ومن اشهر للعلماء الذين اتوا بطوبىهم في دار العلم رجل مكنون يقال له أبو الفضل جعفر قدم مصر فاعجب به الحاكم وخلق عليه ولقب بعالم العلماء وجهه يجلس في دار العلم يدرس النحو واللغة (٥٠) . ومنهم أبو بكر الانطاشي الفقيه المالكي الذي سمح له الحاكم ولشيخ مالكي آخر ان يتقيا بدار العلم ويلقيا دروسا في المذهب المالكي (٥١) .

كان الطلاب يتدفقون في دار الحكمة الى جانب علوم ال البيت وفقه الشيعة انعلوم العتلية والنقلية وهكذا اختلفت مناهج التعليم في هذا المعهد عن مناهج تعليم المساجد الناطبية المعاصرة اذ كانت تغلب عليها الصبغة العلمية بينما تغلب على مناهج المساجد الصبغة الأدبية وكان بين أساتذة دار الحكمة كثير من اساتذة السلف والمنطق والنجامة من أمثال : ابن يونس المعجم وأبو علي الحسن بن المهتم . وعلي بن رضوان (٥٢) .

وقد استطاعت دار الحكمة بغفل هؤلاء الأساتذة وما حلن لها من مناهج متنوعة جمعت من الدراسات العلمية والفقهية أن تجتذب كثيرا من اهل المشرق من اهل الرحالة الفارسي ناصر خسرو والداعي الحسن بن المصباح اللذين وفدا الى مصر في عهد المستنصر بالله القاطم (٥٣) .

كما كانت مكتبة دار العلم متصلة بمكتبة دار الحكمة التي مدت يدها من المؤلفات الاطلاع والنسخ والبحث والدراسة .

ولعل المدافع على انشاء المختبات من أمثال دار الحكمة هو أن الكتب كانت قبل اختراع الطباعة غالية الثمن ، لا يقتنيها الا الاغنياء لأنها كانت مخطوطات باهظة

(٤٩) التريزي : الختلط ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٥٠) رفيع الإصر : ص ١٩ به ( نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

(٥١) أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢ .

(٥٢) خطب عطية : التعليم في مصر في العصر الفاطمي ص ١٥٨ .

(٥٣) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٧٦ .

التكليف ولذلك لجأ القادرون من محبي العلم الى انشاء المكتبات يجمعون فيها الكتب ويفتحون أبوابها للراغبين كما فعل البطالمة في مكتبة الاسكندرية وكانت توافها انجاسية ومعل المباشيون في انشاء دار او بيت الحكمة في بغداد ، وكذلك فعل القاطبيون بانشاء دار الحكمة في القاهرة . ولقد اتفق المؤرخون على أن هذه المكتبات كانت تؤدي مسا توفيه معاهد العلم والجامعات والجمعيات العلمية في الوقت الحاضر (٥٤) .

كان لمكتبة الفاطميين في القاهرة - دار الحكمة - مخرج كبير وكانت استعمارة المكتب مباحة وان وضعت عليها قيود لتنظيم العمل وحسن سيره . وكانت مكتبة القاهرة شهر كنيا للسالكين في القاهرة فقط وأحبنانا يطلب من المستعير أن يدع نسنا ولكن يعفى العلماء واناضل الناس من دفع القيمان أو القلمين وكان على بن محمد الشاشبلى امينا لدار الحكمة بالقاهرة (٥٥) .

وقد كان الحاكم يميل الى حرية الفكر والرأي لذا شجع المناقشات الحرة في الدين والعلم وخلافه ولهذا فقد كان انشاء دار الحكمة لهذا الغرض . وقد أباح المناظرة بين المردددين الى دار الحكمة ويعتنون الاجتماعات هناك وتقوم المناظرات يكد يعفى الجدال الى الضلم (٥٦) .

وفي كتاب الملك الدوار في سماء الآنية الأظهار : أن الاغراض التي انشئت دار العلم من أجلها ثلاثة في جيلتها :

أولها : استيعاب الكتب والمطالعات والمحاضرات .

ثانيها : تنقيف الفناء وتدريبهم على ألا يسهم لهم بدخول الدار حتى يتقوا مراتبهم في الجاهع الأزهر .

ثالثها : تعليم موظفي الدولة وذلك بعد أن يتم هؤلاء دراسة النحو واللغة والمنطق والفجوم في الأزهر ثم يفادرونه الى دار الحكمة .

ومكذا كانت هذه الجملة التي اطلق عليها اسم دار العلم او دار الحكمة تقوم بوظيفة من اكبر الموظفين في الدولة وهي وظيفة اعداد الدعاة وتزويدهم بالعلوم

(٥٤) د . عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم من ٥٨ -

(٥٥) د . عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم من ٦٠ -

(٥٦) هرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٢٢٠ .

التي يستخفون بها على نشر الدعوة وكانت هذه الدعوة تسمىها تمزج بالفساد  
وأصبح العقل الفاطمي بسببه مخالفا للعقل السني كل المخالفة (٥٧) .

وقد اتخذت دار الحكمة طابعا مذهبيا منذ نشأتها فاشرف عليها داعي الدعوة  
بماونه فيها فقهاء اسماهم فقهاء الدولة أو المعلمون ولهم ايراق خاصة (٥٨) .

واتخذ بعض اصحاب البدع تلك الاجتماعات وسيلة لبحث آرائهم في دار الحكمة  
فماضطر الافضل بن أمير الجيوش في أوائل القرن السادس الهجري لابطالها فدعا  
لأسباب التعلق ( الفتن ) فلما تولى الافضل أمر الخليفة الأمر بالحكم الله وزيره المأمون  
البطانين فاعادها سنة ٥١٧ هـ ولكنها اشترط فيها السر على الأوساع الشرعية  
وأن يكون متوليا رجلا دينيا وأن يقام فيها متصرفون يرسم القرآن . ولا نظن أن  
عدد كتبا يتل عن ... ككاتب ولما انضمت الحكومة إلى صلاح الدين الأيوبي  
دمر دار المعلم وبنى مدرسة للشافعية (٥٩) . وكان الخلفاء الفاطميون مولعين بجمع  
كل ما يعثرون عليه من نسخ أي كتاب وقد نهبت هذه المكتبة في عهد المستنصر حيث  
نام الفوغاء بالمسطح والحرق والقاء كثير من كتبها في النيل (٦٠) .

ومن المولم حقا أن تستعمل المخطوطات الثمينة والكتب النادرة لتشكيل سجلات  
هؤلاء البرابرة — وأن يقوم عبيدهم واملاؤهم باتخاذ جلودها عمالا بلبسوتها في  
أرجلهم وقد حرص البرابرة الأتراك أن يقضوا على هذه الكتب لاعتقادهم أن فيها  
كلاما يخالف كلام المشارقة الذين يخالفون مذهبهم .

ويعلم الله ما كان لهم علم بكلام المشارقة ولا بكلام المغاربة ، ولا يأتى لون  
من ألوان العلوم صلة وإنما هو الجهل والهمجية فدعا هؤلاء الفوغاء أن يرتكبوا هذه  
الجريمة العظمى ، وأن يقطعوا المذوية الإسلامية في أشرفه مخطوطاتها (٦١) .

ولقد ضاع اغلب الكتب التي كانت في العصر وفي دار العلم في غضون الأشدة  
العظمى التي حدثت بالبلاد بسنن طويلة في عهد المستنصر ونزع من هذه المكتبة

- 
- (٥٧) د . عبد النظيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٨٠ .  
(٥٨) د . عبد المنعم ماجد : الامام المستنصر الفاطمي ص ٥٦ .  
(٥٩) جرحى زيدان : تاريخ القديس الاسلامي ج ٣ ص ٢٢٠ ( تولا عن ابن خلدون  
ج ٢ ص ٧٩ ويسمونها دار المعرفة ) .  
(٦٠) د . عبد العظيم منتصر : تاريخ العلم ص ٦٥ .  
(٦١) د . أحمد شيبلي : تاريخ التربية الإسلامية ص ١٩٨ .

ما يقرب من اثنين وأربعمئة « ختمة » مكتوبة بخط محلي بالذهب والفضة .  
وذهب ذلك كله فيما أخذه الأتراك في مقابل ما كان متأخرا لهم من الأوراق فلم يبق  
في خزائن القصر الخارجية شيء مطلقا (٦٢) .

ولكن عندما تسلّم بدر الجمالي مقاليد مصر جد في أن يجمع من كتب هذه  
المكتبة ما سلم من الحرق والغرق . فاستعاد ما استطاع أن يستعيده من  
الأنهار وأسفد ما كان في حوزة بعض الناس وبهذا استطاع أن يعيد للمكتبة  
شيئا من مكنتها (٦٣) .

ولكن رغم اختلاف التقديرات في عدد الكتب فمما لا نزاع فيه ان مكتبة  
الفاطميين كانت مطبقة بملئها المؤلفات وإذا كان جانب كبير من محتوياتها مما حصل  
عليه الخلفاء من البلدان الأخرى على أيدي دلالى الكتب (٦٤) وسامرتها فلا مساء  
ان عددا منها كان ينسخ في مصر وان الخلفاء كانوا يستأجرون النسخة  
وزبونونهم بما يحتاجونه من الأدوات اللازمة (٦٥) .

فلن كل ما ذكرناه عن دار الحكمة يدل على انها كانت بمثابة جامعة فيها  
استاذتها وبها مكنتها وفيها كل ما يسهل على النشاط العلمي والبحث والتخصيل  
فالفاطميون بإنشائهم الجامع الأزهر ودار الحكمة « دار العلم » كانوا أسبق الناس  
الى انشاء الجامعات التي تمتاز بها المدنية الحديثة في أيامنا هذه (٦٦) .

وما عن مكتبة أمراةيم الزقان ( حوالي سنة ٥٠٥ هـ ) من لطباء مصر  
الاشهرين ختم الخلفاء ونال منهم أحسن العطايا قرأ مساعدا الطب على ابن  
الحسن على بن رسوان وكان من أجل تلامذته . وكانت له همة عالية في تحصيل  
الكتب وفي استنساخها حتى كانت له خزائن كثيرة من الكتب الطبية وغيرها (٦٧) .

لكن أخذت صناعة الورق تتقدم باطراد منذ أواخر القرن الرابع الهجري  
ومساعدت سياسة الفاطميين على ذلك فقد دأبوا على جمع أكثر ما يمكن الحصول

(٦٢) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٩ .

(٦٣) أبو شامة : البوضتين ج ١ ص ٢٦٧ .

(٦٤) د. راشد البراري : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٦٠ .

(٦٥) المرجع السابق ص ١٦١ .

(٦٦) د. كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٢١ .

(٦٧) د. أحمد شلبي : تاريخ القرية الإسلامية ص ٢٠٤ .



عليه من الكتب خاصة الفاندر منيا حتى لا يذبح لكاتب بزداد وقرولية اقتناء هذه المؤلفات التقيسة (٦٨) . واجتهدوا لن نضم مكاتب القصر عددا كثيرا من النسخ من السفر الواحد وكانت خزانة الكتب مخخرة هذا العصر واكبر دليل على ارتفاع الادب والعلوم (٦٩) . وكان الخليفة يتوجه من وقت لآخر ويستقبل مؤوليا الذي يعرض عليه نسخا مختلفة من المصحف وما يقترح اضافته الى المكتبة من المؤلفات (٧٠) .

وفي عهد العاضد وجد من الكتب التقيسة ما لا يعد ويقال انها كانت الف الف وسبائة الف كتاب منها مائة ألف مجلد يخط منسوب للمعرومين من امثال ابن الجواب وابن مطة والفا ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطيرى مباح السلطان جميع ذلك وقام ببيع فيها عشر سنين (٧١) .

لى انه في الوقت الذي سقطت فيه الدولة الفاطمية كانت لا تزال هناك مكتبة كبيرة في قصر العاضد اخبر الخلفاء الفاطميين ويظهرون ان هذه المكتبة قد استعمادت شيئا من سابق عظمتها وروائها اما باستخراغ بعض كتبها التي ضاعت في هذه المحن او باضافة بعض الكتب الجديدة ولكن هذه الكتب قد بيعت كما ذكرنا عندما استولى صلاح الدين الايوبي على القصور الفاطمية الزهراء وان بل هذا على شيء فانها بل على كثرتها وغزارتها (٧٢) .

- 
- (٦٨) د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٢٦ .  
د. زكى محمد حسن : كتوز الفاطميين .  
(٧٠) المقريزى : الخطوط ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩ .  
(٧١) المقريزى : اتعاظ الحنن ج ٢ ص ٢٢١ .  
(٧٢) ابن الاثير : الكلب ج ١١ ص ١٤٨ وما بعدها .

## المدارس والكتاتيب والزوايا

ولم تكن هناك مدارس في العهد الطولوني والاختشيدي أنها تلقى الدروس في المساجد كمسجد عمرو وابن طولون وفي بيوت الامراء والوزراء والحكام وكانت هناك سوق تسمى « سوق الوراقين » تباع فيها ، وأحيانا تنور في مكائنها المنظر (١) .

واستجبت الدعوة للتشجيع تنظيم وسائل الدعوية من انشاء المساجد ودور الكتب . فالمساجد كانت لهذا العهد هي المدارس وهي المحاكم وهي مكتبة العبادة وهي مكان الخطب السياسية فيما يجد من الأحداث فكانت تقوم بوظائف اجتماعية اكثر جدا مما تقوم به الآن . فلما كان المسجدان الكبيران في مصر يوادعوا الانسلاخا . وجامع ابن طولون كانا مركزا للتعليم المنس من قبل الفاطميين وقدم دعا الامر عند انشاء القاهرة التي انشاء مساجد تعلم فيها الصلوات وتنشر منها الدعوة الدسمة بجانب تلوين مسجدى مصر بالتشجيع ايضا وتكون مركزا لنشر المبادئ السياسية والاجتماعية (٢) التي يواد نشرها . فأسس الأزهر لهذا الغرض بناء جوهر خالد المعز وكان الخليفة المظفر يخطب فيه بنفسه كل جمعة التي ان انشا الحاكم جامع سنة ٣٨٠ هـ فوزعت الخطبة على المساجد الأربعة . واتخذ الأزهر كغيره مدرسة لدراسة المذهب الشيعى وبني الأزهر كغيره لتفقه الشيعى الى أن بني الحاكم جامع فتحلق فيه الفقهاء الذين يتحلون في الجامع الأزهر (٣) . وعلى الجبل فقد كانت المساجد والمكتبات والمكاتب هي المكتبة للدراسة هذا عدا المجلس الخاصة في بيوت العلماء والوزراء .

نعم كانت الكتاتيب منتشرة في المدن والقرى حتى من عهد الرسالة ولكن

(١) د . احمد امين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٩٧ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٠ . القسريزي : المخطوط ج ٢

العاصمة المعاصرة هي التي لم يكن لهما مدارس خاصة وإنما كانت تقوم في  
الجوامع (٤) .

وكانت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية مركز إشعاع جذب إليه المثقفين  
والعلماء من أنحاء الدنيا فكانت محراً تشعرت فيه صناعة القلم والفكر ، وانتشلت  
المكتبات المصطفوية والمدارس من أثره عمر المدار الشهيرة « دار الحكمة » كما أصبحت  
مستجديها منارات علم تلقى الدروس في صحنها وكان الأزهر هو أول هذه  
المساجد (٥) .

أما معاهد العام فكان في طليعتها الأزهر وهو أقدم مدرسة في مصر . وقد  
أسست الدولة الفاطمية وحافظته بالرعاية وجمعت له كثيراً من كبار العلماء ورتبت  
لهم الأموال وكانوا يدرسون لغة الشيعية وشيئنا من اللغة والنحو والمنظرات  
والجدل العلم وكانت الهيئات العلمية واجزال المعادبا للمعلمين جانزا على البحث  
والدراس (٦) .

ويشير المقرئبي (٧) : ١٧ : « من الجوامع التي تقسم فيها الجمعة بمصر وبلاهورها  
من الجزيرة والقراة أربعة عشر جامعاً ومن المساجد أربعاً وأمانون مسجداً  
ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمان زوايا ومن الربط التي بمصر  
والقراة بضعة وأربعون ربطاً » .

كما وأنه على ذكر الربط المنتشرة في القراة الكبرى بمصر نذكر أن مسجداً  
الأمة الفاطمية بآلاتها أربعة أثنان ربطاً مثل ربط الحجامة . وقد أمرت بإنشائه فوز  
جارية على بن أحمد الجرازي وذلك سنة ٢١٥ هـ / ١٠٢٤ م ووقفته على وأعطته  
زمانها السيدة الحجامة وربط التاريخ وقد أمرت بإنشائه الجمعة الأمرية المبرومة  
بجهة الدار الجديدة سنة ٥٢٢ هـ / ١١٢٨ م وربط الأندلس . وقد أمرت بإنشائه  
السيدة علم الأمرية ونسبى بنت القصور سنة ٥٢٦ هـ / ١٢٢١ م . وشيئنا  
العجائز والأربط ولا شك أنها كانت متأثرة بطراز الربط التونسية (٨) .

- 
- (٤) أحمد أمين : أثر الإسلام ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٥ .  
(٥) المقرئبي : الخطط ج ١ ص ٤٠٨ .  
(٦) صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى انتهية الحديثة :  
عبد الصمد حسن أ ص ٨ - ٩ .  
(٧) المقرئبي : الخطط ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٢ .  
(٨) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ١١٢  
( م ٢٢ - الحياة الفكرية في مصر )

وتحوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والزوايا والقرى  
المنيلية والسكن الجويلة والمنظر والبهجة والقصور الشامخة والبيوت النضرة  
والصوامع الفاخرة والتعابير المعجزة بأشكالها الأتواء والأسواق الملونة بما تشتمل  
الأنفس والخانات المشحونة بالواردين والفنادق الكافلة بالسكان والخرب التي تحلى  
بالقصور ما لا يمكن حصره ولا يصره ما هو ندره إلا أن ندر ذلك بالتقريب .

فالخائفة والبط والزوية - وجسمها خوائق ورباطك وزوايا - بمعاد دينية  
اسلامية للرجال والنساء وهي كالآديرة المسيحية ويقاطق الرباط أحيانا على الدير  
المسيحي كما يقال للراهب المسيحي رباط .

غير أن تلك المعاهد الإسلامية لم تكن يوما للرهبنة وإنما نشئت لإيواء المنتظمين  
للعلم والزهد والعبادة . وكان فرض منسئبها والتصدقين عاينها فعل الخير واكتساب  
الثواب ولفظ الرباط والزوية مريبان فأصل الرباط مكان إقامة الحامية الرابطة عند  
شور العدو كما أن الزوية في الأصل الركن أو المكان علمة (٩) .

أما الخائفة ففارسية ومعناها البيت وهي حبيثة في الإسلام - في حدود  
الاربعمئة - وجعلت لتخلي الصوفية فيها للعبادة والتصوف وأول من أحدث  
الخائفة في الإسلام السلطان صلاح الدين الأيوبي . فكانت الخائفة التي أنشأها  
دارا تعرف بالولاد سعيد السعداء نسبة إلى الاستناد كثير سعيد السعداء عتيق  
الخليفة المستنصر وكانت هذه الدار مقابل الوزارة (١٠) .

كما أن من كان مدرسا في الزوايا وصف بسعة العلم والتضلع بالفنون والأخذ  
من كل منها بحظ وفكر وطيرل باع في البحث والمنظر والوقوف مع الحق فيها وعدم  
الجدال في الباطل . وتربية الطلبة وتكديهم والتقريب على من عسر على فهمه شيء  
من المسائل وعدم الترفع عليهم وتزليلهم منازل في الفضل وتقديم من برع فيهم (١١) .

كما وصي أن كان مدرسا بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه وأن  
يدفعهم إليه جود استطاعته ويربيهم كما يربي الوالد ولده ويستحسن نتائج  
أفكارهم التي يأتون بها في درسه ويقدم منهم من يجب تكديهم وينزل كل واحد منهم

(٩) محيط المحيط .

(١٠) القريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ١٨٢ .

(١١) التلغشتندي : صبح الأضي ج ٣ ص ٥٠١ .

مزيله ليظهرهم ذلك الى الاحتجاب على الاستعمال والازدياد في التحصيل ثم ياتي كل مدرس بما تنسبه من امور العلم الذي يدرس فيه لمن كان يدرس في علم خالص (١٢).

فهناك اكابر المرسين في عامة العلوم بالمكن بمفصوصة كالأزوية الخشلية بالجامع العتيق ببصر والمدرسه الصلاحية بقرية الامام الشافعي بالقواصة ونحو ذلك بالقلار الملكة من مدارس الفقه والحديث والتفسير وقبر ذلك من العلوم الدينية (١٣).

ومن معاهد العلم « الأزوية » وهي مأخوذة من الفعل الأزوى تونزوى وبمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد . وقد أترك القائل المسلمون الأوائل حاجة المعتكفين الى هذا الأتواء فاتفقوا لهم بمسكن بالمسجد ، كما شاهد ذلك مثلا حتى الآن ببعض مساجد فاس والقاهرة . ثم تطورت الأزوايا بعد الى ابنية صغيرة ومعصاة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يعم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبثون فيها ويعتدون بها حقاك دراسية في علوم الدين وما ينصل بالدين من العلوم النقلية والعقلية . كما يمدد فيها المشايخ الطوق التصوفية المذكور ، ونطاق الأزوية ايضا على الزود والرباط الذي قدس له احدى الطرق الصوفية ونفشر الأزوايا في كثير من أرجاء المدن والقرى (١٤) .

وظهر في مصر بجانب مسجد عمرو وجامع ابن طولون مساجد أخرى حيث أخذت الزيادة في عهد الفاطميين حتى بلغت في مصر والقاهرة خمسة عشر مسجدا جابها موزعة على أحيائها وفي القرن الرابع الهجري كثرت المساجد لدرجة انها بلغت في بغداد ثلاثين اثنا وفي مصر والاسطاطل وحدها ستة وثلاثين اثنا وفي الاسكندرية في أواخر القرن السادس الهجري اثنا عشر مسجدا وفي بلترز بملاية اكثر من ثلاثمائة مسجد (١٥) .

وان اشارة ابن جبير والهروى الى هذه المساجد وكثرتها تعطينا صورة واضحة لما كانت عليه المدينة من عمران في العصر الفاطمي السابق لان هذه

(١٢) المرجع السابق ج ١١ ص ٩٧ .

(١٣) المرجع السابق ج ٩ ص ٢٥٦ .

(١٤) د . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ٤٢٢ .

(١٥) د . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٨ .

الألوف لم تبين كلها في أوائل عصر صلاح الدين وإنما بنيت في المعمور السابقة وخاصة في العصر الفاطمي (١٦) .

والتي جانب جامع الأزهر تولى الفاطميين يبنون جامع الحاكم وجامع راشد وجامع المنس وجامع القرافة وجامع الأهر ونقل إليها الفاطميون المصاحف وجلس فيها معلم العلماء والفتهاء فكانت حلقات هذه المساجد بمثابة مدارس لتلقي الدعوة الفاطمية (١٧) .

وكانت معظم الدروس في الفقه وعلم الكلام تعطى في المسجد والمستمعون على هيئة حلقة بين يدي المدرس . وكان هذا يتخذ مكانه إلى جانب أسطوانة المسجد مستندا إليها بظهره إن أمكن وإذا اقترب أحد من هذه الحلقة سبغ التذاه : دوروا وجوهكم إلى المجلس .

وقد أحصى المقدسي في المسجد الجامع بالقاهرة وقت الشناء مائة وعشرة مجلس من مجالس العلم (١٨) .

وكان تغير التعليم سببا في إيجاد نوع جديد من المؤسسات العلمية . ذلك أنه لما انتشرت طريقة التدريس نشأت المدارس ولعل من أكبر الأسباب في ذلك أن المساجد لم يكن يصح تخصيصها للتدريس لما يتبعه من مناظرة وجدل قد يخرج بإصحابه أحيانا عن الأدب الذي يجب مراعاته للمسجد فالقرن الرابع الهجري هو الذي أظهر هذه المعاهد الجديدة التي بنيت إلى أباناً وخصوصاً المسجد الجامع حيث كان القاضي يجلس في النهار للحكم بين الناس وحيث كان العلماء يعتقدون حلقات التدريس وكان يبلغ المسجد أمصاه في المساء ، يحكى لنا المقدسي ما شاهده بالفسطاط فيقول : « بين المشائين بالفسطاط جامع مخصص بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحكمة » (١٩) .

(١٦) د . جمال الشيبان : تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي من ٨١ - ٨٢ .

(١٧) د . حسن أحمد محمود وآخرون : في تاريخ مصر في المعمور الوسطى والحديثة من ٧٤ - ٧٥ .

(١٨) آدم مثر : الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ ج ١ ص ٣١٤ - تسلا عن القمسي من ٢٠٥ .

(١٩) آدم مثر : الحضارة الإسلامية في القرن ٤ هـ ج ١ ص ٢١٨ .

ولم تكن الحلقات العلمية بالمساجد متصورة على الغراسات الدينية وإنما تعدتها إلى سواها من المعارف فقد ثبت أنه درست بالمساجد اللغة والمنطق والطب ويروى السبوطي أن دروساً مختلفة وثبت في الجامع الطولوني وقد شملت التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءات والطب (٢٠) .

ويقول عبد الطيف البغدادي : أن دروساً في الطب كانت تدرس في الأزهر في منتصف النهار من كل يوم \* .

وكانت توجد اجتماعات أخرى تعقد في المساجد فكانت هذه المراكز العلمية والتقانية إلى جانب كونها مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم ودوراً للمنتسب كذلك كان مسجد نهباء لول مسجد في الإسلام (٢١) - حيث أن القرآن أساس العلوم الدينية فتعليمه أساس التعليم الديني وأول دروس القرآن تراته ، فأول المعلمين في الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم علمه للصحابة وهم علومه نيلس على ما ترتب عليه أو تفرع منه من العلوم .

ولهذا السبب كانت مدارس المسلمين في جوامعهم (٢٢) كجامع المنصور في بغداد والجامع الأموي بدمشق والجامع الأزهر في القاهرة وجامع القيروان بقونس وجامع شرطبة بالأندلس وجامع القرويين في المغرب والجامع الكبير في صنعاء (٢٣) .

فكانت هذه المساجد تقوم بنسب المدارس والجامعات في أيدنا الحديثة فقد كان الناس يتخلفون في المساجد حول العلماء يستمعون إلى ما يلقيه هؤلاء عليهم من علوم وآداب على النحو الذي نراه إلى الآن في بعض المساجد في مصر . وغرب الفاطميون ما للمساجد من أهمية في الحياة الثقافية فأكثروا من بنائها أولاً ثم كان اعتمادهم عليها من حيث انخسها كمدارس يظن فيها الأعالي تعاليم المذهب السني (٢٤) .

فلعددت مراكزها في مصر ، وكانت حلقات الترس في المساجد أو الدور في القاهرة والقسماط أو في الإسكندرية وتيس في الشمال وفي أسوان وقفت

(٢٠) د . عبد الحلیم منتصر ص ٥١ - ٥٥ .

(٢١) د . عبد الحلیم منتصر ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢٢) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ٢ ص ٢١٩ .

(٢٣) د . عبد الحلیم منتصر : تاريخ العلم ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢٤) د . على إبراهيم : في تاريخ مصر في العصور الوسطى ص ١٢٢

في الجنوب (٢٥) . ومن أبتلة ما جاء فيها أنه كان في الإسكندرية على عهد الفاطميين عشرون مدرسة عظيمة وفي القاهرة عدد عظيم من المدارس الكلية (٢٦) .

من هنا نرى أن المدارس المختلفة لم تعد في هذا العصر الفاطمي قاصرة على حضرة البلاد بل انتشرت في جميع أرجاء مصر في أفنق وغيرها مما مهد السبيل لها لتتخطى حدود مصر الجنوبية والنفوذ إلى بلاد السودان . ولا تنكر أن مدارس هذا العصر قد زهت وتفتتت على المدارس الأخرى (٢٧) .

ثم انتقلت مجالس العلم وحالونات الأدب والاجتماعات العلمية من غمصور الخلفاء والمساجد إلى المدارس فقد زاد الإقبال على هذه الحفلات وتعددت في المسجد مما احتث من المروضاء والقبضة ما غذا معوما . وانضحت صبغوبة استعمال المسجد للتدريس والصلاح . ولذا ترك الأزهر للتدريس زمنا ولم يكن نظام به إلا البجعة ثم ان المسارف زادت تنوعا وازدادت لسباب الجدل في دروسها مما لم يكن يتفق أحيانا ومهابة المساجد وجلالها (٢٨) .

وكثر الدارسون والمفطمون في حلقات الدين والعلوم في رحاب المساجد مما دعا إلى بقاء مدارس الحق أول الأمر ببيوت أهـ . ثم انفصلت واستقلت لتصبح مدارس نظائيه تدرس بها علوم الدين واللغة والتاريخ إلى جانب العلوم العقلية من طب وتمك وجغرافيا ورسم هذا ظلت للمساجد تدبيرتها واستمرت تؤدي رسالتها العلمية وينظم فيها المسلمون ممن يريدون التقيية في الدين ومعرفة الأحكام والفرائض (٢٩) .

كذلك نزل الفاطميون في مؤسستهم التعليمية بهجر إذ عينوا أجهها دينيا خامسا تتوخاه الدراسة ويحبوا خيرة رجالهم للأشراف على هذا الفرجيه ونشر الدعوة للمذهب الفاطمي . فلا غرابة في أن كانت العلوم المؤيدة للمذهب الاسماعيلي صلاجا على الدراسة بالأزهر في هجدهم لأنهم انتسوه لهذا الغرض وكانت أوقات التعليم

(٢٥) د - محمد حسين حائل : في ادبه مصر الفاطمية ص ١١٩ .

(٢٦) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٢ ص ٦ .

(٢٧) د - حسن أحمد محمود وآخرون : في تاريخ مصر في العمور الوسطى والحديثة ص ٧٦ .

(٢٨) د - عبد الخليم منتصر : تاريخ العلم ص ٥٥ .

(٢٩) محمد الحميني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة العربية الاسلامية



في مصر منذ أواخر القرن الرابع الهجري في عهد العزيز الأزهر معهدا علميا أكثر منه بمسجدا وتمتد أوقف الحكام بامر الله للجوامع الأزهر وبيت الحكمة أوتقلا عذلية (٢٠) .

وكان من الطبيعي أن فصطيح الحنكيات بفقهاء الشريعة وعلومهم لكن ذلك لم يكن محتوما . لهذا كانت الدولة الفاطمية تسلك في كثير من الأحيان مسلك التغاضي والتسليم وإن كانت في أحيان أخرى تشتط فتعاقب مخالفيها في المذهب .

وكان هذا الشطط بعد أن تمكنت الدولة سياسيا وقد أدى ذلك إلى أن تولي المذهبين اللذان كانا سائدين في مصر من قبيل وهما المذهب الشافعي والملكي ، وصارت الغلبة للمذهب الشافعي (٢١) . وعلى هذا كانت الدراسة بالأزهر في العهد الفاطمي تجول في ميدان من الحرية يتسع حيناً ويضيق حيناً آخر .

ولم ينف جهود الخلفاء الفاطميين في أحياء العلوم ونشر المعارف عند حصد اقتناء الكتب والحفاظ عليها . بل انهم تشروا النظم وشجروا الناس على الاعتراف فيه بكل الوسائل والطرق . فلقد ظل العلم يلقى في جامع عمرو في حفلاته العلمية والأدبية التي كانت تعقد بانتظام ويشهد بها عدد كبير من الأساتذة والطلاب والأدباء والشعراء كما كان يحدث في عهد الدولتين الفاطمية والأخشينية (٢٢) وأوقف عليه الخلفاء الفاطميون وعلى غيره من المساجد الأوتق والهدايا وقد كان يصيب الجميع لهذا السبب كثير من الترميمات والأصلاحات بين آن وآخر . كذلك كان الخلفاء الفاطميون يشجعون الطلاب بالرمزية والعطف وترتب لهم نفقات مأكلهم ومشربهم فضلا عما تقدم لهم من الأتعاب والخطوى في جميع المواسم والأعياد (٢٣) . ومن أشهر الفقهاء الذين جلسوا للتدريس في جامع عمرو في عهد الفاطميين على بن نصر بن سليمان الزينقي اللخوي ، وقرىء عليه كثير من الكتب الأدبية وأبو أسامة جنادة بن محمد التحوي وأبو الحسن بن طاهر بارشاذ فكان كلاهما صالحا في اللغة والنحو (٢٤) .

- 
- (٢٠) د . عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ص ٧٤ .  
١٣١١ وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه تطوره ص ٢٧٤ .  
(٢١) شحاته عيسى إبراهيم : القاهرة ص ٨٨ .  
(٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٤١ .  
(٢٣) شحاته عيسى إبراهيم : القاهرة ص ٨٨ .

وإن كانت الجوامع كمركز لنشر المذهب الشيعي غير أنه لا ينبغي عن البطل أن الخلفاء النساطيين كانوا يتخذون من الجوامع مراكز لنشر المذهب الشيعي لاشاعة عقائدهم بين الناس فقد جلس كثير من الفقهاء درسوا فيه الرسالة الوزارية التي أنعمها الوزير يعقوب بن خلف في الفتحة الشيعي في عهد العزيز كما ظم محمد بن النعمان كذلك قام بتدريس العلوم الشيعية في زمن الحاكم بامر الله القاضيان علي ابن النعمان وعبد العزيز بن محمد بن النعمان كذلك ادى جامع ابن طولون دوره كمعهد علمي (٢٤) . غير أنه لم يتح له من التشيخ والشهرة مبلغا يتيح لجامعي عمرو والأزهري . إذ لم يرو لنا الفريخ أسماء لامعة قامت بالتدريس فيه مثل مساروي من أسماء العلماء والأدباء والفقهاء الذين حضروا في الجامعين المذكورين (٢٦) .

وكانت المعاهد الاسلامية نفاجا تعليميا من صميم حاجة المجتمع الاسلامي وتطوراته تنبئ بروح الاسلام وينتدى بتعاليمه وأغراضه ولم تكن في حيلها دخلت أو مأخوذة عن الحضارة القديمة وإنما كانت متصلة في نموها وتطورها بالحياة الاسلامية العلية تنعكس فيها اهم اغراض واتجاهات تلك الحياة . فالمعاهد الاسلامية المختلفة اشكلت في اوقات متباعدة بتلك الظروف خاصة ولتصديق اغراض معينة اولها حلجبت الحياة الاسلامية العلمية المتطورة واهم تلك المعاهد : الكتب والمسجد أو الجامع أو دار الحكمة ودار العلم والمدرسة والبيارسقان والخوانق والزوايا والربط وحلقات الخرس ونور الكتب .

وقد نهض المذهب الاسماعيلي على أيدي الفاطميين نهضة بعيدة الأثر من حيث استخدام الدعوة الاسماعيلية كإسلك الدولة الفاطمية وبسبب نموها واعتمد عبيد الله الفاطمي أول الخلفاء الفاطميين على المدارس التي أطلق عليها اسم مدارس الدعوة لنشر عقائد المذهب الاسماعيلي بين أتباعه سرا . وقد راجت مدارس الدعوة في المهدي حاضرة الدولة الفاطمية الناشئة في عهد عبيد الله المهدي ثم راجت في المنصور حاضرة هذه الدولة في عهد حفيده المنصور (٢٧) ثم في القاهرة في عهد العزيز ومن جاد بعده من الخلفاء الفاطميين . وقد مرغت هذه المدارس بهر باسم

(٢٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩ - ابن دهماسق : الانتصار ج ١ ص ٦٤ د .

(٢٦) شحانه عيسى إبراهيم - القاهرة ص ٨٩ .

(٢٧) د . حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ٤٢٧ .

« مدارس الحكمة » التي كان لها تسان كبير في نشر التسامح الاسباعيلية . وقد اهتمت هذه المدارس بتفريخ دعاة يفتون في عملة البلاد الاسلامية ليتشروا المذهب الاسباعيلي بين الناس ويكوتوا اداة اتصال بين رئاسة الدعوة والدولة وبين اشباعهم المسيحيين (٢٨) .

ولكن يخط الخلفاء انفسهم بهولة من التدريس عمدوا الى تأسس المدارس الخاصة لتعليم عقائد المذهب الذي يعتقدونه . وكان الاسباعيليون يعقدون مجلسا ومنتديات علمية من وقت لآخر وتوام هذه المجالس اسلطة بيت الحكمة الذين كانوا يتقربون الى جماعات تبعا لتخصصهم ومواد دراستهم فكان يجتمع عفا اسلطة التطق والمجند وهناك الغفراء والمحدثون وفي مكان ثلاث طباء الرياضة ، ويشمل الأطباء مكانا رابعا وهكذا (٢٩) . .

وبينها كانت دار العلم وغرما من المراكز العلمية الهامة تقوم بوظيفتها على هذا النحو اذ مؤسسة اخرى كانت قد بنت ونزعرت في الاوساط السنية في الشرق وهذه المؤسسة الجديدة هي المدرسة (٣٠) .

ومن المعيد ان تعرف شيئا عن تعليم النساء المسلمات ، وان وجدنا اول نداء لتعليمهن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم حيث اعتبرت روجه عائشة حجة في الدين الاسلامي وقد وجدنا نساء شاعرات واديبات أو شاعرات وعن اللاتن كان وجودهن ضروريا لشئون الولادة .

كذلك كانت تفتى بروس خاصة للسيدات العاليمات في مكان مخصص لهن في قصر الخليفة يعرف بالحول لتعلمن شئون العتاد الفاطمية . كما كان النساء يحضرن مجالس الوعظ وتكون بينهن وبين الرجال سكرة ولكننا لم نسمع عن وجود مدارس للتفتيات أو وجود تعليم مهني في بلاد الاسلام أو حتى في البلاد المسيحية في العموم الواسع مما يدل على ان تعليمهن كان خافيا (٣١) .

- 
- (٢٨) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٣١ .  
(٢٩) محود عطية الابراشي : التربة الاسلامية وملاستها ص ٩٣ .  
(٣٠) القريزي : الخطط ج ١ ص ٢٥٨ .  
(٣١) د . عبد المظم بلجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٩٨ - ١٦٣ - ١٦٤ .

أما عن المدرسين في ظل الفاطميين فقد سجل القرظي (٤٦) والعلقشندي (٤٧) معلومات منظمة الغثرة لا عن مرتب المدرسين فحسب ولكن عن المرتبات المهمة في الدولة بما في ذلك داعي الدعاة وهو الشخص الأول في طائفة المدرسين في المهدي الفاطمي وستقبس فيما يلي بعضا من هذا السجل ليحدد لنا مركز المعلم المالي بين مراكز الآخرين من كبار موظفي الدولة (٤٨) :

الوزراء	٥٠٠ دينار شهريا .
أمين الوزير	٢٠٠ دينار إلى ٣٠٠ دينار شهريا .
كاتب الديست الشريف	١٢٠ دينار شهريا .
صاحب الباب	١٢٠ دينار شهريا .
داعي الدعاة	١٠٠ دينار شهريا .
الأساتذة المحفكون	١٠٠ دينار شهريا .
صاحب بيت المال	١٠٠ دينار شهريا .
حامل الرسالة	١٠٠ دينار شهريا .
صاحب الدفتر	١٠٠ دينار شهريا .
صاحب السيف	٧٠ دينار شهريا .
صاحب الرمح	٧٠ دينار شهريا .
رئيس المديوان	٥٠ دينار شهريا .
الطبيب الخاص	٥٠ دينار شهريا .
رئيس ديوان التحقيق	٥٠ دينار شهريا .
رئيس ديوان المجلس	٤٠ دينار شهريا .
الواعظ بالسجد	من ١٠ دنانير إلى ٢٠ دينار شهريا .
شاعر الخليفة	من ١٠ دنانير إلى ٢٠ دينار شهريا .

ولكل من الأطباء الآخرين الذين كانوا يقيمون في القصر ١٠ دنانير كما أوجد الفاطميون خزائنه الكسوة التي كلن يخرج منها أكسية لجميع الأمراء وكبار القولة وقد تنوعت هنا الأكسيات بنوع طبقات الناس وكانت كسوة رجال التعليم مذهبة

(٤٦) القرظي : الضلط ج ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(٤٧) العلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٤٨) د . أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص ٢٤٥ .

تتكون من ست قطع أهمها القننوسة والطيطلسن (٤٥) .

وأصبحت الخصرة شعار الفاطميين بدل السواد والذي كان رمز العباسيين  
ومن هنا ليس رجال العلم في هذا العهد عبادة خضراء (٤٦) .

إن رجال التعليم في العصر الفاطمي في مصر اتخذوا صبغة خاصة وبألوانها  
أنجاه معين - ذلك هو نثر المذهب الإسماعيلي الذي كان يحتفقه خلفاء الدولة (٤٧).

كما كانت المكتبات والمجتمعات العلمية ودار الحكمة وغيرها جزءاً هاماً من  
الخطه التي دبرها الفاطميون لنشر الدعوة الفاطمية إلا أنه في أواخر عهد الفاطميين  
وتقبل مجيء صلاح الدين الأيوبي كانت مصر قد تفلتت نوعاً ما بحركة الرجوع إلى  
المذهب السني . فتمس وزير من وزراء مصر في عهد الخليفة الحسانط مدرسة  
شاذلية في الإسكندرية سنة ٥٣٢ هـ ولقد أسسها رضوان بن الولختي وأسند  
التدريس فيها إلى الفقيه المالكي أبي الطاهر بن عوف ٤٩٤ الذي سبق أن قرأ  
المذهب المالكي على زوج خاله أبي بكر الطرطوشي .

وكان يدرس فيها الفقه وعلوم الدين وخلال القرن السادس الهجري أصيب  
لهذه المدرسة ولمن على رأسها تلاميذ ومعت شبره الأتقي (٤٩) . وأسرة بني سويد  
كانت إحدى الأسر الكبيرة في مدينته الإسكندرية حيث كانت تتجمع بشرة ضخمه  
ومركز اجتماعي وبرز من أفرادها عدد كبير من الرجال تباركوا في الأحداث السلسية  
والحياة العلمية في الإسكندرية وكان على رأسهم الفقيه أبو الطاهر . ويبدو أن كثرة  
المساجد في المدينة قد أثار الأملج في نفسه وبنعه إلى هذه المباني فان كاتباً  
بمصر هو محمد بن عبد الوهاب المعروف بابن خزيمه الذي زار الإسكندرية في

(٤٥) القريري : الخلط ج ٢ ص ٤٠٩ - ٤١٢ - ٢٧٠ .

(٤٦) د . أحمد شلبي : تاريخ القريه الاسلاميه ص ٢٧٧ . أملاً من عقد الجهان  
للمعنى ج ١٢ ص ١٩٢ مخطوط .

(٤٧) د . أحمد شلبي : تاريخ القريه الاسلاميه ص ١٩٠ .

(٤٨) هو اسماعيل بن مكي بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري ينتهي نسبه  
إلى عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل ولد سنة ١٨٥ هـ وتوفي سنة ٥٨١ هـ  
عن عمر يناهز سناً وتسعين سنة شهد نهاية الدولة الفاطمية وقبام دولة صلاح  
الدين .

(٤٩) د . جمال الدين الشليل : تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الاسلامي

ص ١٨٠ .

سنة ٥٦٠ هـ واقام بها نحو اربعين سنة يقول عن وصفه المدينة :

« وبها ٨٠٠ مسجد منها ١٩٠ للخطبة وبها ١٨٠ مدرسة اطلب العلم بها (٥١) وكان يتيم في تلك المدارس طلاب العلم وتجرى عليهم الأرزاق من ديوان الوزير وهو مسجل عن الخطبة بنقلها وجعل اسم المدرسة الدخانية نسبة الى الخليفة اتحفظ وان غلب عليها اسم المدرسة الدخانية نسبة الى الفقيه الكبير - وكان موقع المدرسة كما يقول النسيب في شرح الحجة (٥١) .

وبعد عشر سنوات أي في ٥٤٤ هـ بنى العادل بن السلار وزير الخليفة الظاهر الفاطمي مدرسة ثانية أخرى بالإسكندرية وسند التدريس بها الى الفقيه الشافعي أبي الطاهر أحمد السلفي وقد ظل يدرس بها ويفرا الحديث مما يترب من نصف قرن نخرج عليه فيها جماعة من العلماء الكبار الذين قدوا الى الإسكندرية من مصر ومن المغرب والمشرق (٥٢) .

وقد جاء السلفي الى مصر في عهد الفاطميين ونزل القاهرة ثم غادرها الى الإسكندرية وعاد الى القاهرة مرة ثانية قبل سنة ٥٢٩ هـ لأنه سمع القاضي ابن أبي الحديد قاضي الإسكندرية الذي توفي في هذه السنة ومنها استقر به المقام تزوج واحدة من كريات نساءه سنة ٥٢٤ هـ . وكان بالإسكندرية للعادل بن السلار واليا فاحتل بالسلفي وزاد في إكراهه وعمر له هذه المدرسة التي عرفته باسمه ونوى تدريسها له وجعلها للتسمية (٥٢) .

قال ابن خلكان عندما زار الإسكندرية بعد وفاة السلفي بزمن طويل بقرب من خمسين سنة : « وهي معروفة به الآن لم أر مدرسة للتدريس سواها » .

وكان الأحفظ نقبها ذرعا نفاة فاضلا حافظا مفضا سمع كثيرا وحفظ كثيرا وكان كفاه منصبا على الحديث وجمعه - قال بنشدا لنفسه :

(٥٠) د . محمد حمدي المتباوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٥١) يرجع انه النارج الذير الذي كان مهتدا من باب رشيد الى باب البحر وموضعه الحالي طريق الخرية .

(٥٢) د . محمد زقلول سلام : الأدب في العصر الأموي ص ١٥٧ .

(٥٣) ابن خلكان : وليك الأعيان ج ٢ ص ٩٢ .

انه علم الحديث علم رجال تركوا الابتداع للاتباع  
فاذا الليل جنهم كتبوه واذا أصبحوا أصبحوا للاتباع (٥٤)

وابن السملار هذا كرمي الأمل وكان في نزاع متواصل مع وزير شيعي الأصل  
هو « ابن مصلح » وكان ابن السملار في أول أمره شيعيا ثم أظهر اعتناقه للمذهب  
السنن (٥٥) .

ويقول ابن خلكان في ترجمته للسائل أبي الحسن علي بن السملار وزير  
الحليفة الظاهر الناطقي « وكان ظاهرا الشافعي شافعي المذهب ولما وصل انحاء  
أبي الطاهر السلفي (٥٦) إلى نهر الإسكندرية المحروس وأقام به ثم سار العادل  
المذكور واليا به « أي القفر » احتفل به وزاد في إكرامه وعمر له مدرسة فوض  
تدريسها إليه وهي مبروفة به الآن » .

وهو الممكن أن يقال - اعتنقوا على نص ابن خلكان هذا - أن ابن السملار  
لا صلاح الدين الأيوبي هو أول من أوجد المدارس بديار مصر وأن الإسكندرية من

(٥٤) د. محمد زغلول سلام : الأديب في العصر الأيوبي ص ١٥٨ .

(٥٥) د. عبد اللطيف حيزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٥٦) هو الأفاضل صدر الدين أبو الطاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم - علم من  
أعلام الفكر الإسلامي وكان العلماء يسمون الرجال إليه من كل هذب وهشوب  
يلخصون عنه ويستمعون إليه ويتناذرون عليه ولد في أسهمان سنة ٤٧٥ هـ وتوفي  
علموه بها ورحل إلى بغداد ومكة والبصرة والكوفة ثم ولد إلى الإسكندرية سنة  
٥١١ هـ وأدركها أبو بكر الطرطوشي في أواخر أيامه ثم عاصر بعد وفاته عددا من  
ملايئذه وبخاصة أبا الطاهر بن عوف وست بن عثمان فكانوا جميعا قادة الفكر  
والحركة العلمية في الإسكندرية في الأربعين الثلاثة الأولى من القرون السمساس  
الهجرية واشتغل السلفي بالتدريس خصوصا علم الحديث وكان يعقد حلقاته أول  
الأمر في مساجد المدينة ولم يلبث أن اقتبل عليه الطلاب من جميع أنحاء مصر وخارجها  
حتى أنشأ له ابن السملار مدرسة - وصنف السلفي كتبا كثيرة منها كتاب  
« السداسيات في الحديث » وآخر « المسلفيات » وهي مجموعة الأحاديث التي  
رواها عن غيره من الحفاظ وله كتاب « الأربعين البلدانية » وهي مجموعة تضم  
أربعين حديثا - كما ألف ثلاثة معاجم لشيوخه الذين أخذ عنهم ، الأول لشيوخه في  
أسهمان ، والثاني لشيوخه في بغداد والثالث ترجم فيه لعلماء الإسكندرية وللعلماء  
الذين تابعهم وأخذ عنهم أثناء رحلاته وكان صلاح الدين الأيوبي وأخوه الملك العادل  
أبو بكر محبا ممن سمعوا الحديث عن السلفي في شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٦ هـ  
وقد تجاوز المائة (أعلام الإسكندرية من ١٢٠ وما بعدها) .

أول مدينة مصرية عرفت المدارس . وذلك لأن ابن السكندر كان - كما يذكر ابن  
خلكان - سقيا لسانهيا كما كانت له اتصالات سياسية بنور الدين محمود بن  
زكي في المسلم (٥٧) .

وأمن نستطيع أن نقول أن قول ابن خلكان لا يزال يحتاج - كما احتاج قول  
المقريزي - إلى تدقيق وتصحيح . حقيقة أن الاسكندرية كانت أول مدينة بحرية  
عرفت المدارس - ولكن مدرسة السلفى لم تكن أول مدرسة أنشئت  
بالاسكندرية وإنما سبقتها مدرسة أخرى هي المدرسة الخلفطية التي أنشأها  
رسوان الأولخسى (٥٨) .

كما يرى الأستاذ الدكتور الشبال : أن المدارس أنشئت أول ما أنشئت في  
مدينة الإسكندرية في العصر الفاطمي ومنى الفاتر مدرسة عرفت باسم الخيرية  
وتولى التدريس بها بعض الشيوخ والعلماء وزار استيعوط في العصر الأيوبي ابن  
المساعاتي وابن جبر (٥٩) ؛ وقوس كانت ثالث البلاد أهمية في مصر من حيث  
التجارة وكثرة العلماء والمدارس وكانت تلى الاسكندرية في هذا الميدان وقد ضرج  
منها جماعة من العلماء الاجلاء المذكورين - والذين كانت لهم آثار باقية في الثقافة  
والادب والعلم (٦٠) .

أما عن الكتاب فقد انشئت الكتاتيب ( جمع كتاب ) لتعليم مبادئ القراءة  
والكتابة وقراءة القرآن الى جانب علوم اللغة - فبروي أن علقمة بن ابن عطمة  
كان له كتاب يعلم فيه العربية والنحو والعروض .

وكان الكتاب أسبق أنواع المعاهد الشعبية وجردا في العلم الاسلامي وقد  
انسق اسمه من تعليم للكتابة واصبح يطلق على المكان الذي يتعلم فيه المصنفان  
أيا كان الموضوع الذي يتعلمونه قرآنا أو قراءة أو كتابة (٦١) .

---

(٥٧) د. جمال الدين الشبال : تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي  
ص ١٧ ، ١٨ .

(٥٨) د. جمال الدين الشبال : مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي ص ٤٨ .  
(٥٩) د. محمد زغلول سلام : الادب في العصر الأيوبي ص ١٥٨ .  
(٦٠) المرجع السابق ص ١٦٢ .

(٦١) محمد الصديقي عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة العربية الإسلامية  
ص ٢٢ - ٣٢ نقلا عن تاريخ التربية الإسلامية د. أحمد شلبي ص ٧١ ، ٧٦ .



ولم تظهر الكتابية أيام النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وفي صدر الدولة الأموية لكنها بدأت تكثر في القرن الثاني الهجري وما تلاه من قرون .  
وبمرور العصور والسنين تعددت مهمة الكتاب . . فبعد أن كان القرآن الكريم نقطة الارتكاز الأساسي الأول في الدراسة اتسعت القمص والاضمار وحكايات الأئمة المسلمين وبعض الأحكام الدينية والشعر ومبادئ الحساب وقواعد اللغة (٦٢) .  
تكن التعليم في العصر العثماني كان في الجوامع حيث تدرس فيها العلوم الدينية عن طريق الحفقات وكانت هذه الحفقات تنعقد في المسجد الواحد ومثل هذا التقليد وجد منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم الذي قام بتلقين الحسين (للصحابة) . كما يجب أن نشير إلى أن النملانيين قد خطوا خطوات أوسع فأنشأوا في تصوره مدارس خاصة بلحق بها أولاد علية القوم وسراتهم ويسر المؤمنين في تنفيذ جزلاء الصبيان على منهاج درس إلى أعدادهم لضخمة الخلفاء وشمسفل المناصب الرئيسية في دولة الخلافة (٦٣) .

كما أن تصور الخلفاء الفاطميين قد أسهمت بنصيب كبير في نشر الثقافة وبخاصة قبل انتشار المدارس ، وكان الخلفاء يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن تصوره يجب أن تكون مركز تشجيع منها الثقافة والعرفان ومطابقة بلنقى عيها العلماء والأدباء (٦٤) .

(٦٢) المرجع السابق ص ٣٢ .

(٦٣) القرظي ، الخطوط ج ١ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٦٤) د. أحمد شبلبي : تاريخ التربية الإسلامية ص ٧١ - ٧٦ .

## حركة التأليف

قامت الخلافة الفاطمية لتنافس الخلافة العباسية وتحاول ان تقضي عليها وكان بين الخلافتين صراع عنيف استعمل فيه كل سلاح ممكن ، ومن الاسلحة التي استعملان بها الفاطميون ويرعوا فيها سلاح العلم والادب والفنافة . اذ ان مذهبهم الشيعي الذي يخالف مذهب جمهور السنة في حاجة الى الدعوة وكسب المؤيدين في أنحاء العالم الاسلامي من جهة ، والوقوف في وجه علماء السنة في مصر والعراق وغيرهما الذين قاموا بمحاولة مضادة لتنتية آراء المعتنقين من جهة اخرى . كانت معركة سلاحها الحجة والافتاح . ونزارة العلم ، وكان ان الفاطميين انى جانب الغزو السياسي والحربى القيام بغزو مكري ومحاولة جذب العلماء والادباء والمفكرين .

ولقد نجحوا في ذلك الى حد كبير ، اذ ساندتهم حبهم للعلم والادب واعداؤهم الاموال . على تنفيذ ما ربهم فاصبحت القاهرة في عهدهم كمية العلوم والفنون ومركز اشباع جذب اليه الكثير من العلماء والشعراء واهل الفنون المختلطة . ولم يقتصر الامر في تشجيع الحياة العقلية والادبية على الخلفاء فحسب بل كان لكبار رجال الدولة وعلى رأسهم الوزراء اثر كبير في ازدهارها وانما اذا استعرضنا تاريخ الوزراء لظهور لنا بجلاء الدور الكبير الذي لعبوه في تنشيط الحركة الفكرية وازدهار النهضة الثقافية حتى اصبحت مصر مسرحا لنشاط عقلى وادبي عظيم . ولم يقتصر كثير من الوزراء على حبهم للعلم والادب وتشجيعهم لاهله بل كان بعضهم من قلم بالتأليف في مختلف انواع العلم وتعرض الشعر (١) .

وكان الاختلاف المذهبي بين الشيعة والسنة عاملا من عوامل نشاط حركة التأليف الى جانب عقد المجالس الادبية للجدل والفتاوى وظهر مئات الكتب تدعو للتسوية او ترد على اتهامات السفهين وكان لابن خنيفة النعمان القاضي المغربي

(١) د . محمد حمدي الفيواي الوزارة ووزراء في العصر الفاطمي ص ١٠٢ .

وإنشائه جديدا وهم جديدا من كبار رجال القضاء والأدب الفضل الأكبر في النهضة الأدبية للدعوة الناطبية في مصر (١٦) .

وقد أدى مجيء الفاطميين إلى مصر بمذهب شيعي له أسس ودعمه تختلف عما كان عليه أهل السنة إلى ظهور فريقين من العلماء يعمل أولهما على تأييدهم ويعتد الفريق الآخر آراءهم (١٧) .

واستنتج ذلك تكاثر علماء الدعوة في تليف الكتب وكان لأبي حنيفة النعمان الفضل الأكبر في نشر العقيدة المذهبية التي تتصل بالدعوة الإسلامية (١٨) .

أما القاضي النعمان محمد بن حيون الشيبلي المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م لديه أقوم مصادر لدراسة الفتنون عند الفاطميين عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري « القرن العاشر الميلادي » ولا نعرف سنة ميلاده وأن كان يرجح أنه ولد في أواخر القرن الثالث للهجرة (١٩) . ويعرف في تاريخ أدب الدعوة الإسلامية المستعملة يسدينا قاضي القضاة وداعي الدعوة النعمان بن محمد وقد يخصص المؤرخون ليقولون « القاضي النعمان » تمييزاً له عن صاحب المذهب الحنفي ويقول ابن خلكان (٢٠) أنه كان ملكي المذهب ثم اعتنق مذهب الناطبيين « غير أن أبا الحسن يقول « إن النعمان كان حنفي المذهب فيسئل اعتناقه مذهب الناطبيين » .

ويطلق عليه ابن خلكان و«ألفو» الشبهة الاثني عشرية « أبا حنيفة الشيبلي » خدم المهدي مؤسس الدولة الفاطمية التسع سنوات الأخيرة في حكمه ثم ولي قضاء طرابلس في عهد القائم بالله الخليفة الثاني الفاطمي وفي عهد الخليفة المنصور بالله عين قاضياً للبنصورية ووصل إلى أعلى المراتب في عهد المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع إذ رُفِعَ إلى مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعوة .

- 
- (١) د. علي حسن الخربونلي : مصر العربية الإسلامية ص ٢٢٦ .  
(٢) د. أحمد أمين : نهر الإسلام ج ١ ص ١٨٨ .  
(٣) د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٧٨ .  
(٤) القاضي النعمان : تحقيق آصف مبيض - دعوات الإسلام في ذكر الخلال والحرام ص ٩ .  
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٦ .  
(٦) ب. الحياة الفكرية في مصر (

وعلى هذا فقد عاصر أبو حنيفة الناطقين في المغرب ثم قدم إلى مصر ههنا  
وابتداء في ركب المعز ويعد النعمان من أهم دعائم الدعوة الإسماعيلية وله في الفقه  
الإسماعيلي عدة مؤلفات منها دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام وقد استغل  
ميوله الأذهبية في تأليف هذا الكتاب (٧) . على أننا نراه يضيف إلى قواعد الإسلام  
الحسب الولاية وهي حب أهل البيت والظهرة ، على أن أهمية القاضي النعمان في  
ميدان الفقه أكثر منها في ميدان العقيدة . ولما تولى المعز لدين الله الخلافة الفاطمية  
سنة ٢٤١ هـ توثق علاقة القاضي النعمان به حتى جتمع من مجالسته معه كتاليفه  
« المجالس والمساربات » وعند صاحب القاضي النعمان المعز لدين الله في رحلته إلى  
مصر سنة ٣٦٢ هـ بعد أن فتحها جوهر الصقلي غير أنه لم يعين القاضي النعمان  
قائما على مصر . بل أقر فيها القضاء لأبي طاهر محمد بن أحمد الأزهري الذي  
تولى قضاء مصر منذ سنة ٢٤٨ هـ وبقى النعمان بمصر ربيع المكاملة (٨) .

كان القاضي النعمان رجلا ذا مواهب عديدة غزير العلم وأوسع المعرفة باحثا  
محققا مكررا في التأليف عدلا في أحكامه . كما أننا لا نستطيع أن نبرز فكرة صحيحة  
عن أخلاقه ، ولعله وقف نفسه على الدراسات التشريعية والفلسفية وعلى تاليف  
هذه الكتب العديدة المتنوعة التي كتبها ولما تمتع بثقة المعز لدين الله جملة الأمام  
مستشارا قضائيا له ، وساعد إمامه في المسائل الخاصة بالدعوة له وضع أسس  
القانون الفاطمي وينظر إليه بحق على أنه المشرع الأكبر للفاطميين (٩) .

ويتناول رواة الفاطميين أنه لم يؤلف شيئا دون الرجوع إلى ثمة عصره ويعتبر  
أقوم كتبه « كتاب دعائم الإسلام » وأنه من عمل المعز نفسه ، وليس من عمل ناضيه  
الأكبر ، ولهذا كان هذا الكتاب هو القانون الرسمي منذ عهد المعز حتى نهاية الدولة  
الفاطمية - كما يتضح من رسالة كتبها الحاكم بأمر الله إلى داعيه باليمن بل لا يزال  
هذا الكتاب هو الوحيد الذي يسيطر على حياة طائفة البهرة في الهند وعليه  
المعول في أحوالهم الشخصية . ومن عجب أن التشريع الإسلامي بالهند الآن يحافظ  
على شيء من القوانين التي كانت تطبق في مصر في عهد الفاطميين ، ويظهر أثر

١٧١- د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٧٨ .

(٨) د. عبد الرحمن بدوي : مذاهب الإسلاميين ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٩) القاضي النعمان : دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام تحقيق إصعب فيض

النعمان وتوثقه في تلك الجريدة وهي أن ابتداء اختصارها أيضا بها كان يتبع به أبوهم  
من أنوف . فقد نولى كل من ولديه علي وأحمد من مدينة فاس من القضاة ووضعها كتابا  
في الشريعة . وعلى الجريدة فقد كان النعمان مؤسس أسرة مختصة من القضاة  
المتنازيين كما كان دولنا كثر الإنتاج بنسب الأربعة وأربعين كتابا منها ثمانية  
عشر يحتفظ بها الآن وأربعة درجج وجودها وانما وعشرون غدت ولم نعثر لها  
على أثر (١٠) .

وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الإسلاميين ج ٢ أن  
القاضي النعمان كان أغزر مؤلفي الاسماعيلية إنتاجا (١١) .

تلك القضاة الضعيف كتابا تطوعا اليه كتب عديدة في كل أنواع العلوم نال  
في الفقه والتاريخ والأخبار والنسب والعقائد والاحتقار والتأويل والفقه (١٢) .

وبروي ابن خلكان (١٣) فقرة عن هذا الكتابه وأخبرنا عن ابن زولاق المؤرخ  
يقول : « أن النعمان من أهل القضاة والعلم » وما يراه في العربية كعبه التي الفت  
بناء على أمر من الخليفة المعز الذي راجعها بنسبه بمثالية كبيرة ، وبمضى هذا أن  
الخليفة المعز يعتبر مشاركا للنعمان في تأليف هذه الكتب فهو الذي شجعه على  
البحث في أصول الفقه القاطبة وأخرج اليه كتب اجده .

ومما يدل على ذلك أن الخليفة المنصور العادل والد المعز أشهر سبعة  
الإطلاع ولم تشغله مهام الخلافة وأعباء الحكم عن البحث والتأليف بل أنه كثيرا ما  
كان يحتم على ابنه المعز أن يتفرغ على الدرس ويؤلف الكتب ويترجم الشعر .  
وأيس هذا وحده - فقد حرص على بحث العلماء على الاستزادة من العلم حتى لقد  
أثر عنه أنه كان يأمر قاضيه أبا حنيفة النعمان وغيره بالانبار في الأيمن وتكليف للكتب  
في عاومه ( الفرقان ) من فاك ما قاله لغائبه يوما : « يا نعمان استخرج من كتاب الله  
ما يغضنه العلية وأتكرهه » (١٤) .

- (١٠) القاضي النعمان : دعائم الإسلام في فكر الخلال والشرام بتحقيق آسف بيض  
ص ١٢ .  
(١١) ذكر عبد الدين ادريس ج ٦ ص ٣٦ - ٣٩ للنعمان أسبأ (٢) كتابا .  
انظر أيضا كتاب ( عهد الدين ادريس ) للدكتور علي حسني الخريوطي .  
(١٢) د . عبد المنعم ماجد : نظم القاطبين ورسومهم ج ٢ ص ١٢ .  
(١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٦ .  
(١٤) القاضي النعمان : المجالس والمسائرات ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

وكان لهذه البيئة العلمية التي شب فيها المعز وترعرع اثرها في تهيئة مداركته  
وسعة اطلاعه ونضجه في العلوم الدينية حتى انة كان يحاضر العلماء من النحاة  
والفقهاء وغيرهم ويناقشهم وهذا يدل على مقدرة المعلية كما كان ابوه المنصور من  
قبيل (١٥) .

ومن مؤلفات المعز لدين الله الفاطمي ٣٤١ هـ / ٣٦٥ هـ : تاويل الشريعة ،  
كتاب الروضة ، بيان في العلم ومجالسه ، الرسالة الى حسن الفرمطلي ، المناجاة ،  
الرسالة في شان المسيحية . كان الخليفة المعز يدعو العلماء الى تليف الكتب عن  
عقائد المذهب الفاطمي (١٦) . فقد طلب المعز من النعمان الاطلاع على العلوم  
الخاصة لال البيت والتأكد من صحة النصوص التي تنتقل عنهم فكان النعمان في  
مؤلفاته عن الاثمة دائم الخوف من ان يرتكب فطاط (١٧) . وكان المعز يرأجع بمنابة  
جميع المؤلفات التي تقدم اليه (١٨) . كذلك كان على الاملم ان يقوم بواجب الجهاد  
ضد الكفار وهو معرض صريح في العقيدة الفاطمية (١٩) .

وكان المعز يعمل على تشجيع العلماء وتثريهم ويدر الأموال عليهم كما كان  
يشرف على تليف المؤلفين ويثناولها بالشهديل والتغيب فيحذف منها ما يريد ويضيف  
اليها ما يعن له من الآراء ويقتد المؤلفين نقد العالم الضاليع . وقد طلب بعض الآراء  
والفضاة المستجيبين الى ابي حنيفة النعمان المغربي فاضى فضاة المعز ان يضع  
كتابا في اخبار الاثمة العلويين واحاديثهم موضع للكتاب واسمه « الدينار » ثم قدمه  
الى المعز لدين الله . ومع علو قدر النعمان في التاليف (٢٠) فقد ابده المعز بكثير من  
الآراء التي تدل على قدرته في التفد لكتب الى النعمان : « . . . وقتت على الكتاب  
وتصفحته بمرايت ما أعجبنى فيه من صحة الرواية ، وجودة الاختصار ، ولكن تيه  
كلمات تحتاض (٢١) على كثير من اولياتنا فعرفتھا فلترحھا بما يقرب من فهمهم -

(١٥) د . حسن ابراهيم وطه شرف : المعز لدين الله الفاطمي ص ٢٢١ .

(١٦) القاضي النعمان : المجالس والمسيرات - ورقة ١١٥ - ٢٨٨ .

(١٧) القاضي النعمان : المجالس والمسیرات ورقة ١١٢ .

(١٨) المعز السابق ، ورقة ١١٢ .

(١٩) القاضي النعمان : دعائم الاسلام في فكر الحلال والحرام تحقيق آصف فيض

ج ١ ص ٣٥٦ - ٤٦٦ .

(٢٠) د . حسن ابراهيم وطه شرف : المعز لدين الله ص ٢٢٣ .

(٢١) القاضي النعمان : المجالس - تصعب فهمه .

يستوى في معرفته والاحاطة بهلم للمناظرة الشريف والمشروف لانه يجيء طريقا  
تريب المخذ وسمه كقلب « الاخصار لصحيح الآثار من الاثمة الاطهار » فان  
فلك الشبه به من كتاب الدينار « (٢٢) .

وبهذا ترى المعز يساهم مساهمة فعالة في ترويح ميلاد الشريعة وتحبيب  
الناس في الاثمة العلويين كما نراه يعمل في الوقت نفسه على نشر العلوم حتى  
لقد كان النعمان وهو أكثر رجال هذه نطلاما ، يقف من المعز بوقف الظهيد من  
الأستاذ ، حتى لقد فتح المعز ابواب تمره للمعلماء والطلاب ومشايع اشرقية وابع  
لهم جيبعا الاطلاع على الكتب المفضلة ودراستها واتساضها والتعلم منها ، والتفاهة  
فيها (٢٣) . والتي تلقى على الناس في قصره بالمتصورة من كتاب دعائم الاسلام  
للقاضى النعمان المغربي (٢٤) .

وصفوة القول ان المعز بعد من اعداد عصره في العلم والتصنيف فهو الذى  
دعا الى هذه الحركة العلمية المباركة حتى لقد نسب اليه تأليف كثير من الكتب مثل  
كتاب « الروضة » الذى يتناول الكلام على بعض النواحي اللغوية (٢٥) .

كما يروى ابن خلكان من السجى ان النعمان كان من اهل العلم والفتنة  
والدين والنبل مالا يزيد عليه (٢٦) ويقول ابن خلكان « ان النعمان بن محمد القاضى  
كان غاية في الفضل من اهل القرآن والعلم بمعانيه وعالمها بوجوده الفقه ولم يختلف  
الفهاء واللمة والشعر الفحل والمعرفة بايام اثناس مع عقل واتصاف « (٢٧) . ويضيف  
ابن خلكان ليقول « ان النعمان ألف لاهل البيت من الكتب آلاف الأوراق بأحسن تأليف  
وألمح سجع وعمل في المناقب والمثالب كتابا حسنا وله رنود على المخالفين ، له رد  
على ابي حنيفة ومالك والشافعى وعلى ابن شرع « (٢٨) .

- 
- (٢٢) القاضى النعمان : المجالس والمسائرات ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .  
(٢٣) د . حسن ابراهيم وطه شرف : المعز لدين الله ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .  
(٢٤) القاضى النعمان : المجالس والمسائرات ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٤ .  
(٢٥) د . حسن ابراهيم وطه شرف : المعز لدين الله ص ٢٢٥ .  
(٢٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٦٦ .  
(٢٧) د . محمد كامل حسين : فى ادب مصر الفاطمية ص ٤٤ نقلًا عن ابن خلكان  
ج ٢ ص ١٦٦ .  
(٢٨) د . محمد كامل حسين : فى ادب مصر الفاطمية ص ٤٥ .

ثم نجد من آل النعمان ابنة محمد بن النعمان قاضي المعز والعزيم وكان واسع العلم في الفقه والتاريخ والتجويد بقضى بين الناس ويقرا في القصر علوم آل البيت ويزدهم الفلاس على سماعه حتى يموت بعضهم في الزحام . كما كان من أشهرهم عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن أعلم الفلاس بنفسه الإمامية . قال ابن كثير انه ألف في العقائد الشعبية الكتاب المسمى : البلاغ الأبهى والأناورس الأعظم ، وقد رد على هذا الكتاب أبو بكر الجائزى (٢٦) .

وهكذا كان فاضلنا أزر لا يبدله أثر في النوضفة الفتحاوية للدعوة الإسلامية ولحركة التكليف أيضا ، لذلك يفتق لخطابه أن يسموه « المشرع التوسل على » ولاغرو فقد كان ساعد المعز ابنه في وادائه الناطق واستحق بهذا كله أن يقرب على عرش الدعوة الإسلامية في الجنوب وأن يورث ابنائه هذه الزعامة في مصر ولما نوق صلى عليه المرثون الله الفدلى . ولقد كان يسقوب بن خلص (٢٠) رائدا للحركة الفكرية في مصر في اندس القاطمى وخاسمة في عهد العزيز بالله (١١) . فقد رتب الى داره الكتابة والاشياء يسدون بين يديه وجعل فيها العشاء والأدباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأرباب الفنون لئلا يفتق مكان يتردد واجرى على كل واحد منهم الأرزاق . وألف كتباً في الفقه والقرآن وتنب له مجلسا في داره يحضره في كل يوم ثلاثة ويحضر اليه أئمة العلماء والمفتون وأهمل الجهل يتناظرون بين يديه فمن تآليبه : القراءات ، وتنام ، في القرآن ، وعز كتاب الفقه ، وكتاب في اداب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وكتابه في علم الهدى وسلامتهما في الف ورقة ، وكتاب في الفقه المعروف بالرسالة الزيرية وما سببه من الزيام المعز والعزيم بالله ، وكان يجلس في يوم الجمعة أيضا يقرأ دستغاثه على الناس بنفسه وفي حشرته القضاة والفتاها ، والشعراء واصحاب الحديث والفتاها والسيود فإذا فرغ من قراءة ما يقرأ من مستغاثه قام الشعراء يتحدون رديهم فيه وكان في داره عدة كتبا يتسخون القرآن الكريم والفقه والطب وكتب الأدب وغيرها من العلوم لئلا فرغوا من نسخها وتولدت ونسبت ، وجعل في داره فراء وأدوية يدلون في مسجد داره بها قام بداره عدة مطابخ لنفسه

(٢٦) د . أحمد أمين : ظهير الإسلام ، ص ١٦١ .

(٢٠) ابن خلكان : وديت الأنبياء ج ١ ص ٤١٠ وما بعدها .

(٢١) الدكتور على حسنى الذريويلى بحث قيم عن يسقوب بن خلص المقاه في

العبد القضى لكاتبة الانار جامعة القاهرة .



ولجلسائه ولعلمائه وحوادثيه وكان ينبغي عدة مواثيق اجرة الحجلب والكتاب والنحواسي وكان اذا جلس يقرأ ما ألفه على الخلمس والعلم من الناس (٢٦) .

وقد رتب ابن كلس عقد العزيز بالله جهاة لا يخطبون الا بالقاء وانما عدة مساجد ومساكن بمصر والشاهرة وكان يفيم في شهر رمضان الاطعمة للفقهاء ووجوه الناس واهل الدشر والتصف والجملة كثيرة من انقراء حتى اذا فرغ الفناء والوجوه من الاكل معه بلفظ عليهم بالطيب ، ولم يلبث ان مرض ابن كلس من دلة اصابت يده مهدحه عبد الله ابن ابي الجرجع فقال :

بد التوزير هي الدنيا فان الميت رايت في كمال شيء ذلك الالمسا  
ذامل الملك وانظر غرط علتته من اجله واسأل القرطاس والقطبسا

وكان ابن كلس يجوع في شهره عددا كبيرا من الموظفين ويشغل بعضهم بكتابة نسخ من الفرقا وبعضهم ينسخ شيئا من كتب الحديث والفقه والادب وبعض كتب العلوم حتى الطب وكان هؤلاء الناس يرآجعون ما يكتبونه ويضربون اليه علامات الشكل والانتطة وكان من بين الفقهاء الذين يحضرون مجلس ابن كلس رجل اسم الحسين بن عبد الرحيم الزلازلي وهو صاحب كتاب الفقه جاج وابو عبد الله محمد ابن احمد بن سعيد النهدي المتسمى العليبي الذي صنف للتوزير كتابا في الطب في عدة مجلدات اسمه « مادة البقاء بالصالح فمساد الدواء والتحرز من ضرر الاوباء » كما ألف عدة مؤلفات منها « كتاب تخلص النفوس » وكتاب « انفحص واخبار » ومقاله في « اعبة الزمد واتواعه واسبابه وعلاجه » (٢٣) .

ومن أشهر العلماء الذين وفدوا على مصر وعاصروا ابن كلس وخدموا العزيز ابو عبد الله محمد بن جعفر القهيسي المعروف « بالقران القيرواني » (٢٤) . وقد ألف كتابا في النحو على حروف المعجم جمع فيه سائر الحروف التي اشار اليها النحويون في قولهم « الكلام اسم ومعل وحرفه جاء لعنى » وقد وصف احد العلماء القران بقوله « ابن القران فصيح المتقدمين وقطع السنة القاضرين » (٢٥) .

---

(٢٢) القريري : الخطط ج ٢ ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .  
(٢٣) د . محمد صدى المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٠ .  
(٢٤) قال الصفدي وغيره « شيخ اللغة في المغرب كان اماما علامة نيا » .  
(٢٥) د . محمد صدى المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٠ - ١١١ .

ولا شك ان اثر ابن كلس على الحركة الفكرية كان ثوبيا حتى ظلت مزدهرة الى النصف الأول من القرن الخامس الهجري وهذا نتيجة لولعه بقتاليف وجسج الكتب حتى لقد صغر لديه مكتبة عظيمة ويقلب على العنن كن هذه المكتبة تد ضبت الى مكتبة القصر الفاطمي بعد وفاته فاستفادت هذه المكتبة التي كان لها شهرة عظيمة أعظم استفادة لعلوم العربية ، مهيا عند الملوك والعملاء محبوبا عند العامة بذلك لسانه ملكا شديدا صنف « الجسامع في اللغة » و« زائر القسمر وأعراب الدريدية » « النساء والطاء » « الشعرات في اللغة » ما أخذ على المتبني « « الضعيف والتصريح » « أدب السلطان » وغير ذلك - مات سنة ٤١٢ بالقيروان من تسعين مائا (٢٦) .

أما داعي دصاة الحساكم بأمر الله حيد الدين الكرمانى المتوفى سنة ٤٠٨ هـ وهو من فلاسفة الاسماعيلية ويلقب بحجة المعرفين فقد برزت له مؤلفات بعضها كتب طوال وبعضها الآخر رسائل قصيرة عرض فيها لكثير من المشكلات الفلسفية ومزج فيها الاسماعيلية بعلوم الشرع والمعارف الفلسفية الأخرى مما يشهد برسوخ قدمه وعلو كعبه في العلم وتضلعه في مته الدعوة (٢٧) . ومن أهم مؤلفاته : كتاب الصابيح في انبات الامامة ، الرسالة المضيئة ، كتاب الرياض ، كتاب الأقوال المذهبية ، ثلاث عشرة رسالة ، راحة العلال ، تنبيه المهلدي والمهلدي ، معاصم المهدي ، الامامة في انفسيل على عان الصحابة ، فصل الخطاب وابتانة الحق ، رسالة النظم المضيئة في الأمر والأمر والمأمور ، الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان ، التروضة في أنزل ، الرسالة الزاهرة ، التوحيد في المعاد ، تاج العقول ، بيدان البتل ، الرسالة الحصادية في الليل والنهار ، رسالة الواعظة ، رسالة المعاد ، رسالة الخانية في الرد على هارون بن الحسن ، كتاب خزائن الأدلة ، رسالة الفهرست ، رسالة المتانير (٢٨) .

وقد ألف الكرمانى في الرد على ما ادعاه الدرزية في تليفه الحاكم رسالة سميت « الرسالة الواعظة في نفي دهوى ألوهية الحاكم بأمر الله » وضمت فيها مقبودة الاسماعيلية في وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وله رسائل في أدب الاسماعيلية ،

(٢٦) السبيطى : بقية الوعاة ص ٢٩ .

(٢٧) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٨٩ .

(٢٨) محمد حسن الأعظمى : أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين

وكتاب « المجالس البغدادية » وكتاب « المجالس البصرية » وجميع غيرها محاضراته في تأويل الآيات المتشابهة (٢٩) .

حقا كان حبيب الدين الكرماني شخصية لها من الأيادي العظيمة على حركة التأليف في العصر الفاطمي في مصر ما سبب نشاطا منقطع النظير .

ومن الشخصيات المرموقة في العصر الفاطمي دأى الدعاة المؤيد في الدين هبة لله التبرازي دأى المستنصر بالله المتوفى سنة ١٧٠ هـ من أولاده التي ساهمت في حركة التأليف في تلك الفترة : المجالس المؤيدية ، السيرة المؤيدية ، ديوان المؤيد ، الابتداء والانتها ، المسئلة والجواب ، كتاب نهج العبادة ، شرح المعاد ، المسائل المبيدون ، نهج الهداية للمهتدين ، أسس التأويل بالفارسية الايضاح والتبصير في فصل يوم الغدير ، تلويل الأرواح ، المجالس المستنصرية (٤٠) ، ونصيدة الاسكندرية وتسمى أيضا « ذات الدوحة » (٤١) ونجد ديوان المؤيد بصو عقائد الفاطميين تصويرا كاملا كما عرض المؤيد لبدا التأويل واعجاز القرآن والرأ والتقياس . وتعتبر مؤلفاته وخاصة المجالس المستنصرية عرضا لأصول مف الاسماعيلية ورفع من شأن الامام وهو المستنصر بالله ويشتمل هذا الكتاب على خم وثلاثين مجلسا (٤٢) .

وكان لتشجيع الفاطميين لحركة التأليف اثره في ظهور طبائفة كبيرة من المؤرخين ساهموا في حركة التأليف في العصر الفاطمي منهم : أبو الحسن علي بن محمد الشافعي اتصل بخدمة مولاه المزمل مولاه خزانة الكهنة واتخذ من جلسائه وشيوخه وتوفي سنة ٢٨٨ هـ في أيام الحاكم بأمر الله ومن مصنفاته : كتاب الديارات ، أورد فيه لخبيرا طريفة عن اذيرة العراق والشام والجزيرة ومصر وما قيل في كل منها من اشعار (٤٦) .

كما نبيح من المؤرخين في هذا العصر الامير المختار ومز الملك المعروف بالسبعي

- 
- (٢٩) د . حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ٤٥١ .  
(٤٠) محمد حسن الأعظمي : لضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين ص ١٢٢ .  
(٤١) د . حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ٤٥٢ .  
(٤٢) المرجع السابق .  
(٤٣) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر من ١٧٩ نقلا من ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٦ .

الذى ولد بمصر سنة ٣٦٦ هـ وتوفي سنة ٤٢٠ هـ وكان من جلساء الخليفة الصالح بنمر الله وخاصته وقد تولى في أيامه بعض المناصب المهمة وشغف بكتابة التاريخ والفقه فيه عدة كتب منها تاريخه الكبير المسمى « تاريخ مصر » ولا يوجد منه الا الجزء الاربعون بمكتبة الاسكوريال باسبانيا ، وقد نقل من هذا الكتاب كل من المريرى وابى المحاسن (٤٤) . ومن مؤلفاته كتاب درك البغية في وصف الأديان والعبادات ، وهو كتاب مطول على طريقة المسجى ويقع في ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة ، اثن ثقت عنى هذا المؤلف الأديب العالم بانبحث في الأديان الى جانب اشتغاله بأمور الدولة وهذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الذى يتصل بمعلوم الدين من كتب المسجى ، ويرجع منيته بذلك الى أن امرته من حصران ، ولذلك عنى بما كان يعنى به الصابئة (٤٥) .

ومن اعلام المؤرخين الذين كان لهم فضل في حركة التأليف ابو عبد الله الصاعى الذى ولد بمصر في اواخر القرن الرابع الهجرى وتوفي بها سنة ١٥٤ هـ كان من أتقن الباحث والفقه الشافعى (٤٦) . وقد ولي القضاء في عهد الخليفة المستنصر وأوفده هذا الخليفة الى تيودورا ابراطورة الدولة البيزنطية سنة ٢٤٧ هـ سفيرا لمحاول عقد صلح بينهما . وله عدة مصنفات في الفقه والتاريخ منها : « مناقب الامام الشافعى وأخباره » وكتاب « خلط بحر - وسماه » المختار في ذكر الخطا والآثار « يتضمن تاريخ مصر والقاهرة حتى بمصر وكان هذا الكتاب عونا للمقريزى ، على كتابه « المواظ والاعتبار بذكر الخطا والآثار » (٤٧) .

ومن الكتاب والمؤرخين الذين ظهروا في اواخر العصر الفاطمى ابو التمام على بن منجب انصرى وقد اشتهر بذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر كما برع في الخط ومن تصانيفه كتاب : « قانون ديوان الرسالة » والاشارة الى من نال الوزاره الذى فيه فابلون البطائحي وزير الأمر . وتنبه وزير الدولة الفاطمية منذ عهد العزيز حتى أيامه وتوفى ابن المريرى في عهد الخليفة الحافظ سنة ٥١٢ هـ (٤٨) .  
خلط قيع في النهج الصالحين بعض العلماء من ائمة ابن على محمد بن الحسن

- (٤٤) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٧١ .  
(٤٥) آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٢٦٧ .  
(٤٦) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٧٩ .  
(٤٧) المرجع السابق ص ١٧٩ - ١٨٠ .  
(٤٨) المرجع السابق ص ١٨٠ .

ابن الهيثم وأصله من البصرة ثم أمى مصر بدعوة من الحماكم بأمر الله لما بلغه أن له نظرية هامة في توزيع مياه النيل وكان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة وخاصة في الطبيعيات والرياضيات وقد ألف نحو مائتي كتاب في الرياضة والطبيعة والفلسفة ولم يزل مكبا على التأليف حتى توفي سنة ٤٣٠ هـ (١٠١٦).

ولكن بعد وفاة الحاكم اعطى ابن الهيثم وعاد الى ما كان عليه واستنسخون تبة على باب الجامع الأزهر وأقام بها مكتبا واشتغل بالتحضير والتعليم ونسخ الكتب القديمة فكان يعيش من نسخ ثلاثة كتب كل سنة هي القليدس والتوسطات والمجسطي ويبيعها بمائة وخمسين ديناراً هي مؤلفته بسنة ولم يزل على ذلك (٥٠) حتى انصرف الى العلم والبحث ثم اشتغل بالتأليف وبخاصة في الهندسة والرياضة ابا مؤلفاته بكثرة (٥١) منها : « الكتاب » المتناثر « وهو في السموات والبصريات » ترجم الى اللغة الايطالية سنة ١٢٢٠ م .

اتفق المؤرخون الذين ترجموا لابن الهيثم على انه كان عالماً متقناً لعلم كثره فيقول القفطلي ص ١١٤ عنه : « ابن الهيثم صاحب النساب والتكاليف المذكورة في علم الهندسة كان عالماً بهذا الشأن متقناً فيه فيما يغوامضه ومغابيه مشاركا في علوم الأوائل أخذ منه الناس واستعادوا منه » .

وان مؤلفات ابن الهيثم كما يقول ابن ابي أصيبعة ما يقرب من مئتي كتاب خلا رسائل كثيرة بعد الف ابن الهيثم في الهندسة والطبيعيات والفلك والحساب والجبر وق الطب والمنطق والأخلاق (٥٢) .

ولكن ابن الهيثم كان في مصر الفاطمية فوجدت له عليه وآرائه ما وجدت مصر الفاطمية كلها بسبب تعصب ابن بعد الفاطميين وقد لاحظ الأستاذ ديور أهسال العلماء له مثال ٥ انه لم يكن لدعوة ابن الهيثم ثرة كبيرة في الشرق ولا يعرف من تلايذه غير واحد بعد من الفلاسفة هو ابو الوفا موشر بن فاتك القائد « (٥٣) .  
واشتهر من الأطباء والفلاسفة ابو الحسن علي بن رضوان . وهو بصري

- (٤٩) د . محمد جمال الدين سرور : القول الفاطمية في مصر ص ١٨١ .  
(٥٠) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٨٠ نقل عن القفطلي ص ١١٥ .  
(٥١) وزارة الأوقاف، ولسون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ٢٣٥ - ٢٢٦ .  
(٥٢) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٨١ .  
(٥٣) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٨٢ .

المولد من الجزيرة وقد نشأ فقيراً معسماً ، وأصبح يفضّل جده واجتهاده رئيس الأطباء في البلاط الفاطمي وتدل الكتب التي ألفها في الطب على سعة فكره وإطلاعه . كما أن له كتباً في الفلسفة والمنطق وغيرها من علوم الحكمة (٥٤) .

وكان علي بن ريسوان مجدداً في صناعته . نام يعمد في مؤلفاته التي كتبت وشرح كتب من كان قبله من الأطباء بل كانت له ناحية من التفكير والابتكار . وظل طيلة حياته في كساح وعمل متصل إلى أن توفي حوالي سنة ٤٦٠ هـ في ضلالة المستنصر بالله الفاطمي (٥٥) .

وتصارى القول أن الحركة العلمية في العصر الفاطمي — سارت بخطى واسعة نحو التقدم والارتقاء تفرقت على بذلتها في المهديين الطوائفي والأخشيدى ، كما تميزت بنشاطها مكان في مصر طائفة من علماء الدعوة الفاطمية والمؤرخين والفلاسفة والأدباء لسهبوا في النهضة الثقافية التي تجلت في ذلك العصر . ولعل هذا راجع إلى نشاط الحركة في التأليف في العصر الفاطمي .

وما ساعد أيضاً على ازدهار حركة التأليف في العصر الفاطمي أنه كانت بجانب هذه المكتبات العامة مكتبات خاصة لكل عالم تشتمل على الكتب التي يحتاج إليها ، فالغنى منهم يطلب من النساخين أن ينسخوا له الكتب التي يريدها والفقير ينسخ بنفسه (٥٦) .

كما أقاموا دور الكتب والخزائن وجلبوا إليها الكتب والأسفار ، وروصوا لها الأموال وأعدوا لطلاب المعرفة التوام والنسخ وموت إليه أفئدة العلماء من شتى الجهات ، يتهلون الحلم من أمذب مورد وأصفاء هذا إلى ما كان لهم من أثر في بناء المساجد والقصور والبساتين في جنبات القاهرة وعلى ضفاف النيل (٥٧) .

فكانت المساجد بمثابة للعلماء وخاصة فقهاء المذهب الشيعي الذين كان عليهم أن يحاضروا الناس في عقائد المذهب الإسماعيلي وكان بعض الوزراء

---

(٥٤) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر من ١٨٠ — ١٨١ نقلًا عن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٠٥ .

(٥٥) ابن القفطين : لخيار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

(٥٦) د . أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٥٧) المغربي : تعاضد الحنفا ج ١ ص ٢٢٢ .

والقضاة يشتركون في تأليف بعض الكتب في المذهب الاسماعيلي يعرفها  
الإسائذة في تعليم الناس (٢٨) .

كما كان نشاط النسخ في مصر يبلغ العناية فقد عين في دار الحكمة  
منهم ليزودوا خزانة الكتب بما مهي الا يكون موجودا فيها (٢٩) .

وقد أبدت الدولة الفاطمية مكتبة « دار العلم » التي كانت متصلة بدار الحكمة  
بكتير من المؤلفات للاطلاع والنسخ والبحث والدراسة وبيع للناس الانتفاع بما  
يحتاجون اليه من المواد والاعلام والأوراق والمستندون مقابل (٣٠) .

بلقد كانت لغرائيم بن الزمان همة عالية في تحصيل الكتب وفي استنساخها  
وعنده النسخ يكتبون ولهم ما يقوم بكتابتهم ومن جعلتهم محمد بن سعيد بن عثمان  
المعروف بابن ملسائه (٣١) .

ولم تكن الأزمان والاضطرابات التي مرت بدولة الفاطميين بقاصرة على ان  
تؤثر في قوة النسخ والنشر اذ لم تنقطع حركة التفكير والتأليف حتى من الوزراء  
والظلاء انفسهم وقد كانوا في الشبنة بعد الفينة يطالعون الناس بكتبهم ورسائلهم  
وحججهم ومقالاتهم (٣٢) ومن الكتب التي استخدمت في الأرب لتهديب الحكماء كتاب  
سراج الملوك للمارطوشي الذي ألف كتبه للماءون البطاحي وزير الأمر الفاطمي .  
وقد نظر مؤلفه في سمر الأمم الماضية والملوك الخالية فجميع محاسن ما انطوت  
عابه سيرتهم وخاصة ملوك الطوائف وحكام النول ، ووجد ذلك في سست من  
الأمم هي : العرب ، والفرس ، والروم ، والهند ، والسند ، والسفدهند .

كما ان وزراء القرن الاول كانوا من اصحاب الأتلم وكانوا على رأس دواوين  
الدولة لذلك كلن أكثرهم لدايا بارعين ، فالجرجرائي بصفه المنريزي بانه « كان  
عالما غفلنا فزيرا وقع مرة بين يدي الظاهر لاعزاز دين الله على مائة كتاب فلم  
تشابه فيه لفظة بلفظة » كما ان الوزير الفلاحى ألى سجل تقليد الوزارة سنة

- 
- (٥٨) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٦ .  
(٥٩) د. أحمد شامى : تاريخ التربية الإسلامية ص ١٦٧ .  
(٦٠) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السيلاني ج ١ ص ٤٣١ .  
(٦١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأبياء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٠٥ .  
(٦٢) محمد حسن الأعظمي : مبقرة الفاطميين - أضواء على الفكر والتاريخ  
الفاطميين ص ١١٢ .

٤٢٦ هـ بنفسه ، ويصف ابن العسري والمقريري الوزير ابن بسيد الدولة المائلي وزير المستنصر سنة ١٥٤ هـ بأنه كان من أملاك الكتاب وصدورهم ولا يكتب مسنونة ورسائل مدونة . والى الوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف بن محمد بن علي بن خلف الذي تولى الوزارة في سنة ١٥٧ هـ كتاب « مواد البيان » في ترتيب الكتب للدولة الفاطمية وحاول أن يقنن لفن الكتابة فواتين ويعقد لها الشواء ونقل عن الظفشتدي في كتبه « صبح الأعشى » خاصة عند الحديث عن نظم ديوان الرسائل في العصر الفاطمي (١٢) .

وقد اتخذ الصالح بن رزيق تعقبا منعميا في علوم التسمية إذ كان من علماء المذهب الجعفري وقد ألف كتابا في فقه التسمية أسماه « الاعتقاد في المرتبة على أهل العناد » . وكان الأفضل محبا لجميع الكتب حتى وجد لديه بعد نيله مكتبة بها خمسمائة ألف كتاب . وولد مسجع أن أحد وراثي المراقى أراد شراء كتاب لفرانيم بن الزرعان الإسرائيلي والذي يقال أنه كان يملك أكثر من عشرين ألف مجلد . فبخر الأفضل بشرائها وأضافها لخزائنه . وكانت هذه الكتب التي جمعها الأفضل وغيره من الوزراء سببا في استعادة مكتبة النصر لسابق مملكتها حتى أصبحت في عهد المعاضد من أعظم المكتبات (١٣) .

وكانت هذه الكتب نقل على العناية الكبيرة التي أولاهها الوزراء للعلم والعلماء والأدب والأدباء وانعاشهم الاتعابات عليهم أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية والأدبية بمرور ووقود العلماء والأدباء من كل مكان وإن يلبسوا على التأليف في كل فرع (١٤) .

وإن نظرة للعلماء والأدباء الذين وجدوا في كتب الوزراء الفاطميين الرعاية والتشجيع لخير دليل على ما لهؤلاء الوزراء من أثر في النهضة العلمية والأدبية التي شهدتها العصر الفاطمي في مصر مما ساهم في نشاط حركة التأليف في ميادين الثقافة المخزنة فقد أكرم المأمون البطلاني يوسف بن حمدان الطيب الذي ألف له « التشرح المأموني » .

(١٢) د. محمد حسني المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٠٤ .  
(١٣) د. محمد حسني المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٠٦ - ١٠٧ .  
(١٤) المرجع السابق ص ١٠٦ .



ولا أدل على رعاية المأمون للعلوم من ظهور مؤرخ عظيم من أهل بيته هو ابنه جمال الملك موسى الذي ألف كتابا في التاريخ يعتبر من الأراجيح الرئيسية التي استعان بها المقرئى عند شرحه لتاريخ الدولة الفاطمية خصوصا في الفترة من سنة ٥٠١ هـ إلى سنة ٥١٩ هـ ، وسأعده عن ذلك استطاعته الوصول إلى كثير من أسرار الدولة ومستنداتها ويذكر أن هذا المؤلف كان في أربعة أجزاء . وهكذا ازدهرت حركة التأليف في العصر الفاطمي بسبب اهتمام الخلفاء والوزراء بنشر الدعاية العلمية والأدبية حيث كانت الدولة تنفق على أهل العلم في هذه الدار « دار الحكمة » ٢٥٧ ديناراً في السنة منها عشرة دنانير تُمنح لورق الكاتب والناسخ (٦٦) .

ومن هذا كله نرى أن مصر تزخر بالتراث الفاطمي الزاهر مما يدل على اهتمام الدولة بالأدب والعلوم المختلفة (٦٧) ، لأن الدولة الفاطمية كانت دولة إسلامية مألوفة ذات اتجاهات حضارية عالمية . وقد كان الخلفاء الفاطميون ووزرائهم يفتحون مكباتهم في تمسورهم أمام سائر أبناء الشعب (٦٨) ، مما شجع على ازدهار الحركة الفكرية وخاصة حركة التأليف .

---

(٦٦) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٨٩ .  
(٦٧) د. علي جوهرى الخريزى : عماد الدين الأربى الداعى والمؤرخ الفاطمي ص ٨ .  
(٦٨) المرجع السابق ص ١١ .

الدراسات العلمية ( الطب ، الفلك ، التنجيم ،  
الرياضيات ، الهندسة ، النبات ، الكيمياء )

يعد عصر الفاطميين من زهى عصور مصر الإسلامية من الناحية العلمية .  
نقدت الحياة العلمية في مصر الفاطمية درجة كريمة من النمو والازدهار لكثرة  
العلماء الذين كانوا في مصر أو وفدوا عليها ولكثرة المؤلفات في كل فن من فنون  
العلم .

وتد فكرنا أن أئمة الدولة الفاطمية كانوا يقيمون العلماء ويشجعون الطلاب  
وأنهم أوقفوا أرزاقا ثابتة للشعقة بل يعلم حتى ينهيا لهم للتفرغ لما اهلوا أنفسهم  
له . وقد رأينا كيف اهتم الفاطميون بإنشاء خزائن الكتب في القصر وفي دار العلم  
حتى يدنى للعلماء أن يطلعوا ويستفيدوا مما تركه السابقون وبلغ من تشجيع  
الفاطميين لطلاب العلم أن القاضي التعبان سح أمه له المهز يقول : « أنا لتصر بين  
تراء من أولياتنا .. يطلب العلم والصحة ويرغب في الخير . كما نسر بذلك في  
الولد » (١) .

نرى ظل هؤلاء الأئمة وعلى ضوء ما ذكره الإمام المعز وجدد العاهساء ملاذا  
يؤويهم من العوز ويحبهم من اللاتمة بل وجدوا ما يشجعهم على مواصلة البحث  
والدرس والتأليف . ويذكر المؤرخون عددا من العلماء الذين وفدوا على مصر  
الفاطمية ووجدوا من التشجيع ما جعلهم يذكرون مصر والأئمة بالخير (٢) .

يحدثنا ابن أبي أصيبعة أنه لما وصل المهذب بن الفخاش - وكان فاضلا  
في صناعة الطب - إلى الشام من بغداد أقام يهتقى مدة ولم يحصل له بها ما  
يقوم بكفايته وسبع بالندبار المصرية وأنعم الخلفاء فيها وكرهم واحسانهم إلى من  
يفضدهم . ولانسيا من أرباب العلم والفضل ، فتوجه إلى مصر واتصل بالقاضي

(١) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٦٦ - نقلنا من المجلس  
والسائرات : النعمان ورقة رقم ١٤٦ .  
(٢) المرجع السابق ص ٦٦ .

الأجل السيد أبي منصور عبد الله بن الشيخ المنسديد أبي الحسن علي توهب له الأموال وأقلم في مصر بكراً (٢) .

ونردد ما ذكره المؤرخون عن القاضي عبد الوهاب بن علي أحد فقهاء المالكية المجتهدين في المذهب حتى قال عنه صاحب تاريخ بغداد « لم أر في المالكية أفقه منه » إذ وفد على مصر لضيق حاله ببغداد ، وأكرمه المصريون بالرغم من تمذهبه بمذهب يخالف ما هم عليه حتى تمول وحسنت حاله جداً ولكن لبركة الأرض وكان يقول وهو في مرضه : « لا إله إلا الله عندما عشنا متناً » ، وتوفي بمصر سنة ٤٢٢ هـ (٤) .

للقاهرة أصبحت مطبع أنظار العلماء ومحط رحل الطلاب ، وفي العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تفتح زعيلة العالم الإسلامي في الحياة العلمية وأن تبسط آراؤها وفعاليتها على البلدان الأخرى . حتى نرى بعض العلماء الذين كانوا ينتمون على الشيعة عامة والفاطميين خاصة يمدون على مصر ويتكلمون ببعض الآراء التي كانت سالدة فيها وأقرب مثل ذلك هو الإمام الغزالي فقد هاجم في كتبه الفسطاط والمفتد من الضلال والمستظهري أو الرد على الباطنية وغيرها من كتبه ولكنه وفد على مصر في أواخر حياته فوضع كتابه مشكاة الأنوار متفكراً ببعض العقائد الفاطمية ولاسيما نظريتهم في ترفيق الحقول ويخيل إلى أن السبب الذي من أجله شجع أئمة الفاطميين العلم والعلماء أن المذهب الفاطمي نفسه يقوم على العلم والعقل قبل كل شيء ومن طريق العلم والأجدل والمناقشات استطاعت الدعوة الفاطمية أن تنتشر في العالم الإسلامي واستطاع الفاطميون أن يكونوا دولتهم .

### الطبيب

وقد اهتم الفاطميون بالطب وأغدقوا على الأطباء الأموال الذين ضموا بسهم وافر في الطب وأجزلوا لهم المنع ، وتلقوهم المنصب العالية وأصبحت لهم منزلة رفيعة بين رجال البلاط وقد ساعد ذلك على تقدم الطب الذي أصبح يدرس نظرياً وعملياً في المدارس التي كانت أشبه بكلبات للطب تخرج فيها جماعة من أطباء الأمراض الباطنية والجراحين والكهالين ومن مستلزمات الطبيب أن يكون ملماً بعلوم

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٠٩ .

(٤) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٦٧ .

(م ١٤ الحياة الفكرية في مصر )

الفلسفة واللغات الأجنبية وخاصة العبرانية واليونانية بجانب الملحة بالطلب .  
وظهر في مصر في العصر الفاطمي مدد كبير من الأطباء ، وأطلب كما نعلم كان  
في ذلك العصر من علوم الفلسفة وكثرت في مصر الفاطمية مناظرات الأطباء  
ومجادلاتهم فكان ذلك من اسباب ازدهار هذا النوع من العلم واتساع أفقه وكثرة  
التكليف حوله وقرب الفلاسفة من الأطباء وأخذوا عليهم من نعمهم وعطاياهم خلاف  
ما أولفوه لهم من مرتبات شهريّة ، فيروى أن منصور بن مقيس النصراني طبيب  
العزير بالله اعتقل سنة ٢٨٥ هـ وتأخر في أو عن الركوب مع الإمام فلما تامل من علته  
كتب اليه العزير رقعة بخطه نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم

طبيبنا بسلمه الله

سلم الله الطبيب ، واتم النعمة عليه ، وصلت اليها الإشارة بما وهبنا الله من  
عافية الطبيب وبره . والله العظيم لقد عدل عندما رزقنا نحن من الصحة في  
جسمنا فتم الله عليك الفضة وكيل لنا فحظك وعجل بها ، ولا أشمت بنا فيك عدوا  
ولا حاسدا ، ورد كبد من يريد الكبد في نحره وأبتلاه بما لا طاقة له بعد التخليع فيك  
واقالتك العثرة وبرجوعك الي أفضل ما هو بك وصلى الله على خيرته من خاقه محمد  
النبي وآله وسلم تسليما ه (٥) .

يمثل هذه الرسالة لا تصدر الا من صديق صميم بخطم لصاحبه وبحب له  
الخير فما بالك اذا صدرت من امام مسلم الي طبيبه المسيحي فالامام عرف لطيبه  
قدرته في فقهه وعلو كعبه في مناعته فخره واتخذة صبيا ، وكذلك يقال : ان المعز  
أصطنع لنفسه الطبيب موسى بن العيزار وكان طبيبا عالما بتركيب الادوية وطبائع  
المفردات وهو الذي ألف شراب الأصول (٦) .

وكان في خدمته أيضا ابنه اسحاق بن موسى المتطبيب وكان جليل القدر عند  
المعز ومثوليا أمره كله في حياة أبيه وتوفي اسحاق بن موسى لانتفى عشرة ليلة خلت  
من صفر سنة ٢٦٢ هـ . واغتم المعز موت اسحاق لموضعه منه ولكتابته وجعل

---

(٥) د . محمد كامل حسنين : في أدب مصر الفاطمية ص ٨٢ نقلا عن أخيلير  
الحكاه للقطبي ص ٢٦٧ -  
(٦) القطبي : أخيلير الحكاه ص ٢١٠ .

موضعه اخاه اسماعيل وابنه يعقوب بن اسحاق وكان ذلك في حياة ابيهم موسى  
واتوفى قبل وفاة اسحاق بيوم وكان له اخ مسلم اسمه عون الله بن موسى .

واموسى بن المعزار الاسرائيلى من الكتب : « الكتاب المعزى في الطب » : الله  
للمعز ، « مخالفة في السعال » جواب مسألة سألته عنها احد الباحثين عن مسائل  
العلوم الراغبين جنى ثمارها ، و « كتاب الاقربانيين » (٢) .

ورفد الى مصر في عهد المعز والعزير للطبيب محمد بن احمد بن سعيد التميمي .  
وبعد نشأ في بيت المقدس على يد رابع يقال له انبا زخريا بن ثوابه ، وعلى احمد  
ابن امي يعقوب ، ثم تنقل في كثير من المدن في طلب العلم وتولم على دراسته حتى  
تبغ فيسه كما اتقن طريقة تركيب الأدوية ثم اتصل بالحماس بن عبد الله بن  
طنج الاخشبيد والى الرملة وما يليها من البلاد الساسانية في عهد الاخشبيدين  
مقربه اليه ، ثم صحب يعقوب بن كلس وصنف له كتابا في عدة مجلدات سماه « مادة  
البناء بصلاح نسل الهواء والحرز من ضرر الأوباء » . ثم اتصل بالطباء الذين وفدوا  
على مصر مع الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، ولايى عبد الله التميمي عدة مؤلفات في  
الطب منها « كتاب مخلص التنوس » الذي قال فيه « هذا ترياق النفس بالقدس  
واحكمت تركيبه مختصر نافع دافع لضرر السمومات القاتلة المشروبه والمصيوبة في  
الأبدان بلسع نوات السم من الأناسي والشعابين وأنواع العيات المهلكة انسم  
والعقارب الجرارات (٨) وغررها . وذوات الأربع والأرسمين رجلا ومن لدغ  
الزئيلات (٩) والعظليات (١٠) بجرب ليس له بطل » . ثم ساقى مفرداته وصورة  
تركيبه في كتابه المسمي « مادة البناء » (١١) . وله من الكتب أيضا كتاب « الفحص  
والأخبار » ومقالة في « ماهية الريم وأنواعه واسبله وعلاجه » (١٢) .

(٧) ابن امير أصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء شرح وتحقيق د . نزار  
رضا ص ٥٤٥ .

(٨) الحرارة ( على وزن فعلة ) عشرب نجر فنبها .

(٩) الرتيلاء أو الرتيلى أنواع من الهوام كالذباب الذى يطير حول السراج —  
ولسعها مورم مؤلم .

(١٠) جمع عظلية ( يفتح العين والطاء والياء ) دويعة سامة كقبرص وجميعها عقلاء  
وعظليات .

(١١) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٠١ .

(١٢) ابن امير أصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ٨٧ — ٨٩ .

واشتهر محمد بن سعيد التميمي بخواص الحقائق، وتركيب الأدوية ولقى الأطباء بمصر وحاضرهم ونظرهم واختلف بلطباء الخاصة القادمين من المغرب في صحبة المعز والتميمين بمصر من أهلها ويقول القفطي : أنه كان نصفاً في مفكراته غير زاد على أحد إلا بطريق التدايعة وتوفي التميمي بمصر في حدود سنة ٣٧٠ هـ (٩٧٦) . وقد كان التميمي من أطباء مصر وله مؤلفات وكان في خدمة العزيز بن المعز (١٤) . ومن تبع في الطب في عهد الخليفة العزيز أبو الحسن علي بن رضوان واد بالجيزة وكان أبوه نرانا . ولما بلغ السادسة من عمره أسلم نفسه للمعلمين . وانتقل إلى مدينة مصر وهو في العاشرة لطلب العلم وبدأ في دراسة الطب وغيره من علوم الفلسفة وهو في الرابعة عشرة من عمره ، ولغته وحاجته إلى ما يستعين به في الحياة اضطر إلى أن يتكسب بالطب مرة وبالتنجيم مرة أخرى ، وبالتعليم كذلك ، وفي الوقت نفسه كان يواظب على طلب العلم ويجد في التحصيل حتى بلغ الثانية والثلاثين من سنه حياته (١٥) .

وقد ذكر علي بن رضوان في سيرته من كيفية تعلمه صناعة الطب وأحواله بما هذا نصه : « أنه لما كان يفتنى لكل نقصان أن يتحصل اليق الصالح به واولفتها له ، وكانت صناعة الطب تتأخر الفلسفة طاعة لله عز وجل ، وكانت دلالات النجوم في مولدى تمل علي أن صناعى الطب . وكان العيش عذى في الفضيحة إذ من كل هيش ، اخذت في تعلم الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة . فلما بلغت السنة العاشرة انتقلت إلى المدينة العظيمة واجهدت نفسى ولما أتيت أربع عشرة سنة اخذت في تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لى ما انفق منه . فلذلك عرض لى في التعليم صعومة وبشفة . فكانت مرة انكسب بصناعة القضايا بالنجوم ومرة بصناعة الطب ومرة بالتعليم ، ولم ازل كذلك وأنا في غاية الاجتهاد في التعليم إلى السنة الثانية والثلاثين لما اشتهرت بالطب وكفانى ما كنته انكسبه بالطب ، بل وكان بفضل حتى إلى وثى هذا ، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين ، وكسيت مما فضل عن نفقتى لمالاكي هذه المدينة لن كتب الله عليها السلامة وبلغنى سن الشيخوخة كغنى في الفضة عليها (١٦) .

- (١٢) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧٤ - ٧٥ .  
 (١٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٢٦ .  
 (١٥) د . محمد كامل حسين : في أنبا مصر القبطية ص ٨٤ - ٨٥ .  
 (١٦) ابن أبي أصيبعة : هيون الأبناء في طبقات الأطباء ص ٥٦١ .

وقد خلف ابن رضوان كثيرا من الكتب نبرهن على سعة فكره وعلو كعبه في هذه المنهجية كما ان له كعبا في الفلسفة والمنطق وغيرها من علوم الحكمة (١٧) .

ورغم نشأة هذا الطبيب فقيرا بعديا - لفته أصبح بفضل جده ومثابرته رئيس الأطباء في عصر تفوقت فيه القاهرة على غيرها من الخواضر الإسلامية كقنداد وقرطبة وكان لعلم التنجيم شأن يذكر في عصر الفاطميين حتى كان الخلفاء انفسهم يعولون كثيرا على التنجيم ويعتقدون أن للطالع تأثيرا كبيرا في صاحبه ، ويرى على بن رضوان - فلك الدياسوق المشهور والطبيب الماهر - ان ملاحمه يدل على انه خلق ليكون طبيبا ، فدعتته هذه العقيدة الى تحصيل الطب - وكان على بن رضوان من المجددين في صناعته . ولو ان تهديده على ما يقول بمعنى خصومه محدود ، اذا ما تورن بالغارابي وابن مسينا مثلا (١٨) .

على ان عمله لم يكن مضمورا على النقل والشرح لكتب من جاء قبله من الأطباء كجالينوس وأبقراط ، بل كانت له ناحية خصبة من التفكير والابتكار كما يتجلى ذلك من قوله في ترجمة حياته : « وكنت منذ الثانية والثلاثين الى يومى هذا اعمل تذكرة لى ، واقرها في كل سنة الى ان قررتها على هذا المنبر الذي استقبل به السنة الستين من فلك انصرف في كل يوم في صناعتي بمقدار ما يخفى من الرياضة التي تحفظ صحة البدن والغنى بعد الاستراحة من الرياضة غذاء القصد به حفظ الصحة ولجته في حال تصرف في التواضع والمداراة وغيث الكهوف وكشف كربة المكروب واسمان المحتاج » (١٩) .

من هذا يتبين ان طبيا بن رضوان كان مجددا في صناعته لمكان يدون بشاهداته ويغير ما دلت التجربة على تساهه ويظهر ما ظهر له صلاحه ، ولم يكن هذا الطبيب نجسما ، كل همه التكسب من صناعته ، بل كان طبيبا امسنا بصرف اهتمامه لتساعف الفقير ومساعدة المنبر والمحتاج ولا يدر فنيا وراء ذلك من طلب المال . وهذا اخص ما تنبئه اليه همه الطبيب الكامل (٢٠) .

(١٧) المصدر السابق ج ٢ ص ٩٩ - ١٠٥ .

(١٨) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٠٢ .

(١٩) ابن ابي عمير : ميون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢٠) المصدر السابق ج ٢ ص ٩٩ - ١٠٠ .

وكلنت حياته ( ابن رضوان ) كلها كد وكماح وعمل متصل الى ان ملت حوالي سنة ٤٦٠ هـ (٢١) . ولم يفت ابن كلس ان يجعل في قصره مستشفى فيه عدد كلك من الأملباء يقومون بتحصن المرضى ووصف ما يلزمهم من الأدوية التي كلنت تعطى اليهم بدن شن (٢٢) .

وكان علي بن رضوان صاحب المصنفات من كبار الفلاسفة وكان له دار بمدينة مصر على قصر الشبعة تعرف بدار ابن رضوان وقد تهدمت الآن . كان ألبا في الطب والحكمة كثير الرد على ارباب فنه وكان فيه مسممة خلق عند بحثه وله مصنفات كثيرة (٢٣) .

ثم وفد ابن بطلان البغدادي على القاهرة لمشاهدة زميله ومظفره ابن رضوان — فدخل مصر سنة ٤١١ هـ واقام بها ثلاث سنوت ، وكان وجوده بالقاهرة المعزية من اسباب شدة التنفسات والمنظرات العلمية بين الطبيبين وخرج ابن بطلان من مصر ووضع كتابا ضمن الوثائق التي كانت بينه وبين مناقسه ابن رضوان ورد ابن رضوان عليه (٢٤) .

ويقول ابن أبي لصيفة في الموازنة بين الطبيبين ابن رضوان المصري وابن بطلان البغدادي : كان ابن بطلان اعذب لفظا واكثر ظرفا واميز في الأدب وما يتعلق به . وكان ابن رضوان لطب واعلم بالعلوم الحكيمية وما يتعلق بها (٢٥) . وحفظ لنا خمس رسائل لهذين الطبيبين في المناظرة بينهما وطبعت هذه الرسائل بكليته: الاداب بجامعة مؤاد الأول (٢٦) .

وكان ابن رضوان ممتازا بعلمه ومهارته في فنه فكان يرد على جميع الاطباء في قصره وغيرهم فكان كثير الرد على آراء من سبقه من الأملباء وكانت عنده مسفاهة في بحثه وتنشيع من يريد مناقشته واكثر من ذلك فنهبا كان يرد على حنين بن

(٢١) القفطي : اخبار العلماء باخبار الحكماء من ٤٤٣ — ٤٤٤ .

(٢٢) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية من ٥٠٣ .

(٢٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦٩ .

(٢٤) ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٠١ .

(٢٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٢ .

(٢٦) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية من ٨٥ .



اسحاق وعلى أبي العرج بن الطيب اسناد ابن بطلان وعلى أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٧) .

وكان ابن رضوان صميم الخلفة مشوه الصورة أسود اللون . ومن تلاميذه مقالة في من عرفه بفتح الخلفة . وبين في هذه الرسالة ان الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون جميل الوجه . وكثيرا ما كان ابن بطلان البغدادي يتحدث عن تبيح شكل ابن رضوان المصري فقد قال في الرسالة التي وسمها « بوقعة الاطباء » يصف ابن رضوان :

فليسما تبدي للقوايل وجهه فكصن على اعقابهم من الغم  
وقلن واخفين الكلام تسرا الا ليضا كما تركناه في الرحم

وكان يفتبه بصباح الجن لثمة تبج منظره وسفاهة لسانه (٢٨) .

وتغير عقل ابن رضوان في اواخر ايام حياته وتبل ان السبب في ذلك انه في ايام المحنة التي حلت بمصر ايام حكم الاسبغمر المسالمى والتي استحدثت وعظمت من سنة ٤١٧ هـ كان ابن رضوان قد اخذ بتيمة رباها وكبرت عنده فامسا كان في بعض الايام خلا لها المنزل وكان قد افخر اشياء نفيسة ومن الذهب نحو عشرين الف دينار ، فلخذت الجبيع وهربت ولم يظهر منها على خبر ، فتغيرت احواله منذ ذلك الوقت وتوفي سنة ٤٥٢ هـ ودرك من مؤلفاته وتصانيفه اكثر من مائة كتاب .

كان لابن رضوان اثر كبير في الحياة العقلية بمصر فهذه المتأثرات الكثيرة التي كانت بينه وبين غيره من الاطباء وهذه الردود المختلفة التي كتبها في الرد على الاطباء السابقين كان لها اثرها في تنيبه الاطباء والفلاسفة الى آراء ابن رضوان وآراء خصومه . وكان لابن رضوان تلاميذ اخذوا عنه علمه وطبسه ، فمن هؤلاء التلاميذ الطبيب الاسرائيلي امراثيم بن الزقان وهو ابو كثير (٢٩) امراثيم بن الحسن ابن اسحاق بن ابراهيم بن يعقوب لسرائيلي المذهب وهو من الاطباء المشهورين بدمشق مصر وخم الخلفاء الذين كان في زمانهم وحصل من جهنهم من الاموال والغنم شيئا كثيرا جدا وكان قد ثرا صفاة الطب على ابي الحسن على بن رضوان وهو

(٢٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٠١ .

(٢٨) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٢٩) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر لفاطمية ص ٨٦ .

من أجل تلاميذه وكان له هبة عظيمة في تصحيح الكتب وفي استنساخها حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب (٢٠) الطبية وغيرها . وكان عنده النسخ يكتبون ولهم ما يقوم بكتابتهم فيه ومن جبلتهم محمد بن سعيد بن هشام الحجري وهو المعروف بابن ملساته ووجدت بخط هذا سيده كتب تصد كتبها لأفرائيم . - وعليها خط أفرائيم (٢١) .

وقيل أن لحد ورائي العراق لراد شراء كتب من أفرائيم لمسيح الأمتزل بن بدر الجبالي بذلك فلهر بنسخ هذه الصفحة وأن شقي الكتب في مصر ولا تنتقل إلى بلاد أخرى وأمر بشرائها وأضلتها إلى خزائنة الأمتزل وكتب عليها القلم وبهتال أن أفرائيم خلف ما يزيد على عشرين ألف مجلد (٢٢) .

وكان سلامة بن رحمون من أطباء مصر وفضلائها وكان قد قرأ صناعة الطب على أفرائيم واشتغل بها عليه مدة وكان لابن رحمون تصانيف في المنطق والعلوم الحكيمية منها . كتاب نظم الموجودات ، مقالة في السبب الموجب لقلّة المطر بمصر ، مقالة في العلم الإلهي ، مقالة في خصب إبدان النساء بمصر عند تهاهي الشهاب (٢٣) .

وزادت أهلية القبط حين انضحت قدرتهم في الطب - فقد اتخذ الخلفاء أطباء من بينهم سهل بن كيسان الذي تمتع بمطعم الخليفة العزيز (٢٤) .

كما نبغ في العصر الفاطمي في إبدان الطب أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان الذي كان طبيباً نصرانياً من أهل مصر ينتحل رأى الفرقة المالكية وضخم الخلفاء الفاطميين وارفع جاهه في أيام العزيز بالله سنة ٢٨٠ هـ .

ومن أطباء العزيز بالله الفاطمي علي بن سليمان حيث نقل بعض الكتب في الطب لإبتراط وجالينوس كما لفته فيها بعد في طببيعة (٢٥) - ولعلي بن سليمان من

(٢٠) ابن أبي أصيبعة : ميون الأتباء في طبقات الأطباء ص ٥٦٧ .

(٢١) المسند السابق ص ٥٦٨ .

(٢٢) المسند السابق ج ٢ ص ١٠٥ .

(٢٣) ابن أبي أصيبعة : ميون الأتباء في طبقات الأطباء ص ٥٦٨ .

(٢٤) د . د - علي حسن إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ٥٢١ .

(٢٥) د . لحد أمين : ظهور الإسلام ج ١ ص ٢٠٣ .

الكتب : اختصار الحاوي في الطب ، كتاب الأملظة والتجارب والأخبار والنكت والخواص  
الطبية المنتزعة من كتب أبقراط وجالينوس وغيرهما (٣٦) .

كما نبع أيضا أمين بن أمين في أيام العزيز بالله - وتوفي في شهر ذي القعدة  
سنة ٣٨٥ هـ (٣٧) .

وقد كان طبيباً الحكام الخاص لأول حكمه هو منصور بن مقشر النصراني  
توفي سنة ٢٤٤ هـ خلفه في هذا المنصب طبيب نصراني هو أبو يعقوب نسطلس وكان  
بن أحب الناس إلى الحكام (٣٨) .

ونبع في الطب أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر الذي كان طبيباً نصرانياً  
مشهوراً وله دراية وخبرة بصناعة الطب فكان طبيب الحكام بأمر الله ومن الخواص  
منده وكان العزيز يستلطفه ويرى له ويحترمه وكان مقبلاً في الدولة (٣٩) وكان  
لشجاعته منذ الحكام اثر كبير في اطلاق سراح الكتاب من النصراني واليهود واعادتهم  
إلى مراكزهم (٤٠) .

ومن نبغ في الطب في العصر الفاطمي في مصر أبو بشر طبيب الفطرية في  
أيام الحكام (٤١) .

كما كان للحاكم بأمر الله طبيب هو صخر اليهودي (٤٢) وظهر متخصصون في  
نواحي الطب ولاسيما طب العيون في عهد الحكام بأمر الله منهم مهار بن علي الموصلي  
كان كحلاً مشهوراً ومعالجاً بذكوراً له خبرة بمداواة أمراض العيون ودربة بأعمال  
الحصيد وكان قد سافر إلى مصر وأقام بها في أيام الحكام ولعمارة بن علي من الكتب :  
« كتاب المنتخب في علم العين وعملها ومداواتها بالأدوية والحديد » ألفه للحاكم (٤٣) .

وخلاصة القول ، كانت مهنة الطب في البلاط الفاطمي لقبه باحتكار في أيدي

- 
- ١٣٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ٥٥٠ .
  - ١٣٧) المرجح السابق ص ٥٤٦ .
  - ١٣٨) محمد عبد الله عنان : الحكام بأمر الله ص ١٤٤ .
  - ١٣٩) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ٥٤٩ .
  - ١٤٠) القنطري : أخبار العلماء بلخيار الحكماء ص ١٧٨ .
  - ١٤١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص ٥٤٩ .
  - ١٤٢) القرظي : انعاظ الحنفا ج ٢ ص ٨٢ .
  - ١٤٣) عيون الأنبياء ص ٥٤٩ .

الأطباء من أهل الفخمة - كما يتضح من مراجعة الأسماء الكثيرة التي أوردتها التقطى في كتابه « أخبار العلماء في أخبار الحكماء » وابن أبي أصيبعة في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » (٤٤) .

كما أن حركة العلوم الطبية في مصر نزل على نشاط هذه العلوم وازدهارها إبان حكم الفاطميين وأن مهر استطاعت في هذا العصر أن تنمى غيرها من الإقطار الإسلامية في مخبر هذا المعلم (٤٥) .

### الفلك والتنجيم

كان لعلم الفلك والتنجيم كما كان لغیره من العلوم المظلمة في العموم الوسطى أهمية في المشرق والمغرب الإسلامي على السواء حتى أن علماء الدين كانوا يولونه اهتماما خاصا بل أنهم كانوا ينصرفون إلى دراسته والبحر فيه لأن الخلفاء والأمراء والسلاطين كانوا يبرهون أنهم ولا يقدمون على خوض غمار الحرب دون الرجوع إلى آراء المنجمين وكانت الجيوش لا تسمى إلى ميسادين القتال إلا في الوقت الذي يقع عليه اختيار المنجمين (٤٦) .

وكان لعلم النجوم أثر كبير في توجيه سياسة بعض الأقطاب والأمراء الذين كانوا يعتمدون على التنجيم في تنفيذ سياساتهم فقد رأينا كيف اعتمد أبو جعفر المنصور على النجوم في تسمية مدينة بغداد حتى أنه لم يبدأ بوضع الحجر الأساسي للبناء إلا بعد أن أشار عليه أبو سهل بن نوبخت المنجم الذي أخبره بما نزل عليه النجوم من طول بقاء هذه المدينة وكثرة عمرانها وعمارتها (٤٧) . وقد أشار الاسماعيلية أن جوشب لرياسة دعوتهم في بلاد اليمن لأنهم عرفوا من طريق النجوم أنه سيكون له شأن في نشر هذه الدعوة في تلك البلاد (٤٨) .

ومن قصيدة الفهرى التي يقول فيها :

نعدت السبت والتسعين من نطع القول في العذر

- 
- (٤٤) د . راشد البراوي : حلة عصر الإقتصادية في عهد الفاطميين ص ١٤٧ .  
(٤٥) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٨٧ -  
(٤٦) د . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ٥٢٤ -  
(٤٧) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٠٧ .  
(٤٨) عمارة البيهقي : تاريخ اليمن ص ١٤٠ .

وبلنا على عقيدة الاسماعيلية بأن دولتهم ستقوم في سنة ست وتسعين ومائتين وكان لهذه العقيدة اثر كبير في انضمام كثير من الناس تحت لواء دعاه الاسماعيلية وكذلك هذا الفاطميون هذو العباسيين في الاعتماد على النجوم . فقد ذكر ابن حنبل (٤٦) أن مدينة القاهرة التي بناها جوهر الصقلي سميت بهذا الاسم لان اسسها ثقي على طلوع كوكب المريخ الذي يسمى « القاهر » وقيل أن جوهر جمع في ذلك اليوم « النجيين » وأمرهم أن يفتلوا طلعا لخصر الاساس وطلعا لرى حجارته فجعلوا قوائم من خشب وبين القائمة والقائمة جبل فبه اجراس وانهبوا البنائين سامة تحريك الاجراس ان يدبوا ما في ايديهم من اللبن والحجارة ووقف النجوم لتحرير هذه الساعة واخذ الطالع . فاتفق وتوف فراب على خشبة من تلك الخشب فحركت الاجراس وقلن الموكلون بالبنساء ان النجيين حركوها نالتوا ما يابديهم من الطين والحجارة في الاساس فصاح النجيين لا ، لا ، القاهر في الطالع ، ومضى ذلك وناتهم ما قصدوه (٥٠) .

وكان القاهر هذا اسما للمريخ عند هؤلاء النجيين وقيل لما قدم المعز واخبر بها حدث غير اسم المدينة وسمها القاهرة (٥١) .

وكان المعز امل الخلفاء العاويين ملك مصر وخرج اليها وكان مغرى بالنجوم ويعمل بالقوائم النجيين فل له منجم أن عليه قلما في وقت كذا واشار عليه بعض سيداب يشتمى فيه الى أن يجوز ذلك الوقت فتعل ما أمره واحضر تواده وقيل لهم : « ان بيض وبين الله عهدا أنا ماض اليه . وقد استخفظت عليكم ابني نزار فاسمعوا له واطيعوا » ونزل السيداب فكان احد المغاربة اذا رأى سحلبا نزل اوى اليه بالاسلام فلما منه ان المعز غيه ، غساب سنة ثم ظهر وبقي مدة وعرض ووفى بمسرة ابنه النزار العزيز موته الى عبد النحر من السنة ، فصلى بالفلاس وخطبهم ، ودعا لنفسه وعزى بلبه (٥٢) .

وقد كان المعز يستشير منجمه في كل ما يتعلق بحياته الخاصة وفي امور

---

(٤٦) ابن حنبل : الاتصار بواسطة عقد الامصار ج ٦ ص ٣٥ .  
(٥٠) د. أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ج ١ ص ٢ ، ٤ نقل عن  
المغريزي ج ١ ص ٣٥٣ .  
(٥١) د. أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ج ١ ص ٢ ، ٤ .  
(٥٢) المقريزي : انماط الحقا ج ١ ص ٢٢١ .

الدولة العلية (٥٦) . وقد كانت العقائد الفاطمية تعتمد قبل كل شيء على العلم وخصيص الالهيات من الطبيعيات ، فلا غرو أن ترى هذه العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفتوتها تزدهر في العصر الفاطمي ويرعاها الفاطميون بل كان من الخلفاء من اثنى هذه العلوم وبرز فيها ولا سيما رصد الكواكب ، فالمؤرخون يذكرون أن المعز لدين الله والمعز والمعتز بالله والحافظ كانوا يرصدون النجوم لاستقراء ما وراءها من أحداث ، ويذكر المؤرخون أن اهتمام الأئمة بهذه العلوم كان وسيلة لادماجهم معرفة الغيب ، ويروي المؤرخون بعض الروايات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة كما يروون بعض الأسماء كان يتهم بها المرءون على ادعاء الفاطميين معرفة الغيب ، من ذلك ما روى أن المعز يز يائه سعد المتير ذات يوم فرأى رقعة كتب فيها :

بالظلم والجور قد رضينا      وليس بالكفر والحيلة  
ان كنت أمطيت علم غيب      فتسل لنا كاتب الباطنة

وتضيف الرواية ان المعز بالله ألق عن ادعائه الغيب بعد ذلك ، ويروي ابن عيسر في تاريخه أن النيل زاد وبلغ الماء الباب الجديد أول الضرع خارج القاهرة فلما بلغ الحائط ذلك أظهر العزن والانتطاع فنزل إليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتابا فإذا فيه : إذا اتصل الماء بالباب الجديد انتفى الامم عبد المجيد (٥٤) . ثم قال : هذا الكتاب الذي نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعدها (٥٥) . فإذا مسحت الرواية فهي تؤكد ما أذامه الفلاس وتناوله الرواة عن ادعاء الفاطميين الغيب وأن الأئمة يعرفون ما كان وما يكون إلى يوم النبية (٥٦) .

وفي كتاب « الفترات والقروانات » المنسوب إلى جعفر بن منصور اليماني من علماء الدعوة في القرن الرابع الهجري يتحدث في هذا الكتاب عن أثر الكواكب في عالم الكون والفلك . ويتنبأ بما سيحدث في الأيام المقبلة . وذعب مؤلفه إلى أن

---

(٥٢) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٥٥ .  
(٥٤) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٧٢ .  
(٥٥) ابن عيسر : أخبار مصر حوادث سنة ٥٤٣ هـ والمقريزي : الخطط ج ١ ص ٩٧ .  
(٥٦) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٧٣ .

علم الذرات أو علم الجفر علم خص الله به سبحانه آدم عليه السلام وورثه آدم وصيه ونداولته الأنبياء والأوصياء والأئمة إلى الخلفاء الراشدين والفتية المتحددين بالتأييد (٥٧) ، ويروي علماء الأدموة أن علي بن أبي طالب كان يقول : « لو ثبت لي وسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل النوراة بقورائهم وبين أهل الاتجبل بانجيلهم وبين أهل القرقان بقرائهم - ولولا أن يقال أن علي بن أبي طالب سناحر لأخبرتكم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة مما علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٥٨) .

فهذا يؤيد ما قيل من الفاطميين أنهم كانوا يدعون علم الغيب ، وأنهم كانوا يستقلون بحركات الأملاك لإدعاء الغيب : وحذا الحاكم حذر أسلافه المعر والعزير في الاهتمام برصد النجوم ومعرفة ما وراءها من الأحداث فحسبوا بشجع الدالكين والمذبحين ويغتنق عليهم المنح والعتابا وأخذ المنجمون يسيطرون على منول المكثرين من الناس حتى اضطر الحاكم سنة ٤٠٤ هـ إلى إصدار مرسوم بتحريم مهنة التنجيم (٥٩) . لكنه مع ذلك ظل حريصا على رصد النجوم (٦٠) . كما تسعف بالتفالع إلى معرفة أخبار رعاياه ولكي يوهم الناس أنه واقف على حركاتهم اتخذ جواسيس يطوفون بالأسواق والدور يرصدون إليه تقاريرهم عما يقع في نواحي حضرته من الأحداث (٦١) . وفي الوقت الذي يكرهه تسعف الحاكم بالخروج أزيارة مرصده الذي أقامه بجبل المقطم لرصد النجوم (٦٢) . ولقد يبعد الحاكم من علوم أهل البيت كل شبهة ، ولما أذاعه الناس عنه وعن أبائه من ادعائهم بعلم الغيب أمر ألا ينجم أحد . ولا يتكلم في صناعة النجوم بل أمر بنفى المنجمين . إلا أنه لما أكدوا أنهم لن يشمسوا بالالتجيم ، عدت عليهم التوبة وأعطوا من القفى (٦٣) .

(٥٧) جعفر بن منصور البين : الفترات والفترات ورقة ٢ نسخة خطية بمكتبة الدكتور محمد كامل حسين .

(٥٨) المجالس المؤبدية والفترات والفترات من ٥٧ نقلا عن كتاب في أدب مصر الفاطمية د. محمد كامل حسين - ص ٧٣ .

(٥٩) د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر من ٩٥ .

(٦٠) القرظي : الضلطل ج ٢ ص ٢٨٩ .

(٦١) المتكين بن العميد : تاريخ المسلمين من ٢٥٩ .

(٦٢) د. محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر من ٩٥ - ٩٦ .

(٦٣) د. عبد المنعم ماجد : الحاكم القفري عليه ص ١١٢

ولكن بجانب هذه النصوص التي شئت ادعاء الفاطميين لمعرفة علم القريب  
تجد نصوصا اخرى تثبت عكسها ، فالتقاضى النعمان بعدتنا في كتابه المجالس  
والمسايرات : « ذكر الامام المعز لدين الله يوما وأنا بين يديه النجامة والمنجمين .  
فقال : من نظر في النجامة ليعلم عدة السنين والحساب وموليت انايل والنهار  
وليعتبر بذلك هليلج تدرة الله جل ذكره وما في ذلك من الدلائل على توحيد لا شريك  
له فقد احسن واصاب ، ومن تعاطى بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد اساء  
واخطا » . ولقد كان التصور بالله من اعظم الناس بها ، ولقد قال لى مرة :  
« والله ما نظرت فيها الا طلبا لعلم توحيد الله وتأثير قدرته ومعجائب خلقه ؛ ولقد  
عانيت من الحروب وغيرها فما عانت في شيء ، من ذلك بالاختيار منى دلائل النجوم  
ولا الفتى اليه » ثم قال المعز : « اتلنى بعض المنجمين بكتاب الله يذكر فيه خلق آدم  
وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله عز وجل وما دلت عاينه بما آل امره وامر ذريته  
اليه ، ورأى انه اتى (٩١) في ذلك الى بفائدة وعلم سبق اليه ، فلما وقعت على  
كتابيه سألته : هل كان قبل آدم شيء ؟ قال : نعم قد كان قبله . قلت : فما كان  
قبله ؟ ومن كان ؟ وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك ؟ . بيد انه لسوء  
الحظ قد تالفت معظم تصانيف ابن زولاق ولا يعرف عنها شيء الا ما اخذه  
منها غيره من الكتاب الذين جاؤا بعده . هذا وتصانيف ابن زولاق التي بقيت الى  
اليوم هي (٩٥) : « السيرة او تاريخ قضاة مصر » ، و«سيرة الاخشيذ المسماة  
« العيون الدعج في حلى دولة بنى طنجح » التي نقلها ابن سعيد في كتاب « المغرب  
في حلى الاقرب » ، و « كتاب فضائل مصر » وهو مخطوط بالمكتبة الاهلية بباريس  
تحت رقم ١٨١٧ ومختصر لهذا السفر الكبير الذى الفه صاحبه من تاريخ مصر ،  
اما هذا المخطوط فقد امتنا بعهوسومات صحبة عن تاريخ المصدر الاول من ايام  
الفاطميين الى سنة ٣٨٦ هـ - وقد اتم المؤلف الذى وضع اسماءه بن زولاق رجل  
من الامراءك بنوح لنا انه ادخل وما تلت عليه قبل خلق آدم ؟ فلما بحر جوابا ،  
وقال : هذا شيء ما ظننت انى اسأل عنه ، ثامت : وهذا الذى تكلفه وجئت به  
ما سالت عنه ايضا فكيف تكلفته ، فعجبت من قوم يقفون فيما لا يعلمون

١٦٤١ د. محمد كابل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٧٢ .

(٦٥) با قوت النعمان : ارشاد الاريب ج ٢ ص ٧ .



ويحفظون ما لا يحرون (٦٦) . فهذا يدل على ان المنصور ياله والمعز لدين الله لم يدعيا الغيب ولم يدرسا الكواكب وحركاتها لعلم ما كان وما سيكون ويقول جعفر بن منصور البين في كتابه الكشف : « قال تعالى : اقل لا اتول لكم عندى خزائن الله ، ولا اعلم الغيب ولا اتول لكم انى ملك » ، وهذا قول نوح عليه السلام الذى ذكر الله بوحيه وضايبده وتوره وتذيقه عن الله جل ذكره (٦٧) . فهذا دليل آخر تقدمه في دفع تهمة ادعاء الفاطميين للغيب .

وقال القاضي النعمان في كتابه الهمة : « فاننا لا نقول ما تراه الغلاة الضالون الميطلون الصانون عن اولياء الله الدائمون ايمانهم الزاعمون انهم يعلمون غيب الله وما تخفى صدور عباده ، نعالى الله الذى يفرق بالعلم دون خلقه ولم يطلع ما شاء منه الا من ارتضى من رسله ، وانما اراد هؤلاء الفسقة بما نسبوه الى الائمة صلوات الله عليهم من فلك دين ايمانهم لانهم لما زعموا ان الائمة يعلمون الغيب والناس يرونهم لا يعلمون من امور الناس الا ما ظهر منها لم يكتروا اثمة عند اولئك الفسقة ولا عند من قبل منهم اذ لم تكن تلك الصفة التى وصفتهم بها منهم » (٦٨) .

ولعل سبب هذا الادعاء هو ظروف بعض الدعاة في اسياخ جميع الفضائل على الائمة حتى جعلوا انهم يعلمون الغيب ، وكان اختلاف الناس في هذا الامر مصدر جدل بين المصريين (٦٩) وصور لنا الامر نعيم في احدي تصانفه ذلك كله بقوله يخاطب اخاه الامام العزيز بالله :

ولما اختلفنا في النجوم وعليها	في انها بالفتح والضر قد تجرى
فمن مؤمن منا بها ومكذب	ومن مكتر فيها الجدال ولا يدري
ومن تفل تجرى بسعد وأنحى	وتعلم ما يأتى من الخير والشر
فعلمتنا تاويل ذلك كله	بما فيه من سر وما فيه من جهر
عن الطاهر المنصور جدل ناتلا	وكان بها دون البرية ذا خبر

(٦٦) القاضي النعمان : المجالس والمباريات ورقة ٩٢ ب .  
(٦٧) جعفر بن منصور البين : كتاب الكشف نسخة خطية بمكتبة د . محسن كابل حسين .  
(٦٨) القاضي النعمان : الهمة في آداب اتباع الائمة ص ٥٤ .  
(٦٩) د . محمد كابل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٧٤ .

ماخبرتنا أن المنجم كاهن وان جميع الكهنة مسيرهم نجمتنا بعد اختلاف ومرة وأوضحت فيها قول حق مبرهن فعدنا إلى أن الكواكب زينة مسخرة مضطرة في بروجها وأن جميع الغيب لله وحده وما علمت منه الأئمة انما

بما قال والمكان من شيعه الكفر إلى النار في يوم القيامة والنصر والفتنا بعد الفتناء والزجر يجلي ظلام الشرك من كل ذي فكر وفيها رجوع للشيطان اذ نرى نصر بتدبير الاله على قدر تبارك من رب ومن صمد ونصر روه عن المخلف جدهم الطهر (٧٠)

اذا نستطيع ان نخلف المؤرخين الذين رموا الفاطميين بادهاء الغيب، فان هؤلاء المؤرخين استلوا اخبارهم من اشاعات العامة واقوال بعض الغلاة ولم يحتثوا الامر تحقيقا عليها ، فلصيدة الامر نعيم واقوال طغاة الدوسوة تنه، ما جاء به المؤرخون ويرى الفاطميين من ادعاء الغيب (٧١) .

حقيقة اهتم الفاطميون بالنجوم ورسمها واستخدموا الفاطميون إلى مصر عددا كبيرا من المنجمين ، فعندما نزل العزيز ابن محمد قدم معه منجيه محمد ابن عبد الله بن محمد العتقى (٧٢) .

ورفع العزيز بالله منزلة منجيه ابن عبد الله القلانسي إلى ان توفي سنة ٢٨٦ هـ (٧٣) .

ومن تلقى العزيز والحصانم الفاطميين في مصر ابن يونس ابو سعيد (٧٠) الأمير نعيم بن العزيز : ديوانه ورقة ٩٢ ب نسخة خطية بمكتبة د. محمد كامل حسين .

(٧١) د. محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٧٥ .  
(٧٢) ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الله محمد العتقى المنجم كلن متظنا في عدة علوم والقالب عليه علم النجوم - ولما وفد بمصر تربية الفاطميون وام نزل مقربا إلى أيام العزيز بالله ولكن حدث أن صنف كتابا في التاريخ ذكر فيه بنى أمية وبنى العباس وأشاد ببعض محاسنهم وجبيل لفعالهم وأطلع عليه الوزير ابن كلثوم فأنهاه إلى العزيز فوبخ العتقى على ذلك وجرح الوزير العباس إلى داره ودم العتقى أيامه فاضطر العتقى أن يلزم داره كما صورته لهلاكه وتوفي سنة ٢٨٥ هـ وله مدة تصانيف منها كتاب في النجوم واحكامها وكتاب التلويح الجامع صنعه إلى بعض أيام العزيز وكتاب في النجوم والمسبب لعلم العرب ( اخبار الحكماء للفطنى ص ١٨٧ ) .

(٧٣) الفطنى : أخبار العلماء في أخبار الحكماء ص ٢٦٧ .

عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدوق المصري عسرف زيجته  
« بالزيج الكيم الحاكى » لأنه أهداه إلى الحاكم أو زيج ابن يونس ، وقد بسط  
فيه القول والعمل إذ استمد على الآلات الصحيحة كما أنه اشرف على انشاء  
الرصد في عهد الحاكم (٧٤) الذي أتته بسفح جبل المقطم .

كما كان أبو يونس من كبار المحدثين الحفاظ وقد وضع لمصر تاريخاً فاصلاً  
رجع العلماء إليه ولما هذا فإنه استغل في علم النجوم فنقل من شأنه منسلاً جيداً  
وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد وكان مع هذا مغفلاً سيبى، الحال رث المشايخ  
ما ولا يعمم على طرطور يقتطيس قوته ويركب جهازاً فمن رآه ضحك منه وكان  
ينزل على الحاكم فيكرمه ويذكر من تغلبه ما يدل على اعتناؤه بأمر نفسه وكان  
شاهداً مدداً وله شعر جيد (٧٥) .

ويذكر ابن يونس من أعظم عابسياء الفلك بعد البتاني وابن الوشاء وأهم  
تصانيفه كتابه « الزيج الحاكى » يدها حوالي سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م بأمر العزيز  
آبادي وأمه قيل وعاقبه بقليل في عهد الحاكم ولد المعزى ومن الأوسف هنا أنه لم  
يسل إليها كاملاً فهناك أجزاء منه في لندن وأكسفورد وباريس والاسكوريال وبرلين  
والقاهرة وكذلك أظهر ابن يونس براعة كبرى في حل كثير من المسائل العمومية  
في علم الفلك الكبرى منسوبة في ذلك بالاستقط العمودي للكرة المساوية على كسئ  
من الأفق وهو مستوى الزوال ١٢٦١ . وقد كان تعويل أهل مصر عليه حتى  
ان تطلب مدينة العرب اغوستاف لوبون وضع ابن يونس في القاهرة زيج الحاكم  
الشمس فانسى كل زيج قبله في العالم حتى عفى به غلبي الصين بذكره أحدهم  
( كوشيو كينغ سنة ١٢٨٠ م ) وترجم المسبو كوسان تصوله؛ استاذ اللغة العربية في  
كلية فرنسية بعض تصوله إلى الفرنسية سنة ١٨٠٤ م ومن كتب ابن يونس  
الشمس : التمديل الحكم ، جداول السمات ، جداول الشمس والقمر ، غاية الانفعال  
في معرفة الدوائر والسمات من قبل الارتعاج (٧٧) . وابن يونس سطيل بيت

(٧٢) د. عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى

ص ٢٢٩ .

(٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٧٦) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٧٧) شهر الدين البزركلى في الاعلام ج ٥ ص ١١٢ .

( م ١٥ - الحياة الفكرية في مصر )

اشتهر بالعلم إذا قدر الفلطيون علمه وفضلوه فأجزلوا له العطاء وشجعوه على  
مخايمة بحوثه في الهيئة والرياضيات فبنوا له مرصدا على جبل المقطم قرب  
الفسطاط سكن بواسطته من رصد كسوف الشمس والقمر في القاهرة سنة ١٧٨ م  
وقد وصف في زيجه الحكيم الطريقة التي اتبعها فلكيو العرب في عصر المأمون في  
قياس محيط الأرض (٧٨) .

وبعد ( سارطون ) من تحول علماء القرن الحادي عشر للميلاد .

وقد يكون اعظم فلكي ظهر في مصر وولد فيها وتوفي فيها سنة ٣٩٩ هـ ويقول  
عنه ابن خلكان « ... وهوزيج كبير رتبته في أربعة مجلدات ولم أر في الأزياج على  
كثرتها أطول منه .. » (٧٩) .

وهو يشمل على مقدمة و٨١ فصلا ذكر موضوع كل منها في المقدمة . ويعتبر  
( سيديو ) بقية هذا الزيج فيقول : « ان هذا الزيج كان يقوم مقام الجسطى  
والرسائل التي ألفها علماء بغداد سابقا » . ويقول « سوتر » في دائرة المعارف  
الإسلامية : من المؤلف انه لم يصل إلينا كالملا .

وقد ذكرنا سابقا عن كوسمان ثم نوجم بعض فصول هذا الزيج التي تحتوي  
على لرصاد للفلكيين القدماء وأرصاد ابن يونس نفسه من الكسوف والكسوف (٨٠)  
واقتران الكواكب . وكان تصدده من هذا الزيج ان يتحقق من أرصاد الفلكيين القدماء  
وأحوالهم في الثوابت الفلكية وان يكمل ما فاتهم وان يضع ذلك في مجلد جامع ، يدل  
على أن صاحبه كان اعلم الناس بالحساب والتفسير .

ويعتقد « سوتر » بأن ابن يونس أتاه في ذلك فائدة تيسرة وأنه هو الذي  
رصد كسوف الشمس وخسوف القمر في القاهرة سنة ١٧٨ م وأثبت منها تزايد  
حركة القمر وحسب ميل دائرة المروج وجاء حسابه اقرب ما عرف الى ان اثبتت  
آلاف المرصد الحديثة وجاء في زيجه فصل موضوعه « الاتساع في النجوم بحسبه  
الرأى العام » ولغرض أخرى عليها ... من المباحث الفلكية الحديثة كما سرد فيه  
الطريقة التي اتبعها .

(٧٨) د . عبد العظيم منتصر : تاريخ العلم ص ١٥٤ - ١٥٥

(٧٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥ .

(٨٠) عدري حافظ طوئان : ص ١٥١ .

وابن يونس هذا الذي اصلح زيج « يحيى بن منصور » وعلى هذا الاصلاح كان تحويل اهل مصر في تقويم الكواكب في القرن الخامس الهجرى . وكذلك جمع ابن يونس في مقدمة زيجه كل الآيات المتعلقة بامور السماء وربها ترتيبا جيلا بحسب مواضعها فقد كان يرى أن افضل الطرق الى معرفة الله هو التفكير في خلق السموات والأرض وعجائب المخلوقات وما أودعه فيها من حكمة وبذلك يشرف الناظر على عظيم قدرة الله عز وجل ويتجلى له عظيته وسعة حكمه وجليل قدرته (٨١) . وما أودعه فيها من حكمة .

وفي سنة ٤٠٤ هـ نهى الحاكم ان يسترشد الناس بالنجوم وأن يبائسروا علم الفلك .

وبرز أيضا في مجال الفلك والرياضة أبو علي أحمد بن الهيثم الذي كان مولده بالبصرة سنة ٣٥٥ هـ / ووفاته سنة ٤٣٠ هـ فكان غزير العلم واسع الاطلاع فاضل النفس عبقريا في العلوم شديدا الذكاء له فضل لا ينكر على علم الفلك . فبينده الأستاذ « سارتون » فيقول : ان ابن الهيثم هو أكبر المستنقلين بعلم البصريات في جميع العصور وهو فوق ذلك ملهم بالفلك والرياضة والطبيعة . كما برع ابن الهيثم بالاضافة الى علم الفلك بعلوم شتى ومعارف كثيرة فقد شملت كتبه ، موضوعات في الحساب والجبر والمتابله والمثلثات (٨٢) .

وكان لابن الهيثم دور مهم في علوم الفلك والنجوم والبصريات . وأما المنجمين الذي أمثلهم ابن الهيثم على النظرية الفلكية فيمكن ان تذكره على الوجه التالي : بقى الفلكيون في المشرق مدة طويلة لا يهتمون بتحديد مفهوم الافلاك السماوية . وكان هذا شأن أبي العباس المرغاني وابن عبد الله محمد التتائي وأصله من حران وان الأمر اقتصر عند هؤلاء على النظر في الكواكب من جهة رياضية وكانها دوائر منالية وهمية تمثل حركة الاجسام السماوية (٨٣) .

كما ان لابن الهيثم رسائل عديدة في الفلك تزيد على عشرين رسالة عرفت

---

(٨١) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب من ١٥٦ - ١٥٢ .  
(٨٢) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة العربية الاسلامية من ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ .  
(٨٣) هنري كوربان : تاريخ الفلسفة الاسلامية ترجمة نصير مروة وآخرين من ٢٣٠ .

منها ثلاث رسائل تبحت في مائة الأثر على وجه القمر وفي ارتفاع القطب وفي هيئة العالم - ويمستدل من هذه الرسائل انه استنبط طريقة جديدة لتعيين ارتفاع القطب أو عرض المكان على وجه التدقيق وهي تدل على مقدرته العلية الفلكية ومقدرة رياضية هائلة . إذ استطاع أن يلجأ إلى التحليل الرياضي . وكانت بحواره خالية من الفلت والاختلاء . وبسط ابن الهيثم سسر الكواكب ويمكن من تنظيمها جميعاً على موال واحد . فكانت هذه بمثابة آراء جديدة أدخلها إلى العلوم الفلكية وهي لا تقل أهمية عن الآراء الجديدة التي نوه عنها في الضرء حيث أدخل خط الاتساع النسمي بدلاً من الخطوط البصرية . وكانت هذه الجديدة التي أش بها ابن الهيثم عاملاً من عوامل تقدم الفلك وخطوة لابد منها في تطور هذا العلم . وقد درس الأستاذ الفلكي « محمد رضا » بعض رسائل ابن الهيثم في الملك فخرج يقول : « إذا أردنا أن نقل ابن الهيثم بعلماء عصرنا الحاضر فنكون مغالبا إذا اعتبرت الحسن بن الهيثم في مرتبة تضاهي العلامة أينشتين في عصرنا هذا . . (٨٤) والذي لولاه لما تقدم علمنا الطبيعية والذات تقدمها العجيب وهو تستخدم مكن الانسجام من الفوتوف على بعض أسرار المادة في ذراتها وخواهرها وكهارها . وعلى الاطلاع على ما يجري في الأجرام السماوية من مدهشات ومجرات (٨٥) .

كما نبغ في العصر المملوكي على بن سليمان الذي كان أوحد في أحكام النجوم في أيام المهديز وولده الصاكم ولحق أيام الظاهر عزاز دين الله ولعل بن سليمان من الكتب « تعدد شكوك في كوكب الذنب » (٨٦) .

ويذهب المقرئزي (٨٧) إلى انه عمل للأنفل بن سدر الجبال مائة تقويم لاستقبال سنة خمسمائة من الهجرة وكان منجوه الحضرة يومئذ ابن الخطيب وابن الهيثم وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى في كل شهر والروم والكسوة على عمل التقويم في كل سنة ، فإذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير ، فنكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة من احضار على العادة جميع المنجيين والصلب واهل

(٨٤) شري حافظ ملوتان : العلوم عند العرب ص ١٧١

(٨٥) المرجع السابق ص ١٧٢ .

(٨٦) ابن أبي أسبيعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٥ .

(٨٧) المقرئزي : البصطط ج ١ ص ٢٠٦ .

العلم ومساهمهم عن السبب في الاختلاف بين التقاويم فقالوا : الشاسي يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأهونى ونحن نهمل على رأى الزيج الحاكمى لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وظلف . ثم أشاروا عليه بعمل رصد مستجد ، وأشار عليه أبو الحسن بن أبى أسامة أن يتولى ذلك القاضي ابن أبى العيش الطرابلسى المهندس العالم ولكن الأفضل غضب على ابن أبى العيش وولى بدله إيا سعيدي بن ترفة العلبيى منتشط فى إقامة الرصد وساعده جميع المهندسين وعلباء الحساب والتنجيم الى أن قتل الأمنيل سنة ٥١٥ هـ وولى الوزارة المأمون البطائى فلعب ان يتم هذا الرصد على ان يعرف بالرصد المأمونى الصحيح واستمر العمل الى أن قتل الوزير البطائى سنة ٥١٨ هـ فوقف العمل به ، وكان من المهندسين الذين اشتروا فى اقامة هذا المرصد أبو جعفر بن حسدداى والقاضى ابن أبى العيش وأبو الحسن على بن سليمان بن أيوب وأبو النجاشى بن سند الساعاتى الاسكندراني المهندس وأبو محمد بن عبد الكريم الصقلى وغيرهم . ومن اصحاب والتجيين ابن الحلبيى وابن الهيثمى وأبو النصر ثلمية سهلون وابن ذئلب والقلهون وغيرهم (١٨٨) .

ومن اهل الأندلس الواقدين الى مصر أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الندائى الأندلسى فى أيام المسمى بالأمير من ملوك مصر واتصل بوزيره ومدير دولته الأمنيل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجبلى (١٨٩) . وقد كان ابن أبى الصلت ماهرا فى علوم الأوائل راسا فى معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى والطبيعى والرياضى والالهى كثير التصانيف يبيع النظم مات سنة ثمان وعشرين وخمسمائة عن ثمان وستين سنة (٩٠) وله من التصانيف كتاب رسالة فى عمل الاسطرلاب (٩١) .

وكان الصلظ حازم الرأى ، جهاها للأبوال كثير الإدارة ، سيوسبا عارفا ولم يكن احد ممن ولى قبله غير خليفة سواء وكان يميل الى علم النجوم وكان له من التنجيين سبعة : منهم المحضوف ، وابن الملاح ، وأبو محمد بن القلمى ، وابن موسى النصرانى (٩٢) .

(١٨٨) د . بحد كامل حسين : فى ادب مصر الفلطيية ص ٧٦ .

(١٨٩) ياقوت الحموى : معجم الأديباء ج ٧ ص ٥٢ .

(٩٠) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٢٩ نقلا عن ابن أبى الصلت ج ٢ ص ٥٢ - ٦٣ .

(٩١) ياقوت الحموى : معجم الأديباء ج ٧ ص ٦٤ .

(٩٢) القريزى : اتماظ الحفاظ ج ٣ ص ١٨٩ .

ومما يدل على شدة العناية الفاطمية بحركات الكواكب ما يرويه ابن السنيدي وكان من أجل الخبرة بعمل الاسطرلاب والحركات أن الوزير الجديري نظم سنة ٤٢٥ هـ ناسر بمعمل مهتمت لخزانة كتبه وبرم ما أخلق من جلودها وأنتد القاضي القضاعي وابن خلف الوراق ليثوليا ذلك وحضر ابن السنيدي لبشاهد ما يتعلق بصناعته (٩٣) قال : مرابت من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة سنة الآف وخمسمائة جزء وكرة تحلى من عمل بطليموس وكرة أخرى من عمل ابن الصنين الصوفي للملك عضد الدولة وزنها ثلاثة دراهم قد اشتربت بثلاثة آلاف دينار (٩٤) . وكان الخليفة الحافظ مفرها يعلم النجوم وله عدة من المنجيين (٩٥) .

وظهر في الفلك والتنجيم في عهد الخليفة الفاتر ابن العين زربي حيث اشغل في علم النجوم ، وخدم الخلفاء الفاطميين المصريين وتال حظوة لديهم وكان من تلاميذه بلطغر بن معرف وكان ابن العين زربي في أول أمره انبا يتكسب بالتنجيم وتوفي سنة ٥٤٨ هـ في دولة الظاهر بالله (٩٦) .

كما نبغ أيضا في التنجيم بلطغر بن محمود بن المعروف كان ذكيا فطنا كثير الاجتهاد والعناية والحرص في العلوم الحكيمية وقد اشغل على ابن زربي ثم رآه يفسر كتاب الكون والفساد لأرسطاطاليس وكانت له همة في تحصيل الكتب وترجمتها ومن هذه الكتب : كتاب في علم النجوم (٩٧) .

ومن يرز في الفلك والتنجيم في عهد الخليفة المعاضد سنة ٥٦٣ هـ رشيد الدين أحمد بن القاضي أبي الحسن علي بن ابراهيم بن محمد بن الصنين الزبير الأسواني :

من هذا كله نستطيع أن ندرك مدى عناية الفاطميين بهذا اللون من العلم ولكن الفاطميين لم يكونوا بدعا في ذلك كله . فهم ليسوا بأول من رمد النجوم وجعلوا لها رابطة بين الكواكب العلوية والعالم السفلي وعاشر حركات الكواكب في

- 
- (٩٣) المصدر السابق ص ٢٤٩ .  
(٩٤) د . محمد كاهل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٧٧ .  
(٩٥) القلطي : أخبار العلماء في أخبار الحكماء ص ٢٨٦ .  
(٩٦) ابن أبي أصيبعة : ميون الأبناء في طبقات الأطباء ص ٥٧٠ .  
(٩٧) المصدر السابق ص ٥٧١ .



الأرض . فهذا كله فخر معروف قبل ظهور الإسلام . وبعد الإسلام نفس أوائل قيام الدولة المملوكية عنى أبو جعفر التصور بالتنجيم والنجوم . وترجم له المسند والهند وجاء الخلفاء العباسيون من بعده وأفقدوا به حتى أصبح للتنجيم شأن كبير عندهم وجعلوا للتنجيم رواتب واستشمارهم الخلفاء في أصولهم الإدارية والسياسية ولبس بعبود عن أذهانتنا (٩٨) قصة فتح صورية وقصيدة ابن تمام التي مطلعها :

السيف أصعدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجهد واللمب

حقا ان ائمة الفاطميين اهتموا بعلم التنجيم ، الا أنهم لم ينظروا اليه كما يظهر من كتبهم — الا على أساس انه علم مفيد لمعرفة الحساب والسنين والأوقات ووسيلة للاهتداء في البر والبحر (٩٩) .

ويقول الأستاذ المرحوم كارلو فالينو : ان التنجيم كان له شأن في تصور الخلفاء والسلاطين وبين المسامة وظل كذلك الى القرن الماضي فمكسكن في دخول الحضارة الغربية هامة ومذهب كوبر نيكوس خلاصة القضاء البرم على التنجيم بيد انه لا يزال موجودا في البلاد التي لم تصب من الحضارة الغربية الا قليلا (١٠٠) .

فالفاطميون شاركوا فيهم من المسلمين في التنجيم والفلك وقد يكون من أهم الأسباب التي أدت الى اهتمامهم بذلك مسألة ابتداء شهر رمضان . فقد ذكرنا ان الفاطميين جعلوا شهر رمضان ثلاثين يوما دائما ولم يبدأوا صومهم برؤية الهلال رؤية بصرية بل رؤية استبصار . مرصدوا حركات الأجرام السماوية ليعرفوا ببدأ الشهر على حساب أن السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما وخمسة أيام وسدس يوم وأن ستة اشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وأن كل ناقص منها يتلوه تام . وللسنة الدقة في هذا التقويم اضطروا الى استخدام عدد كبير من علماء الفلك والتنجيم والحساب والمهندسين وغيرهم من الفلاسفة الذين اقبلوا المرصد والأبحاث (١٠١) .

\* \* \*

(٩٨) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٧٧ .

(٩٩) د . عبد النعم ماجد : الحاكم المفترى عليه .

(١٠٠) مادة تنجيم في دائرة المعارف الإسلامية .

(١٠١) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٧٧ - ٧٨ .

### الرياضيات والهندسة

ومن تبع في عهد الفاطميين أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم وقد نشأ في البصرة سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م ثم انتقل إلى بحر وأقام بها ١٠٦١ وقد اشتهر بعلمه الواسع بالهندسة والرياضة والطبيعة والاسيما الضوء ، ولم يجارده أحد في عصره من أهل زمانه في العلوم والدليل . كما اشتهر بالطب والفلسفة وما زال - الأوروبيون يشيدون بفضلهم ويفرنون اكتشافاته بالفاذ علمهم بكل روجسرد يكون وكبكر (١٢٠) .

وكان كما يقول ابن أبي أصيبعة : (١٠٦) : فاصطل الفخر ، فزوى الفلكاء ، وفتننا في العلوم ، لم يخاله أحد من زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه . وكان دائم الاستقبال كثير التصنيف وأمسر الزهد محبا للخير . وقد لخص كثيرا من كتب أرسطوطاليس وشرحها وكذلك لخص كثيرا من كتب جالينوس في الطب . وكان خبيرا بأصول صناعة الطب وقوانينها وأهورها الكلية - إلا أنه لم يباشر أصيلا . ولما اتصل بالحاكم الفاطمي نانتت نفسه إلى رؤيته . ثم نص إلى هذا الخليفة أنه قال : لو كنت يبحر لعميلت في نيلها هملا يحصل به النفع في كل حالة من حالته من زيادة ونقص ، فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال هو في طرف الأقليم المصري . فإزداد الحاكم إليه شوقا وأرسل إليه سرا جملة من المال ورغبه على بلب القاهرة المعزية تعرض بالاختق . ولما وصلها خرج الحاكم لمقاله ، والتبها بقرية رينما استراح ، وقالبه بما وعد به من أمر النيل ، فسار معه جماعة من الصناع المتولين للمبرة بلديمهم ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له .

ولما سار إلى الأقليم بطوله ، ورأى آثار من تقدم من مساكين من الأمم الحالية ، وهي في غاية من أحكم الصنعة وجودة الهندسة ، وما اشتملت عليه من أشكال مملوية وملاات هندسية وتمسوير معجز تحقق أن الذي يقصده ليس بهحكم ، فإن من تقدمه في العصور الحالية لم يعزب عنهم علم ما علمه ولو أمكن لتعلوه

(١٠٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٠٤ .

(١٠٣) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر وتاريخه ونظوره ص ٢٢٥ .

(١٠٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأقطاب ج ٢ ص ٩٠ .

فانكسرت هيته ووقف خاطره ووصل الى الموضع المعروف بالجندل قبل مدينة  
أسوان وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل ، فعابسه وياشره واختبره من  
جانبه فوجد أنه لا يمشى على موانقة مراده ونحى الخطأ والغلط عما وعد به ،  
وعاد خجلا منخولا واعتذر بما قيل الحاكم ظاهرا وواقعه عليه . ثم ان الحاكم  
ولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لا رغبة وشحق الغلط في الولاية . فان الحاكم  
كان كثير الاستئالة له ، وبضا للعلماء بغير سبب لو باضعف سبب من خيال  
ينخبله . فتجمل فكره في امر يشخص به فلم يجد طريقا الى ذلك الا اظهار الجنون  
والخيال فامهد ذلك وتوسع فاحبط على موجودة له بيد الحاكم وتوابه وجمل  
برسسه من يخسه ويتوم بمصالحه وتهد وتترك في موضع من منزله ولم يزل على  
ذلك الى أن تحقق وفاة الحاكم سنة ٤١١ هـ .

وبعد ذلك بيسر انظر المعتل وباد على ما كان عليه وخرج عن داره  
واستوطن قبة على بلب الجبل الأزهر أحد جوامع القاهرة وأقام بها بتسكا  
مغريا متفتحا . وأعيد اليه ملكه من تحت يد الحاكم واشتغل بالتصنيف والنسخ  
والإفادة وكان له حظ تاعدة في غاية الصحة - كتب به الكثير من علوم الرياضة .  
ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة في حدود سنة ست وثلاثين وأربعمائة أو بعدها  
بقليل (١٠٥) .

وأبو الحسن بن الهيثم ويعرف مادة في مصنفات الغربيين في العصور  
الوسطى باسم الهازن كان عالما من اعلام العرب في الرياضة والطبوعات وكانت  
له الى ذلك مشاركة في الطب وفي علوم الأوائل الأخرى وخاصة في فلسفة أرسطو  
وكان لكتابه المناظر اثر بالغ في معارفه الغربيين لهذا العلم في العصور الوسطى  
من روجر بيكون حتى كيلر وقد بقى لنا شرح مستفيض على كتاب المناظرة (١٠٦)  
وهو (أى ابن الهيثم) مفكر من المسح الرياضيين والفيزيائيين في العصر  
الوسطى (١٠٦) .

---

(١٠٥) د. حسن إبراهيم : تاريخ الفولة الفطمية من ٥٠٥ - نقلا عن ابن  
أبي أصيبعة : عيون الأقطاب ج ١ ص ٩٠ ، ٩١ .  
(١٠٦) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٢٩٨ .  
(١٠٧) هنري كوربان : تاريخ الفلسفة الإسلامية - ترجمة نصر مروء وآخرين  
ص ٢٢٩ ر .

اتفق المؤرخون الذين ترجموا لابن الهيثم على أنه كان عالماً متقناً لعلوم كثيرة  
ينبشور القسطنطيني : \* ابن الهيثم صاحب التصانيف والناليف المذكورة في علم  
الهندسة وكان عالماً بهذا الشأن مثلاً له متفتناً فيه فيها بغوامضه ومعانيه مشاركا  
في علوم الأولل - أخذ عنه الناس واستفادوا منه « (١٠٨) .

ويقول البيهقي : « الحكيم بطليموس النلسني أبو علي بن الهيثم كان تلميذاً  
بطليموس في العلوم الرياضية والمعتولات وخصائفه أكثر من أن تحصى » (١٠٩) .

وكان ابن الهيثم فزير العلم واسع الاطلاع كثير التصانيف فقد ألف في  
الهندسة والطبيعات والفلك والحساب والجبر وفي الطب والمنطق والأخلاق -  
فلا غرو إذا رأينا الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية تحتفل بذكرى مرور  
تسعمائة سنة على وفاة ابن الهيثم ، وقد أظهر أعضاء هذه الجمعية الترد  
العلمية التي خلفها ابن الهيثم ، ونوهوا بكتابته في هذه العنون التي نبغ فيها  
وعرض لها في مصنفاته (١١٠) .

قالاستادمصطفى نظير بك قال : « ان ابن الهيثم قلب الأوضاع القديمة  
وانشأ علماً جديداً ، وقد أبطل علم المنساطر الذي وضعه اليونان وانشأ علم  
الضوء الحديث بالمعنى وبالحدود وبالاصول التي تراها الآن . وان عمده نيوتن  
بحق رائد علم الميكانيكا في مستهل القرن التاسع عشر فابن الهيثم خطبق بأن  
يعد بحق رائد علم الضوء في مستهل القرن الحادي عشر للهيلاد » (١١١) .

وقال الأستاذ محمد رضا مدود بك : « اذا أردنا أن نقارن ابن الهيثم بعلماء  
عصرنا للحاضر فلا نكون مغالبا اذا اعتبرنا ابن الهيثم في مرتبة تضاهي مرتبة  
العلامة اينشتاين في عصرنا هذا » (١١٢) .

ويقول الأستاذ الدكتور مشرفة باشا : « والمطلع على كتاب ابن الهيثم في  
حل شكوك أقليدس يلمس فيه دقة المؤلف في التفكير وتعمقه في البحث واستقلاله

- 
- (١٠٨) القسطنطيني : أخبار العلماء في أخبار الحكماء ص ١١٤ .  
(١٠٩) البيهقي : تاريخ حكام الإسلام ، مطبوع بدار المكتب المصرية ص ٥١ .  
(١١٠) د- كامل حسين : في ادب مصر انقاطمية ص ٨٠ - ٨١ .  
(١١١) الاجتماع النخطيدي لذكرى ابن الهيثم ص ٢٢ .  
(١١٢) الاجتماع النخطيدي لذكرى ابن الهيثم - ص ٢١ .

في الحكم كما يتضح له صحة ادراك ابن الهيثم لمكان الهندسة الاقليدسية من العلوم الرياضية على أنها دراسة منطوية للعلاقات أو المقادير الكائنة من ناحية كونها علاقات أو مقادير أو تغير نظر إلى ما يمكن أن تغل عليه - من وجودات .  
فابن الهيثم في هذا الكتاب رياضي بحث بأدق ما يتدل عليه هذا الوصف من معنى ،  
وإبلغ ما يصل إليه من حدود \* (١١٤) .

فهذا كله لؤل مختصين بساطيعون الحكم على مكانة ابن الهيثم في العلوم الرياضية والطبيعية ولكن ابن الهيثم كان في مصر الفاطمية توجدت نهالعه وآراؤه ما وجدت مصر الفاطمية كلها بسبب تعصب من ائمه بعد الفاطميين (١١٤) .

وإذ لاحظ الأستاذ ديورر افعال العلماء له قتال : « انه لم يكن لدعوة ابن الهيثم شهرة كبيرة في المشرق ، ولا يعرف من تلاميذ غير واحد يعد من الفلاسفة هو أبو الوفا ميشر بن مالك القلند \* (١١٥) .

ولكني أرى خلاف ما رآه ديورر فقد كان لابن الهيثم تلاميذ كثيرون وأنهم حافظوا على تعاليمه ودهوته ولكن كما نالت كان التعصب الدينى عند الأيوبيين والعيسيين لولا حتى أنهم لم يترقوا بين عقيدة الفاطميين اعدائهم وبين العلوم الرياضية نكل من اتصال بالفاطميين فهو في زميرهم وكل عظم من علماء مصر الفاطمية تتم بالخروج عن الدين ويجب أن تحرق كتبه ولا تتبع نهالعه . وهذا ما حدث لابن الهيثم وغير ابن الهيثم من العلماء (١١٦) .

وقد بقيت كتبه منهلا ينهل منه نحول علماء أوروبا كروجر بيكون ، وابن الهيثم رياضي بارع وتطلى مقدرته في تطبيق الهندسة والمعدلات والأرقام في المسائل المتعلقة بالملك والطبيعة وفي البرهنة على قضايا توافق الواقع الموجود في الأمور الطبيعية ومن براهينه ما هو غاية في البساطة ومنها ما هو غاية في التعقيد وهي تتناول الهندسة بنوعيهما المستوية والخرائية ويمكن القول أنه رياضي بأدق ما يتدل عليه هذا الوصف .

- 
- (١١٣) الاجتماع التخليدي لذكري ابن الهيثم - ص ٤ .  
(١١٤) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٨١ .  
(١١٥) تاريخ الفلسفة في الإسلام : ديورر ترجمة أبو ريده ص ١٩٤ .  
(١١٦) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٨٣ .

وقد بحث ابن الهيثم في المعدلات التكميلية بوساطة قملوع المخروط ويقال :  
ان « الخيالى » رجع اليها واستعملها وتمكن من استخراج حجم الجسم  
المتولد من دوران القطع المتكافئ حول محور السينات ومحور الصادات .

ولا شك ان جولاته هذه قد ساعدت على تقدم الهندسة التطبيقية .  
ووضع أربعة قوانين ليجاد مجموع الأعداد المرغوبة الى القوى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤  
واستعمل نظرية اثنان الفرق . وموفق ذلك طبق الهندسة على المنطق . وهذا  
من أهم الأسباب التي تجعل رجال الفيزياء الحديثة على تعليم الهندسة في  
المدارس الثانوية بصورة اجبارية وقد وضع في ذلك كتابا يقول فيه : « كتاب  
جمعت فيه الأصول الهندسية والعديدية من كتاب اقليدس وابولونيوس وتعدت  
فيه الأصول ونسبتها وبرهنت مايسا ببرايمين نظمتها من الأمور العقلية  
والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انقاص نوالى اقليدس وابولونيوس » .  
وأعطى قوانين صحيحة لمساحة الكرة والهرم والاسطوانة المائلة والقطباج  
الدائرية وحل مسائل هندسية عامة وعالج موضوعات رياضية عامة تتعلق  
بالأعداد وخصائصها ونظرياتها وقد أوغشت ذلك في كتابي « تراث العرب  
العلمي » (١١٧) .

وقد بين لنا ابن الهيثم نفسه التارة في الرياضيات في هذه العبارة نقل :  
« نأ صنعته في العلوم الرياضية خمسة وعشرين كتابا أحدها : شرح أصول  
اقليدس في الهندسة والعدد وتلخيصه . والثاني : كتاب جمعت فيه الأصول  
الهندسية والعديدية من كتاب اقليدس وابولونيوس ، ونوعت فيه الأصول  
ونسبتها ، وبرهنت عليها ببرايمين نظمتها من الأمور العقلية والحسية  
والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انقاص نوالى اقليدس وابولونيوس . والثالث :  
شرح المصطفى (١١٨) وتلخيصه شرحا وتلخيصا برهانيا لم أخرج منه شيئا الى  
الحساب الا اليسير وان أضر الله في الأجل وأمكن الزمان في الفراغ استغنت  
الشرح المستقصى لذلك الذي أخرجه به الى الأمور العديدية والحسية . والرابع :  
الكتاب الجليل في أصول الحساب وهو كتاب استخرجت أصوله لجميع  
أنواع الحساب من وضاع اقليدس في أصول الهندسة والعدد

(١١٧) قدرئ: حافظ طوئان : العلوم عند العرب ص ١٧٠ .

(١١٨) وهو الكتاب الأعظم في الفلك لمبطلونيوس .

وجعلت المساوكة في استخراج المسائل الحسابية والتحليل الهندسي والتقدير الهندسي وعدلاته من أوتداساع الجبريين والفاظوم (١١٩١) . والخامس : كتاب لخصت فيه باسم المناظر من كتابي اقليدس وبطليموس . وضمته بمعنى المقالة الأولى المفقودة من كتاب بطليموس . . . والسادس : كتاب في تحليل المسائل الهندسية . والسابع : كتاب في تحليل المسائل العددية بجهة الجبر والمقابلة . والثامن : كتاب جمعت فيه القول على تحليل المسائل الهندسية والعددية جديعا . لكن القول على المسائل العددية غير مبرهن بل هو مؤسوس على اصول الجبر والمقابلة . والتاسع : كتاب في المساحة على جهة الاصول . والعاشر : كتاب في حساب المعاملات . والحادي عشر : مقالة في اجزات الحفصور والابنية طلعت فيها جميع الضور والابنية بصيغ الاشكال الهندسية حتى بلغت في ذلك الى الاشكال مطوع الشروط الثلاثة : المكافئ والزائد والنقصان . والثاني عشر : تلخيص مسائل ابولونيوس في قطوع المخروطات . والثالث عشر : مقالة في الحساب الهندسي . والرابع عشر : مقالة في استخراج سمت القبلة في جميع المسكونة بجداول وضمتها ولم اورد البرهان على ذلك . والخامس عشر : مقالة فيما تدعو اليه حاجة الامور الشرعية من الامور الهندسية ولا يستغنى عنه بشيء سواء . والسادس عشر : رسالة ابي يعنى الرئيساء في البحث على ميل الرصد النجومى . والسابع عشر كتاب في المدخل الى الامور الهندسية . والثامن عشر : مقالة في استخراج البره على ان القطع والزائد والخطين اللذين يلتقيان لا ا يقريان ابدا ولا يلتقيان . والتاسع عشر : اجوبة سبع مسائل تطلية سطلت عنها ببغداد فاجبت . والعشرون : كتاب في التحليل والتركيب الهندسيين على جهة التمثيل للمعلمين وهو مجموع مسائل هندسية وعددية حللتها وركبتها . والحادي والعشرين : كتاب في آلة اقلل اختصره واخصته من كتاب ابراهيم بن سنان في ذلك . والثاني والعشرون : مقالة في استخراج ما بين بلدين في الدود بجهة الامور الهندسية . والثالث والعشرون : مقالة في اصول المسائل العددية الصم وتحليلها . والرابع والعشرون : مقالة في حل شكك على اقليدس في المقالة الخامسة من كتاب في الاسول الرياضية . والخامس والعشرون : رسالة في برهان الشكل الذى تدمه ارسيدس في نسبة الزاوية لثلاثة اضلاع ولم يبرهن عليه « (١٢٠) .

(١١٩) د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٠٦ .  
(١٢٠) د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .  
يقلا عن ابن ابي ابيسيبة : جمون الأنباء ج ٢ ص ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٨ .

ويلى ذلك ما الفه ابن الهيثم من علوم الطبيعة الالهية وهى اربعة واربعون كتابا (١٢١) . ومن العلوم الطبية وهى ثلاثون كتابا (١٢٢) .

حقا ان العلامة ابن الهيثم كان مفضرا لتاريخ العلوم عند العرب وعلما من اعلامها البارزين فى ميادين الرياضيات والهندسة والطب والطبيعة وغيرها .

ومن الرياضيين الذين كانوا فى هذا العصر رزق الله المنجم النحاسى الذى وصفه ابيه بقوله : « وله فى غرور النجامة بعض نرية ويتجربها بعض خيرة وهو شيخ اكبر المنجمين بصير وكبيرهم الذى عليهم السحر فجميع ليه منسوب وفى جريدته مكتوب، وينضله محترف » (١٢٣) .

وابو على الهندس المصرى الذى كان قريبا بعلم الهندسة فكان يعيش فى اوائل القرن السادس الهجرى وكان مع ذلك ادبيا شاعرا ويظهر من شعره انه متأثر بدراسته الهندسية فهو يقول مثلا :

تقسيم قلبى فى محبة معشر بكل من منهم هواى منوط .  
كان فؤادى مركز وهم له محيط وهوائى لديه خطوط (١٢٤)

كما برع ابو على بن يونس المصرى بحساب المثلثات ولجاد فيها وقامت بحوته بكثير من الرياضيين وقد حل مسائل صعبة فى المثلثات الكروية واستعمل فى حلها بالمسقط العمودى للكرة السطوية على كل من المسنوى الامتى ومسغوى الزوال . وابتدع قوانين ومعادلات كان لها تية كبرى مثل اكتشاف اللوغاريتمات اذ يمكن بواسطتها تحويل عمليات الضرب الى عمليات الجمع وفى هذا بعض التسهيل لطول كثير من المسائل الطويلة المعقدة ولذلك فانه يعتبر بحق ممن مهسوا لاكتشاف اللوغاريتمات .

ويقول « سيدى » : ولبت ابن يونس يستعمل فى سنة ٩٧٩ م / ١٠٠٧ م اطلاقا اى خطوطا مناسبة واطلال لنام حسبها جداول غده تعرف بالجداول

(١٢١) المصدر السابق .

(١٢٢) المصدر السابق .

(١٢٣) القطبى : اخبار العلماء فى اخبار الحكماء ص ١٢٧ .

(١٢٤) المصدر السابق ص ٢٦٧ .



الصفيونية وأخراجه حسب الأثر الذي سهل وتبين الذنوب وتريح من كثرة استخراج الجنور الربعة (١٢٥) .

كما ظهر في العصر الفاطمي في الرياضيات والهندسة كل من الرشيد بن الزبير (١٢٦) وأبو الحسن علي بن مسلم البواب (١٢٧) ناظر الدواوين . وبرز أيضا في ميدان الرياضيات الحسين بن علي الوزير المغربي (١٢٨) .

\* \* \*

### التبصير

وتبع في العصر الفاطمي محمد بن أحمد بن مسعود التميمي في مجال النبات حيث كان طبيبا ومالما بالنبات والأعشاب ولد في القدس وانتقل إلى مصر فمكثها وتوفي بها ومن كتبه : مادة البقاء في إصلاح نفس البهائم والتحرز من ضرر الأوباء . ومقالة في ماهية الرمذ وأنواعه وأسباب علاجه ، والمرشد إلى جواهر الألفية ، ومفاتيح القرآن (١٢٩) . كما كان له معرفة بالنبات وماهياته والكلام ليه ، وميزا وله خبرة فاضلة في تركيب المعالجين والأدوية المفردة ، واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير الفاروق وتركيبه وركب منه شيئا على اسم ما يكون من حسن الصيغة .

وللتبصير من الكتب في هذا الميدان : رسالة إلى ابنه علي بن محمد في مناعة الترياق والتبصير على ما يغلط فيه من أدويته ونعت أشجاره الصحيحة وتوقات جمعها وكيفية عجنه ، وذكر منامه ، وتجربته ، وكتاب آخر في الترياق وقد استوعب فيه تكبير أدويته ولتحريير منامه ، وكتاب مختصر في الترياق ، وكتاب الفلحصى والأخبار (١٣٠) .

\* \* \*

- 
- (١٢٥) تدرى حافظ طوتان : العلوم عند العرب ص ١٥٢ - ١٥٣ .  
(١٢٦) السبوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٤٠ .  
(١٢٧) القرظي : العاقل الحنفا ج ٢ ص ٢٢١ .  
(١٢٨) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ١٠ ص ٨٠ .  
(١٢٩) خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٦ ص ٢٠٣ .  
(١٣٠) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥١٦ - ٥٤٧ .
- ٥٤٨ .

### الكيمياء

كما نبغ في ميدان الكيمياء في العصر الفاطمي بلطف بن معروف ، له نظر في صناعة الحلب ، فراه على ابن زريق كثيرا من العلوم الحكيمة وغيرها ، وكان يخرى بصناعة الكيمياء والنظر فيها والاجتماع بأهلها ، وكتب بخط يده من الكتب التي صغرت فيها كثيرا جدا .

ولبلطاسر بن معروف من الكتب : تعاليف في الكيمياء ، ومخسرات في الحلب (١٢١) .

---

(١٢١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٥٧١ .

## التأليف

### الدراسات الأدبية والاجتماعية

- الدراسات الأدبية لا الشعر ، النثر ، علوم اللغة والنحو ،  
علم القراءات ( .. )
- الدراسات الاجتماعية ( التاريخ ، الجغرافية ، الفلسفة )  
دور الخلفاء والوزراء في النشاط الأدبي ..



الدراسات الأوبية ( الشعر ، المسرح ،  
عدم الفن ، المسرح ، علم القراءات )

كانت الدولة الفاطمية من أعظم دول الإسلام حضارة وأضخمها ملكا وأوفرها  
حظا من مظاهر الأبهة والجمال . وكان منحها محس من اتوى الموائل في بسط  
نفوذها ووفرة خيرها وعظم ثروتها . وقد خفق عليها الأبيض على ربوعها فكان رجز  
الاستقلال وعنوان القوة ، وفليس المجد الذي لم يشهد الشرق مثله الا قليلا ، وقد  
تجرت بتأثير الثروة في عهدهم وتأثر النصارى الذي جدت به ايديهم وكثرت الهيئات  
والعقليات الجزيلة والهدايا يبغون بذلك توطيد ملكهم ويمكن محبتهم واجتذاب الأئمة  
اليهم حتى يكثر أنصارهم ويزداد مذهبهم الشيعة (١) .

كما عرف الفاطميون بتراه تولتهم وبذخهم الذي لا مثيل له بين ملوك الدول  
الأخرى وأكثروا من استحداث الأعياد والمواسم حتى يدخل إلى من يقرأ تاريخهم  
ان حياة مصر في ذلك العصر الزاهر كانت كلها اعيادا ومواسم وكلها لهوا ومرحبا  
بالمرام مما كان في هذا العصر من سنى شدة ودخط ضرب به المثل . ولكن هذه  
الأيام العجاف لم تمنع الفاطميين من الاحتفال بأعيادهم التي اتخذوا لأنفسهم اعيادا  
بجانب تلك الأعياد التي يتخذها باقي المسلمين ، والأعياد التي يحييها مسيحيو  
مصر ، ويشترك معهم فيها اخوانهم المسلمون . فكان التسامح يجلب السرور إلى  
تدبيره ، حتى لو كان ذلك عن طريق المجون وارتكاب المعاصي . وكانت الدولة  
تحتفل بهذه الأيام احتفالا يتناسب مع عظم ملكهم واتساع سلطنتهم ووفرة خيراتهم  
وإمولهم وقد تكون هذه الميلاقاة منهم في حيلتهم لونا من ألوان التنافس السياسى  
بينهم وبين أعدائهم فبقوا أعداؤهم على هذه الحياة البهيجة الفرحنة والتفكك  
الطائفة ، فيعلمون أنهم أمام دولة فنية قوية تتضعف هميتهم عن مهاجبتها (٢) . أما  
هذه الأعياد التي استحدثوها في مصر فقد روى المقريزى عن ابن الطوير المؤرخ  
أن الفاطميين كانوا يحتفلون بستة موالد : مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد

(١) عبد الحميد حسن : مسنجات من الأدب المصري من العصر الفاطمى إلى  
النهضة الحديثة ص ٧ .

(٢) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٢ .

على بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومولد عاتمة بنت الرسوزي ، ومولد الحسن ،  
ومولد الحسين ، ومولد الخليفة الحاضر (٣) .

وكان في طول السنة أعياد وبواسم وهي : موسم رأس السنة ، وموسم أول  
العام ، ويوم عاشوراء ، مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد علي بن أبي طالب ،  
ومولد الحسن والحسين وعاتمة الزهراء والخليفة الحاضر ، وليلة أول رجب  
وليلة نصته ، وليلة أول شعبان ونصفه ، وموسم ليلة رمضان ، وغرة رمضان ،  
ومسلط رمضان وليلة الختم ، وموسم عيد الفطر ، وموسم عيد النحر ، وعيد  
الفتير ، وكسوة الشتاء ، وكسوة الصيف ، موسم فتح الطنج ، ويوم الترويض ،  
ويوم الميلاد، وخميس العرس (٤) ، والصلاة مع الخلفاء في المساجد (٥) . هذه صورة  
ما نقله القرظي عن المؤرخين المعاصرين عما يجري تحت بصريهم ومعههم في يوم  
من أيام هذه الأعياد الكثيرة التي استحدثها الفاطميون .

ومن هذه الصورة نتبين أن هذه الأعياد لم تبين أعياد الخلفاء والأمراء ورجال  
القدر بحسب ، بل كانت أعياد الشعب أيضا بما كان يقدم فيها من الصدقات  
والسبت لماذا الشعب يشترك الحكيم ويناله شيء من بذخ الفاطميين ، فإذا هي  
فروح وبشر ولا يكاد يضي عيد حتى يلحقه آخر . في هذه الحفلات كان الشعراء  
يتبارون في انشاد قصائدهم ويتنافسون في الإجادة والانتان وينعمون بأخذ جاريهم  
وصلاتهم بما لم ينعم به الشعراء في الدول الأخرى فلا غرابة أن نلنا أن هذه الأعياد  
والمواسم كانت من ذوام ازدهار الشعر في العصر الفاطمي وموضوعا من  
موضوعاته ، حتى أن عبارة البيهقي في تصيفه التي رثا بها نولة الفاطميين لم  
يستطع إلا أن يذكر هذه الأعياد والمواسم فقال :

أبكى على ما تراعت من مكارمكم	حسان الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت انعم وانحككم	واليوم أوحش من رسم وبهن طلل
ومطرة الصوم إذ أضحت مكارمكم	تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصيلين قد ردت	ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كلن في يسوم الخليج لكم	باتي تجللكم فيه على الجسمل

(٣) القرظي : الخطط ج ٢ ص ٢٩٢ .  
(٤) القرظي : الخطط ج ٢ ص ٣٨٤ وما بعدها .  
(٥) د - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٤ .

وأول الصمام وللمعدين كسم لكسم      تبين من وبل جود ليس بالوئمل  
والأرض تهتر في يوم الخدير كينا      يهتر ما بين نصريكم من الأسئل  
والخيل تمرض في وثنى وفيه شجبه      مثل العرائيس في حلى ول حئل (٦)

ولعل هذه اللوحة الفنية التي صورها الشاعر عبارة اليمنى لطفات وأعياد  
الفاطميين تمل على ما كانت عليه مصر الفاطمية ، ولكننا نرى الفاطميين يكثرون من  
اليماني والمنتشآت التي أقاموها في البلاد ولعل عنانهم بالمنتزهات والمنابر  
والإكثار منها (٧) من الأدلة التي نستطيع أن نقدمها على حب الفاطميين للفنون  
المختلفة ، فهذه البساتين التي جبلوا بها مدينتهم القاهرة وضواحيها لم تتخذ منتزها  
لهم فقط دون الرعاية ، بل أياحوا للناس دخولها والتمتع بمناظرها وجوها ، فلو وجد  
ذلك منذ المصريين لونا من ألوان الحياة الفلخرة البهيجة وسعت النفوس التي حب  
الطبيعة وحب الجمال معا .

وأكد كان خروج المصريين في ذلك العصر إلى المنتزهات جزءا منها من مقومات  
جيلهم وهناك كانوا يقضون جل وقتهم ويطربون ويتعبون بجمال الرياض وأريج  
الزهور (٨) .

وكان الشعراء يقصدون هذه الرياض جماعات يتطارحون الشعر ويتبارون  
في الإنشاد يسبحون من جمال الزهر والطبيعة وحي شعرهم ، فإذا سح ما رواء  
الغذاء إن شعراء الجاهلية كانوا يخرجون إلى الصحراء لاستلهاهم الشعر فكذلك  
خرج شمسراء مصر إلى البساتين يتغنون ببذائع الطبيعة فكانت هذه المنتزهات  
والبساتين التي أكثر منها الفاطميون مصعرا خصبيا لكثير من الشعر المصري في العصر  
الفاطمى كانت الحياة المصرية آنن حياة ترف وكان سكان مصر من الثراء والفني  
يصددهم عليه العباسيون في أوج مجدهم وسعة سلطنتهم .

وكان الخلفاء الفاطميون يدرسون في الأفذاق على الشعب مما ييلكون من مال  
ومتساع ورغيف مما كان يحصله إليهم الدصاة من سئل الخيس وإسوال التجوى  
ومن هدايا الأراء في الشرق وكان الوزراء يتشبهون بالائمة في الظهور يظهر الملك

(٦) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٧) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٦ .

(٨) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٧ .

فأنفقوا من سعة وأمنن التسميع في التشبيه بأهوائهم وحكاهم .. فظهروا بمظهر صاحب الثروة واتخذوا من الحياة أبهجها وبن الزينة واللباس أرقاها .. واكثروا من اغتناء لأرقيق والتيلين . وأقلمة الأئمة واستعداد الخلان لمجالس اللهو والشراب حتى خيل لينا أن حياة المصريين كانت حياة لهو وقصف وسماج وفناء والحسين فكان ذلك كما وجبا للشعراء بالقريض .

ومن عوامل ازدهار الشعر في هذا العصر الفاطمي أن الغائبين على تسنون البلاد اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دهنهم للسياسة على نحو ما تتخذ الأحزاب السياسية اليوم بعض المصنف لتعبير عن اتجاه الأحزاب وآرائها (٩) .

وقد عرف الفاطميون قدر الدعاية لاهتموا بها أيما اهتمام . واصطحبوا كل ما يفيدهم في دعوتهم من علماء وأدباء وشعراء وكان الفاطميون على قدره وكلمة في فن السيلسة ، فعرفوا أن الشعر منذ العصر الجاهلي كان من أهم وسائل الدعاية للقبيلة في العصر الجاهلي وللأحزاب السيلسية والتدري الإسلامية بعد ظهور الإسلام . وأن بعض الشعراء في العصر العباسي لئن لم يكن من أبي حفصته ولبان بن عبد الحميد اللاتقي وغيرهما أدخلوا في شعرهم بعض الآراء المقوية في الدفاع عن الخلافة العباسية ضد الطالبيين من العلويين . فلم يشأ الفاطميون أن يتركوا سلاح أشعر دون أن يشهروه على خصومهم لو أن يستخدموه في الدفاع عنهم والمجاهدة بنضالهم والانتصاة بتولتهم ، فلا غرو أن وجدنا الفاطميين يبقون العطاء الضخم الجسيم لشعراء دولتهم ويجعلون لبعض الشعراء مرتبات شهوية وينقل المقرئ عن ابن الطوير أنه كان للشعراء رواتب جارية من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير (١٠) . ويروى أيضاً أنه في يوم عاشوراء كان يخرج الرسم المطلق للمنتصدين والقراء والوظائف والشعراء وقهرهم على ما جرت به عاداتهم (١١) .

ومعنى هذا أن الفاطميين كانوا يعطون الشعراء في أيام المواسم والأعياد رواتب خاصة غير ما كان يعطى لهم شهرياً (١٢) . ومحدثنا المقرئ مرة أخرى في

(٩) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٧ تتلأ عن كتاب الهمة في أدب اتباع الأئمة .

(١٠) المقرئ - الضلط ج ٢ ص ٢٩٠ .

(١١) المرجع السابق ج ١ ص ٢٨٦ .

(١٢) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٨ .



كلامه عن بركة العجى انه كان بها طاقات وعليها صور الشعراء . كل شاعر واسمه وبلده وعلى جانب كل من هذه الطاقات قطعة من القماش كتب عليها قطعة من شعر الشاعر في المدح وعلى الجانب الآخر رف لطيف مذهب وان الخليفة الامر بأحكام انه لما دخل هناك وترا الأشعار ، امر أن توضع على كل رف صرة مختومة فيها خسون ديناراً وان يدخل كل شاعر ويتخذ صرته بيده (١٤) .

ولا شك ان عرف دولة من الدول الإسلامية أقامت للشعراء هذا التمجيد بأن يضعوا صورة كل شاعر مع اسمه وبلده في طاعة في متزعمات عالية مما يدل دلالة فطنة على تجسيد لقب الشاعر والشعراء نأين نحن الآن من مصر في العصر الفاطمي (١٤) ويذكر العماد في الخريدة أن الفاطميين جعلوا من وظيف الدولة وظيفة « مقدم الشعراء » ويذكر أن مقدم الشعراء في عهد الأفضل بن بدر الجبلى هو الاتب بسعود الدولة المعروف بابن حريز (١٥) .

وكانت سيدات قصر الامامة الفاطمية يقدن الأموال على الشعراء كلما سمعن منهم شعرا جيدا في مدح الأئمة ويحدثنا عبارة البيهقي انه بعد أن أنشد قصيدته الأولى في مصر أخرجت له السيدة الشريفة بنت الأيام الحافظ خمسمائة دينار (١٦) .

وهكذا نرى الفاطميين يولون الشعراء عنايتهم لأن الشعراء لسان من اللسان تجيدهم والنفوس منهم أمام أعداء كثيرين أقياء ماخداق التعم الفاطمية على الشعراء كان من أشد الأسباب التي جعلت الشعراء بحرصون على انتقال الشعر مع الأكار من الإنشاد ، وهذا بالقالي ساعد على ازدهار الأدب بصفة عامة في العصر الفاطمي ولذلك كثر الشعراء وكثر إنتاجهم ، واستغل الفاطميون هؤلاء الشعراء في ربح شئ نولتهم ووظائفهم حتى في القسم الأخير من العصر الفاطمي الذي ضعف فيه الأئمة واستبد الوزراء بالملك فقد طلب إلى الشاعر ابن عبد الله بن مسلم أن ينظم « المسرة المصرية » وجعلوا له خمسة دنانير كل شهر على الشعر مثل غيره من الشعراء يزيد نصف دينار ، فهجاه الشاعر بجر بن محمد الصقلي المتوفى حوالي سنة ٥٤٠ هـ بقوله :

- (١٤) القريزي : الخلط ج ١ ص ٤٨٦ .  
(١٤) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٨ .  
(١٥) العماد الأنصهاني : الخريدة ورقة ١٠٢ هـ .  
(١٦) عملة البيهقي : التكت المصرية ص ٢٤ .

جرى الحديث فقالوا كل ذي أرب  
بأى فصل حواه ابن المسلم من  
لجروا له خيمة عن حق سيرته  
نادوا عليه وسوق الشعر نلقة  
أضحت له خيمة تجرى بمسندار  
مون الجاعة حتى زيد في الجارى  
قتل : لا نتمونى حق شماري  
لم يزد قدرها عن نصف دينار (١٧)

وهكذا كان الفاطميون يستغلون ثمر الشعراء في تثبيت أركان دولتهم حتى  
في الوقت الذي ضعف فيه سلطانهم (١٨) .

لكن الأدب في عصر الفاطميين لم يكن الفنون يشف عن كيان الاسم  
ويتحدث عن صورة حياتها ويوضح ما اشتملت عليه تلك الحياة من مواطن  
وميل ومن آراء وأهواء ، والأدب يفوق الفنون جميعا في هذا النحو من الإبانة  
والإيضاح لأنه تصوير واستدلال ناطق ولانه يبدي في وضوح ما اشتملت عليه  
أنظمة الشعوب وعقائدها ومدنوياتها وأطوارها ، وعندما قامت الدولة الفاطمية في  
مصر على ساقها كان مفروضا أنها من العروبة في الركن الأميل ومن الهاشمية  
في المكان الجليل وكان أولئك لظنفساء أنفسهم دعاء وأمجاد فقه وكلام إذ  
كانت دهونهم تقوم كما أسلفنا على مذهب يحتاج دعلته والظلمون به إلى نصيب  
من التعليم غير يسير فاحتلجت هذه الدولة إلى قوة البيان نصيفها إلى قوة  
الاجتاد والأموان . وقد تم لها ذلك قبل أن تبدأ خيول معسكرها وادى التيسل ،  
وقد كان لهم شعراء يخفون بملفرهم وينظمون القصائد في مآثرهم (١٩) .

والأدب يسائر الحياة وتعطى عليه ترماتها وألوانها ونظيها وحظه من  
الغناط مرتبط بما ينال من تشجيع وما يصادف من أسباب تحفز على القول وعلى  
الانتساج للفكرى ، وتوظف في التقوس الميل إلى التفسير وتغرى الشعراء ،  
وتلمسح المجال للكتاب .

وسوف تعرض هنا بالشرح والتفصيل لبعض أوجه الدراسات الأدبية التي  
نمت وازدهرت في ظل الدولة الفاطمية بفضل ما حظها به من تشجيع ورعاية .

(١٧) العماد الأصمهاني : الخريدة ورقة ١٠٢ .

(١٨) د. محمد كامل حسين : في أنب مصر الفاطمية ص ١٢٦ .

(١٩) محمد حسن الأعظمي : عبقرية الفاطميين ، أمسواء على الفكر والتاريخ

الفاطميين ص ١٠٢ - ١٠٥ .

### أولاً - الشعر :

لم يزل الشعر وما زال في كل عصر مرآته الصافية التي تظلمع فيها صورته الحقة ، لأنه يفض الشعر وتبع الوجدان ولأن رجلاه أدق الناس شمعورا الإجابة وأهم هذه العوامل :

لذا فقد لقي الشعر في عصر الفاطميين ومصادف من عوامل التشجيع ما أطلق السنة الشعراء وأبقت نفوسهم وزاد نشاطهم وبعت الميل إلى الإجابة وأهم هذه العوامل :

١ - اهتمام الفاطميين بالشعر واعتزازهم به والتجاؤهم إليه لتثبيت ملكهم وتوليد دولتهم وأن الشعر العربي منذ القدم له أثر قوى في النفوس وله عظيم الأثر في الإثارة بالمعاني واجتذاب القلوب .

٢ - كان الفاطميون مرياً يهتمون بالشعر ويفرغون محاسنهم ويهتدون لرؤيته وقوى تبيانه (٢١) فلما جاء الفاطميون وهم عرب كلن الذوق العربي والثقافة العربية وخاصة أول عهدهم ، إذ كان فيهم أيضاً الخوق البتوي تما الشعر على أبيهم ولما جاؤوا مصر بذوقهم وشعراتهم وتلبست الموجات (٢٢) .

٣ - ثم في العصر الفاطمي جدت ظروف كثيرة نهضت بالأدب وأقامت له بصر سوا راتجة الأ وهي تشجيع الخلفاء الفاطميين ووزرائهم للأدب بالمنازل والجوائز ، في وقت عجزت فيه الخلافة العباسية مجزاً يوفئك أن يكون لها عن شيء من ذلك (٢٣) . وكان للشعراء عند الخلفاء الفاطميين ووزرائهم مكانة اجتماعية وأدبية سامية بتقريبهم وإحلالهم محلاً ربيعاً في تصور الخلفاء وجالسهوم . وأما المادي فكان يما يفتحون من هبات وما يجري عليهم من روائب

---

(٢٠) السوامي بيومي : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي بالشرق

ص ٢٥٢ .

(٢١) بيد الحيد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى

النهضة الحديثة ص ١١ .

(٢٢) د. أحمد أمين : ظهر الإسلام ج ١ ص ٢٠٦ .

(٢٣) د. بيد الأطيف حنزة : الحركة الفكرية في مصر في العصور الأيوبية ،

والمملوكي الأول ص ٢٦٦ .

على حسب منازلهم التي كانت لهم في بلاط الخليفة (٢٤) .

وأن الدولة الفاطمية كان أساسها الدعوة والدعاية بأوسع ما تدل عليه هذه الكلية حتى قل أن ترى لها مثيلاً في تنظيم دعوتها سرا وجهراً والدقة في اختيار الأساليب المختلفة التي تتناسب مع العامة والخاصة والجاهل والمعلم والمدين والمنحد والغريب والبلبلسوف ، فرأت بصائب نظرها أن الثعراء من أصلح الدعاة لذهابهم إذ هم يقومون في زمنهم مقام الجرائد السائرة في عصرنا تاحتضن الظلماء الفاطميين ووزرائهم وأمرأئهم الثعراء ينشجونهم بالمال الكثير والعطاء الوفير ليطلقوا مسفتهم في مدحهم ومدح مذهبهم ولحاجة الفاطميين لادمية ترووا الثعراء بكثر الثعمر وحسن وجاد ، فإينا ثعراء معتازين في هذا العصر لم يكن مثلهم قبلهم في مصر (٢٥) .

٤ - وقد نجم عن كل هذا تلتبس الثعراء في الظلم بعالي الرتب وبنات كل منهم من الدرجات ما هو أرفع من درجته كي يخطى بالرضا والتعويل (٢٦) .

٥ - ومن الظروف التي شجعت على النهضة الأدبية في العصر الفاطمي ائمة الأعياد التي عني بها الفاطميون عناية عجيبة واحتفلوا بها احتفالاً بالغاً فيه حتى لكان هذه الأعياد المكثره كانت - كما قلت - جزءاً من الخلط التي وضعوها للترويج لدعوتهم وعطف الناس في مصر على مذهبهم فزانت هذه الأعياد في بهجة الشعب المصري من جهة وأطلقت السنة الثعراء والكتاب من جهه ثابته واتاحت آتمن الفرص لهؤلاء الثعراء لكي يتأخذوا جوائز ثمينه من الخلفاء والوزراء وغيرهم من كبار الدولة (٢٧) .

كما أن هناك هاملاً له من توى الأثر في تغذية الثعراء وأرهلك عتسول البشر وتسيحذ بيانهم وأمدادهم بمادة خصية للقول وذلك هو ما كان في هذه

---

(٢٤) عبد الحميد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثه ص ١٢ .  
(٢٥) د. أحمد أمين : فلهر الإسلام ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .  
(٢٦) عبد الحميد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثه ص ١٢ .  
(٢٧) د. عبد اللطيف حيزه : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي ، والملوكي الأول ص ٢٦٤ .

الدولة من مظاهر الأبهة التي تجلت في مواكب الخلفاء وبجالسهم وبولدهم وحفلاتهم وغير ذلك من بياض الحياة وبوقور نعيمها (٢٨) .

٦ - والآخر من هذه الظروف التي انعشت الأدب الفاطمي هي الدعوة الدينية التي أتى بها الفاطميون من بلاد المغرب وحشدوا لها جيوشا من العلماء والأدباء سخرت لنا هذه الدعوة شيئا كثيرا من الشعر والفنر معا (٢٩) .

من كل هذا يتضح ما كان للشعر والشعراء من مكانة جعلت الشعراء يتسممون إلى مدح الخلفاء والوزراء في هذه الدولة لما غمروهم به من خيرهم وسفى عطايهم وقد دفع تشجيع الفاطميين للشعراء إلى هجرة كثير منهم أوطنهم والالتام في مصر للظفر بهياتهم ووسخاتهم . وكان الفاطميون يرحبون بالثابتهين من الشعراء على اختلاف مذاهبهم (٣٠) .

وكان الشعراء الذين ازدحبت بهم مصر في ذلك العصر يفدون إليها إما من المغرب وإما من المشرق (٣١) .

وملى الجملة نجد أن الشعر سلب حياء البذخ التي كانت في عهد الفاطم وسبار في ميادين التمجيد والامراء ولبس من الدنياجة والأسلوب نوبا يزدان بظواهر الجمال والرشاقة وحسن الرونق ويتجلى بخلية من زينة اللفظ والمصنات والوان الصنامة البلاغية (٣٢) .

ولا بد لنا بعد أن تحدثنا عن العوامل التي شجعت على ازدهار الشعر أن نتحدث عن الشعر في ظل الظلام الفاطميين بجزين دور كل خليفة وأثره على

---

(٢٨) عبد الحميد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثة ص ١٢ .

(٢٩) د. عبد اللطيف حبرة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي ، والملوكي الأول ص ٢٦٤ .

(٣٠) عبد الحميد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثة ص ١٢ .

(٣١) د. عبد اللطيف حبرة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي ، والملوكي الأول ص ٢٦٤ .

(٣٢) عبد الحميد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي إلى النهضة الحديثة ص ٢١ .

الشعر والشعراء الذين أزدان به بلاطه وما قام به هذا الخليفة ووزرائه في ميدان الشعر والأدب وهو ما سنتحدث عنه فيما بعد .

بعد كان الشعراء المصريون قد أخذوا منذ أوائل القرن الخامس الهجرى ينجثون في تصالدهم عن العقيدة الاسماعيلية ويبيفون للناس تعاليم الماطبيين ومن ثم قصر أكثرهم قريضه وحبسوا قرائحهم على خدمة السباسة الفاطمية ونشر الدعوة الاسماعيلية فأنفجوا لنا بصوغة ضالمة من التمسك والاشتمار بعضها في مديح الظفاء الماطبيين وذكر مآثرهم والاشمادة بكرمهم وحسن سيرهم وبعضها الآخر في شرح مبادئ العقيدة الباطنية ونشر التعاليم الفاطمية بطريقة تشبه الى حد كبير طريقة العنقاء اللغويين والبلاغيين المتأخرين الذين نظموا قواعد علومهم تيسيرا للحنظ وتقريرا للفهم وذلك كاللغة ابن مالك في النحو والجوهر المكنون في علوم البلاغة ، وقد كان المؤيد لدين الله الشيرازي من آخر شعراء مصر الفاطمية تمثلا لتلك الطريقة العلمية في انشاء التمسك ونظم الأتسمار لذ كان المؤيد الشيرازي يذوا أهم المفاصيه البرهانية في الدولة الفاطمية وأمنى بذلك مرتبة داعى الدعوة وهي وظيفية مذهبية تملى على صاحبها الجهد في نشر تعاليم ومبادئ العقيدة التي كان يعتنقها الفاطميون - لذلك وجدنا سلهنا يتوخى في فرض شعره ونظم قصيده الموضوعات ذات الصبغة المذهبية والانجاسات العقيدية بغية نشرها بين الناس منسماها تشق طريقها الى الشعور والاضمار ، وذلك دون شك أجدى في نشر المبادئ من التزام طريقة المتأخرين والجذل ولا عجب فان التلم بما يشتمل عليه من الجرس والأوسيقى تستبدته الأذان وينفع به التسمور والوجدان ، أما النقاش والجذل فانه اذا استنطاح الاقتاع ولدى الى التسليم والأذعان بفضل سحة اللامات واستقامة الحجج فان أثره في نشر المبادئ والتعاليم العقيدية ضعيف قليل وقد كان هذا الطابع التلمى قد مستاد الشعر المصري في أوائل القرن الخامس الهجرى إذ كانت الدعوة الفاطمية آنذاك تسيطر قوية وفولتها وطيدة الأركان ذات صيغة وغلبة ومسلطان .

أما في أخريات القرن الخامس وأوائل السادس فقد أخذت الدعوة في الضعف والانحسار وذلك نتيجة للتفتك والاتسالم الذى اخذ يتطرق الى اراء البيت الفاطمى وأتباعهم المخلصين ، الأمر الذى أدى في النهاية الى ضعف الدولة في الداخل

والخارج من المناحيث السياسية والعسكرية وعن ثم وجد عدد من الشعراء  
الفرصة السانحة في أن يطلعوا عن انشاء الفريض في المسائل الذهبية والأموار  
المتعدية وأن ينجحوا بمواظمتهم وقراءتهم نحو المرأة والطبيعة فراحوا يتحدثون  
في شعرهم عن المرأة ومورها للبشرية ، كما وصلوا كذلك المظاهر الطبيعية  
وما كانوا يشاهدونه على ضللك النيل من رياض أريضة وروح أريجة وتحدثوا  
عن جمال الورد والأزهار وعن تغريد الطيور على الأشجار وقد كان منهم عدد  
غير قليل قد اتجه ببعض شعره نحو النكاهة والمرح ، وأنشأ القصائد الطوال  
والمنظومات القصار في المنظر والاضحاك تذكر من هؤلاء وأولئك على سبيل  
المثال ابن أبي الرمثيق والأمير تميم وبالجملة فقد أخذ الشعراء المصريون في  
أوائل القرن السادس الهجري ينظرون القصائد في الغزل والتشبيب والتفكه  
والتظرف ووصف مظاهر الطبيعة وكان هذا كله من الشعراء المصريين مع  
استمرار الدلائل الأول في شعر المستمسكين بالنقطة والمعقدة والذين ارتدوا  
إلى أسس الدين .

واللقد من هذا أن أقول أن الشعر المصري في آخريات القرن الخامس  
وأوائل القرن السادس الهجريين أصبح ذا طابعين : الأول نسبيته شعر المعقدة  
وهذا النوع من الشعر أبعد في تقديرنا عن الفن والأدب وأدخل في باب العظم  
والجدل ، أما النوع الثاني من الشعر فهو الذي نطلق عليه اسم شعر الطبيعة  
والغزل فإنه كان الصق بالمعاطف والوجدان والترب إلى طبيعة الفن وتخيبة  
الأدب (١٣٣) .

نرى ذلك عند تميم بن المعز وابن وكيع التيمي والشريف العتيلي والشريف  
الأخشي وابن مكنسة وابن قادوس ثم بعد ذلك عند ظاهر الحداد وابن الصياد  
وطلائع بن زريك والمهذب بن الزبير وهذا الأخير هو الحسن بن علي بن إبراهيم بن  
الزبير المعروف بالقاضي المهذب من أهل أسوان من أصل عربي ينتمي إلى قبيلة  
غسان وكان المهذب وأخوه الرشيد من أكبر شعراء ذلك العصر (١٣٤) .

وكان المهذبان من أهل النباهة والفضل والرياسة صنف كتابه الجفان

(١٣٣) د. علي صفاء جبين : ابن الكيزاني الشاعر الصوفي المصري جدياته  
وشعره ص ٦٥ - ٦٦ .  
(١٣٤) د. محمد كامل جبين : في أدب مصر العاطفية ص ٢٠٢ .

وربما الإذهان « ذكر منهم من مشاعر الففلاء وله ديوان شعر وأخيه  
الغاضي المهذب ديوان شعر أيضا وكانا مجيدين في نظمها ونثرهما . ومن شعر  
القاضي المهذب وهو من جملة تصبذة بديعة :

وترى المجرة والنجوم كأنها تسقى الرياض بجدول سلك  
لو لم تكن نهرا لما غلبت بها أبدا نجوم الصوت والطران  
وله أيضا من جملة تصبذة :

ومالي إلى ماء سوى النيل غلة ولو أنه استغفر الله زمزم

وله كل ماض حسن وأول شعر قاله سنة ٥٢٦ هـ (٢٥) .

وقد كان مليح الخط لمصباح جيد العبار وكان أشعر من أخيه الرشيد ، والرشيد  
أعلم منه في سائر العلوم وقد توفي في القاهرة سنة ٥٦١ هـ وكان قد اختلف بالمصالح  
ابن زريك وصنف المهذب كتاب ٦ الانساب ، وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلدا  
كل مجلد عشرون كراسة ويدل هذا على جودة فريضة مؤلفه وكثرة اطلاعه (٢٦) .  
وقد كان المهذب شاعرا من نحول شعراء العربية ولا أعلى إذا قلت إن مصر  
الإسلامية منذ تغلها العرب ومنذ عرفت الشعر العربي لم تنجب من ابنائها شاعرا  
له شاعرية المهذب وثورة شعره وحسن ديباجته وقد وصلت إلينا عدة قصائد  
تدلنا على ذلك كله فمن ذلك تصبذته التي أرسلها إلى داعي اليمن عندما تبس على  
أخيه الرشيد يمدحه ويستعطفه حتى أطلق سراح أخيه فنيها يقول :

بارسع أين ترى الأجية يسوا هل تجدوا من بعدنا أم اتهموا  
رهلوا وقد لاح المسباح واتما يسرى إذا جن الظلام الانجم  
وقه وضت بالأئس روى وحشة لا أوحن الله المنازل منهم (٢٧)

ويقول بلوتوت « شعره جميل رصين » ويقول عنه ابن خلكان « ولم يكن في  
زمانه أشعر منه » وله شعر كثير في مدح الصالح بن زريك الذي لزمه فترة طويلة  
من الزمن وأحقق عليه الصالح بن زريك من ماله فقال المهذب مترنما بوجوده وكرمه :

(٢٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢٦) وزير مصر في أيام الفاطميين للعاصم بن بعده والذي استقل في مصر  
بالأمور وتغير أحوال الدولة وكانت ولادته سنة ٥٤٩ هـ توفي سنة ٥٥٦ هـ .

(٢٧) بلوتوت الحسوي : معجم الأبياء ج ٩ ص ٤٩ .



لا يرتضى في الجود سبق سؤال من يرجوه حتى يسبق الامتالا  
ولكثرة ملازمة المهذب لابن رزيق ينهم جانه يصنع للوزير شعراء الا ان الشاعر  
كان يننى على شعر الوزير ويصفه بالبلافة (٢٨) .

اما ثاني المهذبين الاخوين الشاعرين هو احمد بن علي بن ابراهيم الزبير الغساني  
وكان الرشيد اعلم من اخيه واخوه اشهر منه (٢٩) . وكان غزير العلم واسع المعرفة  
ملما بالهندسة وعلم التجويد والسير والموسيقى والطب وقد تلقى العظم باليمن  
والاسكندرية واسوان وقد ولي شعر الاسكندرية في اواخر عهد المنجليين ثم تمل  
سنة ٥٦٢ هـ بدهية اشراكه مع اسد الدين شيركوه ثم صلاح الدين الايوبي (٣٠)  
وكان الرشيد كما وصفه ياقوت \* على جلالته ونضله ومنزله من المعام والنسب  
تبيح المنظر اسود الجلده سمع الخلفة ذا شنة غليظة وانف يسرط كخلة الزنوج  
تصيرا (٤١) من الاسباب التي جعلته يكثر من ثم المدح والناس وان يظهر في شعراء  
سماة حزن لعدم وفاء الاخوان وقهرهم به \* فقد اتشد وهو في اليمن :

لئن خاب ظني في رحابك بعد ما ظننت بانى تبد ظفرت بهنصيني  
فانك تبد ظنستى كمل منسة ملكت بها شكوى لدى كمل جوقى  
لااسك حفرنى كمل صاحب واعلمنى ان ليس في الارض من جلى (٤٢)

وانشد مرة اخرى وهو في مصر :

نواصى على ظلى الاتمام باسمهم واطلم من لاتبث اهلى وجبرانى  
لكل امرى شيطان جهن بكيدده بسوء ولى نون الورى الف شيطان

وحين قبض عليه اشتهر على جهل وعطى راسه طرطور ووراءه بن ينال منه  
فكان الرشيد يتشد وهو على هذه الحال :

ان كان منسك بسا زيمان بقيسة مما تهنى بها الكرام فهانما

ثم سلب شفتا ودفن حيث شفق ومن غريب الاتفاق ان دفن تلرد بعد ايلم

(٢٨) د . محمد زقول سلام : الادب في العصر الايوبي من ٢٥٦ - ٣١٦ .  
(٢٩) د . محمد كاهل حسين : في ادب مصر الفاطمية من ٢١٠ .  
(٣٠) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية من ٤٥٩ - ٤٥٦ .  
(٤١) ياقوت الحموي : معجم الانباء ج ٤ من ٦٢ .  
(٤٢) العماد الاصفهاني : الخريدة ورقة ٣٦ ب .

تلطبة في نفس المكان الذي دمن فيه الرشيد (٤٦) .

وقد رثا الجليس بن الحبيب مديقه الرشيد بذوله :  
ثروة المكرمات بعكك بقسر ومحل العلا بعكك قسر  
بك نجلي اذا حطت السديجي وقسر الأيلم حيث قسر  
اذنب الدهر في مسرك قنينا ليس منه سوى ايديك قسر (٤٤)

والجليس بن الحبيب هذا هو القاضى عبد العزيز بن الحبيب المعروف بالجليس  
السعدى كان بجالمن خلفاء مصر من بنى عبيد فسمى بالجليس وكان ادبيا مفرسلا  
شاعرا (٤٥) . كان ذا فضل مشهور وادب مانور بل كان اوحد عصره في مصر نظما  
ونثرا ومن شعره :

ومن عجب ان الصوارم في الوغى تحيض بايدي التوم وهي فكور  
واعجب من ذا انوسا في اكهمم تاجح نارا او الاكف بحور

وهذا الشعر قرضه الجليس منذ الصالح بن رزك حين قدومه (٤٦) وينتس  
شهرة آل الزبير وهي أسرة في صعيد مصر كانت هناك أسرة اخرى تضاهيها في  
الشهرة وهي أسرة بنى مرام التي ينسب اليها الشاعر ابو محمد عبة لؤلؤ بن علي  
ابن مرام السيد الذي امدنا بهال آخر لشاعر عبر عن استيائه وسخطه وقد خابت  
اهله في اكتساب رجل من انصار الشعر بعد ان حدهه على غير جدوى . . نتلل :

اتعبت نفسى وتكسرى في مسدح قسوم لثام  
وضرني حسن بشر منهم وطيبا كلام  
فما حصلت لديهم الا على الاممادام (٤٧)

ويقول ابن مرام من تصيدة اخرى يمدح فيها الوزير ابن البولخشي وبشيد في  
بعض ابياتها بذكر الاسرة الحاكمة ويصفها بانها عامل قوي من عوامل تكين ثوة  
للاسلام فيقول :

جدبت بعد ثروسه الاسلاما ومحوت منذ الظلم الاسلام

- (٤٢) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الماطبية من ٢١٥ .  
(٤٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥١ .  
(٤٥) أبو المحاسن بن ثغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٧١ .  
(٤٦) ياقوت الحموى : معجم الأبياء ج ٩ ص ٤٨ .  
(٤٧) العماد الاصلهاني : مخطوط ٣٢٢٨ ورقة ٧٦ أ (ب) .

وطوبت رايات الضلال مجاهدا ونشرت في سر الهدى أملا (٤٨)

أما الشعر الذي قيل في وصف البعثة المصرية لتهتل، به الكتاب التي نشر في الأدب المصري في عهد الدولة الفاطمية ومنه على سبيل المثال قول عبد الوهاب بن حسن بن جعفر الحاجب المنوق سنة ٣٨٧ هـ في وصف الأهرام :

انتظر إلى الهرمين إذ يرزا للعين في علو وفي مد  
وكانها الأرض العريضة إذ طمعت لطول حرارة الكيد  
حسرت عن التديين ببلرزة تدعو الاله لفردة الولد

والحق إن الشعر الفاطمي نبض في بحر نهضة واسعة ومن الشعراء الذين وفدوا إلى مصر أبو الحسن الفلوبى الذي ينسب إلى بلدة بصقنة وقد أسهم هؤلاء في الحركة العلمية التي ظهرت في مصر آنذاك .

والحسن الفلوبى الشاعر الكاتب هو على بن محمد بن محمد بن حبيب الفلوبى الكاتب . قيل أنه كان أحد الشعراء الذين مدحوا الإناء والدواد والكساء ولكن مدائعه شاعت ولم يبق منها شيء ، بل قيل أن شعره كله فقد ولم يبق إلا عدة أبيات منها قوله :

وصافية بات الغلام يدورها على الشرب في جنح من الليل أدمج  
كان حباب المساء في وجنتها فرائس در في علقى مسرج  
ولاشوء إلا من هلال كائنا تفرق منه الغيم عن نصف تلج  
وقد حل دون المشتري من شعاعه وميض كليل السزئيق المترجرج  
كان النريا في أواخر ليلها شجبة ورد ليق زهر بنهج (٤٩)

ومن وفدوا على مصر أيضا عبد الجليل بن مخلوف المسقلى الذى أفتى بمصر أربعين عاما ، ولقد وصل هؤلاء بعد استيلاء الرومان على جزيرة صقلية ووجدوا في مصر بيئة ثقافية تشجعهم وثرعاهم واجتمع بهم الخلفاء الفاطميون ، ومن أشهر الأدياء المقليين أبو القاسم على بن جعفر بن على بن محمد الصينى الشترىتى المعروف بابن القطاع المسقلى الذى دفن بمصر سنة ٥١٥ هـ بجوار تربة الأمام

(٤٨) المصدر نفسه : مخطوط ٣٣٢٩ ورقة ١٨١ (ب) .

(٤٩) ابن شاعر الكلبى : نوات الوفيات ج ٢ ص ٦٩ .

( م ١٧ م الحياة الفكرية في مصر )

الشامى وفرك عدة مؤلفات منها « تاريخ صقلية » والحواشى على الصحاح (٥٠) .  
وعمرت الاسكندرية في العصر الفاطمى بالمباني الفخمة والقصور الباقية  
والرياض انظرة وللدور الجليلة ولا عجب في ذلك لانه عصر شاع فيه نوع من الترف  
واستنح الكوم من اعيان المدينة ، ونجارها بحياة رغدة مفرقة ماثبلوا على الخالق  
وولعوا بالانشاء ويسجل شعراء الاسكندرية في هذه الفترة باشعارهم تصويرا  
رائعا بعض هذه القصور والمعاهد لهذا أبو الفتح نصر الله مخلوف اللخمي الاسكندري  
المعروف بابن قلاؤس أحد شعراء الاسكندرية العظام توفي سنة ٥٦٧ هـ بعنف نصر  
بني خليف وهو قصر كان بناها في منطقة الرمل بظاهر الاسكندرية من الجهة  
الشرقية وكان قصرا راسخ البنيان عظيم الارتفاع ، قد رسا بناؤه رسما ، وكان  
يتوق بزاحلته اثواب السماء وجنة الرياض بما اتمته عليه السحب من ودائع (٥١)  
المطراعا والرمل بنقلته قد غر نوره في برجد كرومه . . فيقول :

قصر بدرجة التسييم تحذلت فيه الرياض بسرها المسخور  
خض الخورنق والسدير بسموه وثمر قصور الروم ذات فسور  
لاث الغمام عسامة مسكية واقلم في أرض من الكافور

وابن قلاؤس الاسكندري كان اديبا فاضلا شاعرا مجيدا ولد بالاسكندرية سنة  
٥٣٢ هـ وتشا بها وقرا على أبي طاهر السنفي وسمع منه ثم سافر الى صقلية  
ودخلها سنة ٥٦٥ هـ ثم تارق صقلية راجعا الى مصر ومن شعره :  
شربا معتقه الملسلا صرفا على رقص الفصون بروضة فناء (٥٢)

وفي شعر ابن قلاؤس ظاهرتان هما في الأصل من وطن بيتنه ، فشعره يمثل  
شاعرا اسكندريا وحالة كثر الركوب للبحار؛ لها كونه اسكندريا فهذا واضح في ذكره

- 
- (٥٠) محمد الحسيني عبد العزيز : الحياة العلمية في الدولة الاسلامية العربية  
ص ٩٢ .  
(٥١) . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر  
الاسلامي ص ٢١٤ - ٢١٥ .  
(٥٢) باحثو الحموى : معجم الأديباء ج ١٩ ص ٢٢٦ .

لرجاللات الاسكندرية وعلمائها في ذلك العصر وذكره كذلك لعالم الاسكندرية كالمفردة المشهورة ويصفه بمدوحه بصيغة نيقول :

وقبنا في سيات الممز نرعى جبين الشمس في الغيث المطر  
ويمدح ياسر بن بلال فيقول :

ما ترى في الأملق بين برد وصحب ذئ انسحابي وعارض ذئ اعتراض  
انهضته الصبا ناعبا عليها نزل في جناحه المذمومض

ويتفرق فلا يتظلى من ذكر المطر والسحاب والبرق والرعد فيقول :  
مر بنا كالظبي لكنيه بذعرنا والظبي مذعور  
واعز كالغصن ولكنيه بأشع العشاق مسطور (٢)

وفي الشهر والادب برز عدد كبير من شعراء الاسكندرية نذكر منهم ظفر بن القاسم الحداد الجذلي الاسكندري توفي سنة ٥٢٩ هـ (١١٤٤) ، وكان من الشعراء المجهدين وله ديوان شعر اكثره جيد ومدح جماعة من المرسلين وروى عنه الحافظ ابو طاهر السلفي وغيره من الأعيان . . ومن مشهور شعراء :

لو كان بالصبر الجبل ملأه ما سحج وأبل نمله وذاذه  
ما زال جيش الحب يهزمو فليسسه حتر وهي وتنطقت أمالذه  
لم يبق نيه من الفرار بقية الا روم يسي يحتويه جبالذه  
من كان يرغبه في السلامة فليكن ابدا من الحدق المراضى عياده [٥٥]

ومن شعره أيضا :

رحلوا فاحولوا انلى ارجو الايباب تنسيت نحى  
والله ما فارقتهم كائنسى لمارتت قلبى

ولتأخر الحداد أيضا :

بذم الحيون الرقيب وذيت لي من الزودل ما يخفى عليه رقيب

وكانت وفاته بهصر سنة ٥٢٩ هـ وله من الشعر :

انظر بعينك في ديبع صفائى وعجيب تركيبى وحكمة صائى

(٥٢) د . محمد زغلول سلام : الادب في العصر الايوبي من ٢٥٩ .

(٥٤) د . السيد عبد العزيز سالم من ٢١٦ - ٥٢٧ .

(٥٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ من ٢١٩ .

فكأنى كنا بحب شمسيتك يوم التراق اصباعا بالصابع

وكانى بهصر الناطقين لم يترك شيئا للمصور الآلية حتى الأختار نجدها في هذا العصر فقد اخترع بها شاعر اسكندري يسمى ابن مجبر وكذلك الأوزان الموشحة نجدها في هذا العصر عند شاعر يسمى على بن هيباد وهو أيضا اسكندري (٥٩) .

وخير مثال لذلك الشريف العقيلي وهو أبو الحسن على بن حيدرة العقيلي اهم شاعر ظهر في النصف الأول من القرن الضامس الهجري والشريف العقيلي شخصية طريفة في الشعر الفاضل بل في الشعر المصري المعلم فقد روى له صاحب المغرب قطعة طويلة من شعره وهي مثل ديوانه ترينا انه كان شاعرا مبتلأ من شعراء الطبيعة .

حقا سبته في ذلك ابن وكيع فقد نصر نفسه عليه ويعيش مع كل حركة وهمة فيها وأتاح له ثرائه ورفته وحيه لها أن ينصر نفسه عليها يتغنى بنا وبالطبيعة من حوله ويحدث له الأزهار والنهار والأنجار في صور خيالية متيرة كما يقول :

أهت الفهار بين الروابي نائحات وليسن خضر القيوام  
او يقول :

السحب ترضع من نيل الأرض ما جعل لها الغسسون مهودا  
وهكذا نجد الشريف العقيلي يميل الى الدعابة والفكاهة في شعره وتلك هي صورة الشعر الناطق يهبرون عن شخصيتهم ومرحهم ونكاهاتهم كما يهبرون تمبرا طريفا عن جمال الطبيعة في بيتهم (٥٧) .

والى جانب الشعراء الذين وفدوا الى مصر من سغلية هناك شعراء وفدوا اليها من المشرق وآثروا في أشعارهم ما أظهره المصريون أنفسهم من اعتدال واختلاف في شخصياتهم مع حرصهم في الونثا نفسه على ارضاء الخلفاء الى الحد الذي نابوا فيه المغاربة في الحصول على الجوائز والمنح الطائلة (٥٨) ، وكان من هؤلاء عمارة

(٥٦) د. شوقي خفيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي من ٤٧٩ — ٤٨٢ .  
(٥٧) د. شوقي خفيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي من ٤٨٢ — ٤٨٤ .  
(٥٨) د. عبد اللطيف حيزة : الحركة الفكرية في مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي الأول ص ٢٦٦ .

الليثي : وهو الشاعر الذي يقرن اسمه بأسماء نحول شعراء العصر الفاطمي وبالرغم من أنه لم يكن مصرياً ولكنه ولد على مصر في ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ برسالة بن أمير مكة شافيه ابن هاشم (٥٩) ووصف لنا رحلته من الحجاز الى مصر في كتابه « النكت العصرية » حيث لقي الخليفة الفائز ووزيره الملك الصالح بن رزك في قاعة الذهب فأنشد يومئذ قصيدته التي أولها :

الحمد للهيمس بعد العزم والهمم      جددا يقوم بسا أولت به التعمم  
نرمن أبعد مزار الفرمن نظري      حتى رايت أمام العصر من اسم  
فهل درى البيت أنى بعد لفرقه      ما سرت من حرم الا الى حرم (٦٠)

فأعجب الخليفة الفائز ووزيره الملك للصالح ورجال القصر بتصنيفه فأنشدوا على الشعراء بتعميم وعطاياهم فأمر الوزير بأن يحضر عبارة مجلسه الذي يضم كبار رجال الأدب والعلم بمصر أمثال الجليس وابن الخلال صاحب ديوان الإنشاء وابن قادوس والمهذب بن الزبير وغيرهم ، وبعد شعر عبارة من البسجالات والنونائق التي نطلعنا على تاريخ مصر إبان هذه السنوات المضطربة التي أدت الى زوال الدولة الفاطمية فقد كان عبارة يمدح الوزراء الذين كان يبدعهم بخلايد الأمور وكان يمدح الأمراء الذين هم كبار رجال الدولة فوجدت من الحوادث متعلقات لهذه المدائح .

ونحن نعلم أن عبارة كان سنى الذهب بل كان مدعصبا لذهبه - ولم يتحول من هذا المذهب بالرغم من محاولة الوزراء والأمراء معه لكي يعتنق مذهب الفاطميين ومع ذلك كله فإن عبارة تأثر بما كان يجري في مصر وأسهم مع غيره من شعراء مصر في الإشادة بهؤلاء الفاطميين وتتشهد الآن بتصنيفته (٦١) المتونية التي تلتها في رضاء أهل البيت و ماثروا وضبطها منحا للملك الصالح وهي القصيدة التي أولها :

شسكن الفرام أجمل أن بلجائي      عبه وان كنته الشسعيق الحائي  
أنا نلك الصصب الذي شطعت به      صلة الفرام مطامع السلوان  
ملنت زجاجة مسوره بفسيره      يبيت خيبة شائنه للثاني

(٥٩) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢١٩ .

(٦٠) عبارة الليثي : النكت العصرية ج ٢ ص ٧ .

(٦١) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢١٩ .

عسرت بوثتها الديموع فغادرت سرى أورا في يد الاملان  
منفتك لجناتي لتمام بصطرها وجد يبيع ودائع الاجثمان (٦٢)

كان لنفوذ الخلفاء الفاطميين الأدبي ، تلك النفوذ الذي عملوا على تليده  
بمخلفهم على الشعراء وشجعهم رجال الأدب اثر في نفس عمارة اليمنى حتى أصبح  
من اتمارهم ومن الثمراء المائلين لهم وظهرت له أعمال عظيمة في تاريخ الخلافة  
الفاطمية (٦٢) .

وهكذا اضطر هذا الشاعر السنى الى ان يتأثر بما كان في مصر في العصر  
الفاطمى وأن يتأثر بعضائد الفاطميين فآثر منها في شعوره ، بل بلغ به تأثره  
بالفاطميين الى ان يرنىهم ويثنى عليهم في الوقت الذي تخلى عنهم جميع المصريين  
وسبهم أعداؤهم العباسيون وجمهور أهل السنة (٦٤) ، وعبارة اليمنى السنى  
الذهب كان ولما لم الوفاء كنه فأنشد تصنيته التي مطلعها :

رميت يادهم كصف المجد بالتمليل      وجيده معد حسمن التحلى بالمعطل  
سميت في منهج الراى العنصور فان      فخرت من عنرات الدهر فاستنقل (٦٥)

وتد اساب عمارة ما أصاب الفاطميين الذين حبوهم بأموالهم وعطاياهم والكرم  
الاکرام كله . مقابل ذلك بوماء اتوفى الأمين (٦٦) .

رغم أنه يختلف مع الفاطميين في عقيدتهم وما يدل على ذلك قوله :  
مذاهبهم في الجود مذهب سنة      وان خالفونى في اعتقاد التشيع

ولما مات رزقك سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م أصبح حزن عمارة على وفاته متأرا  
لتنظم اشعاره وظل ولاؤه للفاطميين الى أن سقطت دولتهم بما أثار شجونه في قول  
الشعر لولاء هذه الدولة المظلمة بما خلفه الفلقشندي والمقرئى ولم ينس عمارة  
ان ينظم شعرا في الاتساع بذكر صلاح الدين واهل بيته ولكن اخلاص عمارة  
للفاطميين اتصاه عن عطف هذه الدولة الجديدة ، وتستطيع أن تقف على مبلغ ما  
لحقه من يؤس وشقاء من هذه التصيدة التي وجه بها الى صلاح الدين وعوائفها :

- 
- (٦٢) د - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٢٠ .  
(٦٣) د - حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٦٠ .  
(٦٤) د - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٤١ .  
(٦٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٥٢٦ .  
(٦٦) د - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٢٢ .



\* شكايه النظم وتكايفه لالتالم \* (٦٧) .

ولاغرو بأن احيزه للمناطيين ندد جاب عليه كراعه الأيوبيين وانتهت هيئته  
الحافلة بمتنته في ربحان سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٢ م لاقهله بالاشمتراك في التأم  
لاعادة سلطان الفاطميين .

ولا يفوتنا ان نعرض لبعض شعراء كلن لهم أثر في نشر العقائد الفاطمية مثل  
أبي الحسن بن الزيد الذي وصفه عماد الدين نقلا عن القاضي الفاضل . نقل :  
« وانه في فته لم يسمع الدهر بمثله » (٦٨) . كما كان على بن عباد وهو من أهل  
الإسكندرية شاعرا نابها . قال من بلاط الحافظ الفاطمي خطوة كبيرة ، إلا اعتقل  
أبو على بن الوزير الأفضل ، الخليفة الحافظ نظم ابن عباد فمسجدة يهنيء  
ليها الوزير ويقول :

بشمم الدهر بعهد نميبس      وذوض الدهر لكن بعهد نغريس  
إذا دعوتنا غان تبقي لأنفسنا      دعوتنا تليق با ابن السادة السوس  
وقد أعاد اليه الله خائبة      فاسترجع الملك من صخر بن أبليس (٦٩)

وإذ مدح انشاعر أبو الحسن على بن محمد الأختش وهو شاعر من أشراة  
المقاربة . أجاد في مدح الخليفة الحافظ وغلا في تجيد المناطيين وأملأ شائهم  
نقال بيدح الخليفة الحافظ :

بشمم في الممين إلا انسه      من طريف العقل نور وهدى  
جل أن تتركه أميننا      وتعالى أن تراه جسدا (٧٠)

هكذا كان حال الشعراء الذين وفدوا على مصر في ذلك العصر إما فيهم  
من الشعراء المصريين الذين رحلوا عن بلادهم فانهم لم يلتوا ما لقيه هؤلاء من  
رعاية وتقدير في عاصمة المباسيين وجعفر بن أبي زييد مثال صالح لما ذكرنا فقد  
عبر عن خالغ ضميره من أسي بعد مغادرته مصر إلى بغداد في قصيدة نذكر منها  
هذين البيتين :

(٦٧) ديوان عمارة البيهني : ص ٢٨٨ - ٢٩٢ .

(٦٨) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٦٩) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

(٧٠) المرجع نفسه .

وما تصدنا بغداد نسوتنا لاهلها ولا ضفيت بذقط ابصارنا عنا ؟  
ولا ائنا اخترنا على مصر بلده سواها ولكن المقادير سلطتنا (٧١)

ونقد يبرز في هذا العصر شاعرات من أشهرهن حسنة المصرية التي ولدت ببلين وترتت بالحجاز وتعلمت ببغداد وأتت مصر ، وتقىة الصورية وكانت تصكن الاسكندرية ولها كراسة اشعار اطلع عليها العماد (٧٦) وكان بالاسكندرية من النساء المشهورات بالهيام والادب جماعة ذكرهن السلمي في معجمه وابن خلكان في الوفيات ومن بينهن تقية بنت غيث بن علي الازمنازي الصوري السملانة الذكر والدموية بنت النعم تمل السلمي عنها \* لم تر عيسى شاعرة قط سواها (٧٦) . وخديجة بنت احمد بن ابراهيم الرازي المدعوة بلجة روى عنها السلمي وقال : \* وخديجة هذه ابوها محدث واخوها محدث ، وقد حدثت اخنها كما حدثت هي \* ونوليت خديجة في شهر ربيع الآخر سنة ٥٢٦ هـ وهي بكر لم تتزوج قط ، وكانت تصلي طول الليل ولا تنام الا عن غلصة . والصديقة بنت الميثر بن فلان الدمشقي وروى عنها السلمي ، وتره بنت احمد بن ابراهيم الرازي المتوفاة سنة ٥٢٤ هـ قال عنها السلمي : ترفة هذه كانت من بيت هاشم وهي نفسها كانت دينة كثيرة المعروف وتسمى أيضا علقسة . وهكذا كلنت الاسكندرية في القرن السادس ولوائل السلبيع مغارا للمعلم زاخرة بالعلماء من كل لون من الانبياء والشعراء .

وهكذا نجد ان المرأة في الشعر الفاطمي كلن نورها لم يبرز وهذا يعود الى طبيعة الدولة الفاطمية ومدى حرص الخلفاء على المرأة فقد عوملت النساء في عهد الحاكم معاملة تطوى على القسوة والعنف مما جعلها رهينة المصبيين ، ولم يقدرا لها المشاركة في قول الشعر الا في المراحل الأخيرة للدولة الفاطمية ، على ان العصر الفاطمي كان خصيا في انتاج الشعر بحيث استطاع شعراء مصر الفاطمية ان ينفوا بجوار غيرهم من الشعراء في الأقطار الاسلامية في ارقى عصوره وصوره فالعوامل التي تحدثنا عنها والآثار التي وصلتنا وما قلته الرواة عن شعر

(٧١) د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

(٧٢) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر من ٢٦٧ .

(٧٣) الطاهر السلمي : معجمه ق ١٧ .

مصر ، كل ذلك يجعلنا نقبول ان شعر مصر الفاطمية كان يحتل هذه المكانة  
الممتازة في الحياة الادبية ويتطور هذا التطور الذي نلمسه في العصر الفاطمي (٧٤) .

كما كان الشعر العربي في مصر اثناء حكم الفاطميين يقال في نفس الموضوعات  
والأفراض التي يقال فيها للشعر العربي في مختلف الأقطار العربية في الماضي  
والحاضر على السواء ، على أن الشعر المصري أيام الفاطميين قد تحدث فيه الشعراء  
في زهو وانضار عن انتصارات جيوش المعز لدين الله الفاطمي وما احرزه الظفراء  
في ربوع الشام على العباسيين والفرنجية والصلبيين في أواخر القرن الخامس  
وأوائل السادس (٧٥) .

وما نلاحظه أن شعر هؤلاء الشعراء جبهما انقسم في رأينا ابان العصر  
الفاطمي الى مدرستين تسمى احدهما : مدرسة الصبغة واليدبعيات وقد تزعم هذه  
المؤيد في اللون الشمسرازى ثم مضى على اثره في اخريات القرن السادس الهجري  
الفاطمي الفاضل . والثانية : نطلق عليها اسم مدرسة السلفية والطبع وقد تزعم هذه  
في العصر الفاطمي الأمير تهيم واين وكيع التتيسي ثم تلى على اثرهما في العصر الأيوبي  
البهاء زهير (٧٦) .

ومن الواضح انه ظهر في العصر الفاطمي عدة مدارس للشعر تسربت منها  
سماتها الى الشعراء الأيوبيين اولها : مدرسة شعراء العقائد وتضمن بهم شعراء  
المذبح الذين تلمس شعرهم بالمصطلحات والعقائد الباطنية وقد استعملوا الالفاظ  
الضخمة القوية ذات الجرس الصاخب لتتلام مع تلك المصطلحات . وجاء في شعرهم  
غريب المصطلحات في غريب الالفاظ مما أدى الى شوه من التعقيد . وكان شعرهم  
اقرب الى النظم في اغلب الاحيان . واستمرت هذه المدرسة في عصر الأيوبيين على  
الرغم من أن الشعراء لم يكونوا شجعين بالعقائد الفاطمية بمصطلحاتها ظهرت  
في مدائح الشعراء على الرغم من تنكروهم للشبهة وايمانهم بالذهب السنن (٧٧) .  
والثانية : مدرسة السهولة والرفقة وهي التي كان شعراؤها يختارون في

(٧٤) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ١٤٠ .

(٧٥) د . علي صافي حسين : ابن الكيزاني حياته وديوانه ص ٢١ - ٢٢ .

(٧٦) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٧٧) د . محمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ١٨٥ .

تريفيهم أوضح الأساليب ويستفهمون أسهل الألفاظ . ولا يتكلمون في التعبير ولا يفهمون في المعنى . بل كانت عباراتهم سلسة سهلة ومعانيهم واضحة رقيقة . وذلك كالشعر الأمير تميم وأبي الريمق وابن وكيع التميمي (١٧٨) .

والثالثة : مدرسة الكتاب وكان هؤلاء على طرق تقيض مع مسا زانسه . من شعراء مدرسة الرقة والسهولة . اذ كانوا خاضعين لتأثير الانجاهات الفنية التي شغف بها الكتاب في الدواوين في العصر الفاطمي ومثلوا بها كتاباتهم وأشعارهم . كان شعر هؤلاء يقوم على الموسيقى اللغوية لعل كل شيء . واختيار الألفاظ الفضة الجيزة ذات الوقع المتمم والجرس الموسيقي الذي يؤثر في السمع مع خلوة الإيقاع ، يتلاعبون بهذه الألفاظ تلاعبا تظهر فيه اثر الصنعة وتدبتكف واسرموا في صناعتهم ومكدهم اسرافا يدل على بلول بانهم في هذا الفن .

وعلى تلك الثورة اللغوية التي كانوا يتحطون بها ويصطبغونها في مهارة ليس بعدها مهارة وكانوا يجتمعون فنيهم بالريضة البدوية من جناس ومباني ونورية ودراسة نظير الى غير ذلك حتى بوروا البلاغيين بمقدرتهم على استعمال هذه الحسنان وكثيراً ما يخلو لهم ان يستعملوا المترادفات او ما يشتمق من اللفظ الواحد في الجهة الواحدة او في البيت الواحد كل ذلك من الزان التعسف المعنى الذي ألزم به الكتاب والشعراء انفسهم غابتدوا عن الطبع ؛ وقد ظهر ذلك في شعر القاضي الموفق من الخلال وابن أبي الشخياء والقاضي الجليس وابن الزبير ومهارة البسني وغيرهم من شعراء الفاطميين وقد أصبح مذهبهم المعنى بدعة العصر ونقليدا يسير عليه الشعراء والكتاب (١٧٩) .

### ثانياً - النشر :

الكتابة تلغير حياة الأمم في حضارتها ونضالها وهي صورة للدول وبرة آيول أترادها تفسير من حيث الأغراض في اتجاهين اساسيين اولهما : تحردى مرتبط بمقتصد الأشخاص وميولهم والثاني : يتصل بالدولة وبالشمسون العامة للمجموع .

(١٧٨) د . على صفاق حسين : ابن الكيزاني الشاعر الصوفي حياته وديوانه ص ٢٤ .

(١٧٩) محمد إبراهيم نصر : ابن سناء الملك ص ٢٧ .

فما البردى غانه يتجلى في الرسائل الإخوانية في شتى الأغراض وفي ميول  
الكتاب الى اظهار مواهبهم البيئية ومخترتهم في مناحي البلاغة والابانة من خلجات  
نفوسهم وما تطلبه حيلتهم .

اما الاجتماع فلانه يرجع الى ما تحتاج اليه الدولة في ادارتها ونظامها وما  
تتطلبه قيادة الشعوب وتوجيهها من ارشاد الى ما ينهض بالحياة ومرافقتها ،  
والكتابة اذن أداة الدولة وعون للأفراد وموضوعاتها ترتبط بالفرد وميوله وانراضه  
ووجدانه بالمجوع ونظامه وشؤونه (٨٠) .

عندما تولى الفاطميون امر مصر زهبت الكتابة فيها ثوية مزدهرة  
تضاعفت منذ النهضة في العصر الفاطمي بما عمل الفاطميون على النهوض اولا  
بتور العلم وانكفاء شعبه في البلاد حتى كان للحركة العلمية اثر قوى في تبسط  
الفكر الاسلامي عامة وفي مصر الفاطمية على وجه الخصوص ، ومن ناحية اخرى  
خلقت مصر الفاطمية نهضة أدبية كان لها اثرها القوي في ازدهار الشعر  
وازدهار الكتابة معا ، فقد عنى الفاطميون بالكتاب فزابتهم بالشعراء بل لا يلى  
اذا قلت ان متابة الفاطميين بالكتابة كانت أشد من عنايتهم بالشعراء ذلك ان  
انتساع ملكهم وتشعب نواحي حياتهم وبسلطانهم اضطرهم الى ان يوجدوا  
عهم الى العناية بالديوانين المختلفة عنلية خاصة تتناسب مع غاوتهم في  
أظهار مجدهم (٨١) .

كما ان الفشريف الذي جعله الفاطميون لكتاب دولتهم كان من اهم عوامل  
ازدهار الكتابة في هذا العصر كما كان الاعتداق على الكتاب من أسباب كثرتهم  
وانقبال الناس على التعليم واجادة الكتابة فيسلوا الى مرتبة الكتابة في الديوانين  
فكثر عدد الكتاب واصبح على المتاديه ان يأخذ من الكتاب ملراتهم وعندهم  
وبحدثنا القاضي الفاضل انه كان من عادة ارباب الديوانين في تربية ابنائهم انهم  
كانوا يرسلون هؤلاء الاولاد الى ديوان المكاتب ليتعلموا فن الكتابة . قال القاضي :  
كان من الكتابة بهجر في زمن بني هبيل ففسا طريا وكان لا يخالو ديوان المكاتب  
من راس يرأس مكاتبا وبوسانا ويقيم لسلطانه بقلبه سلطانا فكان من المصادفة ان

(٨٠) عبد الحميد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي الى  
النهضة الحديثة ص ١٢ .

(٨١) د . محمد كابل حسين : في ادب عصر الفاطمية ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشهدا شحمنا من علم الأدب أخضره إلى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع فأرسلني وألدي وكان إذ ذاك فاضيا بغير عملاق إلى الديار المصرية في أيام المحافظ وأهزني بالمسرح إلى ديوان المكاتبات وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلا يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من أنا وما طلبني رحب بي ومسأل ثم قال : يا الذي أعدتته لمن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى أنني أحفظ القرآن العزيز وكتاب الحسن . فقال : وفي هذا بلاغ ، ثم أمرني بملازمته فترددت عليه وتدرجت بين يديه ثم أمرني بعد ذلك أن أصل شاعر الحاضرة فخطته من أوله إلى آخره ثم أمرني أن أصل مرة ثانية فخطته « (٨٦) » .

بهذا النص بدلتنا على مبلغ تعلق الناس بتعليم أبنائهم فن الكتابة فقد كان حفظ القرآن الكريم وأشعار العرب من عدد للكاتب في هذا العصر فقد رأينا كيف طلب ابن الخلال من تلميذه الذي عرف بعد ذلك بالقاضي الفاضل أن ينثر كسب الأتسمار التي جوهها ديوان العميلة تبينة له في الفضول في سلك الكتاب ، ولم تكن ملكة الكتابة وحدها تكفي أن تجعل الإنسان كاتباً بل كان لابد له من الآلات على نحو ما عبر ابن الخلال . وهذه الآلات علوم العربية حتى يقسني للكاتب أن يسير على نوح الأساليب العربية فلا يقع في لحن نحوي أو لغوي . أو يعتمد الكاتب من عسنت كتاب العربية في أسلوبهم وتعبيراتهم ، ولم يمنع الفاطميون بأن تكون كتابات الكتاب سليمة صحيحة بل حرصوا الشد الحرص على ذلك بأن جعلوا في ديوان الانتشاء لغويين ونحويين لمراجعة ما كان يحرره الكاتب حتى تخرج كتاباتهم سليمة من الأخطاء ؛ فهذا الحرص على سلامة أساليب الكتابة كان من العوامل التي جعلت الكتاب أنفسهم يعملون جاهدين على أن تخرج كتاباتهم خالصة بظفة مع الأساليب العربية . فلا فرو أن يقول القاضي الفاضل : « إن فن الكتابة في مصر في زمن بني مبيد كان شغلا طويلا » . وأن تصبو نفس كل متعلم إلى أن يكون كاتباً من كتاب الدواوين .

وقد يكون من عوامل ازدهار الكتابة في العصر الفاطمي أن وزراء العصر الأول

---

(٨٦) د - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣٠٤ نقلا من الروضتين ج ١ ص ١٩٢ .

من الحكم الفاطمي كانوا من الكتاب فكانوا يعملون في العواوين قبل اختيارهم للوزارة ، فلاباحي والجرجرائي والهازدي واليابلي ومتو المقريي وابن المدير وابن الأباري وكثير غيرهم كانوا من الكتاب وقد بلغوا مرتبة الوزارة ، حتى أن المؤرخين لاحظوا أن وزراء الدور الأول كانوا من أصحاب الأقدام . وأن وزراء الدور الثاني كانوا من أصحاب السيوف .

وليس معنى هذا أن الكتابة ضعفت في الدور الثاني إذ أن الكتاب أصبحوا في مكانة لا تقل عن مكانتهم الأولى بل قلل الكتاب يهتمون بمثل المركز الرفيع الذي كانوا نبه في الدور الأول ومنهم من جلساء الإمام وحجابه وأصحاب مظلته ومنهم من الفضاة والدعاة وهذه كلها كانت أكبر مناصب الدولة بعد الوزارة . فللكتاب ملوان العصر الفاطمي كانت لهم مكانتهم المبتلزة والنعم الصحيحة والمطابا الجزيلة فلا عربة إذا أن يقبل الفلاس على الكتابة وأن تزدهر في هذا العصر (٨٤) .

أضف إلى ذلك أنه أن نظام الحكم الفاطمي كان من أشد العوامل على ازدهار الكتابة لأن الفاطميين كانوا يسجلون كل نقية وعزيمة في سجل يخرج من الديوان ، فتعيين الوزراء أو الكتاب أو القضاء أو الدعاة أو غيرهم من أرباب وظائف الدولة . كان يخرج به سجل خاص مطول فيه البحث على تقوى الله وطاعة الإمام والتمسك بأهداف الدين الحنيف ثم الإشارة إلى المنصب الذي سيسبق فيه الموظف وما يتطلبه ذلك المنصب من عمل إلى غير ذلك من ترغيب فيه ومشورة في تصرف العمل ، وإذا خرج الخليفة لتفتح الخليج أو لصلاة الجمعة والمعيد ليخرج السجل بذلك ، وفي أعيادهم ومآتهم كانت تصدر هذه السجلات أيضا حتى أصبحت هذه السجلات الفاطمية تاريخا للعصر كله وكان الكتاب يفتنون في اظهار مآثرهم وكتابتهم في صياغة هذه السجلات ويتنافسون في هذا الفن فجاعت هذه السجلات الفاطمية مسورا رائعة من سور الكتابة العربية التي تمثل العصر الفاطمي أصنق تمثيل . فمن ذلك تسطيع ان تتحرك كيف ازدهرت الكتابة في العصر الفاطمي وكيف اقبل المتعلمون على أن يلجوا بقرن الكتابة حتى يصبحوا كتابا في دواوين الفاطميين وأن يملوا بما ناله الكتاب من تكريم وتقريب ونعم (٨٤) .

(٨٤) د - محمد كامل حسين : أدب مصر الفاطمية ص ٢٠٥ .

(٨٤) د - محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣٠٦ .

وتد كل الأئمة يجيدون فن القتر كما كانوا يعرفون الشعر فقد كان الأئمة يلقون الخطب الدينية في المسجد الجامع ويقرؤون ما يعرضه عابهم الدعاء في مجالس الحكمة وقد يبذلون بعض أجزاء هذه المجالس . لمن خطبة المعز لدين الله في عيد الأضحى سنة ٣٢١ هـ « الله أكبر الله أكبر : لا إله إلا الله والله أكبر الأعز الأقدر الخالق المدبر ذو الكبرياء والجبروت والعزة والملكوت الأحد الصمد النور النور . الخ » (٨٥) .

والذي نلاحظه على خطبة المعز أنه قد أتى بالصنعة الفنية في أسلوبها الخطبة فالجمل قصيرة وتكاد الجملة تكون على وزن وطول الجملة التي تليها والسجع ظاهر فيها وينقل المعز من معنى إلى آخر انتقالا طبيعيا لا تكلف فيه (٨٦) .

وكذلك نقول عن الأئمة الذين جاؤا بعد المعز فقد كانوا على ثقافة واسعة وعلم غزير جعلهم يهتمون بالكتابة ويبرزون بين الجيد منها والردى . بل تنسب إلى بعضهم رسائل مثل مجموعة الرسائل التي تنسبها إلى المستنصر الناطق والتي عرفت « بالرسائل المستنصرية » (٨٧) ، والتي قيل أنها الرسائل التي تبولت بين المستنصر وبين علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن .

لمؤرخو الإسلام -ماعيلية يؤكدون أن هذه الرسائل من انشاء المستنصر تنسبها ، ويذهب الدكتور محمد كامل حسين إلى أن هذه الرسائل في أسلوبها أقرب إلى أسلوب المؤيد في الدين داعي الدعاء . وكذلك فنون عن « رسالة الهداية للأمر » (٨٨) التي ينسبها الأسماعيلية إلى الإمام الأمر بإحكام ، فقد شك الأستاذ آصف نبض ناصر هذه الرسالة في نسبتها إلى الإمام الأمر ، ورجح أن تكون من انشاء أحد الكتاب الذين كانوا في عصر الأمر (٨٩) .

(٨٥) د . محمد كامل حسين في أدب مصر الناطبية ص ٣٠٦ .

(٨٦) المرجع السابق ص ٢٠٩ .

(٨٧) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الناطبية ص ٣١٠ تفلا من المجموعة الخطبية بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن .

(٨٨) الرسالة الموسمية بالهداية للأمريية في أبطال دعوى المزارية تحقيق آصف

نبض .

(٨٩) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الناطبية ص ٣١٠ .



ومهما يكن من شيء فإن الكتابة في العصر الناطقي منذ ازدهرت بلزدهار الحياة المصرية في تلك العصر ، ولشدة انقبال الناس على العلم والعلم والبرهان من مذابعه التي كثرت وتعددت ألوانها وفنونها ، وتطور الكتابة يتبع دائما الحياة العلمية فإذا ارتقت العلوم ضيقت في الكتابة وإذا انحطت العلوم انحطت الكتابة .

أما عن ديوان الانشاء وكتابه فإن تاسيسه يعود في مصر الى أيام او عهد احمد بن طولون وإن أول من ولى هذا الديوان أحمد بن محمد بن هودود المعروف ابن عبدكان الكاتب وقد استمر تلاميذ ابن عبدكان يعملون في ديوان الطولونيين والاششسيديين فلزدهرت الكتابة في مصر إلى أيديهم حتى بلغت درجة عالية من درجات فن الكتابة في مصر (٩١) . حتى أن القلقشندي روى أن أهل بغداد كانوا يمسحون أهل مصر على طهطب المحرر وابن عبدكان الكاتب ويقولون : بمصر كتابنا ومحرر ليس لأمر المؤمنين بمدينة السلام مثلها (٩٢) .

وكثر عدد الكتاب في مصر في عهد الطولونيين والاششسيديين أمثال الحسن ابن رافع ويعقوب بن اسحاق وأحمد بن أيمن والحسين بن مهاجر وعلي بن أحمد الفارابي وابن الداية واسحاق بن نصير العبادي وإبراهيم بن عبد الله التجيمي ومحمد بن كلا والرندباري ، وغيرهم من الكتاب الذين اتخذوا الكتابة فنا يتكسبون به ومؤهلا للمعين المكتب في خدمة الأمراء وأصحاب الثمان في البلاد ، فكثرت تنافس الكتاب في تجويد الكتابة وانتان الصناعة حتى علا بنارها وعظم شأنها (٩٣) .

ولكن حينما ولى الفاطميون مصر صرغوا بزيد غفلتهم بديوان الانشاء ووجهوا إليه المزيد من اهتمامهم واتخوه وسيلة لرفعة قدرهم ، ونشر ذكهم في الأماق ، ذلك أن كتابه يشهدون بمجدهم فيما يكتبون من رسائل وقرها ينهون في غلوب الشعب أجلالهم وتقديسهم كما ينشرون اسمهم محاطا بهالة من التعظيم في أنحاء العالم (٩٤) .

(٩٠) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٠٢ - نقلا عن أدب مصر الإسلامية .

(٩١) القلقشندي : صبح الأعشى ج ٢ ص ١٧ .

(٩٢) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٠٢ .

(٩٣) د. أحمد بنوى : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والتهمام

ص ٢٢٢ .

كما أرتفع بهم قدره وشجاع في الإلتحاق ذكره ، وولى ديوان الإنشاء منهم جماعة من أمهات الكتّاب وباعثهم ما بين مسلم ونسي (٩٦) .

وهكذا وصف القلقشندي كتاب الإنشاء في العصر الفاطمي وما بلغه هذا الديوان على أيدي الكتّاب من رنمة القدر وشيوع الذكر ولا غرو في ذلك إذ كان منصب ديوان الإنشاء لا يتولاها في الدولة الفاطمية إلا أجل كتّاب البلاغة (٩٥) .

ومكائنه وتكليفه كان يلقب بالشيخ الأجل وبصاحب الدستور الشريف (٩٦) . كما كان الخليفة يستشيره في أكثر أموره ولا يحجب عنه متى قصد القول بين يديه (٩٧) ، وربما بات عند الخليفة ليلا وكان جاريه مائة وخمسين ينسوا في الشهر وهو أول أرباب الانقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفت ولا سبيل أن يدخل ديوانه بالقصر احد ، ولا يجتمع بكتابه احد إلا الفواص - وله حاجب من الأمراء والسيوخ وقرائون وله المرية المائلة والنواة وهي من أخص القوى ويعملها استاذ من استاذي الخليفة (٩٨) .

وقال صاحب صبح الأعشى ( القلقشندي ) : ولم يزل صاحب هذا الديوان معظما عند الملوك في كل زمن ، مقدما لديهم على من عداه ، يلقون اليه أسرارهم ويخصونه بخفايا أمورهم ، ويظلمونه على ما لم يطلع عليه أخص الأخصاء من أمور الوزراء والأهل والولد (٩٩) .

وكان ديوان الإنشاء يؤمذ رأس الدولة المفكر ، وسيلة اتصال الحكومة بمرومها في داخل البلاد وبخبرها من الحكومات في خارج حدودها . وقد استطاع الفخر أن يفي بحاجة الأمة ، وان يعبر عن مشاعرها وأحاسيسها (١٠٠) .

وقد أدرك القلقشندي قيمة ما يسجله ديوان الإنشاء فنقل : أنه لو جمعت

- 
- (٩٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦ .  
(٩٥) المرجع السابق ج ١ ص ١٠٢ .  
(٩٦) القرظي : الخط ج ٢ ص ٢٤٤ .  
(٩٧) المرجع السابق : ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .  
(٩٨) د. أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٢٢٢ .  
(٩٩) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ١٠١ .  
(١٠٠) د. أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٢٢٤ .

بعض صفاته لاجتماع منها تاريخ كامل (١٠١) .

والى جانب هذا العمل الضخم كلن ديوان الانشاء يتخذ كمعهد طوى  
بتخرج فيه من يريد أن يشغل منصباً من مناصبه فيلتحق به من يتتقف ثقافة مينة  
على مواصلة السير حتى يتخرج في الكتابة .

وقد تولى الكتابة في ديوان الانشاء في عصر الدولة الفاطمية على بن أبي  
الاسامة الجليبي المتوفى سنة ٥٢٢ هـ وتاج الرئاسة ابو القاسم على بن سليمان  
المعروف بابن الصيرفي والقاضي محمود بن اسعد بن تادوس والقاضي الموفق  
ابن الخلال والقاضي الفاضل الذي رأس ديوان الانشاء وضم اليه الوزارة في  
عهد صلاح الدين الايوبي (١٠٦) .

وقد تحدث ابن منجب الصيرفي - أحد كتابهم - عن الصفات التي يجب ان  
يتحلى بها رئيس ديوان الانشاء نذكر أهمها :

- ١ - أن يكون ذا دين وورع وامانة .
- ٢ - أن يكون دينه الاسلام .
- ٣ - أن يكون على مذهب الملك .
- ٤ - أن يكون من البلاغة والفصاحة على أعلى رتبة وأسنى منزلة وحيث  
لا يوجد أحد في عصره يفوقه في هذا الفن .
- ٥ - أن يكون منطلقاً بنتون الكتابة ، عالماً بأصولها ونصولها .
- ٦ - أن يكون حائزاً لمكتاب الله تعالى ، وحائزاً للشعر راوياً لكثير منها .
- ٧ - أن يكون أصيلاً في ثومه ، رغبياً في حسيبه (١٠٦) .

هذه هي أهم الصفات التي رأى ابن منجب أن يكون عليها ديوان الانشاء ،  
لكن لما كان لهذا الديوان أهمية في هذا العصر ألفت كتب تتحدث عن نظمه  
وما يجب أن يتوفر في رجاله وتقدم بعض ما يعينهم في أعمالهم ومن هذه  
الكتب قانون ديوان الرسائل لابي القاسم الصيرفي أحد رؤساء الكتاب في  
عهد الدولة الفاطمية والمتوفى سنة ٥٤٢ هـ وقد أنه ليكون دستوراً يختار بمقتضاه

(١٠١) التلغشيدي : صبح الأمل ج ١ ص ١٢٥ .

(١٠٢) د. أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٣٢٤ .

(١٠٣) ابن منجب الصيرفي : قانون ديوان الرسائل ص ٩٤ وما بعدها .

( م ١٨ - الحياة الفكرية في مصر )

من يعمل في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مرءوساً وقدمه الى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش أحد كبار وزراء هذا العصر وبينو في فتحته اثر المذهب الشيعي واتجا قنيها صلاة على أخى محمد ( صلى الله عليه وسلم ) وصفيه وهو علي بن ابي طالب (١٠٤) .

وقد اتسفت الى الصفات الواجب شواجرها في رئيس ديوان الانشاء ان يكون صبيح الوجه طلق اللسان وقورا ، حسن اللقاء ، شديد الزكاء ، صريح الرضا ، بطيء الغضب ، ويكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا بدانيه فيها أحد حتى يقرر في نفسه امانة كل حديث يعلمه، وتلقى كل خبر يسمعه (١٠٥) .

بطل اتخذ الفاطميون هذه الصفات دستوراً لهم في اختيار رؤساء هذا الديوان ؟؟

انه من الملاحظ ان نشر الى ان الفاطميين لم يلبهوا بهذه الشروط والصفات التي اترجها احد كتاليم في كتاب قدمه لوزير من وزراءهم ، ولكن ابن منجب كان من كتاليم القرن السادس الهجره في وقتها بدأ فيه ضعف دولتهم وقوة أعدائهم . ولا سيما قوة الصليبيين فلا عراية ان يرى ابن منجب يشترط ان يكون الاسلام دين رئيس الديوان \* وخامسة يحكم الوئمت الحاضر الا يطلع على أمراره ممن يخالف شريعة الاسلام لغرب دار العدو خذله الله وأباده \* (١٠٦) .

فان وجود الصليبيين في بلاد الشام بغاوتون الفاطميين جعل ابن منجب يشترط الى ان يشترط ان يكون رئيس ديوان الانشاء مسلماً . كما قبل عهد الصليبيين ، ومنذ قامت دولة الفواطم في مصر ، فقد كان يتولى ديوان الانشاء بعض اهل الذمة ، كما كان يتولاه بعض المسلمين . ويشكر المؤرخون اسما بعض من تولى هذا الديوان من اهل الذمة (١٠٧) مثل ابي المنصور بن نسطورس الفصرائي

(١٠٤) د. احمد بدوي : الحياة الادبية في عصر الخروب الحليبية من ٢٣٤ ، ٣٣٥ .

(١٠٥) المرجع نفسه .

(١٠٦) ابن منجب المصري : خاتون ديوان الرسائل من ٩٥ .

(١٠٧) د . محمد كليل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٣١٢ .

كتاب العزيز والرئيس عهد كاتب الحاكم وغيرهما ، كما كان يكتب ابن أبي العم  
اليهودى في عهد الحافظ .

يعنى هذا أن الفاطميين لم يابهاوا بذهب الكاتب أو دينة ، بل لا أعلمى اذا  
ذهبت الى أن الفاطميين كانوا كثيرا ما يستعملون بالذبيح في دولتهم وهذه ظاهرة  
سجلها المؤرخون في كتبهم عن الدولة الفاطمية ولكن ليس معنى ذلك أن الفاطميين  
ابتعدوا المسلمين عن الدواوين فإن الكثرة المساحتة من كتاب الدواوين كانوا من  
المسلمين (١٠٨) إذ جاء في هذا الكتاب : « كتب للعزيز باهه ابن المعز أبو التصور  
ابن نسطور من النصراني ، ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في أيامه ، فكتب للحاكم  
الغاشي أبو الطاهر النهري ثم كتب لابنه الظاهر ، وكتب للمستنصر القاسم ولى  
الدين بن خيران ثم ولى الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله الى الوزارة ، وأبو  
سعيد العبيدى ، وكتب للأمر والحافظ الشيخ الأجل أبو الحسن على بن أبي  
اسامة العباسى الى أن توفي سنة ٥٢٢ هـ . فكتب بعده ولده الأجل أبو المكارم الى  
أن توفي في أيام الحافظ ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين تاج الرباسة أبو  
الزاسم على بن سليمان بن منجب المسيرى ، والغاشي كافي القضاة محمود ابن  
الظاهر الموفق أسعد بن قانوس وأبو الهمم اليهودى ، ثم كتب بعد الشيخ إلى  
المكارم بن أبي اسامة الملقب بذكره ، فذكره الغاشي الموفق ابن الخلال أيام الحافظ  
الى آخر أيام العاضد . وبه تخرج القاسم الفاضل البيهقي ثم أشرك العاضد  
مع الموفق ابن الخلال في ديوان الانشاء الغاشي جلال الملك محمود الأنصارى ، ثم  
كتب الغاشي الفاضل بين يدي الموفق بن الخلال قرب وفاته سنة ٥٦٦ هـ في وزارة  
الملك الناصر صلاح الدين وكتب من انشاءه عدة سجلات ومكتبات عن العاضد  
آخر خلفائهم » (١٠٩) .

ولكن هذه الاسماء التى جاءت في صبح الأعشى ليست عرضا لرؤساء ديوان  
الانشاء في العصر الفاطمى كله بل أن ما أورده كتب التراجم والمراجع العامة  
بخلاف بعض الاختلاف عما ورد في صبح الأعشى ، إذ تحدثنا هذه المراجع أن الحسين  
ابن جرير القائد كان يلى ديوان الانشاء في عهد العزيز (١١٠) ، وأنه ظل في منصبه

(١٠٨) المرجع نفسه .

(١٠٩) الفقهى : صبح الأعشى ج ١ ص ٩٦ .

(١١٠) المغريزي : الخطط ج ٣ ص ٢٢ .

الى ايام الحاكم ثم استبدل به صالح بن علي الروزياري ثم جاء بعده الكافي ابن  
معدون النصراني ثم صرف وقرر بدله أحمد بن محمد التشوري الكاتب، ثم زوارة بن  
عيسى بن مسطورس الكاتب النصراني الملقب بالشافعي ، وبعده حسين بن  
طاهر الوزان (١١١) .

ويشير ابن زولاق مؤرخ مصر أن مالك بن سميد الفاروقى كان له النظر  
ايضا في المكتبات في عصر الحاكم (١١٢) . وتولى ابن خيران كتابة السجلات  
للظاهر والمستنصر (١١٤) . ويذكر المؤيد في الدين هبة الله الشيرازى في سيرته أنه  
ولى ديوان الانتشاء بمصر سنة ٤٤٣ (١١٤) . وبذهب القرزى الى أن الوزير ابن  
المغربى ولى ديوان الانتشاء بعد أن صرف عن الوزارة . وأن سناء الملك ابا محمد  
الزبيدي الصنى كان على رأس ديوان الانتشاء في عهد الامر (١١٥) .

وهكذا نستطيع أن نعرف عددا آخر من الكتاب الذين (١١٦) ولوا ديوان  
الانتشاء غير الذين ذكرهم القلائدندى، كما نستطيع أن نستخرج أسماء عدد كبير من  
الكتاب الذين كانوا يعملون في ديوان الانتشاء ولكننا لانستطيع أن نعرف مذايعهم  
الفتية في الكتابة لأن آثارهم فقدت ولم يبق لنا الا مسودة رسائل وسجلات لا تكفى  
لأن تكون رايًا صحيحًا عن كل كاتب من هؤلاء الكتاب . ولكن هناك عدة خصائل  
عامة الشترك فيها كل كتاب هذا العصر بحيث نستطيع أن نلمسها عند كل الكتاب  
الذين وصل اليها شيء من كتاباتهم (١١٧) . بل انه يمكننا أن نشير الى  
خصائص النثر عند كتاب المسر الفاطمى . من هذه الخصائص : ان اول خصلة من  
هذه الخصائل هي ان الكتاب جميعا التزموا السجع في كتاباتهم ، ترى هذه الخصلة  
منذ ابتدأت الدولة الفاطمية الى أن توضع صلاح الدين أركانها ، نراها في رسالة  
المسر لعين الله الى القروطنى (١١٨) ، وفي رسالة العزيز ياقه الى عضد الدولة

(١١١) المقرئى : اعطاء الحنبل ج ٣ ص ٢٠٠ وما بعدها .

(١١٢) الكندى : الولاة والعناية ص ٦٠٦ .

(١١٣) ابن خلكان : ونيك الاعيان ج ١ ص ٣٥٨ .

(١١٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٥٧ .

(١١٥) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٧٨ .

(١١٦) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٣١٣ .

(١١٧) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٣١٤ .

(١١٨) المقرئى : اعطاء الحنبل ج ٣ ص ٢١٥ .

اليوهي وهذه الرسالة كانت من انشاء يعقوب بن كلس (١١٩) وفي المجلدات الكثيرة  
المر كنيبت في عهد الحاكم ٤ (١٢٠) وفي رسائل المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ٤  
وفي كنيبت ابن خيران : ونفسه في احراك هذه الخاصة عند الكتساب حتى نراها في  
رسائل ابن الميرفي وابن السخياء ٤ ثم في رسائل اتقاضي الفاضل وخاصة اخرى  
نراها في من هؤلاء الكتاب هي الاقباض من القرآن الكريم فكانوا احيانا يفسنون  
رسائلهم وسجلاتهم بعض الايات من القرآن الكريم او يقتبسون بعض معاني  
القران منلرين بهذا كله تأثرا واضحا في جميع ما خلفوا من كتابات . وخاصة  
ثالثه هي المبالغة في استخدام الزينة والتنظية والمعنوية في كتاباتهم لهم بفرعون في  
المبالغة حين يحاولون تشخيص المعاني ويولمون باستخدام الجناس ٤ ويكفون  
في تركيب جملهم بمراعاة التنظير ٤ فلذا بك نجد كتاباتهم عبارة عن حبل قصيرة في  
انصالب والجملة تتبع الأخرى في ورتها وموسبتها ومعناها ويغفل بك الكتاب من  
معنى الى آخر في رقة وعضوية فلا ينتقل بك انتقالا عجائبا مما يدل على لطفه في  
ومهارته ٤ كما يدل أيضا على ان المنفعة الأدبية كانت تنهوي جميع اكتاب .

على أن هذه الفصل التي عرفت في العصر الفاطمي عرفت أيضا في رسائل ابن  
عبدكان ٤ فلا عراية اذا قلنا ان ابن عبدكان في كتاب مصر كان قويا سفيدا وان منه  
الذي عرف به في العصر الطولوني عند ظهور واتسحا في العصر الفاطمي وان كان  
كتاب الفاطميين قد بالغوا في ذلك كله بمبالغتهم في كل شيء ، في حياتهم . كما أن  
هذه الجلسا نفسها هي التي عرفت بها كتابات اتقاضي الفاضل ، وما اتقاضي الفاضل  
الا أحد تلاميذ كتاب الفاطميين وبهم تفرج ٤ ويذهب بعض المؤرخين الحديثين أن  
للقاضي مدرسة خاصة يتميز بها عن مدرسة الكتساب الفاطميين ويستندون في ذلك  
الى آراء القهاء من المؤرخين (١٢١) .

وخاصية أخرى تتميز بها رسائل كتاب الفاطميين ونجدها ظاهرة في سجلاتهم  
تلك هي المقدمات التي كان يبدأ بها الكتساب رسائلهم وسجلاتهم ، فقد نفعتم  
مدينتهم الدينية ونذهبهم بالذهب الفاطمي الى أن يبدأوا رسائلهم وسجلاتهم  
بالحمد لله : ثم بالصلاة على النبي وعلى الوصي والأئمة من أهل البيت ، ويتبعون

(١١٩) أبو الحسن بن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٤ .

(١٢٠) المقرئ : الخليل ج ٢ ص ٢٢ .

(١٢١) . . محمد كابل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢١٥ .

دائما لن يذكروا ان محمد أحد الأئمة ، فكأنهم كانوا يحاولون اثبات نسبهم في كل رسالة من رسالتهم وكل سجل من سجلاتهم وكأنهم أرادوا يتكرار هذه الناحية تأكيد ما حلول خصومهم نفيه أو كآته رد على مسجلات العباسيين في دحض نسب الفاطميين ، هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح في كل رسائل الفاطميين منذ دخل جوهر مصر الى ان اعترضت الدولة الفاطمية . ولعل هذه الظاهرة هي التي تميز رسائل المكاتب الفاطميين عن غيرهم من مكاتب الأئمة الأخرى التي لم تخضع لحكم الفاطميين ، ويرى الدكتور محمد كامل حسين ان هذه الظاهرة متباعدة في رسائل أتباع مذهب الفاطميين الى اليوم . وكما كانوا يبدؤون كتاباتهم ومسجلاتهم بالحمد لله وللصلاة على النبي والأئمة ، كانوا يختمون هذه الكلمات والمسجلات ، لم يمش عن ذلك كاتب من كتابهم . ولعل هذه الخاصية تظهر في مسجلات الفاطميين اوضح من ظهورها في رسائلهم والسبب في ذلك ان السجلات الفاطمية كانت اثرب الى البلاغات في اى دولة من الدول ، ففي هذه السجلات انى قامت تصدر عن ديوان الاشارة تسجل خطوات الامام الفاطمي (١٢٢) ، فاذا خرج السلطان صدر بذلك سجل من الديوان - واذا خرج الامام الى فتح الخليج صدر تسجيل واذا انصرت الجيوش المصرية صدر السجل ، وهكذا ففي كل هذه السجلات يظهر هذه الخاصية .

وكما نكر التسمو بالمعتقد الفاطمية نفرت الكتابة بهذه العقائد تنجرا يظهر في السجلات التي تصدر في الاعياد والمواسم او في تولية امام او أحد رجال الدولة من وزراء وخصاة ودعاء ففي مثل هذه السجلات كان الختوب يلغون بالعقائد ويؤولون بعض آيات القران الكريم سؤيلا يتفق مع مذهبهم الفاطمي ويذكرون في كتاباتهم راي الفاطميين في كل مناسبة وفي كل عيد . فالمسجلات التي صدرت في عهد المميز كلت بنصيب على ولاية علي بن ابي طالب والأئمة المنصوص عليهم من بعده . وسجل مقيم عاشوراء كان في الحسين بن علي وما لاناه أهل البيت من أموال - وسجل رؤية رمضان في ذكر عهده الفاطميين في حلال رمضان .

وهكذا كانت هذه السجلات حافظلة بالمعتقدات الفاطمية التي لا يمكن ان تصدر عن دولة غير فاطمية المذهب (١٢٣) .

١٢٢) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣١٦ .

١٢٣) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣١٦ .



ولهذا أول قطعة نثرية وصلتنا عن الدولة الفاطمية هي ما كتبه الفلكي جوهري الصقلي فاتح مصر ، وذلك هي الأمان الذي قطعته على نفسه وعلى أمته لشمريين - وإن كان هذا الأمان من السجلات التاريخية فهو صورة من الصور الأدبية التي دبرتها براعة هذا الناقد . فقد كان جوهري كاتباً للهمز قبل أن يولييه زيادة جيوشه بالمضرب (١٢٤) .

وبحثنا المقرئ أن الفلكي جوهري كان كاتباً بليغاً ، ومن مستحسن نوقياته في رقعة رجمت إليه بمصر : \* سوء الاحترام أوقع بكم حلول الانتقام ، وكثر الانعام ، أخرجكم من حظ انعماءه ، فالواجب بكم ترك الإيجاب ، واللازم لكم ملزمة الإحسان ، لأنكم بدأتهم فاستأنتم ، وعندكم فتعتبتم ، فابتدأؤكم بلوم وعودكم بمخوم ، وليس بينهما درجة إلا تقضى الظم لكم والإعراض عنكم ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه ليحكم \* (١٢٥) .

فتوقع جوهري الفلكي على هذا النحو يحدل على أن جوهراً كان على مقدره وكفاية في فن الكتابة كما كان على مقدره وكفاية في فنون الحرب فهذه النجمل المقصورة المسجوعة ، وهذه المعاني المفسنة والمطالعات بين معنى النجمل والأخرى ترى أن فن الكتاب هو نفس الفن الذي ساد العصر الفاطمي . بل تكاد يسود العالم الإسلامي ، نظرية اللغوية في هذه الفنون كانت حلية الكتاب جميعاً (١٢٦) .

وقد وجدت طرائف من الكتاب المماثلين استخدمهم الفاطميون في دواوينهم وعنى الفاطميون بنحو الرسائل خاصة وسموه ديوان الأتشاء (١٢٧) .

### ثالثاً - علوم اللغة والنحو :

كان هناك دراسات عربية في علوم اللغسة والنحو ، ورواية للأدب القديم وشرحه ونقده ، وكانت هذه العلوم تسير جنباً إلى جنب مع غيرها من الدراسات التي أتبل عليها العلماء والمتعلمون في مصر ، وكان هؤلاء العلماء كصية يند إليها طلاب العلم من البلدان الإسلامية الأخرى للاستفادة من علماء مصر والرواية عنهم .

(١٢٤) د . محمد د كاهل حسين : في أدب مصر الفاطمية من ٢١٦ تقلا مسطرة الأستاذ جؤنر (مخلوط) .

(١٢٥) المقرئ : الخليل ج ٢ ص ٢٠٧ .

(١٢٦) د . محمد كاهل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣١٧ .

(١٢٧) الفن وذاعبه في النثر العربي من ٣٥٦ - د . شوقي شيف .

وأم تكن هذه الدراسات العربية جديدة على مصر ، بل أن هذه العلوم وجدت في مصر منذ بدأ المسلمون في مصر يقرؤون القرآن الكريم عن الصحابة والتابعين ويهتمون بأعماله على نحو ما فعله أبو الأسود الدؤلي وعبد الله بن أسحق . حتى إذا دون علم النحو وظهر كتاب سيبويه ونحاة الكوفة والبصرة ، أقبل المحريون على الأخذ عنهم ، والطردها من اللون من الدراسة حتى غمرت مصر وفاضت على غيرها من بلدان المغرب والأندلس .

وقد استقر تيار هذه الدراسات بمصر في العصر الفاطمي والمعصور التي تلتها - وكثر العلماء الذين انتظموا إلى هذا العلم وعرفوا به وقد كان الأهلفاء الفاطميون يشجعون هذه الدراسات ويحبسون المرتبات للعلماء ، بل حرصوا على اقتناء الكتب اللغوية والنحوية وجعلوها مع غيرها من الكتب بين يدي العلماء والمتعلمين .

فلا غرو أن رأينا عددا كبيرا ينفون في هذه العلوم وبمستلهمون كبا كثيرا في هذه الفنون ، ويكفي أن نلقى نظرة على كتب التراجم لتدرك كيف أقبل الناس على هذه الدراسات وكيف تضاعف عدد الكتب التي ألقت فيها .

كذلك فعل مناء النحوي واللغة . فقد قيل أن جنادة المهروي والحافظ عبد الغني ابن سعيد وأبا إسحاق علي بن مسلمان المهري النحوي كانوا يجتمعون في دار العلم بالماهرة (١٢٨) وتقوم بينهم مباحثات وبذكريات (١٢٩) .

ويبلغ من اهتمام الفاطميين بعلوم اللغة والنحو أنهم جعلوا في ديوان الإنشاء لغويين ونحويين يراجعون ما كان يصدر عن الكتاب من رسائل حتى لا يظهر في كتوبات الكتاب لحن في اللغة أو خطأ في النحو .

ومن تبع في اللغة والنحو تبييل المنج الفاطمي في مصر بقليل أبو جعفر أحمد بن محمد الفخاس النحوي ، وأبو إسحاق الزجاج ، وابن الأنباري ونسطويه ومشهورو أدباء العراق فكان من علماء عصره من تبع في التفسير واللغة والنحو والأدب والشعر من كتبه : كتاب أعراب القرآن ، وكتاب المنسخ والمنسوخ ، كتاب

(١٢٨) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية من ٨٩ - ٩٠ .

(١٢٩) السيويني : بغية الوعاة من ٢٦٣ .

المناعة في النحو ، وكتاب الكافي في النحو أيضا ، وكتاب أدب الكاتب ، وكتاب الألفباق ، وتفسير أبيات سيبويه ، وكتاب طبقات الشعراء (١٢٠) .

وعلى الرغم مما أخذ عليه من التشح والخصائل على زملائه من علماء عصره نهلت الناس على درسه وأخذ العلم عليه كثير من الناس وأندوا من علمه ومسعة اطلاعه وقد توفي سنة ٢٢٨ (١٢١) .

وكانت الحركة النحوية واللغوية تسير في ممر يخطى حنيئة وكان من أشهر نحاة المصريين الطولوني والأخشيدى عبداً بنى ولاد وابي جعفر النحاس والدينوري - يموت بن المزرع ، وأحمد بن إسحاق الحميري وعلى بن الحسن الهنالي وأحمد بن محمد بن الوليد وأخوه عبد الله بن محمد بن الوليد وغيرهم (١٢٢) .

وجدير بالذكر أنه في سنة ٢٥٨ هـ استولى الفاطميون على مصر وبنوا بها الجامع الأزهر فكان هذا الجامع العظيم من جهة ، ودار العلم وخزانة الكتب من جهة ثانية ، وقصور الخلاء والوزراء من جهة ثالثة ، بمثابة معاهد جديدة للدراسات الفاطمية الكبيرة ومنها النحو واللغة والدين (١٢٣) . كما كان جامع ابن طولون بمثابة معهد جديد للدراسات الدينية والنحوية إلى جانب المعهد الأول لدراسة هذه العلوم في مصر وهو جامع عمرو . وبهذا الاهتمام بالعلوم العربية وغيرها أصبحت القاهرة المصرية من أعظم المدن الإسلامية بحيث أخذت تتنافس بغداد وقرطبة .

ومما زاد هذا كله ضعف العباسيين وتخاذل الأمويين بالأندلس من ناحية ثانية ، فأخذ العلماء والأنبياء ينحولون من قرطبة وبغداد . ويندون جماعات إلى مصر وهناك التقوا بين كل من العلماء في الأصل وأحدث الجميع نهضة علمية وأدبية كبرى (١٢٤) . وكان من أشهر علماء العصر الفاطمي في النحو واللغة أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي المعروف بالقزاز القسرواني (١٢٥) النحوي وقد علم مصر وعاصر ابن كلس وخدم العزيز بالله وقد وصف أحد العلماء عمل

(١٢٠) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٧ .

(١٢١) ابن خلكان : وقيل الأصبهان ج ١ ص ٨٢ - ٨٣ .

(١٢٢) د . عبد اللطيف حنزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢١٦ .

(١٢٣) د . عبد اللطيف حنزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢١٦ .

(١٢٤) المرجع السابق ص ٢١٧ .

(١٢٥) السيوطي : بحية الوفاة ص ٢٩ .

الغزاز بقوله : « ان التراز فضح المنتمين وفتح السنة المتأخرين » (١٣٦) . وقد كان أبو عبد الله محمد بن جعفر التنبسي القيرواني نفويا نحويا وقصد انتمسك بالعزيز الخليفة العباسي الذي طلب اليه أن يؤلف كتابا « يجبع فيه سائر الحروف التي ذكر التحوين ان الكلام كله اسم وعمل وحرف جاء لبعض وأن يقصد في تاليفه الى الحرف الذي جاء لبعض وأن يجرى ما الفه من ذلك على حروف المعجم » (١٣٧) وقد وقع هذا الكتاب في ألف ورقة ، ومن كتب السيروان كتاب التعريبي (١٣٨) ، وهو لون جديد لم يسبق اليه احد من النحاة . وكان السيروان مهيبا عند الملوك والعلماء وخاصة الناس ، محبوبا عند العامة ، قليل الخوض الا في علم دين أو دنيا . يملك لسانه ملكا شديدا (١٣٩) . وأبى عبد الله الغزاز كتاب الجابع في اللغة وهو من الكتب المختارة المشهورة وتوفي سنة ٦١٢ هـ بالقاهرة .

ومن العلماء الذين شهدهم مصر في العصر الفاطمي : علي بن أحمد المهيني وكان له في النحو والنسب ورواية الأخبار وتفسير الأشعار . وكان من جاء المعز والمعزيز القريبن اليهما ، وكان المهيني قبيل ذلك مقربا الى كافور الاخشيدى ومن صاصر المتنبى في مصر . وكانت بينه وبين المهيني بعض محاورات علمية . يروى بقاوت ان المهيني قال : وقع بيني وبين المتنبى في قول العدواني :  
يا عمرو الا تدع شمتي ومنقمتي اضريك حتى تقول الهامة اسفوتى

وذلك ان المهيني قال : أنهم يغلطون في هذا البيت والحسواب اسفوتى من شفت الراس بالمشفاة وهو المشط . فقلت له : أخطأت في وجوه : أعدتها انه ام يرو كذلك والآخر انه يقال شفت بالهمزة وايشاءنى اظنك لا تعرف الخبر به . وما كانت العرب تقول في الهامة . انها اذا لم يثر بعاجيها لا تزال تقول : اسفوتى لماذا ثاروا به . لكن كانه شرب ذلك الدم (١٤٠) وللمهيني كتاب في الرد على علي كتاب المقدور والمدح لابن ولاد الحصري (١٤١) ، وشيل ان المهيني اخذ مادة

(١٣٦) د . محمد حمدي المنياوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٠ - ١١١ .

(١٣٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٦ .

(١٣٨) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٣٧ .

(١٣٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥١٤ .

(١٤٠) بقاوت الحموى : معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٢٤ .

(١٤١) د . محمد كمال حسين : كتب مصر الإسلامية ص ٦٩ — وما بعدها .

هذا الكتاب عن المقتبى ونسبها الى نفسه ، وروى كثير من المصريين عن المهلبى ، ومن أشهر تلاميذه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيسى وابنه بهزاد وعبد الرحمن بن اسماعيل العروشى نزل مصر وغيرهم وتوفى الملبى سنة ٢٨٥ هـ (١٤٢) .

وممن اشتهر بالتعوى في العصر الفاطمى أبو طاهر النحوى فكان يتولى ديوان النمام في عهد الخليفة الحاكم وقد وجه أبو مظاهر نقلهم هذا الخليفة الى ما كان يسميه المسلمون من محاباه ابن ابراهيم النصرانى الذى اتخذه الحاكم وريرا له مما ادى الى تظلمه . ولكن يظهر ان الخليفة قد تم على تظلمه بدليل قتل ابن طاهر بعد ذلك بقليل (١٤٦) .

وكان أبو الفضل جعفر (قويا نحويا) وقد على الخليفة الحاكم فأعجب به وخلق عايه واقطعه اقطاعاتا ولقبه « عالم العلماء » وجعله يجلس في دار العلم يقوم بشرح اللغة والنحو وكان الحاكم يرجع اليه في كثير من أمور الدولة (١٤٤) .

كما برز في هذا العصر أبو اسامة جنداه بن محمد اللغوى الأزدي الهروى الذى اشتهر في النحو واللغة ولد سنة ٢٧٢ هـ ثم قدم الى مصر فاصبح عظيم الادب شاع انذكر اخذ عنه أبو منصور وروى عن ابن أحمد المسخري (١١٥) وكان الهروى يكثر من حفظ اللغة ونقلها عارفا بوجوهها ومستعملها . لم يكن في زمانه مثله في غنائه . وكان بينه وبين التحالف عهد الغنى بن مسعود المصرى وأبى الحسن على بن سايهان المقرئ النحوى الأنطاكى مؤنسة واتحاد كثير وكانوا يجتمعون في دار العلم ونجدهى بينهم مذكرات ونبالونات في الآداب ولم يسزل ذلك دابهم حتى قتل الحاكم صاحب مصر ابا أسامة جنداه وأبا الحسن المقرئ الأنطاكى المذكورين في يوم واحد وهو في ذى القعدة سنة ٣٩٩ هـ واستقرت بسبب قتلها الحسانط وعهد الغنى المذكور خوفا على نفسيهما من مثل ذلك ، حكاه الأمير المختار المعروف بالمسحجى في تاريخه (١٤٦) . كما كان الهروى مؤلفا بمصر وتوفى بها مسفة ٤٣٢ هـ (١١٥) .

- 
- (١٤٢) السبوتى : بغية الوعاة من ٣٢٨ - انباء الرواة ج ٤ ص ٢٢٤ .  
(١٤٣) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٧ - ١٣٨ .  
(١٤٤) المصدر السابق ص ٤٢٨ - ٣١١ .  
(١٤٥) ياقوت الحموى : معجم الأديباء ج ٧ ص ٢٩ .  
(١٤٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .  
(١٤٧) خير الدين الزركلى : الاعلام ج ٦ ص ١٦١ .

ومن علماء اللغة والنحو في العصر الفاطمي أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيري ولد بمصر سنة ٣٤٥ هـ وثقفي بها سنة ٤٢٢ هـ وذلك في عهد الخليفة الظاهر . والنجيري أخذ عنه أبو الحسين المهلبى وجماعة اللغوي الهروي وكثير من أهل العلم وكان مقامه بمصر ، والنجيري نسبة إلى نجيم ويطلق تجاريم وهو محلة بالبصرة ، ونسب بعضهم نجيم قرية كبيرة على ساحل بحر فارس (١٤٨) وكان من أهل البصرة وقد نشأ في بيت اشتهر بالعلم والادب وكان النجيري من أهل أهل بيته وعن طريقه روى في مصر أكثر الكتب المتبينة في اللغة والشعر وإيام العرب وكان راويه يعت به في تلك الفترة حتى أخذ أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي المصري المتوفى سنة ٤٢٠ هـ اللغة عن أصحاب النجيري (١٤٩) .

ومن علماء هذا العصر أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المصري النحوي وكان من أهل الحوف (١٥٠) . أخذ عنه خلق كثير من الصريين كان عالماً بالعربية وتفسير القرآن وله تفسير جيد ويذكر أنه من قرية يقال لها شبرا المنحلة من أعمال الشرقية . وأنه دخل مصر وقرا على أبي بكر الأدهوي . ولقى جماعة من علماء المغرب وأخذ عنهم وصدر لأئمة العربية . وصنف في النحو مصنفاً كبيراً ومصنفاتاً في أعراب القرآن في عشر مجلدات ، وله سائيف كثيرة يستغل بها الناس (١٥١) كما كان الحوفي من أئمة اللغة والادب في عصره واستغل حيناً بالتدريس في مصر والظاهر (١٥٢) . وقد أخذ عنه العلم كثير من الطلاب ونوفى في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي سنة ٤٢٠ هـ (١٥٣) .

كما يعتبر الحوفي من أئمة تلاميذ الأدهوي وقد فرأ عليه وأخذ منه وأكثر وينسب لاقراء النحو وعنه ، فيه مصنفاً كبيراً استوفى فيه العليل والأصول وصنف أصغر منه استناد بها المصريون . حتى كان علماء بولطيه يتنافسون في تحصيله . وكان

(١٤٨) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ١ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(١٤٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٦ ص ٧٢ - ٧٥ .

(١٥٠) نسبة إلى الحوف . وتكر يلقبونه أنه ولد بشبرا المنحلة من أعمال المنصورة بمصر .

(١٥١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦٦ - ٤٦٢ .

(١٥٢) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٥٢٢ - ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

(١٥٣) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٣٦٦ .

بمصر الذآكر (١٥٤) ، النحوى المصرى تلميذ ابن جنى وكان يتصدر بمصر لآقراء  
المصرية وله تعليقات تحصرة فى النحو وهى اشارة واضحه الى ان كتب ابن خبى عرفت  
على الأمل منذ عصره بمصر (١٥٥) .

وعنآ عالم آخر عات شهرة على هؤلاء جميعا وهو ابن بابشاذ وهو من  
أشهر علماء مصر فى نلك العصر وهو أبو الحسن ظاهر بن أحمد بن أدریس المصرى  
بابشاذ ، الذى عد أهم عصره فى النحو (١٥٦) .

وبلقانا فى عصر المسننصر نحوى كبير هو ابن بابشاذ وقد رحل الى  
بغداد وأخذ عن نعلتها وعلمائها وبذلك اتصل مباشرة بنحو البغدادين وعاد  
الى موطنه فصدر لآقراء بجامع عمرو بن العاص مع اثراته على تحرير الكتب  
المسافرة عن ديوان الانشاء الفاطمى الى الأشراف (١٥٧) . ويقال ان أصله من  
الديلم لكننا نرجح انه مصرى الجنسية يدل على مصريته اسمه وهو بابشاذ ومعناه  
( السرور ) باللغة التبتية (١٥٨) . وقد كان ابن بابشاذ رهلا رحالة يشغل تجارة  
الؤلؤل ثم عهد اليه كما أسلفنا بمراجعة الرسائل النيمانية وتصحيحها من الوجهتين  
اللغوية والنحوية . ثم ختم حياته بما تقدم به حياة الكثير من العلماء فكان فى آخر  
حياته زاهدا متقسطا . مآصرنا عن الدنيا ولقد اشتهر ابن بابشاذ قارنا أكثر منه  
نحويا ، وله كتاب فى القراءات ومن مصنفات ابن بابشاذ المفيدة منها : المقدمة المشهورة  
وشرحها ، وشرح الجمل للزجاجى ، وشرح كتاب الأصول لابن السراج وغير  
نلك ، وجميع فى حال انتطامه شبكة كبيرة فى النحو يقال انها لو بيضت قاربت  
خمس عشرة مجلدة وسماها النجاة بعده الذين وصلت اليهم « تعليق الفرقة »  
وانتقلت هذه التعليقة الى تلميذه ابن عبد الله محمد بن بركات السعدى النحوى  
المصدر نوضحه ثم انتقلت الى ابن برى (١٥٩) النحوى ، وهكذا من بعده الى  
ابن النحس اللغوى المبرز بطل الفيل ، فكان كل واحد من هؤلاء العلماء يهبها

(١٥٤) د . شومى شيفتا : المدارس النحوية ص ٣٣٣ - ٣٣٥ .

(١٥٥) الرجوع المسابق ص ٣٣٦ .

(١٥٦) د . محمد كامل حسين : فى انب مصر الفاطمية ص ٩١ .

(١٥٧) د . شومى شيف : المدارس النحوية ص ٣٣٣ - ٣٣٦ .

(١٥٨) د . عبد الطيف حبرة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(١٥٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٩٩ .

الى اخص ثلاثينه بمعهد اليه بجنبتها . ولقد اجتود جماعة من الطلاب في نسخها  
علم يتكثروا من ذلك (١٦٠) .

حقا لقد انتفع الناس بعلم ابن بابشاذ وبصانيفه وقد عرفت من الدنيا في  
اخرات حياته واستنقل من عمله بديوان الانشاء وانتطع في غرفة بجامع عمرو ،  
فخرج ليلة من الغدوة الى سطح الجامع فزلت قدمه فسقط وامسح بيده في اليوم  
الثالث من رجب سنة ١٩٦ هـ (١٦١) ويروي ابن خلكان ان الخطيب الذبيزي دخل  
مصر في غضون شبابه وقرا عليه بها الشيخ ابو الحسن بن بابشاذ النحو  
وغيره من علوم اللغة ثم عاد الى بغداد (١٦١) .

ومن اشهر ابو محمد عبد الله بن ابن الواحشي بن بيري المقنسي الاصل في  
اللغة والنحو والرواية وكان كما وصفه ابن خلكان « علامة مصر » وحافظ وبنه  
ونابرة دمره ٨ .

وقد اخذ علم اللغة عن ابن بكر محمد بن عبد الملك الشنتريني النحوي  
وابو طالب المعنري القرطبي . واخذ عن تريق من العلماء كلبى موسى الجزدلي  
مستحب المتدعة في النحو . وكان لا يحسن بديوان الانشاء كالمسب الي ذلك من  
الملوك الا بعد ان يمشجه ابن بري ويصلح ما قد يجده فيه من خطأ وتوفي ابن  
بري بمصر سنة ٥٨٢ هـ (١٦٢) . ابا مولده فكان في رجب سنة ٤٩٩ هـ . كان ابن  
بري قبا بالنحو فيما باللمة وشواهدا (١٦٢) . واقر نحاة مصر لأواخر العصر  
الفاطمي . وقد كان ابن بري مصري المولد والنشأ . وتسمى الاصل . وقد لحق  
الدولة الايوبية وامتدت حياته حتى سنة ٥٨٢ هـ وهو تلميذ ابن بركات من  
المصريين (١٦٥) .

قرا كتاب سيبويه على محمد بن عبد الملك الشنتريني ونصحه بالاقراء بجامع

- 
- (١٦٠) د. محمد كامل حسين : في اربع مصر الناطمية ص ٩١ .  
(١٦١) ابو الحسن بن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٠٥ - ابن  
خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٣٥ - بغية الوعاة - السيوطي : ص ٢٧٢ .  
(١٦٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٣٣ .  
(١٦٣) د. حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٧٦ - نقل من  
ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٢ .  
(١٦٤) د. شوقي خليف : المدارس النحوية ص ٣٢٨ .  
(١٦٥) المرجع نفسه .



صبرو بن العاص وكان مع علمه ووزارة فهبه ذا غمالة (١٦٦) .

كان ابن برى شديد العناية بالنحو واللغة والنسواهد حتى لقب « بلسي النحاة » (١٦٧) ، وكانت عنايته موجهة الى اللغة وتصحيح اغلامم اللغويين . فوضع حاشيتين على الصحاح للجوهري ؛ استدرك فيها كثيرا مما غات الجوهري من صحيح اللغة ومبوب كثيرا مما وقع فيه من الأوهام والأغلاط وكانت هنان الحاشيتان أحد المنافع السنية التي اعتمد عليها ابن منظور في تأليف معجمه المعروف « بلسان العرب » (١٦٨) .

وكانت في مصر أيضا حركة في النحو من اشهر رجالها أبو بكر الأدهوى تلميذ ابن جعفر النحاس وقد برع في علوم القرآن والنحو له كتاب « علوم القرآن » في مائة وعشرين مجلدا مات سنة ٢٨٨ هـ (١١٩) .

وأبو بكر الأدهوى هو محمد بن علي بن أحمد الامام أبو بكر الأدهوى المصري الملقب النحوى المنصر ، صاحب ايا جعفر النحاس ولازمه وسمع الحديث من سعيد بن السنن وغيره . وكان سيد اهل « مصر » بمصر أخذ منه جماعة . قال الذهبي : « منه نسخة بمصر ملكها القاضي الفاضل عبد الرحيم » (١٧٠) .

كما برز من الاسماء اللامعة في النحو أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال ابن عبد الواحد السعدى المصري النحوى شيخ مصر في عصره في اللغة عاش مائة سنة وثلاثة اشهر له من المصنفات « الايجاز في الناسخ والمنسوخ » الفه للأفضل بن أمير الجيوش وكتاب « خطط مصر » (١٧١) . وكتابه الاجاز في معرفة ما في القرآن من ناسخ ومنسوخ الذي كلفه للأفضل كان موسوعة في علوم الالفة ، وله تصانيف في النحو حتى قيل انه بحر العلوم (١٧٢) .

وأحد فضلاء المصريين وأعيانهم المبرزين أخذ النحو والادب عن ابن الحصن

- 
- (١٦٦) ياقوت النحوى : معجم الأدياء ج ١٢ ص ٥٦ .
  - (١٦٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩٤ .
  - (١٦٨) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢١٨ .
  - (١٦٩) د. أحمد أمين : ظهور الإسلام ج ١ ص ٢٠٥ .
  - (١٧٠) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ١٩١ .
  - (١٧١) خير الدين الزركلي : الاعلام ج ٦ ص ٢٧٦ .
  - (١٧٢) د. محمد حمدي المتياوى : الوزارة والوزراء في العصر المملوكى ص ١١٥ .

ابن بابشاذ فانتنه وله أيضا معرفة حسنة بالأخبار والأسماء ، وكان يقول  
الشعر فيجيد ولد أبو عبد الله بن بركات سنة ٤٢٠ هـ ومات في ربيع الآخر  
سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦) .

ومن لهم اثر بن علماء النحو واللغة محمد بن أحمد بن محمد أبو سعد  
العميدى أديب نحوي نفوس مصنف . سكن مصر قال أبو اسحاق الحبال :  
أبو سعد العميدى له أدبيات مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة  
سنة ٤٢٢ هـ وكان العميدى يتولى ديوان انثريب وعزل منه كما ذكر اليرونياري  
في أيام الظاهر ووليه ابن معشر ثم تولى ديوان الانتشاء في مصر أيام المستنصر  
استخدم عوضا من ولى الدولة ابن خيران الكاتب في سنة ٤٢٢ هـ وللعيميدى عدة  
تصانيف في الأدب منها : كتاب تنقيح البلاغة في عشر مجلدات ، وكتاب الارشاد  
الى حل المنظوم ، والهداية الى نظم المنثور ، وكتاب انزاعات القرآن ، وكتاب  
العروض ، وكتاب التوازي ، كبير . قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسنين  
محمد بن محمود بن النذليل الصواف بمصر قال أنشدنا أبو سعد محمد بن أحمد  
العميدى لنفسه :

إذا ما ضلقت صدرى لم أجد لى      مقرر عبادة الا المتبرئة  
لئن لم يرجم المولى اجنهلى      وقلة ناصرى لم ألق رايه (١١٤٤)

كما برع في النحو سعيد بن سعيد الفاروقى النحوى الذى أخذ عن الربيع  
ابن خلوويه وكان بارعا في العربية أديبا ماضلا له تصانيف منها : كتاب تقصيات  
لموامل وعلتها ، وكتاب تفسير المسائل المتشككة في أول القنضب للمبرد وغير  
ذلك . مات مقتولا بالتأهارة عند بستان الخندق يوم الجمعة لسبع بقين من  
جمادى الأولى سنة ٣٩١ هـ .

ومن شعره :

من أنسنه البلاد لم يرم (١١٥٥)      منها ومن أوحشته لم ينم  
ومن بيت بالهموم فأنحسبة      في صدره بالزناد لم ينم (١١٤١)

(١١٢٢) د. محمد جدوى المتباوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى ص ١١٥ .  
(الحاشية) .

(١١٧٤) ياقوت الحموى : معجم الأديباء ج ١٧ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(١١٧٥) لم يفارق .

(١١٧٦) ياقوت الحموى : معجم الأديباء ج ١١ ص ٢١٧ .

ومن تبع في العصر الفاطمي في اللغة والأدب والنحو : علي بن نصر بن سليمان الزبيدي اللخوي أبو الحسن أحد الأدياء كان مقامه بمصر ولعله من أهلها ، تولى عليه كتاب الهمز لابن زيد الأنصاري بجامعة مصر في سنة ٢٨٢ هـ (١٧٧١) ومن مصنفاته وجدت كتب أدبية ولغوية ونحوية .

وكان مظفر بن إبراهيم العبلاتي بن أحمد بن فاضل بن عبد الرزاق صدق نبغ في النحو في العصر الفاطمي كان نحويًا عروضيًا أديبًا شاعرًا مجيدًا صنته في العروض ودل على حفته فيه ، وله ديوان شعر ، ولد لحسن بن جباري الأخره سنة ٤٤٢ هـ ومن شعره الذي وصل إلينا قوله :

تبلله فتلطم ورد وجنقه      ونجاح من عازمة العنبر الميق  
وجال بينهما ماء ومن محب      لا ينطق ذا ولا ذا منه بخسرق (١٧٨)

ومن أشهر بالاسكندرية من علماء الفقه : ابن عبد الجبار بن علي بن عبد الجبار بن سلامة بن غيدون ( ولد سنة ٤٢٨ هـ وتوفي سنة ٥١٦ هـ ) وكان إلمًا في اللغة حافظًا لها . حتى أنه لو قيل لم يكن في زمانه ألفي منه . لما استبعد . وكانت له قدرة على نظم الشعر .

قال الحافظ السلفي : « تكافئ له قدرة على نظم الشعر وله إلى حدائق وقد أجزته منها » ومن جملة شعره قصيدة في المرء على المرء البغدادي فيها أحد عشر ألف بيت على ثمانية وأحد عشر نواة أبيية (١٧٩) .

ومن علماء اللغة والنحو في نولف المرابطم إبراهيم بن محمد بن أحمد الهاشمي ، وهو كوفي رحل إلى الشام ومصر ثم عاد إلى وطنه وبه توفي في شوال سنة ٤٦٦ هـ وكان له حظ من الشعر وتفوق في النحو واللغة وهو صاحب التسيمة التي أنشدها وهو في مصر ومنها :

فان تسمليني كيف أنت فانتني      تنكرت دهري والمعاهد والقرى  
وأصبحت في بحر كما لا يسرفني      بعيدا عن الأوطان متفرحا غريبا  
وإني فيها كالبرء القيس مرة      وصاحبه لما بكى وداى الدربا

(١٧٧) خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٦ ص ١٦١ .

(١٧٨) يتكوت الحموي : معجم الأدياء ج ١٩ ص ١٤٨ .

(١٧٩) د. محمد زغلول سلام : الأديب في العصر الأيوبي ص ١٦١ .

( م ١٩ - الحياة الفكرية في مصر )

فان أتج من بابي زويلة تشوية الى الله الا بسى خنى لها نريا  
ومن الطريف ان هذا العالم الشاعر حفنفا بأنه قال هذه الإبيات وكان  
حصل له من المستنصر بالله خمسة آلاف دينار بصرية (١٨٠) . ومع ذلك فانه كان  
وشعر بشدة الغربة عن بلاده .

وبجانب هؤلاء العلماء المصريين او الذين استوطنوا مصر من البلاد الأخرى  
ترى عددا كثيرا من العلماء الذين يرحلون الى الاقطار العربية في طلب العلم او  
الكسب به ، وقدوا على مصر وانماوا بها ربحا من الزمان ثم تركوها الى بلادهم او  
الى غيرها من البلدان ولكنهم تركوا في مصر تلاميذ أخذوا عنهم علومهم كما  
استنبادوا هم من علماء مصر ، فنكر من هؤلاء العلماء بحد بن عبد الله بن محمد  
ابن ظفر المكي ولد بكة وقدم بمصر في صباه ورحل عنها الى اريقبة واقام بالمهدية  
مدة طويلة وانتقل بعدها الى مسقطية ومنها الى مصر ثم ردد على حاب وشاهد  
هناك الفتنة الكبرى بين الشيعة والسنة . وفي هذه الفتنة نهبت كتبه فقصدا  
حياة واقام بها الى ان مات سنة ٥٦٥ هـ فكان لغويا اكثر منه نحويا وله من  
الكتب « ينبوع الحياة في التفسير » والتفسير الكبير ، والامتياز النحوي ،  
والاستنباط المعنوي ، والقواعد والبيان في النحو ، والرد على الحريري في ذرة  
الخواص ، والمطول في شرح المقامات وغيرها من الكتب \* (١٨١) .

وهناك أيضا محمد بن ابي الفرج الكمانى السقلى المعروف بالذكى النحوي .  
كان من صغلية فطنت العالم الإسلامى حتى وصل الى الهند ، وكان من أئمة  
النحو وتوفى بامسبهان سنة ٥١٦ هـ (١٨٢) .

وكذلك محمد بن يحيى بن مزاحم أبو بكر الخزرجى تلميذ القاضي الضملى  
وراويته وكان نابها في علوم العربية رحل الى مصر حيث أقام بها ربحا من الزمن  
ثم عاد الى مدينة بطليوس يحدث فيها بما رواه عن المصريين وتوفى سنة  
٥٠١ هـ (١٨٢) .

- 
- (١٨٠) السيوطى : بغية الوعاة ص ١٨٨ .
  - (١٨١) السيوطى : بغية الوعاة ص ٩٥ .
  - (١٨٢) المرجع السابق ص ٩٠ .
  - (١٨٣) المرجع السابق ص ١١٥ .

ويقال ان أصله من لسبونة كما انه كتب الناهج للقراءات بأشهر الروايات .

ونذكر من هؤلاء العلماء الرحالة عبد الله بن ابي سعيد الأندلسي النحوي الذي كانت له حطة في جامع عمرو للقاء وتوفي سنة ٥٢٠ هـ (١١٤٤) .

وعبد الجبار بن محمد بن علي المعافري النحوي الذي قدم مصر ، وأقرأ بها العربية ورحل الى بغداد حيث التقى بها علومه ، وهو شيخ ابن بري المصري (١٤٥) . ونهم الحسن بن الوليد القرطبي المعروف بابن المعريف النحوي ، فقد خرج الى مصر ودارس فيها رمان سنة ٣٦٧ هـ (١٨٩) .

كذلك تذكر نصر بن سعد بن القاسم النحوي قدم مصر واخذ عن علمائها ثم توجه الى بصرى النعمان ولازم ابا العلاء المعري واخذ عنه ديوان مسقط الزند وكتب منه نسخة جيدة لنفسه وعاد الى مصر فقدمها للحاكم بامر الله الناطم . وقراه عليه فاعجبه فظم المعري حتى قيل ان الحاكم أرسل الى عز الدولة الوالي يطلب ان يجهل المعري الى مصر فاعتذر المعري (١٤٧) . وظهر ايضا في النصوص والقراءات : القاسم بن نيرة ابي القاسم ابي محمد الرعيضي ثم القاسم بن المعري . كان فاضلا في النحو والقراءة وعلم التفسير .

ومن شمره :

يلومونتي اذا ما وجدت ملائبا      ومالي مليح حين سميت الأكاربا  
وقالوا لعلم للمعلوم زفاتها      مسحر فداق نسيخف التعزاليا (١٤٨)

ومن لهم اثر يذكر من علماء النحو واللغة علي بن جلال بن جعفر بن علي السعدي المعروف (ابن القطاع) تصدق سنة ٤٢٢ هـ - ٥١٥ هـ - ١٤٠١ م - ١١٢١ م . ولد بجزيرة سكبلى سنة ٤٢٣ هـ ثم وفد الى مصر حوالي سنة ٥٠٠ هـ واتخذها مقرا له (١٤٩) . لم يكن مصريا ولكنه من صنفية ، فيها شب وقرا على

- 
- ١٤٤) المرجع السابق ص ٢٨٢ .
  - ١٤٥) السيوطي : بقية الوعاة ص ٤٩٠ .
  - ١٤٦) المرجع السابق ص ٢٣٠ .
  - ١٤٧) المرجع السابق ص ٤٠٢ .
  - ١٤٨) ياقوت النحوي : معجم الأدياء ج ١٦ ص ٢٩٣ .
  - ١٤٩) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٨ .

علمائها كإبي بكر الصقلي اللقبسوي وأمثاله (١٩٠) . علم بالأدب واللغة  
من أبناء الأغالبة السعديين أصحاب المغرب لنقل إلى مصر لما احتلها الفرنج  
فإنهم بها يعلم ولد الأفضل الجمال وتوفى بالقاهرة (١٩١) واشتهر بالتحجر في  
اللغة وكان من أئمة الأدب في عصره (١٩٢) .

وحينما وفد ابن القطاع إلى مصر لقيه المصريون بالضيافة وبالغوا في إكرامه  
وخصه الوزير الأفضل بالرعاية لأنه كان مؤيدا لولده في علوم العربية وفنون الأدب .  
وقد روى ابن القطاع عن أبي بكر الصقلي كتاب الصحاح لأبو عمرو ومن طريق  
ابن القطاع اشتهرت رواية هذا الكتاب في الأماق وله حواشي على كتاب الصحاح  
اعتد عليها محمد بن بزي النحوي المصري فيها تكلم عليه من حواشي الصحاح .  
ولابن القطاع عدة تصانيف أخرى منها كتاب : « الدرر الخادرة في شمسهماء  
الجزيرة » أي جزيرة صقلية : اشتمل على مئة وسبعين شاهداً وعشرين ألف  
بيت شعر ، وكتاب الأسماء في اللغة . جمع فيه أبنية الأسماء كلها وكتابه  
الأفعال هذب فيه أفعال ابن التوطية وأفعال ابن ماريش وغيرهما في ثلاث مجلدات ،  
وله تاريخ صقلية وتوفى سنة ٥١٥ هـ ودفن بقرب شريعة المشاهير (١٩٣) .

ولابن القطاع أشعار ليست على قدر علمه ، من أجودها قوله :

ايك ان تدنو من روضة	هوجنتيه نبت السوردا
وأخذ على نفسك من قريها	فان فيها أسودا وودا
الا ان تلبى قد تضعضع للجسر	وقلبى من طول الصدود على الجبر (١٩٤)
تصارت الأجسان منذ حوشى	فما تنقى الا على فمعة تجرى

وقد اشتمر ابن القطاع بالانفة والأدب وله كتاب « لبح الملح » جمع فيه كثيرا من  
الشعار الأندلس (١٩٥) .

(١٩٠) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر القاطمية ص ٩٢ .

(١٩١) خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٧٦ .

(١٩٢) د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ ص ١٧٦ - معجم  
الأدباء : ياقوت الحموي ج ٢ .

(١٩٣) ياقوت الحموي : معجم الأبناء ج ٢ ص ٢٧٩ - ابن خلكان : وفيات

الاعيان ج ٢ ص ٣٣٩ - السيوطي : بغية الوعاة ص ٢٣١ .

(١٩٤) ياقوت الحموي : معجم الأبناء ج ١٢ ص ٢٨٢ .

(١٩٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١١ - ١٢ .

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن جميع النحاة واللغويين الذين نبغوا في مصر في العصر الفاطمي أمثال محمد بن أحمد البازدري ، ومحمد بن أحمد الجرجاني ومحمد بن الحسين بن عمير اليماني صاحب أخبار الأنحويين ومضاهاة أمثال كلية ودمية وهو أسفاذ القاضي اتقاضي ، وأمال محمد بن حميد بن خيرة الذي اليه كانت رئاسة المؤذنين بجامع عمرو ، وأحمد بن مطرف المتوفى سنة ٤١٢ هـ الذي ولي قضاء مهيابة وله تصانيف ادبية ولغوية كما كان تساعرا له ديوان تسعر ، وهو الذي أجاز لأبي عبد الله الصوري الحفاظ (١٩٦) .

اذن نستطيع ان نلخص هذا النشاط في درس علوم اللغة بمصر في هذا العصر وكيف كثر عدد الطلبة وكثر إنتاجهم كما تعددت أماكن هذا الدرس ، ففي الجامع الأزهر ، كانت تقام حلقات الدرس ، وفي دار العلم كان يجتمع العلماء والطلاب ، وفي جامع عمرو بالفسطاط أسفرت حلقات التدريس (١٩٧) .

ولم تكن القاهرة والفسطاط مراكز الدرس في مصر فحسب بل كانت الاسكندرية أيضا تزخر بالعلماء والطلاب ، وقد نقلت كتب التراجم عن الحفاظ السنفي تراجم عدد كبير من العلماء والمنعولين الذين تسببهم الاسكندرية في هذا العصر والعلماء الذين وفدوا على الاسكندرية ، كما يحدثنا السيوطي ان محمد بن أحمد بن الأرقط الحسيني النخري قرأ على الأماشي الأسدي بلسوان الأدب وظلت أسوان باخذ عنه علوم القرآن الكريم والأدب وانتقل الي قوص وتوفي سنة ٥٤١ هـ (١٩٨) . وكانت قوص من مراكز العلم في مصر .

ومعنى هذا كله انه كان بمصر مراكز كثيرة للعلم والثقافة بجانب الفسطاط والقاهرة (١٩٩) . كما كان لجميع الفاطميين لعلماء اللغة والنحو والقراءات بجانب تشجيعهم لغيرهم من علماء الفلك والطب والفلسفة .

فلا نعجب اذا كانت الدرحة الفكرية قد ازدهرت في هذا العصر ازدهارا شديدا (٢٠٠) .

- 
- (١٩٦) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٩٢ - ٩٣ .  
(١٩٧) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٩٤ .  
(١٩٨) السيوطي : بغية الوعاة ص ٤٠ .  
(٩٩) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٩٥ .  
(٢٠٠) د . حسن أحمد محمود وآخرون : مصر في العصور الوسطى والحديثة ص ٧٥ .

#### رابعاً - القراءات وعلوم القرآن :

من المعروف أن العلوم العربية الإسلامية إنما نشأت بسبب القرآن الكريم وما يدور حول دراسة القرآن من ضبط حروفه ، وتفسير تعريبه و معرفة أسرار إعجازه وتعلم معانيه ، فعلم النحو وعلوم اللغة لم تنشأ إلا بسبب القرآن ، فلا غرو أن رأينا هذه العلوم التي كانت تدور حول دراسة القرآن موضع اهتمام المسلمين في جميع الأنظار الإسلامية ومنها مصر . فقد عرفت مصر هذه العلوم منذ دخلها المسلمون واستمرت هذه الدراسات تنمو وتزدهر حتى جاء الفاطميون ، فكولتوا عنايةهم ورعايتهم فني كل الحفلات التي كان يقيمها الفاطميون كان القراء في مقدمة الحاضرين يقرأون بين يدي الإمام ، وكان كل مغرم يحاول أن يقابل الترمي من الإمام ليفوز بأكبر لاسط من العطاء وكذلك كانت تختتم الحفلات بقراءة ما ينسب من القرآن الكريم ، فكان هناك قراء الحضرة الإمامية وهم أشبه شيء بموظفين رسميين في الدولة ولهم جزيهم الشهري سوى الهبات والذخوع وكان عسدد العلماء الذين اهتموا بهذه الدراسات كبراً جداً ، كما كثرت كتبهم التي وضعوها في علوم القرآن الكريم (٢٠١) .

وظل القرآن منبع كثير من العلوم التي اشتغل بها المسلمون في هذا العصر فاستعان به علماء النحو على استنباط قواعد اللغة العربية كما اعتمد الفقهاء في أحكامهم الفقهية على القرآن وكتبوا كتباً كثيرة أسموها « أحكام القرآن » واستعملت الفرق الإسلامية بكتاب الله واتخذوه أساساً للتدليل على صحة مذهبوا إليه (٢٠٢) .

أما علم القراءات ، فهو يبحث في صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة . وهو يهتم على العلوم العربية التي تعين على تحصيل هذه المنكحة ، ولغائدة ذلك صورون كلام تعالى من الإنشيد والتحرير ، وقد يبحث أيضا في الاختلافات غير المتواترة مما وصل الى حد الشهرة (٢٠٢) .

وقد بقى أهل مصر وبلاد المغرب لا يعرفون غير ورش - وأبو يعقوب الأزرق الذي توفي بمصر في حدود سنة ٢٤٠ هـ .

- (٢٠١) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٩٥ .  
 (٢٠٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٣٧ .  
 (٢٠٣) د . عبد اللطيف حجازة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢٣١ .



لكننا نجد في القرن الرابع الهجري من اشتهر بالقراءات من القراءات منهم أبو بكر ابن عبد الله بن مالك النجيبى المصرى شيوخ القراء في زمانه وهو ظبيذ أبى يعقوب الأزرق (٢٠٤) ، وعمر طويلاً ، مات في جمادى الآخرة سنة ٢٥٧ هـ (٢٠٥) .

ومن اشتهر بالقراءة ايضاً في هذا القرن محمد بن على بن أحمد الإمام أبو بكر الأندلسى المصرى المتصرى النحوى ، قرأ برواية ورش على أبى غنم المظفر بن أحمد ولزم أبى جعفر التحلى النحوى وحصل عنه كنية ورع في علوم القرآن وكان مسيد أهل عصره بهصر قال الدانى : « اتسرد أبو بكر بالإنملة في وقته في قراءة نافع مع سمعة عليه وبراعة فيه وصلى لهجته وتكته من علم العربية وبصره بالمعنى » . له كتاب التفسير في مائة وعشرين مجلداً وسماه كتاب الاستفتاء في علوم القرآن ومات سنة ٢٨٨ هـ (٢٠٦) .

ومن العلماء الذين يبرزوا في القراءات أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد الحوقى فقد كان عالماً بالعربية وتفسير القرآن أخذ عن أبى جعفر التحلى وأبى بكر الأندلسى ولقى جماعة من علماء المغرب وأخذ عنهم وتصدر للأئمة في العربية واءراب القرآن وتفسيره وأخذ عنه خلق كثير ، وله تفسير اسمه البرهان في تفسير القرآن في ثلاثين مجلداً . وله في اعراب القرآن كتاب علوم القرآن في عشر مجلدات ، وصنف في النحو كتاب الموضح في النحو - وهو اسناد جليل لاسماعيل بن خلف الصغلى المتصرى صاحب كتاب اعراب القراءات في تسع مجلدات ونوفى الحوقى سنة ٢٢٠ هـ (٢٠٧) .

وتذكر كذلك عبد العزيز بن على بن محمد بن اسحق أبى عدى المصرى المعروف بابن الإمام بسند القراء في زمانه قرأ على أبى بكر بن عبد الله بن مالك وقرأ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين امثال طاهر بن غليون ومكى بن أبى طلب وابن نليس وغيرهم ونوفى سنة ٢٨٦ هـ (٢٠٨) .

ومن العلماء كذلك عبد الجبار بن أحمد الطرطوسى أبو القاسم - كان شيخ القراء بمصر في زمانه . قرأ على أبى عدى عبد العزيز وأبى أحمد السامرى .

(٢٠٤) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة التكرية في مصر ص ٢٢٢ .

(٢٠٥) السبوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٨٧ .

(٢٠٦) السبوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٤٩٠ .

(٢٠٧) د . محمد كامل حسين : في أمم مصر الفاطمية ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢٠٨) السبوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٨٠ .

ومن أسانذة أبي الطاهر بن خلف العسقلاني وله كتاب المجتبي في القراءات وتوفي سنة ٤٢٠ هـ (٢٠٦) .

وكذلك تذكر فارس بن أحمد بن موسى بن عمران أبا الفتح الحمصي المقرئ والمضرب ، أحد الخدائق بهذا الشأن ، ومؤلف كتاب المشاف في القراءات ، وهو المذكور في باب التكبير في المشاطبية مات سنة ٤٠١ هـ (٢٠١) .

ثم في القرن الخامس الهجري اشتهر من القراء رجل يقال له اسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران أبو الطاهر الأنباري الأنطلسي ثم المصري مصنف العنوان في القراءات ، أخذ عن عبد الجبار الطرمسوسي وتصدر للقراء زمانا ولشعابه العربية ، وكان رأسا في ذلك ، اختصر كتاب الحجة لأبي علي النيسابوري مات سنة ٤٥٥ هـ (٢١١) .

كما نبغ في العصر القاطم من القراء عبد الرحمن بن أبي بكر بن عتيق بن خلف العلامة الإسكندر أبو انفاسم بن القحطام الصملائي صاحب كتاب « التجويد في القراءات » والتي انتهت ريلسة الإقراء بالإنكليزية علوا ومعرفة . قال سسليمان ابن عبد العزيز الأنطلسي : ما رأيت أحد اعلم بالقراءات منه لا بالشرق ولا بالمغرب . قرأ العربية على ابن بلبشماذ ، وشرح بتدقيقه ، ولد سنة ٤٢٢ هـ ومات سنة ٥١٦ هـ روى عنه السطلي (٢١٢) .

وكان بارزا في مجال القراءات أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الحطيثة الأحمسي الفلبي . كان رأسا في القراءات السميح ومن مشاهير الصلحاء وعينهم ولد بفاس سنة ٤٧٨ هـ وانتقل إلى الديار المصرية فقرأ على ابن القحطام وقرأ الفقه والعربية . وسكن مصر ، وتصدر بها للقراء . وكان صالحا صابدا . كبير القدر ، قرأ عليه شجاع بن محمد بن محمد بن روي عنه السطلي ومات سنة ٥٦٠ هـ ودفن بالقرافة (٢١٢) .

(٢٠٦) المرجع السابق ج ١ ص ٢٨١ .

(٢١٠) السيوطي : حسن الحاضرة ج ١ ص ٢٨٢ .

(٢١١) السيوطي : حسن الحاضرة ج ١ ص ٢٠٦ - د . عبد اللطيف هيزة :

الحركة الفكرية في مصر ص ٢٣٢ .

(٢١٢) ابن الجزري : طبقات القراء ج ١ ص ٢٧٤ .

(٢١٢) السيوطي : حسن الحاضرة ج ١ ص ٤٥٢ .

ومن علماء القراءات بصير موسى بن الحسين بن اسماعيل الشريف أبو  
اسماعيل الحسيني المعروف بالمدل ١ ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ١ عالم بالقراءات مصري  
له كتاب «رونحة الحفاظ في القراءات» ٢ (٢١٤) .

ومن اعلام القراء محمد بن الحسين بن علي بن طاهر الانطساكي نزيل مصر  
أخذ عن ابراهيم بن عبد الرزاق . وأخذ عنه عبد المنعم بن غلبون وقارس الضرير  
خرج من مصر الى الشام فبليت في الطريق قبل سنة ٣٨٠ هـ (٢١٥) .

وعبد العزيز بن علي بن اسحاق بن الفرج أبو عدي المصري يعرف بلقب  
الامام بسند القراء في زمانه يمسر قرا عليه آية كطاهر بن غلبون ومكي بن ابي  
طالب وأبي عمر الطائفي وجماعة آخرهم موتا أبو العباس أحمد بن نجيب مات  
سنة ٣٨٠ هـ (٢١٦) .

كما كان عمر بن محمد بن عراك أبو حفص الحنرمي المصري ، قرا على  
حمدان بن عمن وعبد الحميد بن مسكين . وكان مديحرا في قراءة ورش مات  
سنة ٣٨٨ هـ (٢١٧) .

وكان عبد المنعم بن هبيل بن غلبون بن المسرك أبو الطيب الحلبي القريء  
المحقق ، مؤلف كتاب الإرشاد في القراءات . قال الذهبي : عداه في المصريين  
سكنها مدة ، قرا على ابراهيم بن عبد الرزاق . قرا عليه ولده مكي بن ابي طالب  
وأبو مسر الطائفي وكان جانبا للقراءة خابطا ، ذا منق وذك وفضل  
وحسن تصنيف ولد سنة ٣٥٩ هـ (٢١٨) . كما كان أبو الحسن طاهر أحمد الحذافي  
المحقق وصنف التذكرة في القراءات وبرع في الفن . وكان من كبار المقرئين في  
عصره بالديار المصرية قرا عليه الداني . وقال : لم تر في وقته مثله . مات يمسر  
في سن الكهولة سنة ٤٩٩ هـ (٢١٩) . وتجد أيضا عبد الباقي بن الحسن بن

- 
- (٢١٤) خير الدين الزركلي : الإسلام ج ٨ ص ٢٧٠ .  
(٢١٥) السيوطي : حسن الحاضرة ج ١ ص ٤٨٩ — نقل عن طبقات القراء  
لابن الجزري ج ٢ ص ١١٧ .  
(٢١٦) ابن الجزري : طبقات القراء ج ١ ص ٢٩٤ .  
(٢١٧) ابن الجزري : طبقات القراء ج ٢ ص ٥٩٧ .  
(٢١٨) ابن الجزري : طبقات القراء ج ١ ص ٤٧٠ .  
(٢١٩) ابن الجزري : طبقات القراء ج ١ ص ٣٣٩ .

أحمد بن السقا أبو الحسن الخراساني أحد الحفاظ . قرأ على نظيف بن عبد الله الحلبي وقرأ عليه فارس بن أحمد وجماعة . وكان أستاذاً في القراءات بلخا بالمدينة . يقرأ بالمعاني خيراً ، مأهوناً ، قدم مصر فمات له بها شهرة عظيمة وكان لا نظفه هناك ، إذ كان يبتعد ومات بالإسكندرية سنة ٢٨٨ هـ (١٢٠) .

وخلق بن إبراهيم بن محمد بن جعفر بن خاتم أبو القاسم المصري : أحمد الحفاظ في قراءة ورش قرأ على أحمد بن أسامة النجيبى قرأ عليه الدائى . وقال : كان مثله هو وبالفضل والنسك واسع الرواية مات بمصر سنة ٤٠٢ هـ (٢٢٩) .

وقسيم بن أحمد بن مطير أبو القاسم الظهراوي المصري من سلكى قرية أبي اليسى ، قرأ على جده لأمه محمد بن عبد الرحمن الظهراوي صاحب أبي بكر بن سيبه ، وكان صاحباً لرواية ورش يقصر فيها ، وتؤخذ عنه ، خيراً فائداً مات سنة ٣٩٩ هـ (٤٢٢) .

واسماعيل بن عمرو بن اسماعيل بن راشد الحداد أبو محمد المصري القريء الصالح قرأ على أبي عدي عبد العزيز بن الأملم وعزوان بن القاسم قرأ عليه أبو القاسم الحلبي والمصريون ، وحدث عنه أبو الحسن الخليلي مات سنة ٢٢٩ هـ (٢٢٢) . وإبراهيم بن ثابت بن أخطل أبو اسحق الأندلسي ، نزل مصر قرأ على أبي الحسن طاهر بن غالب وعبد الجبار الطرطوسي وأقرأ الناس بمصر ومات سنة ٤٢٢ هـ . وقد شاح (٢٢٤) .

واسماعيل بن محمود بن أحمد أبو القاسم الحلبي خطيب جامع المحلة من نيل مصر ، تصدر للقراء وكان ظاهراً الصلاح مات سنة ٢٢٢ هـ (٢٢٥) . والحسن ابن محمد بن إبراهيم أبو علي البغدادي القريء الملقب : وصنف كتاب الروضة في القراءات ، قرأ على أبي أحمد الفرضي وأبي الحسن ابن الحماس وسكن مصر ومدار

- 
- ١ (٢٢٠) ابن الجزري : طبقات القراء ج ١ ص ٣٥٦ .
  - ٢ (٢٢١) ابن الجزري : طبقات القراء ج ٢ ص ٢٧٦ .
  - ٣ (٢٢٢) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٢ .
  - ٤ (٢٢٣) ابن الجزري : طبقات الشعراء ج ١ ص ١٦٧ .
  - ٥ (٢٢٤) ابن الجزري : طبقات الشعراء ج ١ ص ١٠ .
  - ٦ (٢٢٥) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٠ .

شيخ القراء بها قرأ عليه أبو الفاسم الهذلي وابن شريح صاحب الكافي مات سنة ٢٣٨ هـ (٢٢٦) . وأحمد بن علي بن هاشم ، وتاج الأئمة أبو العباس المصري تقرأ على عمرو بن عراك وأبي عدي عبد العزيز الإمام وأبي الطيب بن غليون ، وأقرأ الناس دجراً طويلاً بمصر مات سنة ٢٥٠ هـ (٢٣٧) . ونصر بن عبد العزيز بن أحمد بن نوح الفارسي الشيرازي أبو الحسن مقرأ النجار المصرية ومسندها ، وقراء عليه ابن الفحام مات سنة ٢٦١ هـ (٢٤٨) . ويحيى بن علي بن القرظ الأستاذ أبو الحسن المعروف بابن الخشاب مقرأ النجار المصرية في وقته ، تقرأ على ابن نفيس وإسماعيل بن خلف وعائيه ناصر بن الحسين وجماعة مات سنة ٥٠٤ هـ (٢٩٤) .

والحسن بن خلف بن عبد الله بن بليدة الأستاذ أبو الحسن الشيرازي تزيل الإسكندرية . ومصنف كتاب تلخيص العبارات في القراءات وإد مئة ٢٢٧ هـ وعنى بالقراءات وتقدم فيها وتمسك بالانتراء مدة . مات بالإسكندرية سنة ٥١١ هـ (٢٢٠) . وعبد الكريم بن الحسن بن المصن بن سوار الأستاذ أبو علي المصري الفكني المقرأ النحوي سمع من الخلمي ومن العسلي ، وتقرأ على ابن الحسن علي بن محمد بن حميد الواعظ وبردع في القراءات وءالها والتفسير ووجوهه والمرببة وقوامضها . وكان له حلقة أقرأ بمصر ، مات سنة ٥٢٥ هـ (٢٢١) .

وناصر بن الحسن بن إسماعيل الشريف أبو الفخوح الزيدى الخطيب مقرأ النجار المصرية - تقرأ على يحيى بن الخشاب وسمع من ابن الطلاع اللغوي ، انتهت إليه رئاسة الانتراء بالنديار المصرية وكان من جهة المطلباء في زمانه ، قرأ عليه غياث بن عمارس ، وآخر من روى عنه سماعة القاضي أبو المكرم وأسد بن قادوس المتوفى في حدود الأربعمين وسبعمائة كما توفي الزيدى سنة ٥٦٢ هـ (٢٢٢) .

ويزيد يلقب عن الحافظ السلفي : أن عثمان بن علي بن عمرو السمرقندي

- 
- (٢٢٢٦) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٠ .
  - (٢٢٢٧) المرجع السابق ج ١ ص ٨٩ .
  - (٢٢٢٨) ابن الجوزي : طبقات القراء ج ٢ ص ٣٢٦ .
  - (٢٢٢٩) المرجع السابق ص ٢٧٥ .
  - (٢٣٠) المرجع السابق ج ١ ص ٢١١ .
  - (٢٣١) المرجع السابق ج ١ ص ١٠٠ والتكني يكسر التاء منسوب إلى التكنك جمع تكسة .
  - (٢٣٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٩ .

الصغلى كان من العلم بمكان ندوا ولفه ونرا القرآن على ابن الفحام وغيره ، وله ذواليت في القراءات والنحو والعروض ، وصارت له في جامع مصر حلقة للاتراء ، وقرأ على كثيرا ، وعل من كنت أقرأ عليه كلبى سراجى وابن بركات القراء الموصلى ، وآخرين (٢٢٢) .

وهكذا كان لعلوم القرآن في مصر مكانة خاصة وكرت فيها المؤلفات بجانب غيرها من العلوم والفنون مما كان له أثره في الحياة العقلية المصرية . وتنتطبع من هذه اللحة انى أسانها ان نقيب ان الناطم بين الذين كانوا لا يتلفون في تفسر القرآن مع باقى المسلمون مدعين ان القرآن الكريم تأويلا بالمتنيا يخالف ما يقول به المسلمون ، وقد فسح الفاطميون مسجورهم لتفسير هؤلاء العلماء الذين كانوا بمصر ، وسجوا لهم بالتطبيق في المساجد والثناء دروس التفسير على طلاب العلم ، نهذا يدل على ان الفاطميين متسامحين مع غيرهم من أصحاب الفرق والنحل الأخرى (٢٢٤) .

ومن أشهر علماء المغرب في ذلك العصر أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام ابن الحطيفة اللخمي الفاسي وقد واد بمدينة فاس سنة ١٧٨ هـ وعلقى العلم بها ، ثم هاجر مع اهله الى مصر واستقر بها . وقد عرف بالصلاح والزهد وعفة النفس ، كما كان ملها بالادب وقد عده المؤرخون والفقهاء اماما في القراءات المسجوع ، وقد اقلم بجامع رائدة في القاهرة (١٢٥) ، فقد ذكر ابن خلكان (٢٢٦) انه وتحت بمصر في ايلمه بجامعة فسر اليه اميان البلاد وساووه . ساعدتهم فلبتغ فاتفقوا على ان يخطب احدهم ابنته الوحيدة ، فزوجها شخص من الاثرياء يعرف بالفضل بن يحيى الطويل الذي طالب من هذا التفتيسه ان تدبش زوجته مع ابنتها ، ووافق على ذلك ونضى ابنته بتسخ الكتب ويعيش من اجره . التليل حتى توفي سنة ٥٦٠ هـ .

واما العلوم الدينية فلم تزدهر في الاسكندرية الا بعد تأسست بها مدرستا الحنظلية السلفية السنيان لتدريس الحديث وكان لهاتين المدرستين اعظم الاثر

- (٢٢٢) يلقوت الاحوي : مجم الادباء ج ١٢ ص ١٣٠ .  
(٢٢٤) د . محمد كابل حسمين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٧ .  
(٢٢٥) د . حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السيلسي ج ٤ ص ٤٤٢ .  
(٢٢٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢ .

في النهضة العلمية التي اتسمت بها الإسكندرية في العصر الفاطمي وساعد على ازدهار هذه العلوم شيوخ مغاربة واندلسيون نزحوا إلى الإسكندرية وأسهموا في الحركة العلمية بها (٢٢٧) .

ويذكر الضبي أن الحافظ السلفي كان يحضر في محفل عظيم عند بعض أهلها وكان المجلس يفتتح بالحاضرين (٢٢٨) وكانت الإسكندرية منذ العصر الفاطمي ملتقى علماء المغرب والأندلس والشرق على السواء . وكانت تروج بهؤلاء العلماء الذين نذكر منهم : العالم أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن نادر المورقي وأبا عبد الله محمد بن مسلم بن محمد القرشي المازني الصقلي (٢٢٩) . وأبا بكر الطرطوشي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن خلف الصقلي المعروف بابن الصلح وكان من شيوخ القراء بالإسكندرية (٢٣٠) وأبا القاسم بن مخلوف - ثم الإسكندري أحد كبار أئمة المالكية (٢٤١) وتوفي سنة ٣٥٥ هـ وأما العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القروبي السقيفة أحدث توفي سنة ٥٥٦ هـ (٢٤٢) . والحسن بن خلف بن عبد الله بن بليغ القيرواني تولى الإسكندرية ، وكان عالماً في الفرائد ، توفي سنة ٥٦٤ هـ (٢٤٣) . والقاسم بن خيرة بن أحمد الشاطبي المديني ، توفي سنة ٥٥٥ هـ ، وأبا علي بن أبي الأنصاري (٢٤٤) .

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء أخذ كثير من أهل الإسكندرية علوم الحديث والقراءات والفتنة ونفع بهم العلامة ابن أبي مطير الذي توفي سنة ٢١٩ هـ ، ومحمد ابن ميسر غنم الإسكندرية ، في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (٢٤٥) . وأبو العباس أحمد بن هاشم الحديث والمقريء ، وأبو القاسم الرعيبي أحد القراءات ومالك التصديفة الشهيرة في علم القراءات « حدود الأمان ووجوه

- 
- (٢٣٧) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها ص ٥٢٤ .  
(٢٣٨) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها ص ٥٢٥ - نقلًا عن الضبي ص ٢٠٧ .  
(٢٣٩) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها ص ١٢٣ - ١٣٤ .  
(٢٤٠) السبطيني : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٥ .  
(٢٤١) السبطيني : المرجع السابق ص ٢١٥ .  
(٢٤٢) المرجع السابق ص ٢٢٥ .  
(٢٤٣) المرجع السابق ج ١ ص ٢٢٥ .  
(٢٤٤) المقري : نضح الطبيب ج ٣ ص ٣٢٢ .  
(٢٤٥) د. عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها ص ٥٢٦ .

التهانى ه (٢٤٦) . ثم يظهر ابن بابشاذ المصرى تبدأ في مصر مدرسة مصرية صحیحة تجعل یحل اعضائها بالقراءات ، ونجد لزعيمها هذا كتابا بخط يده في هذا الموضوع . ولم تنس هذه المدرسة كفاك ان تحنى ببسائل الخلاف ، ولكنها لم تصرف في ذلك اسرافه بتعداد (٢٤٧) .

لما عالم القراءات العظيم أبو عمر الدانی توفى سنة ٤٤٤ ه وقد تلقى قراءة ورش بمصر وقد انتهت اليه رئاسة الأقرأء بمصر في زمانه لم ينزعه فيها منازع ، وقد يكون نجاح قراءة ورش بين المصريين ما يدل على اتقانها مع مزاجهم اللغوى وضاغمتها مع توقعهم الغنى .

وعلى اية حال لم يكن ظهور ورش في حقيقته سوى ظهور المدرسة المصرية ذاتها للقراءة ولئن كانت هذه المدرسة قد بدأت نتيجة لمدرسة المدينة فانها قد استطاعت ان تجد نفسها مستقلة شخصيتها على ودى ذلك المتارىء وليس بحض المصادفة . ولم يلبث التلاميذ حتى اتبلوا على ورش من الداخل والخارج ، وكان ورش يقرئ التلايد في داره بمسجد ابي عبد الله في المنسطة فلذا خرج للرباط بالاسكندرية لم ينقطع عن اقرانهم هناك . وحتى اخريات القرن الرابع الهجرى كان ما يزال المنسطة مسجدا يحمل اسم ورش لعله كان يقرئ فيه كذلك وتخرج على ورش عدد من الرجال اصبحوا فيما بعد من كبار القراء ، وعلى قائمتهم تلمت مدرسة ورش او في الاصح - المدرسة المصرية في القراءة .

وعلىنا الآن ان نواصل السير حتى اخريات القرن الرابع الهجرى مع هؤلاء الرجال الذين يكونون في مجموعهم مدرسة ورش في مصر (٢٤٨) .

وتد أخذ أبو القاسم عبيد الله السمات توفى سنة ٣٨٠ ه قراءة نافسح عرشا عن ابيه عن يونس بن عبد الاعلى عن ورش عنه وكان شيخا صالحا تميز بانه كان يأخذ أخذا شديدا على مذهب المتفهمين من اصحاب ورش فيما يتسمر الدانى وتقسير ابن انجزرى هذا ه الأخذ الشديد \* بالاد المفرط على الهمة تامل

(٢٤٦) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجليل الأزهر من ٨٤ .  
(٢٤٧) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر من ٢١٩ .  
(٢٤٨) د . عبد الله خورشيد : القرآن وعلومه في مصر من ٢٠٧ - ٢١٤ -  
٢١٥ - ٢١٦ .



حروف المد وبمده والنفطوق البالغ ، وروى القراءة عن ابن التسمان جماعة من المصريين وغيرهم .

تتلمذ أبو عدى المصري ، عبد العزيز بن علي بن محمد بن اسحاق الفرج ويعرف بابن الإمام نوح سنة ٢٨١ هـ على أبي بكر النجيبى وأحمد بن هلال وكان شيخا ورعا صدوقا . ومقرنا ومحدثا متصديرا ضابطا وقد تنوق في قراءة ورش وأصبح شيخ القراءة ومسندهم بمصر وقرأ عليه أئمة القراءة (٢٢٩) .

قرأ الإمام أبو حفص المصري ، عمر بن محمد بن عراك توفى سنة ٢٨٨ هـ على عدد من كبار الأساتذة وسبح الحروف منهم ويبدو أنه يوصف بالإمام لأنه كان إمام جامع مصر والذي يعمينا على أئمة حال هو أنه أصبح استاذًا في قراءة ورش وكان يقول - وهو ما لا نجد له تفسيرًا معينا : أنا كنت ومن أفريقيا كذلك جاء المقرئ ، الحافظ عبد الحكم بن إبراهيم أبو الفضل القروى ( من أهل القرن الرابع الهجرى ) لم يروى رواية ورش عن محمد بن سعيد الأنطاكي - أبو بكر النجيبى - لم تثبت لغزاته عليه فيما يذكره الدانى .

وبالرغم من أن عبد الحكم قروانى الأصل تد نزل بجاية تلك المدينة الساحلية بين أفريقيا والمغرب حتى أصبح إماما في رواية ورش (٢٠١) . وفي سنة ٢٤٠ هـ دخل مصر القارىء الأنطاكي الإمام الحافظ المسند الثقة المشهور بالفضل والعلم والضبط وصدق اللهجة أبو الحسن التميمى على بن محمد بن اسماعيل ٢٩٩ هـ / ٢٧٧ هـ ، وإذا كان من المحتمل أنه جلس إلى تلاميذ اسماعيل النحاس بمصر فإنه من المؤكد أنه تصبر للقراءة بها فقد كان رأسا في القراءات لا يتدبه احد في معرفتها في وقته .

ولم يزل أبو الحسن يقرئ، الى أن وجه المستعمر بالله ( ٣٥٠ هـ / ٣٦٦ هـ ) الحكم أمير الأندلس نوجه إليه بابن الحسن فقدم الأندلس مع أهله . ودخل قرطبة في شعبان سنة ٣٥٢ هـ ليصبح مقرئ الأندلس وشيخها ومسندها ، ولم يكن أبو الحسن عارفا بقراءة ورش فحسب بل كان له فيها كتاب رواه عن تلميذه

(٢٢٩) المصدر السابق ص ٢٢٢ - ٢٢٥ .

(٢٥٠) د . عبد الله خير شيب : القرآن وعلمه في مصر ص ٢٢٢ .

محمد بن عبد الله بن الصنائع القرطبي . توفي سنة ٤٤٨ هـ ١٢٥٦ .

على أن الأندلس لم تكن البلد الوحيد في أوروبا الذي عرفت لقراءة ورش طريقها إليه . فقد استطاعت أن تعبر البحر المتوسط إلى جزيرة صقلية على يدى المقرئ المنصور أبى عبد الله النحوى محمد بن خراسان ٢٩٠ هـ / ٢٨٦ هـ الذى أخذ القراء بمصر عرضا عن ابن المظفر وسكن صقلية وأقرأ بها .

ولمترغم من أن قراءة ورش ازدهرت في مصر ، وأصبحت تكون المدرسة المصرية في القراء واستطاعت أن تخطى حدود مصر شرقا وغربا فأنها لم تسقط بالبدان استدلالاتها . إذ ظلت المدارس الأخرى وقراءاتها توجد دائما من يهتم بها ويمثلها في مصر سواء من المصريين أو من غيرهم (٢٥٢) .

تجد نزل بمصر وأقام بها المقرئ الامام أبو الفتح البغدادي أحمد بن عبد العزيز بن بدهن الذى تتلمذ على كبار البغداديين وحقق ومهر . وطلال عمره واشتهر وقل ابن بدهن بقريء بمصر حتى توفي سنة ٢٥٩ هـ .

ومهد بن عبد الله اسمه : أبو بكر الأصبهاني استاذ كبير وامام شهير نحوى محقق ثقة ، عالم بالعربية بصير بالمعاني صاحب سنة ، حسن التصنيف هو صاحب كتاب المصاحف الذى يلق على قدم المساواة مع كتاب ابن داود السجستاني ، توفي سنة ٢٢٦ هـ والذى لا يزال مقنونا في الآن فيها عدا فصول متفرقة منه سجلها السيوطى في كتاب الاقتان والذى بعيننا هو ان اسمه قد قرا على كبار أستاذة بغداد ومصنفه في القراءات وله كتاب اسمه « المفيد » في القراءات الشاذة . ثم أنه قدم مصر وسكنها وأقرأ بها حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ . وفي عام ٢٧٠ هـ توفي بمصر القارئ البغدادي الماهر المكثر أبو الفتح ابراهيم بن على بن ابراهيم سومت الذى كان قد نزل مصر من قبل (٢٥٢) .

وفي سنة ٢٨٦ هـ توفي عزوان بن القاسم فزيل مصر الذى كان قد أخذ

(٢٥١) المصدر السابق ص ٢٢٥ - ٢٣٦ .

(٢٥٢) د . عبد الله خورشيد : القرآن وعلومه في مصر ص ٢٢٦ - ٢٣٧ .

(٢٥٣) المصدر السابق ص ٢٥٢ .

القراءة مرضاً عن شيخوخ العراق ومصر وكان مقرناً حادثاً ، محرراً ماهراً ضابطاً شديد الأخذ ، واسع الرواية هائظاً للحروف (٢٥٤) .

وكان محمد بن أحمد بن علي بن حسين أبو مسلم الكاتب مسنداً عليّ السند ، روى عن ابن مجاهد ومحمد بن أحمد بن قطن القارئين البغداديين الكبيرين ثم نزل مصر وأقرأ بها حتى مات فيها سنة ٣٩٩ هـ (٢٥٥) .

أولئك كانوا عم ، أن لم يكونوا كل القراء الذين ملأوا مقرباً بغداد في مصر ، ويلاحظ أنهم جميعاً فيما عدا القاسم بن سلام وعلي بن بشر الإنطاكي قد تصدروا إذ سكنوا مصر واتقوا بها نهائياً وأصبحوا ينسبون إليها . ولكنهم ظلوا في نفس الوقت يرفعون لواء مدرسة بغداد التي تطورت في مصر طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين لتجنب ليبيا فخراً من القراء المصريين اخلص بعضهم نفسه لها اخلاصاً ، وزوج بعضهم الآخر بيتها وبين مدرسة ورش الحلبية ، وكان قد روى القراء من مساندة بنتون التي مدارس الكوفة ومكة والبحرة .

غير أن تفاعل هذه المدارس قد أدى بدوره إلى نتيجة عكسية من ظهور المدرسة المصرية نفسها كنتيجة طبيعية لتلاخيال بين المدارس المتصارعة . وبالرغم من أن المدرسة المصرية انبثقت من مدرسة الميمنة وكانت مجرد ابتداء لها فإنها لم تلبث حتى استقلت بذاتها واستكملت نموها على يد القراء المصريين المتشبهين بترجمهم ورش ، وطلعت هذه المدرسة من النضج والحيوية حدا جعلها تغزو البيئات الأخرى منتشرة شرقاً وغرباً في أرجاء العالم الإسلامي (٢٥٦) . حيث أصبحت قراءة ورش خير سفير لمصر ، غير أن هذا لم يكن كل شيء إذ بالرغم من أن مصر قد سخرت قراضها إلى القطار فأنها لم تتردد في استقبال القراءات الأخرى ، بل كانت من رحابة الصدر بحيث استطاعت قراءات مدارس الإجاز والعراق أن نجد لنفسها مكاناً على السنة أصحابها الأصليين أو السنة

(٢٥١) د. محمد الله خورشيد : القرآن وعلومه في مصر من ٢٥٢ .

(٢٥٥) المرجع السابق من ٢٥٤ .

(٢٥٦) المرجع السابق من ٢٥٥ - ٢٥٦ .

( م ٢٠٠ - الحياة الفكرية في مصر )

المصريين أنفسهم . غير انه لكي يكفل تنبعنا للقراءة في مصر بيتنا ان نبعد في نشاط القراءة في غير المصالح فلن كل ما سبق يتعلق في الواقع بيئة المصالح التي كانت بما هي العاصمة تمثل اكبر مركز للنشاط الثقافي بما فيسه القراءات في مصر (٢٥٢) .

وحقا ان مصر كانت وما تزال تمثل مكان المصدرة في القراءات التراثية وعلوم القرآن وخير شاهد على ذلك وجود الأزهر الشريف الذي كان له نور كبير في الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي .

## الدراسات الاجتماعية (التاريخ، الجغرافيا، الفلسفة)

### أولا - التاريخ

رأينا في عصر الولاية بمصر (١) كيف أسهم المصريون في تدوين التاريخ منذ القرن الثاني للهجرة وعرفنا بعض المؤرخين الذين نبهوا في العصر الذي سبق العصر الفاطمي أمثال عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم وعمار بن وسيمة المصري وأبن بونس والكندي وابن الأداة وغيرهم ، وقد استمر تيار هذا اللون من العلم طوال العصر الفاطمي - فظهر عدد كبير من المؤرخين وحفظت لنا أسماء مؤلفاتهم - وبعض مقطوعات من كتبهم متسرفة في كتب التواريخ ، فهي كتب الفريزي وأبي الحسن بن تغرى بردى والسيوطي وابن فضل الله العمري والنويري والقلقشندي ومقبسات كثيرة من الكتب التي وضعها مؤرخو مصر الفاطمية . وهذا المقتطفات تدلنا على أن مؤرخي مصر في العصر الفاطمي كانوا يهتمون اهتماما خاصا بمصر ، فأكثر كتبهم تدور حول مصر وأن كان منها ما كتب في التاريخ العام (٢) .

ولم تفتقر هذه الروح المصرية من كتابة التاريخ بعد ابن عبد الحكم والكندي فاهتمت عند مؤرخي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (٣) وهنا نلاحظ أن أوائل المؤرخين لمصر الإسلامية كانوا جميعا « أخباريين » بمعنى أنهم يكتبون بجمع الأخبار على طريقة المحدثين في جمع الحديث دون أن يتعرضوا لتحليلها أو استخراج النتائج السببية والاجتماعية من خلالها ، كما فعل المؤرخون المسلمون فيها بعد . ومن هؤلاء الأخباريين الذين عتوا بمصر الكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ .

ومهما يكن من شيء فالكندي الذي نتحدث عنه مصري المولد ، ولد بتربة من قري مصر سنة ٢٨٣ هـ ودرس الحديث على شيوخه الكبارين : ابن تميم

(١) محمد كامل حسين : أدب مصر الإسلامية ص ١٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٣) د . حسن أحمد محمود وآخرون : في تاريخ مصر في العصور الوسطى

والهدية ص ٨٤ .

المصري والنفثاني الفارسي وهما من أجل فقهاء التسلمعية في عصره . ولعل من أشهر الكتب التي ألفها الكندي كتابه : الولاة والقضاة ، ويستعمل الكتاب ، كما يدل عليه تاريخ الولاة والقضاة الذين تولوا حكم مصر منذ الفتح العربي الى لرب زمن المؤلف (٤) . والكتاب على هذا كتلجان منفصلان ، أحدهما خاص بالولاة والآخر خاص بالقضاة والمؤلف يأنى بهؤلاء وهؤلاء بحسب الترتيب الزمني لجيوشهم التي الديار المصرية . والمصريون بطبيعتهم يديلون في تصنيف الكتاب الى تبويبها وتخصيصها على هذا النحو ، ويخلطون في ذلك مهنفي العراق . . من كانوا الى زمان الجاحظ على الاقل لا يصون الكتب ولا تقسيمها بهذه الطريقة . والفارسي للكتيب التاريخية التي عصر الكندي يخرج منها بنتيجتين هامتين :

**الأولى :** ان مصر منذ الفتح العربي كانت تشهد نوعين من الحياة الاجتماعية والاجتماعية هما حياة الجند الناتجين وحياة القبط من سكان بحر الأهاليين : الأولون يشتغلون بالجيش والادارة ، والآخرون يشتغلون بالحرث والزراعة .

**والثانية :** ان النظام الذي ساد الحياة العربية المصرية هو النظام القبلي ، وكثيرا ما كانت التن بين القبائل العربية المصرية تنشب كما عرزل وال قديم والتي مكانه وال جديد ، ولتصر من هذا دلالة على النزعة القبلية ان الولاة المصريين كانوا - وهم بمصر - لا يفكرون دائما الا فيما يعود بالخير على قبائلهم .

هذا المعلومات التاريخية والنتائج الاجتماعية وأسماءها يمكن استخلاصها من كتب التاريخ المصري عامة وكتاب الولاة والقضاة خاصة (٥) .

نكنا حفل العصر الأموي بطائفة من المصريين والادباء والقراء والفلاسفة والاطباء والمفجعين والرياضيين كذلك زخر بطائفة من المؤرخين والرحالة لذلك سننص حديثنا من هؤلاء المؤرخين وأهم مؤلفاتهم (٦) .

من المؤرخين الذين ساعدوا هذا العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني ، ولد بمصر في ذي الحجة سنة ٢٢٧ هـ وكان أبوه دؤرخا صاحب ابن جدير الطبري وروى عنه مسانينه وأخذ أحمد بن عبد الله عن أبيه كتيبه وكتب الطبري

(١) د . عيد اللطيف خيرة : الحركة الأنتورية في مصر ص ٢٨٩ .  
(٥) المصدر السابق ص ٢٩٠ .  
(٦) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الأموية ص ٥٠٩ .

وصنف عدة كتب منها كتاب التاريخ وصل به تاريخ ابيه وكتابه سيرة كاهن  
الاخشيدى وسيرة العزيز بالله الفاطمى ، وكان مقصده بمصر الى ان تولى  
سنة ٣٩٨ هـ (٧) .

وشهد هذا العصر المؤرخ المصرى الكبير الذى اخذ عنه كمال من جناء بعده  
من المؤرخين الذين تحدثوا عن مصر ، ذلك المؤرخ هو الحسن بن ابراهيم اليعنى  
المصرى المعروف بابن زولاق (٨) . الذى سار في نفس الطريق الذى سار فيه  
السابقون عليه من كتابته في فضائل مصر وسجاهاها وبخاسنها والوجه الذى تمتاز  
بها عن سائر الامصار ، ويكفى انه خصص كتابا من كتبه العديدة أطلق عليه اسم  
خطط مصر وبلغ من عنايته باخبار بلاده وكتابه في حوائجها ان أطلق المؤرخون عليه  
اسم « مؤرخ مصر » (٩) . فقد كان ابن زولاق من اعيان مصر ومليها ولد سنة  
٣٠٦ هـ وروى الحديث واخذ منه بعض المحدثين امثال عبد الله بن وهبان وغيره  
وأولع بالتاريخ فروى عن الكندى وابن سيدى وابن الداية (١٠) . كان مولده  
بالفسطاط حيث نشأ في هذا العلم والدرس في أسرة نبغ فيها أكثر من عالم منكر ،  
ودرس الفقه على أبى بكر الحداد اعظم ائمة عصره وتخصص فيه حتى نعت  
« بالفتية » وتلد نشأ ابن زولاق في عهد الدولة الاخشيدية . وشهد في فتوته ما  
تعاقب يؤخذ على مصر وحكوماتها من حوادث وفتايل ، ثم شهد بعد ذلك في كهولته  
ذهاب ملك بنى الاخشيد ، والفتاح الفاطميين لمصر ، وتيمم الدولة الفاطمية .  
ونشأ بالقاهرة عاصمة الاسلام الجديدة واختار ان يكون « مؤرخ » هذه المرحلة من  
تاريخ مصر الاسلامية ومع اننا لم نعد الا على الكليل من تراث ابن زولاق لان ما  
انتهى اليقاس اثاره يدل على ان مجهوده التاريخى يمتاز عن مجهود اسلافه بتفهم  
من البراعة وحسن التنسيق (١١) . ويعتبر ابن زولاق حجة في تاريخ مصر الفاطمى  
في الصدر الاول من ايام الفاطميين . لانه كان مصريا ولان شهرته قد ذاعت لمصر

(٧) ياقوت الحموى - معجم الادباء ج ٣ ص ١٥ .

(٨) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٠٨ .

(٩) د . حسن أحمد محمود وآخرون : في تاريخ مصر في العصور الوسطى  
والحديث ص ٨٤ .

(١٠) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٠٩ .

(١١) محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص ٢٥٠ .

أطلامه في مادة التاريخ (١٢) زار دمشق سنة ٢٣٠ هـ وولى المظالم في أيام الفاطميين وكان يظهر التشجيع لهم (١٢) .

كان ابن زولاق تفضلاً وله مصنف جيد في التاريخ (١٤) صنف كتاباً في فضة مصر ذيل به كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي إلى سنة ٢٤٦ هـ : وذيل ابن زولاق من القاضي بكر بن تميمية إلى سنة ٢٨٦ هـ وهي أيام محمّد بن النعمان قاضي الفاطميين الذي صنف البلاغ الذي انتصب فيه للورد علم القاضي الباتلاني . وهو أخو عبد العزيز بن النعمان والله أعلم (١٥) .

يقول ابن زولاق : كان أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاشاني (أي ابن الداية) قد عمل بسيرة أحمد بن طولون ، أمير مصر ، وسيرة ابنه أبي الجيش ، وانتشرت في الناس ، وقرأتها عليه ، وحدثت بها مع غيرهما من مصنفيها ، ثم عملت لنا ما ملأه في سيرتها (١٦) .

وابن زولاق المصري الليثي من أعيان علماء أهل مصر ووجه أهل العلم فيهم وله عدة نصاب في تواريخ مصر ومن محيطه للتواريخ والحرص على جمعها وكتبتها كثيراً ما ينشد :

ما زلت تكتب في التاريخ بجهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً (١٧)

وقد ألف ابن زولاق سلسلة من الكتب الأصلية عن تاريخ مصر . من أشهر كتاب « فضائل مصر » وهو عبارة عن خطط أو وصف « جيوغرافي » لمصر القديمة ، تناول فيه مؤلفه — على ما ذكر ابن خلكان (١٨) الكلام على هذا الموضوع من جميع نواحيه . كما ألف ابن زولاق في تاريخ مصر سير كأمور وجوهر والمز ، عليه معلومات

(١٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام للمسبلي ج ٢ ص ١٥٢ - ١٥١ .

(١٣) خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٩١ .

(١٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٧٠ .

(١٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٢١ .

(١٦) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ص ٤ .

(١٧) باقوته الحموي : معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٦٦ : هذا البيت من قصيدة انتشدها أحد شعراء مصر في رثاء أبي سعيد عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى المؤرخ المصري المتوفى سنة ٢٩٧ هـ .

(١٨) حسن إبراهيم تاريخ الدولة الفاطمية ص ١١١ نقلاً عن ابن خلكان ج ١

ص ١٦٧ .



استقامها ما كتبه بعض المؤرخين الذين جاءوا بعد ابن زولاق من أمثال أبي الفرج  
انجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م الذى عرف حفيده باسم سبط بن الجوزى  
المتوفى سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٧ م والذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٢٤٨ م (١٩) .

ومن مصنفات ابن زولاق أيضا كتاب سريرة المندرائيين ، وكتاب أخبار سيمويه  
المنصرى وقد طبعت هذه الكتب كلها ، وكتاب فضائل مصر (منه نسخة خطية بمكتبة  
الأزهر وأخرى بدار الكتب المصرية ، وكتاب التاريخ الكبير .

وبالرغم من ذلك فقد كانت كتب ابن زولاق مصدرًا هامًا من المصادر التي  
اعتمد عليها المؤرخون الذين تحدثوا عن مصر بعده فلبن خلكان والتويرى وابن  
حجر العسقلانى والسيوطى وابن دهاق ونبو الخلسن وياتوت وانقلشندى  
والعمري وغيرهم نقلوا كثيرا من مادة كتبهم عن كتب ابن زولاق وكانوا يطلقون  
عليه « مؤرخ مصر » مما يدل على قيمة كتبه وأخباره .

ولاغرو في ذلك فقد كان محدثا والمفروض في الحديث أن يكون مستوفيا فيما  
يرويه ، وقد تكون ميزة ابن زولاق الكبرى هي صنف أخباره حتى عرف بذلك بين  
معاصريه أنفسهم ، فاستطاع أن يكتب مكانة رفيعة في نفوسهم ، وتوفى ابن  
زولاق في عهد الحاكم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة من الهجرة (١٢٠) .

وسن سار في نفس الطريق الذى سلكه ابن زولاق مؤرخ آخر يسمى :  
« المسيحي » وهو محمد بن عبد الله المسيحي ( ٣٦٦ هـ / ٤٢٠ هـ - ٩٧٧ م /  
١٠٢٩ م ) عز الملك أمير مؤرخ عظيم بالأديب كان على زى الأجداد وأصله من  
هران وولده وولدته بصر (٢١) . وسمى المسيحي نسبة إلى جده المسيح .

ولا غرو فقد كان المسيحي حجة في تاريخ مصر في المصدر الأول من  
أيام الفاطميين (٢٢) .

---

(١٩) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥١١ - ٥١٢ .  
(٢٠) ابن خلكان : وميقات الأعيان ج ١ ص ١٢٤ - ياقوت الحموي : معجم  
الأدباء ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٢١) خير الدين الزركلى : الإعلام ج ٧ ص ١٤٠ .  
(٢٢) ذكر تصانيف المسيحي من جاء بعده من المؤرخين كابن نجيب وابن حجر  
وابن خلكان ، والمقريزى وأبو الخلسن والسيوطى .

وكان المسيحي بن أستيقاء الحاكم بأمر الله وخاصته ، عده من أقطاب المنكرين والأدباء في عصره وهو الكاتب والمؤرخ الكبير فقد تولى ديوان الترتيب سنة ٢٩٨ هـ وهو يرمز من مناصب الوزارة الهامة ونال المسيحي حظوة لدى الحاكم حتى كانت له مجالس ومحاضرات شائعة مع الحاكم بأمر الله الناطقي (٢٢٠) .

والجدير بالذكر ان المسيحي أعظم شخصية في الحركة الفكرية في عصر الحاكم بأمر الله فكان من أقطاب الاجراء ورجال الدولة الفاطمية حيث اخذ المسيحي بقسط وافر في حفظ علوم عصره وشغف بتدوين التاريخ واتف عدة كتب منها تاريخه المسى « أخبار مصر » وهو تاريخ مصر ومن جملتها من تولاة والإمراء والائمة والخلفاء وما بها من العجائب والاعتراف . وذكر نيلها وخوانها ومجتمعاتها حتى أوائل القرن الخامس الهجري . وكتب المسيحي كتباً أخرى في التاريخ والادب والتلك والاجتماع (٢٢١) .

وكان المسيحي من المؤرخين الاخباريين سبى الذهب صنف كتاباً في تاريخ مصر بدهه ابن خلدون ، وكتاباً في النجوم وكتاباً في التصريح والتلويح من الشمس ولد اعتمد عليه مؤرخون كثيرون ومنهم أبو شامة صاحب كتاب الروافضيين ، وفي ذلك ما يدل على أن العلم لم يعرف الفترقة بين المذاهب المختلفة . فهذا أبو شامة للسني لا يجد عقلاً على نفسه في الأخذ عن المسيحي الشيعي ويعتمد عايه في روايته (٢٢٢) .

فالمسيحي المؤلف المشهور تسد عشر في مصر متأخراً غير ان مؤلفاته كانت تصطبغ بها بصطبغ من القرن العاشر الميلادي ( الرابع الهجري ) في مصر .

وقد كتب ثلاثين كتاباً تشتمل على نحو اربعين ألف صفحة تتضمن الكثير من الموضوعات المختلفة كالشمس والتقد وتاريخ مصر وديانها . كما دون رسائل في الخمر واللغو والطعام والطهو ، كما كتب في النجوم والتسابيح والاحلام والرسائل والشمس والأملال وغير ذلك من الموضوعات التي يمكن توصف بأنها غريبة (٢٢٣) .

(٢٢٢) ابن خلدون : وفيات الاعيان ج ١ ص ٦٥٢ .

(٢٢٣) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢٩١ .

(٢٥١) محمد عبد الله عثمان : الحاكم بأمر الله ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٢٢٦) د . حسن ابراهيم وآخرون : مسيرة القاهرة سبائلي بول ص ١٠١ .

ولهذا يعتبر المسيحي من أمطاب محر في العلم والسبيلة والادارة وكان من  
أركان الحركة العلمية والأدبية في مصر الفاطمية قوفى ٤٢٠ هـ . وقد شهيد العصر  
الفاطمى مؤرخا آخر له حظوة في حركة التاريخ المصري وهو : القضاى أبو عبد  
الله محمد بن سلامة بن جعفر ولد بمصر في أواخر القرن الرابع الهجرى وكان فقيها  
شامعيا تولى القضاء بالدير المصرية (٢٧) .

وكان القضاى من المؤرخين النابهيى في العصر الفاطمى تفقه على مذهب الشافعى  
ومع ذلك فقد ولاء الفاطميين القضاى ثم اتصل بالوزير الجرجرائى فجعله الوزير  
كاتب علامته ثم عمل في ديوان الإنشاء ولوقده أولو الأمر بمصر إلى القسطنطينية  
سنة ٤٤٧ هـ رسولا من قتلهم إلى الإمبراطورة تيودورا لإصلاح ما تسد من  
العلاقات بين المصريين والبيزنطيين ولكن البيزنطيين لم يرحبوا بصداقة المصريين  
إذ ذلك . وفضلوا أن يتخالفوا مع طقربك . ولما ساد القضاى من هذه  
السفارة اتخذه الوزير الميازورى ككاتب لإنشائه وملائته .

وهكذا كان مقدما عند الفاطميين ، بالرغم من تذهبه بمذهب يخلف عقيدتهم .  
الف القضاى ككاتب كثيرة تذكر منها كتابه في مناقب الإمام الشافعى وأخباره .  
وكتاب الشهاب ، وكتاب انباء الإنبياء وتواريخ الخلفاء وكتاب خطط مصر وهو  
المعروف بالمختار في ذكر الخطط والآثار (٢٨) . وديوان المعارف وحما مختصران في  
التاريخ . ويعتبر القضاى استاذ مدرسة في رواية التاريخ أخذ عنه عدد كبير من  
المؤرخين مثل محمد بن بركات بن هلال النهوى . . ومن روى عن القضاى  
أبو عبد الله الحميدى والخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت صاحب تاريخ بغداد  
فقد قابل القضاى في الحج ٤٥٠ هـ وروى عنه (٢٩) .

ولهذا كان أثر القضاى في معاصريه ومن جاءوا بعده واضح في روايته وما  
اقتبسوه منه . كما لا يفوتنا أن نذكر أن القضاى كان من أمطاب الحديث والفقه  
الشافعى فهو مؤرخ ومفسر من علماء الشافعية فهو أقرن شخصية علمية برزت في  
العصر الفاطمى لما لقيه من الرعاية والتشجيع من الفاطميين رغم مخالفته لمذهب

(٢٧) د . عبد اللطيف حبرة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢٩١ .

(٢٨) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٦ .

(٢٩) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ٦٣ - السيوطى : حسن المعاصرة

ج ١ ص ٢٢٧ - وفيات الأعيان : ابن خلكان ج ١ ص ٤١٢ .

الدولة كما اعتمد المقرئ على مؤلفاته (٢٠) .

والتضامى ثقة في تاريخ المصدر الاول من أيام الفاطميين ولكن من التأريخين في الكتلة ، حتى صار من كتاب البلاط وقد عهد اليه أن يكتب العلامة (٢١) في الوزير ابو القاسم الجرجاني . ولكن التضامى قد توفي في سنة ٤٥٤ هـ .

وفي عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمي نبغ طائفة من المؤرخين من هؤلاء المؤرخين الذين ماجروا الخليفة العزيز ابو الحسن على بن محمد الشاهسلي (٢٢) ، حاجب وشيخ بن زياد النبطي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ / ٩٨٨ م وقد اتصل ابو الحسن بخدمة العزيز فولد خزائن كتبه ، واخذ من جنسائه وخدمته وتوفى في أيام الحاكم بأمر الله ، كما أن من مؤلفات العصر الفاطمي كتاب « الديارات » لأبي الحسن علي الشاهسلي وقد ذكر في كتبه أخبارا عن أديرة في العراق والموصل وسوريا والجزيرة ومصر وما قبل عن كل منها من الأشهر وما جرى فيه من حوادث وأخبار ، على أن هذا اكتساب على نفسه لم يحدنا بمعلومات كافية عن العصر الفاطمي ، اللهم الا ما يتعلق بصفة زواج الخليفة المأمون العباسي بإبنة وزيره الحسن بن سهل (٢٣) .

ومن المؤرخين الذين ظهروا في تلك الفترة : اعني في اواخر الدولة الفاطمية ابن المأمون البطاحي ولد المأمون وزير الخليفة الأمر باحكام الله ، وقد ألف تاريخا سمع من فيه كثيرا من نظم الدولة الفاطمية ورسومها في اواخر عهد المستنصر والأمر ، ومنه ينقل المقرئ في مواضع كثيرة : وابن الشرواني أبو محمد عبد السلام المعروف بابن الحلوير المصري مؤلف كتاب « نزهة المقلتين في أخبار الدولتين » وهو مؤلف لم يصلنا ولكن المقرئ يدل على اعميته وطمأنته بما يعقب من في أخبار الموكب والحفلات الفاطمية والتشريف الجواني وقد التفتنا في الخطط ينقل المقرئ عنه ما نضع كثيرا وتوفى سنة ٥٨٨ هـ (٢٤) .

- (٢٠) د . محمد حمدي المنبوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٢ .  
(٢١) كانت العلامة أو الاشارة التي تظيل بها الأوراق لاجلها الصفة الرسمية تشبه هذه الكلمات « الحمد لله شكرا لصفته » .  
(٢٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٤ ص ١٥٢ .  
(٢٣) محمد عبد الله عثمان : الحاكم بأمر الله ص ٢٦٧ .  
(٢٤) محمد عبد الله عثمان : الحاكم بأمر الله ص ٢٦٧ - د . محمد كهلل حسين : اوب مصر الفاطمية ص ١١٢ .

كما نبغ من المؤرخين محمد بن عبد الله بن محمد المعتز الأفرنجي أبو عبد الرحمن  
فلكى مؤرخ متفنن من أهل المرقية سكن مصر وتقدم عند ولوكها وألف « تاريخاً »  
ذكر فيه بني أمية وبني العباس وشيئاً من محاسنهم فغضب عليه العزيز الفاطمي ،  
فلزم داره إلى أن توفى ، له تصانيف كثيرة منها : التاريخ الجامع باخ به بعض أيام  
العزيز ويقال « التاريخ الكبير » وصورة العزيز الفاطمي والوسيلة إلى درك  
الفضيلة وأدب الشهادة والسبب لعلم العرب في العربية وكتب في النجوم  
وأحكامها (٢٥) .

ومن المؤرخين الوائدين علي بن عمر أبو إبراهيم بن الخلدسي أبو اسحاق  
المعروف بالرفيق القيرواني ( أو بلبن الرقيق ) ( ١٧٠ هـ / ١٠٢٦ م ) مؤرخ أديب  
من أهل القيروان كان يلي كتاب الحضرة في الدولة الصنهاجية واستمر فيها زهاء  
نصف قرن . ورحل إلى مصر سنة ٣٨٨ هـ بحمل عذبة من بانيس بن زيري الحاكم  
وعاد إلى وطنه فنوفى فيه على الأرجح ، وصفه ابن رشيق ( صاحب المبدء ) بأنه  
شاعر سهل الكلام محكمه لطيف الطبع . غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ  
وتأليف الأخبار وهو بذلك أحق الناس .

وقال ابن خلدون في المقدمة : « ابن الرقيق مؤرخ اشرقيبة والسلوك التي  
كانت بالقيروان ولم بات من بعد الإياد » ونعتة بانوت في معجم الأدباء بالكتاب  
وأورد أسماء كتبه منها : تاريخ افرنجية والمغرب عدة مجلدات ، كتاب النساء ،  
نظم السلوك في مسامرة الملوك - وله كتاب السرور في وصف الأئمة والفضور (٢٦) .

ومن مؤرخي مصر في العصر الفاطمي ابن أبي طي توفى ٢٣٠ هـ / ١٢٢٢ م  
١٢٣٢ م واسمه يحيى بن حبيدة ( أو حافظ ) ويرجع أصله إلى حلب وقد طرده  
نور الدين محمود لخروجه في آرائه على الدين وربما كان ذلك لاعتقاده انتمسند  
الشيعة وقد اعتنق ابنه يحيى هذه المعتاد حيث يؤيد ذلك كتابه معجم « شعراء  
الشيعة » ورسالة في فضل الأئمة الاثني عشرية (٢٧) .

وكان والده أحد اشراف بلدته وكان من المحتمل أن يكون قد اعتنق المعتاد

(٢٥) خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٩٨ .

(٢٦) خير الدين الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٧) د . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السيلسي ج ٤ ص ٥٧٢ .

الشيعة التي كان المفاطميون يجدون في نشرها في البلاد السورية (١٢٨) .

وقد أتى على مؤلفات ابن أبي طي في السير والفارح وذلك لانتشار المعتزلة  
النسبية في بلاد الشام ، ولم يبق من مؤلفاته أيضا إلا شرح لامية العرب للسنفري  
وقد ألفه سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م .

ومن المؤرخين الذين ظهوروا في أواخر العصر الفاطمي أبو القاسم علي بن  
منجب الأصفري وقد اشتهر بذكره وملا شتمه في البلاغة والشعر كما برع في الخط ،  
وتدرج في بعض الوظائف حتى ولى ديوان الانتشاء للخليفة الأمر بالحكام أمة ، وذلك  
في سنة ٢٣٦ هـ ومن تصانيفه كتاب « قانون ديوان الرسائل » و « الانتصار  
إلى من نال الوزارة » الذي ألفه للمسلمون البطلاني وزير الأمر . وتبع فيه وزراء  
الدولة الفاطمية منذ عهد العزيز حتى أيامه وثوبى ابن الأصفري في عهد الخليفة  
إنحناظ سنة ٥٤٢ هـ (٢٩) .

كما ظهر أو برز أيضا عبارة اليماني بن علي بن زيدان الحكيم المذهبي اليماني  
أبو محمد نجم الدين مؤرخ ثقة وشاعر فقيه وأديب من أهل اليمن ولد في نهاية  
ورحل إلى زبيد سنة ٥٢١ هـ وقدم مصر في عهد الفيلز الفاطمي سنة ٥٥٠ هـ . في  
وزارة طلائع بن رزيق ناصن الفاطميون إليه وبلغوا في إكراهه عندهم ومسدوم  
وبقى ونيا للدولة الفاطمية حتى شتمه وصلبه صلاح الدين بتهمة التآمر عليه (٣٠) .

أما أسامة بن منقذ فقد كان من نقاب بني خلف أصحاب قلعة سينر وعليه  
وشجعانهم وله تصانيف عدة في فنون الأدب رحل عن بغداد ثم عظم شعراء عصره  
يريد مصر فإسلام فيها موقرا إلى أيام الوزير الصالح بن رزيق سنة ٥١٦ هـ /  
١١٥١ م ثم عاد إلى الشام وأخبار أسامة جارية الخطر لأنه شاعر بنفسه حال  
مصر في زمنه ، وما وقع فيها من حوادث فخص منها بالذكر المعركة التي دارت بين  
حند الخليفة الفاطمي وأنصار الوزير رضوان سنة ٥١٢ هـ . والموقعة التي دارت  
رحاها بين أتباع هذين الوزيرين في السنة نفسها ، وبني عمه سنة ٥١٩ هـ  
والثورة التي أثارها الأهلون على طاعة الخليفة وبعض أهل بيته : وهم الوزير

(٢٨) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥١٧ - ٥١٨ .

(٢٩) د . أحمد أمين : ظهور الإسلام ج ١ ص ٢٠٢ - الدولة الفاطمية في مصر

د . محمد جمال مرور : ص ١٨٠ .

(٣٠) خير الدين الزركلي - الأعلام ج ٥ ص ١٩٣ .

عيسى وابنه نصر النذان لقبها حنلوبا بعد ذلك بقول — كل هذه المعلومات العظيمة خاصة بما يتعلق بسقوط الخلافة الفاطمية واسديليها (١٤٧) .

وهن مؤرخى مصر فى العصر الفاطمى أبو عبد الله محمد بن سعد القرطى وكان أبو عبد الله محمد بن سعد القرطى من ولد عمسار بن ياسر ، وكان ، ولها بالتاريخ رجل المى اليمن وبلاد الهند ، وكتب كتاب « تاريخ مصر » فى عهد العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وقد وقف عليه ابن سعيد واستنصره من رجل كان هذا الكتاب فى حوزته ، وتفيد منه بعض ما أودع كتابه المغرب ، ومحمد بن سعد القرطى هذا من أحناف محمد بن جعفر القرطى وكان معاصرا للأشعريين فى مصر فله مؤنس الحسية بمصر ثم قلند الخراج (١٤٢) . ولدها بمصر والتسام فى عهد تكين .

وعناك من المؤرخين المسيحيين أبو صالح الأرمى المتوفى ٦٠٥ هـ — ٦٠٦ هـ — ١٢٠٨ م — وله كتاب « كئاسى وأبيرة » وقد لفته عقب فزو الأكراد والغز هذه البلاد تحت قيادة شركوه كتب أبو صالح جزءا لا يستهان به من مؤلفه ، اتمد فيها بسجعه ورآه هو بنفسه فى زيارته للكنائس والأبيرة فى القبايرة وضواحيها ، والكتاب مملوء بأبيرة من الخبرات التى اعدتها الخلفاء النعمانيون والمولودون الكبار من المسلمين على القبط (١٤٣) .

كما ان هناك من المؤرخين الاقباط أيضا كسعيد بن البطريق ويحيى بن سعيد الأنطاكى ساويرس بن المقفع فى القرنين الرابع والخامس وكتابى صالح الأرمى : « ابن الراهب » والمكين فى القرنين السابع والثامن . وكتب هؤلاء جميعا فى تاريخ مصر على نمط القوارىخ العربية بمعنى أنهم رتبوها على حسب السنين واعتمدوا فيها على مصادر اسلامية وكتبوا كذلك كتابا هامة فى تاريخ الأبيرة (١٤٤) .

وهن مؤرخى مصر من أهل الذمة ساويرس بن المقفع ، بدأت اللغة القبطية

(١٤١) ياقوت الحموى : أرساد الأريب ج ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ — وبيات الأعيان: ابن خلكان ج ١ ص ٧٨ — ٨٠ .

(١٤٢) ابن سعيد : كتاب المغرب فى حنى المغرب ص ٩٢٨ .

(١٤٣) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥١٢ .

(١٤٤) د. عبد اللطيف جيزى : الحركة الفكرية فى مصر ص ٣٥٥ — ٣٥٦ .

تتعد مكانتها في الحياة الدينية واللغائية ، ومع الاستحلال هذه اللغة في القرن الرابع الهجري أصبح المؤرخون المسيحيون لا يكتبون بها انما يكتبون باللغة التي يقرأها اغلب الناس ، وقد ألف بهذه اللغة العديدة المؤرخ باوريس بن المقفع الذي كان لسبقا لدينة الانبيوتيين في القرن العاشر الميلادي او على وجه التحديق في الفترة الممتدة من ٩٣٢ م / ٩٥٢ م وكان من ائمة المثقفين المسيحيين في العصر الفاطمي . فقد كان يتقن اللغة العربية قراءة وكتابة . كما ينسب اليه انه كان يجادل تضاة المسلمين ويشرحهم ويدافعهم بالحجة بالحق كما كان اول مؤرخ قبطي يكتب باللغة العربية والكتاب الذي ينسب اليه هو كتاب « سير الائمة البطركية » (٤٥) . الذي ترجم فيه لرجال الكنيسة المصرية حتى عصره والكتاب رغم انه تاريخ لرجال الكنيسة الا انه يتعرض لتاريخ مصر في فترة تقرب من خمسة قرون تلك الفترة التي شهدت ميلاد امة واتساع فتوحات وتوحيد شعوب وتسام حضارة زاهرة خلفت للانسانية حضارة وراثا جيدا (٤٦) .

ومن مؤرخي النظم الادارية الماوردي (٤٧) المتوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م في كتاب « الاحكام السلطانية » وهو اول من كتب بالعربية عن هذه النظم في الاسلام ويعد من اعظم المصادر لما كتبه عن ادارة الشسنون العاملة في امام الماطيين على ان الاسطوب الذي يحمله الغوثي بما كتب الماوردي مما يزيد في قيمة ما كتبه الماخرون عن هذا الموضوع (٤٨) .

#### فانيا - الجغرافيسا

كان لاتساع نطاق التجارة في هذا العصر اثر كبير في تسهيل الاسفار وتسهيل السبل امام الاكتشفين والرحالة . فظهر كثير منهم قاموا برحلات مهمة ، ووضعوا في وصفها الكتب والاسفار وما شاهدوه في البلدان التي اختلفوا اليها وصفا دقيقا مبنيا على المشاهدة ؛ وبذلك خلف لنا جغرافيو المسلمين ثروة كبيرة - هي

- ١٤٥) د . أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ص ٤٨ - ٨٩ .  
١٤٦) د . حسن احمد مهبوت : في تاريخ مصر في العصور الوسطى والحديثة ص ١١٥ - ١١٦ .  
١٤٧) سمي الماوردي لانه يبيع ماء الورد ومنه عرف بهذا اللقب .  
١٤٨) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥١٩ .



خلاصة مشاهداتهم وتجربتهم التي اكتسبوها من استغرابهم في كثير من الأقاليم  
والممالك والبلدان (٤٩) .

ولكن مما يسترعى النظر من هذه الثروة الجغرافية العظيمة التي خلفها  
جغرافيو المسلمون لهم نظير ظهورها وانحسارها إلا في العصر العباسي الثاني ، ويعتبر  
ابن خردادبه الفارسي الأصل الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث  
الهجري من أقدم جغرافيين المسلمين في العصر العباسي (٥٠) . وقد خلف لنا كتابه  
المسالك والممالك .

ويعتبر بحق من أدم الكتب الجغرافية التي ظهرت في اللغة العربية وهو  
عبارة عن دليل يستعين به المسافرون في الاهتداء إلى الطريق البحري الذي بدأ  
من محط دجلة عند الإبله ، ويصل إلى الهند والصين .

ومن جغرافيين هذا العصر : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف  
بأبن واضح اليعقوبي المتوفى ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م صاحب كتاب « البلدان » وقد  
قام برحلات طويلة في لرمنية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب ، وتون نتائج  
رحلاته في كتابه ، واليهيداني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٧٣ م وقد ألف كتابه  
« ملحة جزيرة العرب » وكان أبو الحسن علي المصدي المتوفى سنة ٣٣٤ هـ /  
٩٥٦ م من كبار الرحالة المساميين وقد زار كل أرجاء العالم تقريبا فزار بلاد فارس  
والهند وجزيرة سرنديب - وصحب التجار إلى بحار الصين ، كما زار زنجبار  
وسواحل أفريقيا الشرقية والسودان وقام برحلات في إقليم بحر قزوين وآسيا  
الصغرى (٥١) وبلاد الشام وتاسطين وزار مصر في عهد الاخشيدي سنة ٣٣٠ هـ .  
ومن أشهر الجغرافيين والرحالة في القرن الرابع الهجري الحسن الدين  
أبو عبد الله محمد المعروف بالبشاري المقدسي المتوفى سنة ٢٨٧ هـ / ٩٩٧ م .

وكتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » هو تبة عظيمة من  
الناخبين الجغرافية والتاريخية (٥٢) . وكان البشاري المقدسي من الجغرافيين

- 
- (٤٩) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٢٠ .  
(٥٠) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٢١ .  
(٥١) د. زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في المصور الوسيط ص ٢٦ .  
(٥٢) د. علي حسني البخرمطلبي : العزيز بالله الفاطمي ص ١٢١ .

المعاصرين للخليفة العزيز بالله الناطلي (٥٢) . وفي سنة ٣٧٥ هـ / ٩٨٦ م كتب المهلب للخليفة العزيز بالله كتابا في الطرق والنسالك وهو أول كتاب وصف بلاد السودان ومنها ديفا وكان علماء الجغرافيا في القرن الرابع الهجري لا يعرفون من أخبار السودان الا قليلا جدا . وسمى المهلب كتابه « العزيزي » نسبة الى الخليفة العزيز بالله ؛ وامسح هذا الكتاب أهم مصادر الجغرافيا يالتوت الحوى عند حديثه عن السودان (٥٤) .

ومن المصادر التي هائس ولتموها في الأيام الأخيرة في عهد الفاطميين كتاب مغرطمه (٥٥) . لتامر خسرو الخوفى سنة ٤٨١ هـ / ١٠٠٨ م وهو كتاب له أهمية في تاريخ الفاطميين لانه فضلا عن أن تامر خسرو كان اسماعيليا ينتصر للذهب الاسماعيلي . فان هذا الومب المسوب الذي كتبه عن زيارته لمر سنة ٤٢٩ هـ - ٤٤١ هـ في عهد الخليفة المستنصر (٤٢٧ هـ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ م - ١٠٩٤ م) بجنا به لسومات صحبحة عن مصر ومبلغ رختها ووفرة ثروتها في العصر الناطلي (٥٦) . وما كانت عليه القاهرة من بسر ورخاء وكان تامر خسرو وزيرا في سادسان ؛ ثم اعزل الاعمال السبانية ومال الى الدين ؛ فحج بيت الله وأصبح داهبا اسماعيليا وانه ليقيم علينا في كتابه ٢ سترناهه ٤ بالاقاء في رحلته الى مكة ثم الى دمشق فبيت المقدس واخيرا الى القاهرة التي وصل اليها في السابع من صفر سنة ٤٣٩ هـ ٧ أغسطس ١٠٤٧ م غانام فيها الى يوم الثلاثاء ١٢ ذي الحجة سنة ٤٤١ هـ .

وبعد ان شاهد كثيرا من المدن العظيمة في بلاد فارس وال عراق ؛ رأى ان القاهرة قدفانت غيرها من مدن العالم الاسلامي في التظمة والجمال . وكان بخاليا في صفات الاسماعيلية ؛ فاعتبر القاهرة المركز الرئيسي للذهب الذي يدين بمقتده كما اعتقد أيضا ان الفاطميين هم الائمة هقا ؛ وقد مر عن كل ذلك في كتابه (٥٧) ؛ ثم اعزل السياسة لكن الخليفة المستنصر عيه كثيرا لدعاة

(٥٣) المرجع السابق ص ١٢١ .

(٥٤) آدم بذر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ١٠ .

(٥٥) طبع السيو سنبر (Schefer) منته بالفارسية وترجمته الفرنسية مع انجاشي والتعليقات .

(٥٦) استنقلا ستانلي بول (Stanly-Pool) وأوليري (O'Leary) من وصف ناصر خسرو لمر فيها كتابه عن الدولة الفاطمية .

(٥٧) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٢٢ .

الإسباميلية في خراسان بارتند الى أن ثمة علاقة أدبية بين هذا الكتاب « كتاب بطليموس » وكتاب « الجبهاني » ويبين أيضا أن بينه وبين القسم الجغرافي من الكتاب الفارسي « زين الأضهار » لكريزي ( كتب حوالي ١٠٥٠ م ) صلة أخرى ، وتذكر أخرا أنه لفت في ذلك القرن أيضا للخليفة العزيز الفاطمي ( ٩٧٥ م / ٩٩٦ م ) كتاب المسالك والممالك للمعلى ولم يبق من هذا الكتاب سوى مقتطفات في باتوك وأبي الفدا (٥٨) - وأن وصف الفريزي الآتي لبعض الممرات الشينة المفتحة الرسم لجدل على ما كان يجده القائلون من لذة في الجغرافيا والتاريخ ، وتبين لنا طرائفها وما كانت عليه من أبداع وأتقان إذا ما نظرنا الى مقدار ما وافق على منها من الدانير - ويقول الفريزي في ذلك أن المعز لدين الله الفاطمي خلف لنا خريطة كان قد أمر بعملها سنة ٣٥٣ هـ ( ٩٧٤ م / ٩٧٤ م ) من انحراب الأزرق القسري (٥٩) والقرقوي (٦٠) المنسوج بالذهب وكان يبينها عليها بالذهب كافة الأقطار للمسلم يبا فيها من جبال وبحار وأنهار وطرق ومدن ومن ذلك المدينتان المقدستان مكة والمدينة بشكل يتبينه القاطر لأول وهلة ، وكان مكتوبا في اسفل هذا الصور : « بما أمر بعمله المعز لدين الله ، شوفا الى حرم الله اشهارا لعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة » وهذا المصور الذي كلف المعز اثنين وعشرين ألف دينار قد استوفى عليه ابن حمدان زعيم الأندلس سنة ٤٦٠ هـ (٦١) . كذلك وجد في خزائن خلفاء الفاطميين بقصورهم بالقاهرة المحزية ثلث من مستور الحرير المنسوجة بالذهب فيها مسود الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه وتشرح حاله (٦٢) .

ولكن في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي حدث تطور جديد في

(٥٨) دائرة المعارف الإسلامية ج ٧ ص ٢٢ .

(٥٩) نسبة الى شستر وهي معربة عن ششتر لشهر مدن خورمستان .

(٦٠) القرب طنتر يرى في القدر والمستعملت ومن اللفظ يمثل قماش قرظي وهو نوع من القماش كان يصنع أولا في بلاد اليونان ثم انتقلت صناعته الى مصر فصار يصنع غالبا في دمياط وثيبس وهذا القماش مشهور بالوانه الالامعة التي تتغير دائما لاسيما اذا انعكست عليها اشعة الشمس .

(٦١) د . حسن ابراهيم : تاريخ القولة الفاطمية من ٥٢٢ - ٥٢٣ .

(٦٢) د . عبد المنعم مجد : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى

ص ٢٤٠ .

( م ٢١ - الحياة الفكرية في مصر )

رسم الخرائط عند المسلمين لم يعرف له مثيل من قبيل وذلك على يد أشهر جغرافي معروف هو الإدريسي الحموي - توفي سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م فهذا الجغرافي الكبير الذي ولد في سنة ٤٩٢ هـ / ١١٠٠ م وينتمي إلى الأسرة الإدريسية العلوية في مراکش كان قد اضطر للهروب إلى صقلية عند الملك المسيحي النورماندي روجر الثاني وهو الذي يسميه العرب « رجار بن رجار » وقد استضافه هذا الملك في باليرمو وتربيه منه وجعله يرسم له خرائط العالم . وقد رسم الإدريسي اثنتين وثلاثين خريطة تعتبر من أدق ما وصلنا من خرائط رجع في رسمها إلى المصادر الإسلامية وغيرها (٦٤) وإلى ما وصل إليه المغربون في أوروبا . فلم يقتصر في رسم خرائط على البلاد الإسلامية وإنما رسم بلاد العالم على الأخص أوروبا . ونظرا للاهتمام الذي أولاه روجر الثاني للجغرافيا ، فإن الإدريسي أهدى إليه كتابه المعروف « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وسماه بالكتاب الروجاري ، وقد بقيت خرائط الإدريسي عدة قرون إلى الآن الذي بنى عليه رسم الخرائط في عهد النهضة الأوروبية كما أن طبقة الجغرافيين المسلمين الذين أتوا بعد الإدريسي لم يضيفوا خرائط جديدة يمكن أن نستدل بها على تطور جديد لرسم الخرائط (٦٥) .

وصف لنا القرظي (٦٥) مصورا آخر تركه الحاكم ، فقال : إن ذلك العمل الفني الدقيق كان يكتسب من الجواهر والأحجار الكريمة وقد كلف الحاكم سبعمائة دينار غير أنه بيع سنة ٤٦٠ هـ بعشرين ألفا فقط .

وكان هناك مصورات أخرى كثيرة كان حفظها كحفظ المصورات التي نكلمنا عنها فإن القرظي يستطرد في الكلام فيذكر أنه وجد بالقصر نحو ألف ميسر مزركشة بالذهب تمثل الممالك المنتهية ببلوكها وأسمائهم وموجزا لحياة كل منهم (٦٦) .

(٦٢) د . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ص ٢٤٠ -

- (٦٤) المصدر السابق ص ٢٤٠ -  
(٦٥) القرظي : الخطط ج ١ ص ٤١٦ .  
(٦٦) المصدر السابق ج ١ ص ٤١٥ .

وهذه الآثار الفنية تشهد بما كان يفعله الصناع الحاذقون من الفاطميين وهي تبين لنا أيضا كيف كان أئمة الفاطميين بممالك العالم المعروفة لهم في القرن الثاني عشر الميلادي . ومن المصادر المعاصرة للفاطميين كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » للمقدسي وهو كتاب قيم من الفاحذين الجغرافية والتاريخية ومن هذه المصادر أيضا كتاب « المغرب في ذكر بلاد المرقية والمغرب » لأبي عبد النكري المتوفى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٩٤ م — وهذا الكتاب أحد أجزاء الكتاب المعروف باسم كتاب « المسالك والممالك » (٦٧) .

ولهذا نجد أن تراث الفاطميين في هذا الجانب قد تعرض للنسيان من قبل أعداء الفاطميين رغم أن قصور الفاطميين تشهد باهتمامهم العظيم بالجغرافيا .

#### ثالثا - الفلسفة (٦٨)

إن مؤيد الدين التبرازي في ديوانه قد صور لنا بذلك الفاطميين تصويرا دائما وكشف لنا عن تعبه في نسخة الدعوة الاسماعيلية من خلال مجامراته . فقد تحدث عن التولية والتوحيد وأشار في فصائده الى وجوب طاعة الأئمة بقوله :

وهم أولو الأمر أئمة الهدى عصية من لاذ بهم من الردى  
مغروضة طاعتهم على الأسم قاطبة من عريه ومن عجم  
أقرا : أطبوا الله والرسولا ثم أولى الأمر بهم موصولا

(٦٧) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ٥٢٢ .

(٦٨) تعتبر الفلسفة في نظر الاسلاميين — واحدا من مجموعة علوم اطلقوا عليها اسم « علوم الأوائل » أو « علوم التذمء » أو « العلوم الأندمية » وهو اسم اطلقه هؤلاء الكتاب على تلك العلوم التي نفذت الى البيئة العلمية الاسلامية بتأثير المؤنذات المنخوذة عن الكتب اليونانية فائرا مباشرا أو غير مباشر . وهي التي يبرونها « كتب الأوائل » في مقابلة « علوم العرب » أو « العلوم المحدثه » وفي مقابلة « العلوم الشرعية » على وجه التخصيص . وفي «تذمة علوم الأوائل : الرياضيات - الطبيعية - والالهيات . مما اشتملت عليه دائرة معارف اليونان أي العلوم المختلفة من رياضيات وفلسفة وطبعية وطب و ذلك وبوسيتي وما فيها ونظرا الى أن الاشتغال بهذه العلوم قد ارتبط بالتقاليد الافلاطونية المحدثه . فقد أدخل في علوم الأوائل زعلوم الفلاسفة من مدرسة علوم السحر والظلمات والفرنجيات الى جانب علم التنجيم . انظر كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية . بقلم جولد نيهير ص ١٢٢ .

ثلاث طاعات غدت معلومة في آية واحدة منظومة (٦٩)

كما عرض المؤيد لبدا التاويل والمجاز في القرآن والرأي والمقياس - كما عرض  
لنظرية النقل والمهلول - فالاسماعيليون يذهبون الى القول بان النبي صلى الله عليه  
وسلم يعلم بتاويل ما نطق به وانه اول الراسخين في العلم وفضلهم وعنه أخذ من  
أخذ من الراسخين في العلم - وكما ان النبي كان يعلم تاويل القرآن فان من قسّم  
بناه في كل عصر يعام هذا القول - كما يذهب الاسماعيلية الى القول بان القرآن  
الكريم بحاجة الى أن يخرج كنوز معانيه ويؤولها لأن له معاني غير المعاني التي  
تداولها السنة العامة وهذه المعاني هي سر المجاز القرآني - واعجازه - ليس في  
لفظه بل في معناه وفي ذلك يقول المؤيد :

ان كان اعجاز القرآن لفظيا ولم ينل معناه منه حظا  
صادقتهم معتموده بحلولا من أجل ان انكرتم تاويلا (٧٠)

والإمامة في نظر الاسماعيلية هي قيادة العالم وحمل معرفة الحقيقة اليه .  
ولابد من وجود هذا المرشد في كل عصر حتى لا يبقى العالم جاهلا . وان عليا  
والائمة من ذريته هم الذين اخلصوا بتاويل القرآن نون غيرهم من الناس .  
ويقول المؤيد :

وتأويله مستودع عنده واحد وان لم تسائله نزورا تناولت  
واحد بيت النور لاشك بابه ليدو حسن والبيت من بابه يؤنى  
للعلم قوم به خصوا انهم رب الوري لاوري في أرضه علما (٧١)

ولم يأخذ القاطميون بالقياس في التفسير والفقه وطعنوا في فتاوى الصحابة  
ودعّبوا الى أن الفقهاء من أهل المذاهب الأولى حرفوا القرآن الكريم لأنهم لم  
يفهموا معناه ولم فهموا لفظه ، يتضح ذلك من قول المؤيد :

وهو الذي تد حرف الكتابا من وجهه وجانب المواها  
ببيت شسبثا ليس ليه نيسه وحكم اي أحكمت ينظيمه (٧٢)

(٦٩) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية من ٢٩٦ - نقلنا عن ديوان  
المؤيد ص ٦١ .

١٧٠٥ ديوان المؤيد ص ١٠١ .

١٧١) ديوان المؤيد ص ١٠٢ .

١٧٢) المصدر نفسه ص ١٠٢ .

كما يعتقد الإسماعيلية أن الدين وعلومه وقفنا على الأئمة من أهل البيت .  
وأن هذه العلوم هي علوم الباطن ، ولذلك سبوا الباطنية . لأن اعتمادهم بهذا  
العلم هو قوام عقيدتهم قال المؤيد :

ورب معنى ضسسه كلام كمثل نور ضسسه ظلام  
باق يشاء الحب في السنابل في محفل من أحرز العاقل (٧٢)

وأن استخلاص الباطن من الظاهر هو ما يطلق عليه نظرية المثل والمثول (٧٤) .  
أي تفسير الأمور العقلية غير المحسوسة بما يقابلها ويمثلها من الأمور الجسدية  
المحسوسة . وهذا الاسم مأخوذ من أقوال الفاطميين : « أن الله جعل لهم ملا  
دالا على مهتوله نعرفوا المثل والمثول بهتله إذ يتول سبحانه وتعالى : ( ولقد ضربنا  
للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ) (٧٥) . فأخى الله سبحانه  
المثول وسره وجعل مثله طريقا إلى معرفته أخبارا لعباده وامتحننا لهم . قال  
المؤيد :

والذي قال في الكتاب تعالى مثل ذلك تحفه بهتول  
أقصد : حبا مهتوله دون المثل ذا أهر النحل وهذا كالعسل (٧٦)

كما رد المؤيد على الفرق المختلفة في تفسير رؤية الرحمن ورد على الفرق  
التي أثبتت رؤية الرحمن وأتكرتها . فثبت أن الرؤية تنقسم قسمين :

أهدها محسوس . والآخر معقول وهو رؤية العقل ؛ فالبصر لا يتعدى  
المبصرات الجسدية والعقل لا يدرك إلا الإدراكات العقلية . والرؤية أما رؤية حس  
أو رؤية عقل قال المؤيد :

فالعقل للمرء أداة كالبصر ذا يعلن فيه وهذا قد ظهر  
كسلاهما يدرك بالجانسه مقابلة صحت بلا ممارسه  
وليس من جنس العقول الله يا قوم : كي تدركه حاشاه (٧٧)

(٧٢) ديوان المؤيد ص ١٠٦ .

(٧٤) الظاهر والباطن يقابلها المثل والمثول فالمثل الظاهر ، والمثول الباطن  
ولكل مثل مثول كما أن لكل ظاهر باطنا . والله يضرب الأمثال للناس . أما بواطن  
هذه الأمثال أو مبنونها فلا يعلمها إلا الأئمة لأنهم وحدهم أصحاب علم الباطن .

(٧٥) سورة الزمر ٢٩ - ٢٧ .

(٧٦) ديوان المؤيد ص ١٠٧ .

(٧٧) يعني أن الله يرتفع عن أن تدركه العقول البشرية .

كما تعالى أن يكون كالصور . جسمها كيما بلاقيسه البصر  
تكن المؤيد قد رخص اقوال المبتدئين لرؤية الله تعالى بالأبصار . كما رخص  
اقوال المبتدئين لرؤية الله تعالى باعقول . وخالف بذلك أهل السنة الذين أنهبوا  
الصفات وخالفوا الاستزادة الفون رخصوا الصفات . يدل على ذلك قوله :  
فلفرقتان اجتمعا مشميهما جنا له عشواء جهل وعبه (٧٨)

أما نظر المؤيد الى ما ورد في آيات الكتاب العزيز من ذكر اليد والقدم والعين  
وغير ذلك من الصفات الجسمية . فان المؤيد في ذلك رأيا يتفق مع التأويل الذي  
ذهبت اليه الاسماعيلية . فهو يرى أن اليد هي النعمة وهي القوة . كما ينبغي  
ذلك من قوله :

وقائل في وجهه ويسد وقوله : هذا لديه رشد  
وقائل ذلك حكم ياطل ان صح ذا نانه شخص مائل (٧٩)

أما رأى المؤيد في الأحرف التي وردت في أوائل السور ههنا ونون وكههنا  
فانه يتفق مع رأى الاسماعيلية القائلين بالتأويل . وهو يرى ان لهذه الحروف  
معاني مستورة خفية لا يعلمها الا خزنة علم الله (٨٠) . كما عرّس المؤيد لتفسير  
الانبياء وسار فيها على نهج الفاطميين الذين خلفوا جمهرة المفسرين فيما ذهبوا  
اليه عن الانبياء . ذلك ان الناطقيين يقولون بخصوص الانبياء على حين بشرى بعض  
هذا القصد الى ان الانبياء غير معصومين . وقد قال الناطقيون : ان لهذه  
الآيات تفسيرا ظاهريا وناظريا ما قال به جمهور المفسرين ، أما بنائها فانه يعود  
الانبياء عن المعنى . كما سمي الفاطميون الانبياء الناطقيين . لان النطق - كما  
قالوا - سبحانه : أحدها ما يتميز به الانسان عن البهائم ، وهو النطق عما في الدنيا .  
والآخر المنطق بما في اندار الأشربة الذي يتميز به أهل التأويل الذين يتكلمون من  
وراء حجاب (٨١) .

ومن هذا المعرض السريع يمكننا أن نقول عن فلسفة الناطقيين كما عرضها

(٧٨) ديوان المؤيد ص: ١١١ .

(٧٩) نفس المصدر ص ١٢٤ .

(٨٠) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٦٨ .

(٨١) مقدمة ديوان المؤيد ص ١٢٢ - ١٥٢ .



داهى دعائهم ويميلون دعوتهم مؤيد الدين الشيرازى أنها تقوم على أسس وبيادىء أهمها :

- ١ - توحيد الله وتنزيهه ونفى الاشراف والترند له .
- ٢ - الاشراف بالانبياء والرسول وانهم معصومون من كل خطأ وان محمدا خاتم النبيين .
- ٣ - القول بوصفاية على بن ابي طالب وولاية الأئمة من ذريته ومصيبتهم جميعا .
- ٤ - التصديق بها جاء به القرآن الكريم والعمل به ظاهرا وباطنا .
- ٥ - أبطل الراى والقياس فى كل امور الدين ووجوب الاخذ عن الأئمة .
- ٦ - القول بالظاهر والباطن معا . بمعنى انه لا يقبل المظاهر دون الباطن ولا الباطن دون الظاهر (٨٢) .

وعكذا نجد ان الدولة الفاطمية قامت على أسس الدعوة الشيعية التى اشرفنا الى بعضها سابقا - وفي ظروف غامضة انتسج الخلفاء الفاطميون خلالها بثوب الامامة الشيعية (٨٢) . فظهر ميلها الى الفلسفة لحاجتها اليها فى نشر عقيدة دينية شعرت يوم اذ بقرايتها كل القرابة على الأوساط السنية فى مصر على حين لبغض المذهب السنى هذه الفلسفة لان المذهب السنى واضح لا يحتاج الى الاستعانة بها (٩٤) . ومصر من أجل أنها أكثر استجابة لقبها من عقلها حرمت اتعلم العقليّة واندمعت تحميس للدين نجسنا نويا كما راينا . فلما بغضها للعلوم العقلية فهو الذى حرّمها من الانتفاع بفلسفة الاسكندرية قبل مجيء الاسلام ؛ كما حرّمها من الانتفاع بفلسفة الاساطين بعده . فلما غلبت الاسكندرية فلسفة حاريتها محاربة قوية واعتبرتها فلسفة وثنية ، ومال الشعب المصرى الى مؤازرة هذه الحركة حتى ضيقت مدرسة الاسكندرية وتعرضت للذئف والنسيان فبيل ظهور الاسلام .

ولما رأى الاسلام اجهر على البقية الباقية منها ومعنى ذلك ان موقف المصريين من الفلسفة والدين لم يتغير ، وان استجابتهم للدين كانت اقوى دائما من

(٨٢) مقدمة ديوان المؤيد ص ١٨ .

(٨٣) محمد عبد الله صليح : الحاكم يابى الله ص ٢٥٢ .

(٨٤) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٢٣٢ .

استجابتهم للفلسفة (٨٥) . لفلسفة الفاطميين كانت في اول أمرها تضعر المصريين  
وغيرهم إلى التفكير ، وبدأ الدعوة والقضاة في قيادة هذه الحركة ومضوا فيها  
شوطا لا يسر به . وكان من حق هذه الفلسفة الفاطمية مبادئ بعيدة نوعا ما عن  
الظن والإسراف اللذين وصفت بهما فرق شيعية أخرى أن ثبتت مذهبها في مصر  
وإن تغالرت مصر كثيرا ثوبا بها في ذلك العصر ، وإن يكون من تنبؤة هذا كله لن  
يظفر المصريون بمكانة عظيمة في تاريخ الفكر ، فلم تكن الحركة الفكرية في مصر  
عظيمة لو أن الفاطميين سألوا فيها أثواب من هذا الحد الذي نسر لهم ، أو لو أن  
المصريين آزروا خلافتها ، مؤازرة قوية وتحمسوا لهذه الحركة تحمسا ثوبا أيضا  
أو لو أن سلاح الدين لم يأت إلى مصر لإزالة هذه الخلافة ، ولكن الدولة الفاطمية  
عاشت بالدبار المصرية أكثر من مرتين كاملين فرقت معها تفرقة واضحة بين علم  
بصالح فاعلمة ولم لا يصلح إلا للخاصة ، وأسبغت على هذه التفرقة ثوبا من  
الدين . وكانت هذه التفرقة محقولة في ذاتها ولا تغير عليها من الناحية الديمقراطية  
التيحتة إلا أن المذهب السنن يتوع خاص قد انتصر للديمقراطية العلمية انتصارا  
أقوى وأعظم بحيث حيا فيه الشعب وكان من العوامل التي أسهمت في العلوم  
الفاطمية التي سببت ( بعلوم آل البيت ) . لهذا وذلك يدلنا بصراحة على أن مصر  
كانت كما قلنا لا تقوى على المضي طويلا في حركات فكرية عنيفة تكفب مقلها منا،  
ومشقة وتمضى فيها مصر على نحو ما كلنت تفضي المدن القديمة المعروفة (٨٦) .

ويعد عصر الفاطميين من أزهى عصور مصر الإسلامية من الناحية العلمية  
تعد بلغت الحياة العلمية في مصر الفاطمية درجة كبيرة من النمو والازدهار لكثرة  
العلماء الذين كانوا في مصر أو وفدوا عليها وكثرة المؤلفات في كل فن من فنون  
العلم . كما كان أئمة الدعوة الفاطمية يفترون العلماء ويشجعون الطلاب ،  
واوقفوا أرزاقا ثابتة للمشتغلين بالعلم حتى يتهيأ لهم التفرغ لما أهلوا أنفسهم له .  
وقد رأينا كيف أهتم الداعون سائما خزائن الكتب في القصر وفي دار العلم حتى  
يتسنى للعلماء أن يطلوا ويستفيدوا مما تركه السابقون . وبلغ من تشجيع  
الفاطميين لطلاب العلم أن القضاة اتعبوا سبب إمامهم المسمى يقول : « أنا لنسر

(٨٥) د . عبد الشايف حمزة : الحركة الفكرية في مصر من ٣٦٨ — ٣٦٩ .

(٨٦) المصدر السابق من ٣٦٩ .

بين سراه من أوليساينا يطلب العلم والحكمة ويرغب في الضمير - كما نسر  
بذلك في الولد \* (٨٧) .

تمنى ظل هؤلاء الأئمة وعلى ضوء ما ذكره الإمام المعز وجد العلماء ملاذا  
بأويهم من العوز ويحييهم بن الفاتنة بل وجدوا ما يشجعهم على مواصلة البحث  
والترسي والتأليف (٨٨) .

تلقاها هذه المعزية أصبحت مطمح انتظار العلماء ومحط رجال الطلاب حتى  
استطاعت مصر أن تنتزع زعامة العالم الاسلامي في الحياة العلمية ولن تبسط  
آراءها وتعاليمها على البلدان الأخرى ، حتى ترى بعض العلماء الذين كانوا ينتمون  
على الشيعة عامة والفاطميين خاصة يقنون على مصر ويشكرون ببعض الآراء  
التي كانت سائدة فيها وأقرب مثال على ذلك الإمام الغزالي فقد هاجم الفاطميين  
في كتبه « المنطاس » و « المنقذ من الضلال » و « المستظهرى » أو الرد على  
الباطنية وغيرها من كتبه ولكنه كتب على مصر في أواخر حياته ووضع كتابه  
« مشكاة الأنوار » ذكرنا ببعض العقائد الفاطمية ولا سيما نظرتهم في ترتيب  
المقول . ولقد شجع أئمة الفاطميين العلم والعلماء لأن المذهب الفاطمي نفسه  
يقوم على العلم والعمل بكل كل شيء ، ومن طريق العلم وبالجدل والمناظرات  
استطاعت الدعوة الفاطمية أن تنتشر في العالم الاسلامي واستطاع الفاطميون أن  
يكونوا دولتهم العقيدة . فمتيجتهم كانت تقوم على العمل والعلم - والعمل هو  
الظاهر ، والعلم هو الباطن ، وعلم الباطن يقوم على استخدام العقل ومطابقة  
المحسوس للمعتول - فلا غرو أن رأينا الفاطميين يشجعون العلم الذي هو دعامة  
من دعائم العقيدة الفاطمية .

وتعد أثرت الفلسفة اليونانية والمذاهب الدينية القديمة في أرباب هذه  
الدعوة وعلمائها فكان الفاطميون يهتمون بهذه الألوان من الدراسة الفلسفية  
والمذهبية أما لاختلال بعض عناصر منها في عقيدتهم وآرائهم أو للرد عليها وتوجيه  
هذه الآراء انتدبية . فعمل ذلك الفاطميون في الوقت الذي كان فيه أهل السنة في  
البلاد الأخرى يرمون من يشغل بالفلسفة بالزندقة والالحاد (٨٩) .

(٨٧) القاضي النعمان : المجالس والمسائرات ورقة ١٤٦ .

(٨٨) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٦٦ .

(٨٩) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

ويصف آهد العلماء الفلسفة كوصف أهل السنة لها فيقول :  
« ان الفلسفة أس السوء والانحلال ومادة الحيرة والضلال ومشار الزينغ  
والزندقة . ومن تلمسها عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة المؤيدة  
بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة » (٩٠) .

فالنكر اليوناني وجد ترحيبا من الفاطميين وتوسعوا في دراسته فقد لاحظ  
المستشرق أولري O'Leary ذلك فقال : ان الحركة الفاطمية باكملها أخذت مكانها  
في جو مشبع بالفكر الهيليني وأهيماء دراسة المآزد اليونانية والاهتمام المسائل  
لمناقشة الاسماعيلية » (٩١) .

ويلج اهتمام الفاطميين بالعلوم الفلسفية في اصطلاحهم نقل من عرّف  
بالاشتغال بفرع من فروع الفلسفة ، فقد قيل ان العزيز بالله كاتب جبرائيل بن  
بختيشوع واستدعاء الى مصر لما عتذر (٩٢) . وأرسل الحسام بأمر الله الى ابن  
الهيثم يستدعيه فأجاب وكتب الوزير الفلاحي الى والي حلب وأعمالها بحمل ابن  
العلاء المعري الى مصر (٩٣) ليبنى له دار علم يكون متقدما فيها وسمح بحراج  
مرة التعمير له في حيلته وبعده : وان والي حلب صار الى معرفة التعمير واجتمع  
بأبي العلاء ونرا السجل عليه فاستقبله وكتب الى الوزير الفلاحي يستدعيه من  
ذلك نفعاه .

ولعل من التريف ان الفاطميين مع أنهم كانوا يتقنين بنحلة خاصة فيها  
تحرير عقل واسع كانوا في الوقت نفسه يدمون لدراسة الفلسفة والتعمير فيها  
حتى يقول الفريزي (٩٤) : « ان من حملة المعرفة عندهم ان انفسهم انبياء معرفة  
الخاصة » .

ولعل سبب دعوتهم الى الفيلسوف أنهم كانوا يؤولون الديانات والشرايع  
تأويلا يؤدي الى تعديلها فاحتاجوا الى اللسان والجدل المزود بالفلسفة حتى  
يحسن ذلك (٩٥) .

- (٩٠) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر من ٢٢٥ .  
(٩١) القنطلي : أخبار العلماء في أخبار الحكماء ص ١٠٥ .  
(٩٢) د . محمد كامل حسين : في أنسب مصر الفاطمية ص ٦٨ .  
(٩٣) الفريزي : الخطط ج ١ ص ٢٩٥ .  
(٩٤) شوفاي شينا ، الفن ومداهبه في النشر العربي ص ٢٥٥ .

وأذا درسنا اتحياد العقلية في المعالم الإسلامية في القرن الرابع وما بعده رأينا أكثر العلماء كانوا متأثرين بهذه الآراء التي ينهها دعاة الفاطميين وتري بعض الفلاسفة الذين تبعوا في القرن الرابع وما بعده كانوا على صلة قريبة من العقائد الفاطمية أو العقائد الشيعية عامة . فابن حوقل كان متشعبا لهم حتى قيل أنه من دعواتهم والقاراسي مثلا في حديثه عن القنم والفرج يكاد يتحدث بلسان دعاة الفاطميين ويكاد يشاركهم في حديثه عن التوحيد (٩٦) . وابن سينا قيل أنه اسماعيلي الذهب وإن أباه كلن أحد دعواتهم فمتشعبا متأثرا بعقائدهم ، وجماعة اخوان الصفا الذي يرجح أنهم ازدهروا في ظل البيهقيين الذين كانوا يميلون إلى التشيع ومنهم من اعتنق الدعوة الفاطمية وكان يرأسه الخليفة الفاطمي وظهرت في رسائل اخوان الصفا اسماعيليتهم ، وابن الهيثم كان متصلا بالحاكم بأمر الله الفاطمي ومات في كنفه ، وأبو العلاء المعري حكيم المعرفة كان متأثرا كثيرا كاهلا بهذه الآراء التي كانت تحيط به ، فتد ابيد نسل الحكم الفاطمي إلى بلاد الشام وانتشرت فيها آراء السامانيين كما انتشرت في كل البقاع التي خضعت أو لم تخضع لهم .

ونذكر أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانى فيلسوف الدعوة وحنفها في العراق ١٩٧١ . ونذكر المؤيد في الدين فهو من شيوخ الدعوة وفلاسفتها . ونبيح في عهد العزيز بالله كثير من العلماء بهذه أبو الحسن علي بن رخوان الذي كان طبيبا نيلسوغا ووضح كثيرا من الكتب في الفلسفة والمنطق وغيرها من علوم الحكمة (٩٨) . كما أن لابن الهيثم جولات في ميدان الفلسفة وقد وضع فيها مؤلفات عديدة لم تتناولها أيدي الباحثين .

ولكن ابن أبي أصيبعة في كتابه طبقات الأطباء يورد بعض آراء ابن الهيثم الفلاسفية بصورة عامة فهو يدخل شئون الدنيا والدين في الفلسفة ويجعل علم الحق وعلم العجل نتيجة لها . وهنا نراه يخلط رأي الفلاسفة الإسلاميين الذين سمعوه أو الذين أتوا بعده . فانهم يجعلون علم الحق وعلم

(٩٦) د . محمد كامل حسين : راحة العقل .

(٩٧) د . محمد كامل حسين : راحة العقل .

(٩٨) علي حسنى الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي من ١٢٠ .

العدل شركة بين الفلاسفة والدين على نحو يختلف توصيله باختلاف الفلاسفة ويقول ابن الهيثم في هذا الشأن ما يلي : « أني لم نزل منذ عهد الصيا مرويا في اعتقادات الناس المختلفة ونسبك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأي نكنت متشككا في جميعه موقفا بأن الحق واحد وأن الاختلاف فيه هو من جهة السلوك اليه . فليحكمت لإدراك الأمور العقلية انقطعت إلى طلب معدن الحق نخصت لذلك دروب الآراء والاعتقادات وأنواع علوم الدين ، فلم أخط من شيء منها بطائل ولا عرفت منها للحق منهجا ولا إلى الرأي مسلكا جديدا نرايت أني لا أصل إلى الحق إلا من آراء يكون عنصرها الأمور الحسية وحورتها الأمور العقلية . فلم أجد ذلك إلا فيما قرره أرسطوطاليس ، فلما تبينت ذلك انفرغت . وسميت في طلب علوم الفلسفة وهي ثلاثة : علوم رياضية ، وطبيعية ، والهيئات \* .

ولقد كان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة وكان لا يهيمه المال والجسد بجانب ما يهيمه العلم والوثوق على الحقيقة ، وما زان بلخس ومؤلف ويشرح في حركة دائرية مستمرة ، وفي كل مرحلة من عمره بقيد أسماء ما أتى ، ومكف على عمله هذا في تيبة على سبب الجلسع الأزهر (٩٩) . وكان المهجر شاك وهو أمير من أمراء مصر في العصر الفاطمي ولما بالعلوم الفلسفية يفتنى كثيرا من كتبهم ويلجأ فيها ويستفيد ابن الهيثم من علمه في الهيئة والرياضة ومستحاول الحديث عن بعض فلاسفة العصر الفاطمي منهم :

#### أولا : أقسوان الصفا

من أشهر فلاسفة العصر الفاطمي هذه الطائفة التي تعرف باسم « أقسوان الصفا » وكانت ذات نزعة شيعية بطسرفة حتى قيل أنها اسماعيلية (١٠٠) .

وكانت هذه الطائفة كما يقول الأستاذ براون (١٠١) : موضع عطف بني بويه الذين اشتهروا بالكارههم الحرة - وحلوا ردها من الزمن محسب

(٩٩) د . محمد أمين : زهور الإسلام ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .  
(١٠٠) يرى البعض أن أخوان الصفا جماعة من علماء القرامطة الاسماعيلية وأنهم اتخذوا البصرة مركزا لنشاطهم العلمي وكان لهم فرع في بغداد .  
(١٠١) Brown : Lit. Hist. of Persin. Vol.I, P. 292

العصر التركي . واصبح لهم النفوذ التعللى التام فى بغداد حوالى منتصف القرن الرابع ( ٣٣١ هـ / ٩٤٥ م ) ، ومن ثم استطاعت هذه الطائفة ان تنهض ما بدأه المعتزلة وخاصة ما يتعلق بالتوفيق بين العلم والدين والانسجام بين الشريعة الاسلامية والفلسفة اليونانية ، وتوحيد الثقافة فى صورة دائرة معارف .

وكان اخوان الصفا جماعة سرية تتألف من طبقات متفاوتة ولد اخذوا كثيرا من مبادئ الفلسفة الطبيعية ، متأثرين بالفيثاغورية الحديثة . ولجأوا الى تأويل القرآن تأويلا مجازيا (١٠٢) .

وتعتبر رسائل اخوان الصفا اشبه بدائرة المعارف ، أخذت من كل مذهب فلسفى بطرق ، وتدخل فى الوقت نفسه على ان مؤلفيها نالوا حظا موفورا من الرضى العقلى . وتتألف دائرة المعارف هذه من احدى وخمسين رسالة تقدم على ذلك من العلم الطبيعى ولها من وراء هذا اهتمام سياسى . وتبدأ فلسفة اخوان الصفا بالنظر فى الرياضيات . وبالتلاعب بالأعداد والحروف . ثم تنتقل الى المنطق والطبيعات . فتزد كل شىء الى النفس وما لها من قوى وتنتهى اخيرا الى الاعتقاد من معرفة الله على نمط صوفى (١٠٦) .

وجملة القول فى آرائهم انما مذهب جماعة بمسئلهة تبدو الفزعيات السيسية من جميع اجزائه ، وترى من خلاله بعض ما عاناه اصحاب هذه الرسائل من الآام وما قلموا به من كساح ، وما استودعوا له هم وامسلافهم من ظلم ، وتبين منه ما كان يخلق فى نفوسهم من امل وما تواسوا به من الصبر ، وهم يلتصمون فى هذه الفلسفة الروحية سلاوى انفسهم او نظهرا لها . وهذه الفلسفة هى دينهم وشعارهم المذكور ان يكون الواحد منهم مخلصا عنى الموت لاعتقادهم ان ملائمة الموت فى سبيل صلاح الاخوان هى الجهاد الصحيح (١٠٤) . وكانوا يؤولون الحج الى مكة بلنه مثل ضربة الله لطوائف الانسسان على هذه الأرض (١٠٥) . فلو جئوا ان يساعد اخاه فى هذه الحباة بكل ما يوسع له جهده فموجب على ذى المال ان يجعل للفقير عتسا من ماله وعلى ذى العلم ان

(١٠٢) ديور : تاريخ الفلسفة الاسلامية - ترجمة د . ابو ريدة ص ١٩٥ .

(١٠٣) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٦٥ .

(١٠٤) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٦٦ .

(١٠٥) رسائل اخوان الصفا ج ٢ ص ١١٩ .

يعلم أخاه الجاهل ، غير أن العلم — كما تراه في رسائل الأخوان — حبس نوره خاصة المسبصرين من أفراد الطبقة العليا (١٠٦) .

من هذا نرى أن الغرض الذي كان يرمى إليه مؤلفو هذه الرسائل هو محاربة التوفيق بين الدين والعلم . ولكثرتهم لم يستطعوا إرضاء أهل الدين ولا أهل العلم . فإن المتكلمين والفقهاء والسلفيين عابوا عليهم طريقة الثناويل . كما أن الفلاسفة والمتأثرين منهم بفلسفة أرسطو توجه خاص عابوا عليهم . وادّهم الفلاسفة . ووسع هذا استطاعت الفلاسفة اليونانية أن تستقر في الشرق بفضل هذه الطائفة كما تأثرت بكتابتهم طوائف الإسماعيلية : كلاندرزية والنزارية الثمورين بالتحشيشية في تارس والشم . كما أفساد آخرون في بابل موسوعاتهم على غرار رسائل أخوان الصفا (١٠٧) .

وقد ذكر الشهرزوري أسماء خمسة من مؤلفي هذه الرسائل وهم : أبو سليمان محمد بن نصر البستي ويسمى أيضا « المقدسي » وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد النهرجموري « المهرجاني » والعمري ، وزيد بن ربيعة . ويظهر أن الثلاثة الأولين من هؤلاء من أصل فارسي كما يتضح من أسماؤهم وكان من بينهم أيضا ابن سينا الطبيب والفيلسوف المشهور الذي أنتهت بموته سنة ١٢٨ هـ كما يقول Dietrich (١٠٨) . حركة الفلسفة في المشرق (١٠٩) .

ثانياً — ومن أشهر فلاسفة الإسماعيلية : أبو حاتم الرازي سنة ٢٢٢ هـ : أنجبت الدعوة الفاطمية في المشرق في عهد عبيد الله المهدي دعاه علماء كان لهم شأن كبير في عالم الدعوة وفي عالم الأدب والفلسفة والتأليف بحيث أخذوا على عاتقهم التنافس في الدفاع عن الدعوة بالتلم واللبان على جذب السادة والأمراء بنفس هذا السلاح العنسي الخطير . ومن هؤلاء الدعاة : أبو حاتم الرازي وبسببه الإسماعيلية بسيدنا أبا حاتم عبيد الرحمن الرازي التومسكاني . وكان داعي الإسماعيلية في بلاد الرأى . ويحمل نشاط الدعوة الفاطمية في عهد إمامه عبيد الله

(١٠٦) ديوبور : تاريخ الفلسفة الإسلامية ترجمة أبو ريدة ص ٩٨ — ٩٩ .

(١٠٧) المصدر السابق ص ٩٨ — ٩٩ .

(١٠٨) نشر رسائل أخوان الصفا وترجمها إلى الألمانية بين سنتي ١٨٥٨ —

١٨٨٦ م ونشرت أيضا في ثلاثة أجزاء ( بيجاي ١٣٠٥ هـ ) تصنيف أحمد بن عبد الله .

Brown : Lit. Hist. of Persia. Vol. I, P. 293

(١٠٩)



وخلافته . وقد تآثر إلى حد كبير بمدارس الدعوة التي أسسها عبید الله المهدي في شمال أفريقيا . واستغل رواج هذه الدعوة في بلاد فارس منذ أيام عهد الله ابن مبيون القداح . فدخل كثير من أملاك هذه البلاد في المذهب الاسماعيلي (١١٠) .

وكان أبو حاتم بن كبرار دعاة الاسماعيلية واشتهر بدعوته إلى المذهب الفاطمي ، ولعب دورا عظيما في الثبوت السياسية في طبرستان والديلم . ولاسيما في استنهاج المري حتى استجاب له جماعة من كبار رجال الدولة مثل اسفار بن شرويه وجرادويج بن زيار (١١١) وغيرهما .

وكان لجهود أبي حاتم أثر فعال في اتصال مرداويج بعبید الله ولاغزو فقد كان مؤلأ الدعاء من العلماء المشركة مسغرا عبید الله المهدي إلى أمراء المشرق وعامته (١١٢) .

ويذكر بعض المستنيرين أما حاتم الرازي بكثير من التعميم ، فيذهب بمذهبهم إلى أنه باطني زنديق ، ويرجسه البعض الآخر باعتصاق بهادي الثنوي والذهرية (١١٣) الذين يقولون بأن العالم لا نهاية له . وهذه اتهامات يرمى بها السننون جميع ادعاء الاسماعيلية تقريبا . ومهما يكن من شيء فإن هذه الاتهامات لا تغفل عن أهمية أبي حاتم فقد كان عليا من اعلام النهضة العلمية الاسلامية في فارس في القرن الرابع الهجري ، كما استغل هذه الترويسة ذاتها في الاسادة بإمامة عبید الله المهدي وتنحيسه لذلك فكانت له نظريات كثيرة في مبادئ السر والظهور حتى قالوا عنه : « انه اول من وجه هذين البندان في الاسلام توجيها جديدا » . وعلى الرغم من أن اخواننا كثيرا ما اوردوا في رسائلهم لفظي : الكشكف والستار ( او الستر ) ثم يقصنوا بهما — كما قال الدكتور حسين الهمداني — ما كان يقصده أبو حاتم — كما فعل الفلاسفة

(١١٠) نظام الملك — سفرنامه ج ٢ ص ٢٧٢ .

(١١١) قدم النظم وكانوا جميعا يميلون إلى الشيعة ومن تولاه علي بن بويه رأس البويهيين يقول السيوطي ( تاريخ الخلفاء ص ٢٥٩ ) وكان يريد قصد بغداد وأنه مسلم لصالح الجوس وكان يقول : أنا ارد دولة العجم وأصدق نواة العرب . كما كان على صلة بعبید الله الفاطمي . نهاده وعرض عليه مساعدته حيث بعث بالرسول يحلون المسأل الكثير للمهدي في شمال افريقية وأعلن رغبته في المدخول في طاعته ومات سنة ٣٢٢ هـ بعد أن فتح الري واصنهان وطرده سيده اسفار .

(١١٢) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٦٧ .

(١١٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ — ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٦

نظام الملك — سفرنامه ج ٢ ص ٢٤٧ .

الأفريق الآخرون بذكرهم معاني الكشفا والمبشر . بخلاف ما يقصده الاسماعيلية (١١٤) الذين ذهبوا الى أن الستر الاسماعيلي هو الدور الذي يعمل فيه الامام مخفياً في دار هجرته والذي ينشط فيه دعائه في نشر الدعوة ، ولما دور الظهور أو الكشفا الالهي ، فهو الدور الذي تشرق فيه شمس الامة على انكون . فيظهر الامام المسفور كما ظهرت الشمس من غيبيها بظهور المهدي .

ومن اهم مؤلفات ابي حاتم الرازي : كتاب « الزينة » ويحتوي على ١٢٠٠ صفحة وقد اهداه الى الخليفة القائم الفاطمي ، وتناول فيه الامور الفقهية ، وفلسفة ما وراء الطبيعة ، وبعض موضوعات اخرى كالفرق الدينية والمعلومات الجغرافية القديمة . ويقول الاسماعيلية ان ذلك الكتاب يبحث في اللانسة وحدها ، ولذلك لا يمدونه من كتبهم السرية (١١٥) . وكتاب « علوم النبوة » ويمد من اهم كتب فلسفة المذهب الاسماعيلي . وقد تناول فيه الكلام على نظريات الاسماعيلية في الرسمسل وفي الله تعالى وفي النفس والهيولى والزمان والمكان وغيرها .

وفي هذا الكتاب يرد الرازي على احد الزنادقة الملاحدة ولا يقلل ككتاب « الاصلاح » أهمية من هذه الكتب وقد ذكره حميد الدين الكرمانى دأى الخليفة الفاطمي العظم بأمر الله في فارس . ويتكون من ٥٠٠ صفحة وترجع أهميته الى ما ذكره او أورده المؤلف من تلويل الآيات القرآنية . وما ذكره عن الانبياء (١١٦) وينكر ابن النديم (١١٧) كتاب « الجامع » وليس له الآن وجود ، كما انه غير معروف للبهرة من الاسماعيلية .

من هذا نجد ان ابا حاتم الرازي قد أسهم في الانتفاضة بعهد الله المهدي وعولته ، وفي النهضة بالمذهب الاسماعيلي في شرقى الدولة الاسلامية . كما اسهم في نشر الثقافة الاسلامية عامة فنكلم في الفلسفة واللغة والنفوس والتفه وما الى ذلك . وحاول في هذا كله أن يشرح نظريات الاسماعيلية ومبادئهم . ومع هذا فانه لم يسلم من اضطهاد السفتين وخلصمة الديانة واضطر الى

Ivanow : A Guide to Ismaili Literature, pp. 32-33. (١١٤)

د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٦٨ .

Ivanow : A Guide to Ismaili Literature, pp. 32-33. (١١٦)

(١١٧) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٦ .

الاختفاء في أخريات حياته ومات على ما يقال سنة ٣٣٢ هـ وذلك بعد تولية الخليفة الفاطمي القائم بقتل (١١٨) .

ثالثا : ومن هؤلاء الدعاة أبو عبد الله بن أحمد النسفي البردعي الذي مثل في سنة ٣٣١ هـ في غضون المحنة الكبرى التي ألمت بإسماعيلية المشرق ، وكان قد تنهض على الداعي الأمير الحسين بن علي المروزي داعي خراسان ، وكان الحسين قد استنجد للداعي غيثك كما كان من أعظم تلاميذه علماء وعراية . وقد نهج النسفي نهج أستاذه المروزي في التقرب إلى إمراء عصره وإلى كبار القواد في حكومة نصر بن أحمد الساماني فلم يتوان في أداء بهيته على أكمل وجه ، حتى استطاع أن يجذب إلى الإسماعيلية كثيرين من أهالي خراسان ، ولم يكف بما أحرز من نجاح في هذا السبيل ، بل عبر نهر جيحون واتجه إلى بخارى حيث نجح نجاحا عظيما .

وتكفل لهؤلاء الأبراء الفضيل في معاونة النسفي ببخارى حتى تحول كثير من رجالها إلى المذهب الإسماعيلي ، وفضل هؤلاء وجد النسفي طريقه إلى قاب نصر بن أحمد الساماني الذي رحب به بولائه وطلب رؤيته . وكانت هذه فرصة فريدة تمكن بها النسفي من جذب نصر بن أحمد ورجال بلاطه إليه . وكان نصر من أكبر معارضي المذهب الإسماعيلي . فقبض على أستاذ النسفي وسجنه حتى مات . وقد استغل النسفي كل هذا للاستيلاء بزعامه عبدا لله المهدي ، فطلب حية أستاذه ومخارها ١١٩ ألف دينار ليرسلها إلى الخليفة الفاطمي فكانت موازنة الأمير الساماني على فتح هذه الدجة دليلا على إخلاصه للمذهب الإسماعيلي لولا تم تعبيد الله المهدي ثانيا (١١٩) .

وفي الحق إن علاقة النسفي بالبيت الساماني تكون نصلا ممتازا في تاريخ الدعوة الإسماعيلية ببلاد المشرق في عهد عبید الله الفاطمي ، فقد أصبح الداعي المعظم صاحب الأمر والنفوس في دولة نصر بن أحمد الساماني ، واستغل هذا المركز المتميز وضاعف جهوده في جذب الناس إلى المذهب الإسماعيلي

(١١٨) د . ابن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٦٩ .  
(١١٩) طه أحمد شرف : تاريخ الإسماعيلية السياسية مخطوط ج ١ ورقة ٢٤٦ - ٢٤٨ .

سرا وجهراً ، مما أثار عليه حفيظة كبار رجال الدولة السامانية من السنين ،  
وخصوصاً بعض القواد والعلماء الذين أخذوا يكيفون له ولا نصار المذهب  
الاسماعيلي . وما آل إليه مصر النفسى ، نستطيع ان نتبين مدى تغفل  
المذهب الاسماعيلي في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، كما نستطيع ان  
نشاهد لوتاً من آوان اخلاص الدعوة لمذهبهم ولخليفةهم الفاطمى ، كما نستدل  
على مدى ما كان يعانيه الدعاء المخلصون من عنث واضطهاد (١٢٠) .

يرى ابن النديم (١٢١) ان نصر بن احمد السامانى ندم اخريات حياته  
على اندغامه وراء النفسى . ولما ملك جمع ابنه نوح الفقهاء لمناظرته :  
فلما اُحموه قتلهم وقتل معه كثير من رؤساء الدعاء ووجههم من قواد نصر  
الذين دخلوا في المذهب الاسماعيلي . ويرى نظام الملك ان قواد نصر  
من السنين دبروا مؤامرة على العرش السامانى لاتضمام صاحبه الى  
المذهب الاسماعيلي وتكريه بن الاسماعيلية انصار هذا المذهب ، وقد استقر  
رايهم على عزل نصر وتصيب كبير قواده على العرش . وعولوا على اقامة حفلة  
كبير يعلنون فيه بدء ثورتهم الا ان احد المجتمعين امسى سر هذه المؤامرة لنصر بن  
احمد وابنه نوح فتحايلوا على كبير القواد وقتلاه . ثم قطع نصر بن احمد نفسه  
لولي بعده ابنه نوح الذى عمل على مطاردة الاسماعيلية بعد ان قتل النفسى (١٢٢) .

وان مما حل بهؤلاء الاسماعيلية بعد تكية كبرى حتى انهم اطلقوا عليهما  
اسم « المحنة العظمى » ولاقرو فقد كان لهذه المحنة اثرها في وقف انتشار  
الدعوة الاسماعيلية في بلاد ما وراء النهر منذ ذلك الحين ( اى منذ سنة ٣٢١ هـ )  
الى ان رشح ناصر خسرو (١٢٢) منارها بعد ثمرن ونصف تقويماً . ثم تبعه في  
ذلك الحسن الصباح ( ٥١١ هـ ) مؤسس الدعوة الزارية في خراسان ونارس

(١٢٠) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٧٠ .

(١٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٢٦ .

(١٢٢) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٧٠ نقلاً عن سياسة

نامة ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٨١ .

(١٢٣) كان ناصر خسرو من كبار انصار الدعوة القديمة في عهد المستنصر

الفاطمى الذى عينه نائباً له « حجة » في خراسان وبلخستان مكون جماعة يعرفون

بالمناصرة وهم يخضعون اليوم لافغان .

والنظام . وهكذا قام النسفي بدور خطير في الناحية السياسية بتأليف جبهة قوية موالية لعبيد الله المهدي . كما قام بدور خطير أيضا في الناحية الذهبية بنشر المذهب الإسماعيلي في خراسان وما وراء النهر .

كما من الناحية العلمية : فقد ناقى النسفي كثيرا من الدعاة العلماء ولاغزو فقد ناضت شهرته في عالم الأدب وفي فلسفة المذهب الإسماعيلي كما كان من أحرار الرأي في خراسان ومن أشهر مؤلفاته كتاب « الأصول » ويظهر أن هذا المؤلف من الكتب التي تعرضت لشرح أصول المذهب الإسماعيلي وقد جاء فيه ما ذكر صاحب كتاب « الفرق بين الفرق » (١٢٤) : أن المبدع الأول ابداع النفس . ثم أن الأول والثاني مدبرا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبايع الأربع .

ويرى البغدادي : « أن هذا في التحقيق معنى قول المجوس : أن اليزدان خلقا أحمرين وأنه سبحانه أحمران مدبران للعالم غير أن اليزدان ناعل الضربات وأحمرين ناعل الشرور » .

وقد لعبت يد الدهر بهذا الكتاب ولا نعرف عنه شيئا إلا عن طريق الكرمانى دامى الحكيم في كتابه « الرياض » وكان النسفي في هذا الكتاب يرسى إلى التوفيق بين أبي حاتم الرأزي وزميله أو تلميذه أبي يعقوب المسجستاني .

ولم يكن هذا كل ما بذله النسفي من جهد في التأليف . فقد ألف أيضا كتاب « عنوان الدين » وكتاب « أصول الشرع » وكتاب « الدعوة المنجية » (١٢٥) . وكتاب « كون المعلم » وهو خاص بالفتك بوصف المولم « الكوزموجراف » لكنه يؤسس المبادئ الدينية . وقد عثر عليه ضمن مجموعة خاصة . ومن الغريب أن ذلك الداعي العالم الفيلسوف غير معروف لإسماعيلية اليوم (١٢٦) .

وأخيرا : ومن يبرز من علماء المذهب الإسماعيلي ودعايته : أبو يعقوب اسحاق بن أحمد المسجزي أو المسجستاني - ويلقب ندان : وكان من كبار الدعاة كما كان أليد اليهني للداعي النسفي ، وكان الجدل والمناظرة يقومان

(١٢٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧٨ .

(١٢٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٨ .

Ivanow : A Guide to Ismaili Literature. p. 35.

(١٢٦)

على قدم وساق في مسألة النبوة التي شغلت أذهان المفكرين ومثثذ . وقد أولى الفلاسفة وأحرار الرأي هذا الموضوع كثيرا من العناية . حتى أضحي عليه الدعاة الإسماعيلية في عهد عبيد الله المهدي بن أصرار الرأي أو على الأقل كانوا يتظاهرون بذلك لنشر مبادئهم تحت ستار الحرية في الرأي وتمسك أشرك أبو يعقوب السجزي هذه النهضة وهذه المساجلة العلمية وأدرك استفادته الرازي الداعي الأول . وراه يتلظر الطبيب الفيلسوف محمد بن زكريا الرازي في كتابه « أعلام النبوة » مساهم أبو يعقوب في هذه المناظرة وانخذ من الفلاسفة سلاحا كسهره على نيل المذهب الإسماعيلي فكان بهذا عليا من أعلام الدعاة الإسماعيلية وأحد المفكرين الذين قاموا بتوسط كبير في النهوض بفلسفة المذهب الإسماعيلي (١٢٧) .

ولأبي يعقوب مؤلفات كثيرة كان لها أثر كبير في نهضة الفكر الإسلامي في ذلك الحين بوجه عام وفي نهضة فلسفة المذهب الإسماعيلي بوجه خاص .

وقد ذكر البغدادي (١٢٨) بعض هذه المؤلفات فقال : « وصنف لهم أبو يعقوب السجزي كتاب « أساس الدعوة » وكتاب « الشرائع » وكتاب « كتاب الاسرار » وفكر أبنائو أكثر من عشرين مؤلفا للسجزي ولا يزال أكثرها يشتمع به اليهرة - وهم الإسماعيلية الحديثون اليوم - ولا نستطيع تتبع كل هذه المؤلفات بالبحث وإنما نتناول أهمها وأعظمها أثرا (١٢٩) .

١ - كتاب اثبات النبوة : ويقسم الى سبع مقالات وتشمبه المقالة الباب وتقسم كل مقالة الى اثني عشر فصلا . ويتناول السجزي في كتابه هذا . موضوع اثبات النبوة من جميع النواحي ، أي من المناحي الطبيعية والفاحية الروحية وغير ذلك وينعرض لذكر الأمور التي يتفق عليها الرسل والتي يختلفون فيها . وأهم من هذا كله ما ذكره السجزي في أدوار الرسل والأدلة على اثبات النبوة لحد صلى الله عليه وسلم . ويعرض لما اسماه عجائب القرآن والشريعة (١٣٠) .

Hauzdani : Some unknown Ismaili Authors (J.A.S., 1933): p. 367. (١٢٧)

(١٢٨) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ .

(١٢٩) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٧٢ .

Ivanow : A Guide to Ismaili Literature, pp. 34, 36. (١٣٠)

٢ - كتاب التنبؤ : وهو في حوزة البهرة ويتقسم الى أربعين بابوعا تناول فيه موضوعات كثيرة أهمها : « ما هي المبدع ومالم العقل والنفس ، والزمان والمكان والحيوان وسبب الخلق ، وبدء الخليقة الملائكة وعدم تأليسه العقل للقاء . ومعاني الجنة والنار ، ومعنى صلح عيسى ، وهوية القلم والوحدة والتعدد والبعث والنواب والعذاب ، والفرق بين نبيد الله وتلييد الخلق (١٢١) .

ويرى المتكلمون الهمداني أن الدعاة كانوا ينقسمون في مؤلفاتهم على التكاليف الذي سنكه أبو يعقوب السجزي في كتاب « التنبؤ » حتى نقنا إذا وأزنا بين كتاب زهر المعاني القيم الذي ألفه الداعي الرئيس عماد الدين عن الدعوة الاسماعيلية وبين كتاب التنبؤ هذا نوجدنا أن الخطبة التي انتهجها الداعي الرئيس هي نفس الخطبة التي انتهجها السجستاني (١٢٢) من قبل .

٣ - كتاب الموازين وقد تسميه السجستاني الى تسعة عشر ميزانا تكلم في كل ميزان عن أمور تمت لأصول المذهب الاسماعيلي بصلاوات وثيقة : فتناول في أحد موازينه « معرفة الحقيقة » وفي آخر وجوب معرفة « المبدع » وفي آخر « العقل » ومعرفة أسمائه كما قصر أحد الموازين على الفروع الثلاثة المفرعة عن الأصول (١٢٣) ( العقل والنفس ) .

ومن أهم هذه الموازين ما وقفه على اتصالات والأسس والائمة والحجج والدعاة الى غير ذلك من الموضوعات التي تفيد الباحث في تاريخ التطور العقلي للمذهب الاسماعيلي (١٢٤) .

٤ - كتاب الثمرة ، وقد علق عليه على كتاب المحصول الذي نسبناه الى النسفي وان كان بعض الاسماعيلية ينسبونه الى الكرمانى - داعي الدعاة الخاطبيين في فارس في عهد الحاكم بأمر الله ويظهر أن هذا الكتاب قد ضاع

(١٢١) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الخاطمية ص ٢٧٣ نقلا عن

Ivanow : Ibid. p. 35.

Hamdani : Some unknown Ismaili Authors (J.R.S., 1935). p. 267. (١٢٢)

(١٢٣) الاصلان : هما العقل والنفس والسرور الثلاثة هي : الزمان والمكان والحيوان :

Ivanow : A Guide to Ismaili Literature. p 34.

(١٢٤)

وإن انكروا فقد اطلع عليه واثار آتية في كتابه (١٢٥) وأبو يعقوب مفكر صديق  
ألف نحو عشرين كتابا كتبت بلغة موجزة عميقة (١٢٦) .

هؤلاء هم أشهر دعاة عبادة الله المهدي في بلاد المشرق ، وقد استطاعوا  
أن يرفعوا علم الدعوة هناك عاليا ، وإن يجذبوا الأمراء إلى عبادة الله المهدي ،  
وأهم من ذلك كله أنهم أسهموا في الحياة الثقافية التي تحيط بهم ، ويظهر أن  
مدارس الدعوة التي أسسها عبادة الله كان لها أثر كبير في ترقية هؤلاء الدعاة  
بالحيوية والبداهة التي تساعد على جذب الناس إليهم . كما كانت تعد هذه  
البلاد من حين إلى حين بدعاة درسوا في تلك المدارس وتخرجوا على كبار  
اساتذتها (١٢٧) . وقد أسهم هؤلاء الفلاسفة في النهضة الإسلامية العقلية في  
النصف الأول من القرن الرابع الهجري .

خلاصة : أبو حنيفة النعمان المغربي ( ٣٦٤ هـ / ٩٧٢ م / ٩٧٤ م ) ينتمي  
لأبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن حيون إلى قبيلة تميم :  
ويسميه الإسماعيلية « مسيحتنا القاضي النعمان » ليميزوا بينه وبين أبي حنيفة  
النعمان صاحب المذهب الحنفي المشهور كما يسمونه أحيانا « مسيحتنا الأوحى »  
وأحيانا « القاضي الأجل » وعرف عندهم أيضا بأبي حنيفة الشيعي (١٢٨) .

ملس أبو حنيفة النعمان الفاطميين في المغرب واعترفه غير مرة أنه دخل  
في خدمة عبادة الله الفاطمي حوالي سنة ٢١٢ هـ / ٢٩٠ م وكان النعمان مالكي  
المذهب كباقي أفراد أسرته ، ثم انتحل المذهب الإسماعيلي فأخلص . وكان  
عملة الرئيس في أيام المهدي والقائم والتصوير مقصورا على الجمع والتحفيز  
ونشر الكتب الخاصة بالمذهب الإسماعيلي ، كما تولى القضاء في طرابلس في  
أيام القائم وبنفذه التصوير والممزق قاضيا . ولما جاء إلى مصر كان أحد  
إبنائه ينقلد منصب القضاء . وعلى الرغم من بقاء أبي الظاهر القاضي المعنى  
في منصبه كانت رئاسة القضاء الفعلية في أسرة النعمان (١٢٩) .

(١٢٥) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٧٤ .  
(١٢٦) تاريخ الفلسفة الإسلامية : هنري كوربان ترجمة نصر مريدة وآخرون  
ص ١٢٥ .

(١٢٧) د . حسن إبراهيم وطه شرف : عبادة الله المهدي ص ٢٤٥ وما يليها .  
(١٢٨) Fazl : The Ismailian Law of Matia (J.B.B. AS, 1929). p. 85 .

(١٢٩) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٧٤ .



ويعد النعمان من أهم دعائم الدعوة الإسماعيلية ويذهب الداعي محمد  
السدني لأدريس إلى أن النعمان كان مشرعاً وأنه كان دعامة من دعائم المذهب  
الإسماعيلي ، وعلى الرغم من أن كتاب « العيون » للداعي أدريس لم يذكر  
رئيسه في الدعوة فإنه من المرجح جداً أن يكون قد وصل إلى رئاسة الحجة (١٤٠) .  
وربما كان ذلك راجعاً إلى أنه اشتغل بالتقضاء ، ويقول ابن خلكان عن  
« ناضيه الواصل من المغرب معه » أبو حنيفة النعمان بن محمد الداعي « (١٤١) .  
والحق أن أبا حنيفة النعمان كان رئيساً لتقضاء كما كان داعياً . وقد أماد الدعوة  
الإسماعيلية بكثرة مؤلفات أبي حنيفة في الفقه الإسماعيلي . وفي المناظرة والتأويل  
والعقائد والسير ، والتاريخ والوعظ وغير ذلك . من الثابت أن النعمان لم يضعه  
وأربعين كتاباً بقي منها حتى اليوم نحو عشرين كتاباً وضاع الباقى (١٤٢) .

وأهم هذه الكتب كتاب « دعائم الإسلام » وأسسه الكامل : دعائم  
الإسلام في ذكر الحلال والحرام « والغضايا والأحكام » ويتناول الكلام على فقه  
الإسماعيلية ويضع في مجلدين عشرين يشتمل كل منهما على سبعمائة صفحة  
ويعتبر به البهرة في اليمن والهند . ويذهب الداعي أدريس في كتابه « العيون » إلى  
التقول بأن الخليفة المعز هو الذي حث النعمان على تأليف هذا الكتاب . وكان قد  
بذل بين يديه مع كثير من الدعاة فتناولوا الكلام على الأصول والموضوعات  
والاختلاف في الرواية . فذكر لهم المعز الحديث المشهور : « إذا ظهرت البدع في  
أمة ، وليظهر العالم عليه » والانعليه لعنة الله « . ونظر المعز لدين الله - عليه  
المصلاة والسلام - إلى القاضي النعمان بن محمد - رضوان الله عليه -  
فقال : « أنت المعنى في هذه الأوراق يا نعمان » . ثم أمره بتأليف « دعائم الإسلام  
وأصل أصوله وشرح تروعه » وأخبره بصحيح الروايات عن الحشاهرين من  
آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « (١٤٣) .

ويعد كتاب الدعائم أهم المراجع في فقه الإسماعيلية وقد استغل النعمان

(١٤٠) المصدر نفسه .

(١٤١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٦ .

(١٤٢) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٧٥ .

(١٤٣) د. حسن إبراهيم : تاريخ للدولة الفاطمية ص ٤٧٥ - نقلاً عن عمادالدين

أدريس : ميون الأخبار ( المجلة الآسيوية الملكية ١٩٣٤ م ص ٢٢ ) .

مبوه الذهبية في تأليف هذا الكتاب حتى اننا نراه يزيد قواعد الاسلام فيجعلها سبعا . نذك المجد الذي بفضل الشيعيون عملة ، ليضيف « الولاية » وهي حب اهل البيت ، ثم « الطهارة » الى القواعد الخمس المعروفة عند المسلمين (١٤٤) .

وقد أخذ دعاة الاسماعيلية يرجعون الى كتاب الدعائم في احكامهم كما اخذ الخلفاء بشجعونهم على ذلك . فقد أرسل الخليفة الحاكم ( ٤١١ هـ ) في شهر ذي القعدة من سنة ٣٩١ هـ ( اكتوبر سنة ١٠٠٠ م ) الى هارون بن محمد داعيه في بلاد اليمن رسالة جاء فيها :

« ونحن عنواك للمستفتين في الحلال والحرام من كتاب دعائم الاسلام دون سواء من الكتب المتنتلة » (١٤٥) .

كما نهج الوزير يعقوب بن كلس في كتابه « مصنف الوزير » بتعج كتاب الدعائم والمطب الدعاة المتأخرون في مدح هذا الكتاب ، فذكره حميد الدين الكرماني دامي الحاكم في فارس في كتابه راحة العقل واتساده به حتى جعله في المرتبة التي على القرآن والحديث . وكان المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي بقرا كتاب الدعائم في مجالسه التي كان يلقيها على ابي كلبيجار البومبي .

وفي ذلك يقول المؤيد (١٤٦) : « وكان بناء المجلس الذي نعتد بحضوره في ليلى الجمعيات على ان يبدي بقرائة شيء من قولع القرآن ويتقى من كتاب دعائم الاسلام » .

وقد ترك النعمان المغربي في مؤلفاته الرائعة ثروة ثبينة وعلى الرسم من ضباع كثير من مؤلفاته ، لا يزال اكثر ما بقي منها في حوزة اليهرة — وقد اتساده الاسماعيلية كثيرا من هذه المؤلفات . ولا ضرر فان النعمان ضرب لهم في جيب النشاط العلمي (١٤٧) .

ومن اهم كتبه « الايضاح » وكان مطولا جدا حتى قيل انه شغل مائتين وعشرين كراسة (١٤٨) .

(١٤٥) أي التزادة والفضيلة .

(١٤٦) مؤيد الدين الشيرازي : السيرة المؤيدية ص ٦٢ .

(١٤٧) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٧٦ .

(١٤٨) Hamdani : Some unknown Ismaili Authors. (J.R.A.S. 1933). p. 369.

ومن كتب النعمان : كتاب « ينبوع » وكتاب « مختصر الآثار » وكتاب « الطهارة » ومن كتبه للفقهية التي لعبت بها يد الدهر كتاب « مختصر الإيضاح » وكتاب « كيفية الصلاة » وكتاب « منهاج القرائن » وغيرها .

وما يؤسف له أنه لم يعثر للنعمان على كتاب واحد من كتب المناظرة التي ألف فيها « الرسالة المصرية » في الرد على الفيلسوف و « الرسالة ذات الديان » في الرد على ابن تقيية . وكتاب في الرد على أحمد بن سريح البغدادي وكتاب « اختلاف أصول المذاهب » وقد بقي للنعمان من كتب التأويل كتاب « أساس التأويل » وكتاب « تأويل الدعائم » وقد ضاع من كتبه في هذه الناحية كتاب « نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل » .

وما خلفه النعمان من كتب المفوائد : كتاب « القصيدة المختارة » وكتاب « الهمة في اتباع الآئمة » ومن مؤلفاته في المفوائد التي ضيعت كتاب « الدعاء » وكتاب « الشروط » وكتاب « التعاقب والانتقاء » وكتاب « الطير والطيور » .

لها كتبه في الأخبار والسير ، فقد بقي منها كتاب « شرح الأختار » وقد سامت الأرجوزة التي تسمى « ذات المن » والأرجوزة المسماة « ذات الحن » ومن أشهر كتبه التاريخية « امتحان الدهوة الزاهرة » وهو من الكتب الضخمة المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة . وقد اقتبس منه الغريزي وغيره من المؤرخين ، وكتاب « مناقبنا هاشم » ولم يبق له الناس على أثر .

ومن مؤلفات أبي حنيفة النعمان في الوصف ذلك الكتاب المشتمل على « المجالس والمسائير » وكتاب « معالم الهدى » و « الرسالة إلى المرشد الداعي بصير في تربية المؤمنين » . وقد ضاع كل منها للأسف . ومن الكتب التي تنسب إلى أبي حنيفة النعمان كتاب « تأويل الرؤيا » وكتاب « مناقب الآئمة » . وكتاب « التفرغ والتصنيف » . وكتاب « ملاتيح التنمية » وقد ضاعت كلها ، كما ضاع من كتبه في الحقائق كتاب « حدود المعرفة » وكتاب « في الإمامة » ، وكتاب « نيل الحقائق » وكتاب « التوحيد والأئمة » (١٤٦) .

(١٤٦) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية من ٤٤٧ .

ومن الكتب التي تنسب إلى النعمان ولم تثبت صحة هذه النسبة بعد :  
كتاب « تقديم الأحكام » وكتاب « الراحة والتسلية » وكتاب « سيرة  
الائمة » (١٥٠) .

ومما تنقل به تاليف النعمان عدم الاغراق في التأويل الذي تلمسه في تأليف  
زهيله جعفر بن منصور العين ذلك التأويل الذي اشتهر به دماء الاسماعيلية  
في النور القداحي أو نور السر . وقد أسرف في هذه الناحية دماء الاسماعيلية  
في بلاد فارس خاصة ، ولا يجب فقد كان أبو حنيفة النعمان يخاطب عتولا لا تدرك  
جوهر الفلسفة الاسماعيلية ، ولذلك يعتبر من هذه الناحية خير من يمثل  
الدرسة الاسماعيلية القديمة التي التفت عدم اشارة شعور الرعايا السنين  
عني الحكم الفاطمي (١٥١) .

وإذا حاولنا ان نتقى نظرة على مؤلفي النعمان التقيين « المجالس  
والمسائرات » والهمة وفضل الأئمة » .

فكتاب المجالس والمسائرات يقع في ثلاثة مجلدات ، إلا انه ينقسم لسمين :  
يطلق على القسم الأول منهما اسم « النصف الأول » ويشمل « المجلد الأول »  
وهو في ٣٧٢ صفحة . أما القسم الثاني فيشتمل على مجلدين ويكوّن « النصف  
الثاني » ويشغلان ٦٧٢ صفحة . ويعد كتاب « المجالس والمسائرات » في  
ما ألف في وصف حياة الخلفاء الفاطميين في النور المغربي فقد تناول فيه مؤلفه  
حياة الخلفاء الأربعة وهم : المهدي والثامن والمنصور والمعز خاصة . ويعد أهم  
المراجع التي تناولت تاريخ الفاطميين في النور المغربي . ومن هذا الكتاب نستطيع  
ان نتق على شيء غير قليل عن حياة الخلفاء الخاصة وعن وصف تصورهم وأوقاف  
مراغهم ، وقد أمدنا هذا الكتاب بوثائق ذات قيمة تاريخية كبيرة عن نظام الحكم في  
عهد المعز ، فمن نصائح يستفيد منها المعز للحلوة والحكام والعشاء ، التي أهمل بقوم  
بها هذا الخليفة ، ومنه نتق على مدى اعتماد المعز على الكتبيين في دولته .

كما نعرض النعمان لاستقصاء أحكام الأئمة من أهل البيت مثل جعفر الصادق  
وأبيه محمد الباقر ، وجددهما على بن أبي طالب إلى غير ذلك . هذا إلى تصديده  
للرد على خصوم المذهب الاسماعيلي .

١٥٠) نفس المصدر .

١٥١) نفس المصدر .

ومهما يكن من شيء فإن كتاب المجالس والمسائرات يكشف عن فزارة معلومات النعمان في المسائل القضائية والفقهية ويبين أن المعز لدين الله كلن - على الرغم من صغر سنه - استأذا لهذا العالم العبقري ومن نوابغ علماء عصره (١٥٢) .

ويعتبر كتاب « المجالس والمسائرات » من أجل المراجع التاريخية المعاصرة للمعز ؛ فقد تناول في أسباب علانية المعز بالأمويين في الأندلس ، وشرح أسباب العداء الذي قام بينهما وبين الفاطميين ووازن بين قوة كل من هذين الفريقين ، كما كشف عن مخلوق عبد الرحمن الناصر الأموي من أساطيل المعز وخوفه على عرشه من أن يقع في أيدي الفاطميين ، كما تكلم على الحملات البحرية التي شنّها المعز على الناصر وخلفائه ، وعرض لجهود الأمويين في البريقية ولأول مرة في تاريخ الأندلس ، يتصل عبد الرحمن الناصر الأموي بالمعز ، ويتكلم إليه نارة ويودده نارة أخرى ، وتعتبر الرسائل التي تبوّلت بين الفريقين من أحسن ما كتب في الأدب والمنطق لما اشتملت عليه من الحجج والبراهين في الإثبات والنفي وما إلى ذلك .

وعرض النعمان غير مرة لعلاقة المعز بالدولة البيزنطية فلوضع اعتماد الناصر الأموي على الروم في صراعه مع الفاطميين وصور ما حل بالروم وحلفائهم أمام أساطيل المعز تصويراً رائعاً وذكر الرسائل التي بعث بها أباطرة الدولة البيزنطية لاستدراج عطف المعز ومهادنته .

ولأول مرة نسمع أن مسلمي جزيرة أدرينطس ( كريت ) الذين كانوا تحت حكم الهيلانيين يظلمون أنجدة من المعز لدين الله لحرب الروم - ويرى المؤرخون أن الوثائق التي تبوّلت بين أهل أدرينطس المسلمين وبين المعز لدين الله تنطق على مدى ما وصلت إليه الدولة الفاطمية من قوة ونفوذ (١٥٣) .

كما بصور كتاب « المجالس والمسائرات » موقف المعز لدين الله من صلحي سجناسية وناس ، فبين الأسباب التي أثارت غضب المعز على صاحب سجناسية ، ويذكر أن ذلك الغضب كان راجعاً إلى تلقيه بالقباب الخليفة

١٥٢) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٧٨ .

١٥٣) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٧٩ .

ومنها لقب « أمير المؤمنين » كما يعرض لرحلة جوهري الصقلي الكبرى على بلاد  
العرب سنة ٢٤٧ هـ عرضاً يدل على منق الرواية وتصرى الدقة .

ومن دراسة كتاب « الجلس والمسيرات » نرى كيف كان المعز يرتو  
ببصره إلى بلاد المشرق ويمد العدة لانخضاعها ويضئ انصاره بإملاك الشام  
إلى غير ذلك .

أما من الناحية المذهبية فإن كتب المجالس والمسيرات يعد أهم كتب  
الذهوة الإسماعيلية لأن مؤلفه امتد مدته من الإمام المعز الفاطمي وقد عد  
انصار المذهب الإسماعيلي من أهم مراجعهم الدينية . كذلك يعد كتاب المجالس  
والمسيرات تلمحة أدبية رائعة يمتاز بأسلوب رقيق سهل كما يمتاز بالنسج  
الغائث والمعانيه . ولا غرو فقد سمعنا اتصاف المعز أشهر رجس  
عصره علماً وأخياً . ووجه بأسلوبه اتقوى للجذاب .

وصفة القول : أن هذا الكتاب مادة صادقة للأدب الإسماعيلي والعقائد  
الإسماعيلية ولا يستغنى عنه الباحثون في تاريخ الفاطميين في الدور المغربي  
بوجه عام وفي عهد المعز بوجه خاص (١٥٤) .

أما كتاب « الهمة وفضل الأئمة » فينكون من جزمين يتسفل كل منهما ٤٦  
صفحة . وقد قسم المؤلف الجزء الأول إلى ثمانية فصول ، والقسم الثاني إلى  
أحد عشر فصلاً . وترجع أهمية هذا الكتاب الذي نشر عليه سنة ٩٢٤ هـ إلى  
أنه من أقدم المراجع التي تمثل الأدب الإسماعيلي في مصوره الأولى أصحق تمويل  
كما يعد من أقدم كتب الإسماعيلية التي وضعت بقصد تربية أفراد هذه الطائفة  
وتدريبهم على التفاني في الإخلاص لمبادئها .

ويتناول هذا الكتاب بقسميه الحدود الدينية ويهتم مؤلفه اهتماماً خاصاً  
بشرح واجبات أتباع نحو رؤسائهم المباشرين ، وهم الأئمة ، ونحو الأئمة ،  
كما يعنى بشرح واجبات المستجيبين بعضهم نحو بعض ويرسم لهم الخطط التي  
يجب عليهم أن يسلكوها في حياتهم فنراه يعدد التصل الثالث من الجزء الثاني (١٥٥)  
لنهي « أتباع الأئمة عن التصد والبس والشره والتحد وسوء الظن » ويقصر

(١٥٤) د- حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٨٠ .  
(١٥٥) القاضي النعمان : الهمة وفضل الأئمة ج ٢ ص ٥٢ - ٥٥ .

الفصلين الرابع (١٥٨) والخاص (١٥٧) من هذا الجزء على « ذكر الأمر لاتباع الأئمة بالحلم والاعتد والنواضع له تعالى ولهم « أي الأئمة « وانزاع « ترك « الكبر والافتة ، واعطاء الحق الذي يلزمهم . وذكر الأمر لاتباع الأئمة بالحلم والاعتد والوقار والمسكينة » .

واهم من ذلك ان مؤلفه يعمى على تكليف تلويح الأتباع على ما نراه في الفصل السادس (١٥٨) ويختص بها « ينهى لاتباع الأئمة فيما بينهم من التعامل والتواصل والتواد والتبادل » .

ويهدف كتاب الهمة الى جذب السنجيين الى أئمتهم فيشيد بفضل الأئمة الاسماعيليين كافة ويبين حاجة العالم (١٥٦) اليهم في عبارات خلابة ويحث على السنجيين وجوب « التواضع بعهود الأئمة ورعايتهم وذكر ما أخذ لهم منها » (١٦٠) . ويبين لاتباع ان اتصالهم بالأئمة والجهاد « مهم جهاد في سبيل الله » (١٦١) .

ويعد كتاب الهمة من أهم وأكتم كتب الاشراف المالي عند الاسماعيليين ؛ يبين مؤلفه اشتراعه المالي على أسس مستمدة من القرآن الكريم تحيل المستجيب على ان يؤدي الأموال للامام وهو طئع مختار ولذلك خصص النعمان الفصل السادس (١٦٢) من الجزء الأول لما يجب للأئمة الصائتين اخذه من أموال المؤمنين والمؤمنات . ونراه يقرر على الأتباع وجوب دفع خمس أموالهم لأمهم معتدا في ذلك على بعض الأحاديث النبوية وأحاديث الأئمة الى أن يقول : « ناعلموا أيها المؤمنون - كما عليكم الله « ان ما غنمتم من شيء « أي كسبتموه « فلن نأخذه » تقررون به ليه . وتقدمونه الى امام عصركم ثم ليه الأمر ونسبا يعطى منه فقراء أهل بيته ويتلهم وأبناء سبيلهم (١٦٢) . وهذا

(١٥٦) المصدر السابق : ص ٥٥ ، ٥٦ .

(١٥٧) المصدر السابق : ص ٥٦ ، ٥٧ .

(١٥٨) المصدر السابق : ص ٥٧ ، ٨٠ .

(١٥٩) من الفصل الأول من كتاب الهمة في وجوب الأئمة ص ٨ ، ١٣ .

(١٦٠) وهو عنوان الفصل الثالث من الجزء الأول ص ١٢ - ١٩ .

(١٦١) النعمان القاضي : كتاب الهمة ج ٢ ص ٢٤ - ٣٠ .

(١٦٢) النعمان القاضي : كتاب الهمة ج ١ ص ٢٠ - ٣١ .

(١٦٣) المصدر السابق ص ٢٣ .

يفسر قوله تعالى « وأغلبوا إنما ضمنتم من شيء، قلن الله خبيسه وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (١٦٤) .

ويؤكد في شرحه على وجوب دفع الخمس لإمام الزمان لأنه هو الذي حل محل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته . كما يفسر اعتساف الأئمة الإسماعيلية على قرابتهم من الرسول وبحاريتهم العباسيين من هذه الناحية ، ويقولون أنهم أحق بوراثنة الرسول من العباسيين لأنهم أهل بيته المقربون .

ولم يكف النعمان بحبل الأتباع على دفع الخمس من أموالهم للأئمة فيقول : « على جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس ما غنوه في كل عصر إلى إمام ذلك الزمان من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أمر عز وجل مع زكاة أموالهم » (١٦٥) .

ولكى يربط النعمان بين الأتباع والخلفاء عقيد عدة فصول اتحاد فيها بالأئمة وحزم على الأتباع تنديسهم والتدابير في طلب الحوائج منهم (١٦٦) . شارحا طرق توصيل دعاويهم إلى أئمتهم كما نراه ينهى الأتباع « عن انكسار أعمال الأئمة » ويأمرهم بتلقيها عنهم بالقبول « ويأمر الأتباع بتحريم ما وافق الأئمة صلوات الله عليهم » (١٦٧) .

وبهذا وضع النعمان مسخوفا المذهب الفاطمي الذي يجب على المؤمنين (الإسماعيلية) أن يسيروا على هديه مع أئمتهم ، من ذلك أن المعز قد أناد من مؤلفات رجال دعوته ، وبخاصة تلك المؤلفات التي حاول أصحابها ربط الأتباع بأئمتهم الفاطمية الفاطمي ، ويعد كتاب المهة من الكتب النادرة التي ضربت بسهم في دعم أواخر الحجة والثغاة بين رئاسة الدعوة في التصورية ثم في القساهرة وبين الأتباع في سائر العالم الإسلامي .

وقد أهتم النعمان اهتماما بالغا بتحديد العلاقة بين الدنيا وبينسنجيهم

- 
- (١٦٤) القرآن الكريم - سورة الأنفال : ٢٨ : ٤١ .  
(١٦٥) القاضي النعمان : كتاب المهة ج ١ ص ٣٢ .  
(١٦٦) المصدر السابق ص ٧٨ ، ٨٠ .  
(١٦٧) المصدر السابق ص ٨٠ ، ٨٢ .



من جهة وبينهم وبين الأئمة من جهة أخرى فوضع الخطوط الرئيسية التي يجب على الدعاة أن يسلكوها في جذب الأنبياء وحثهم على التجهل بالصالحات الطيبة كالورع والتقوى والصلاح والعفاف لكي يكون تأثيرهم في النفوس كبيرا . وكذلك بين النعمان في كتابه كيف يختار الدعاة مستجيبين فالزمهم أن يدرسوا جملة الأتباع النفسية والعقلية دراسة وافية حتى يوصلوا إلى عقولهم المعارف التي يستطيعون تبليغها ونهجها (١٦٨) .

كما ينصح النعمان جماعة الدعاة بالتقرب إلى المدعويين فيجعل الداعي من نفسه للمريدين أباً وأخاً ومعلماً ، ويشير على الداعي بأن يقرب إليه من حسنة تبتة وصفت بريرته ، دون اعتبار للجاه أو المال ، فمن التقريب على الدين والفضيل به ، والترغيب لأهله ، أقرب سبيلاً إلى اغتيلاد الناس به ، ودخولهم فيه ، (١٦٩) . كما يظهر إمامهم بمظهر الهيبة والوقار مع لين الجانب وحسن الصيت ، وقلة الكلام ، ومستشوداً يقول جعفر الصادق « اطلبوا العلم وتزيتوا معه بالوقار والطمع وتواضعوا لمن تتعلمون منه ، وإن تعلمتونه ولا تكونوا عليهاء جبارين فيذهب بطلكم بحتهم . . من طلب العلم ليدافع به العلياء ويبارى به السفهاء أو ليصرف به جود الناس إليه . ويتكبر عليهم . فليقبوا متعده من النار . أن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها » (١٧٠) .

كذلك يحتم النعمان على الدعاة أن يكونوا ضياءاً تزيهين بحكمون بين المستجيبين بالانستطاس المستقيم جاعلين نصب أعينهم مسالاح أحوال الأتباع . ولهذا تصر المؤلف الفصل المعاشر من الجزء الثاني (١٧١) على « فكر ما ينبغي لمن استرعى أمر رعاباً الأئمة ، من السير بالعدل فبمن ولوا أمره من الأئمة » .

وهكذا كان للنعمان السر لا يعدله أثر في التهفة التقابلية للدعوة الإسماعيلية وأن النعمان يكتب بعد قيام الدولة الفاطمية بتليل ، نكتب في النصف

(١٦٨) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٨٢ - د . علي حسني الخريوطي : أبو عبد الله الشيعي ص ٢٢ .  
 (١٦٩) القاضي النعمان : كتاب الهمة ج ٢ ص ٨٩ .  
 (١٧٠) المصدر السابق ص ٨٩ - ٩٠ .  
 (١٧١) المصدر السابق ص ٨٤ - ٨٨ .

الأول من القرن الرابع الهجري سنة ٢٤٦ هـ أي بعد مضي نصف لسنون فقط على أحداث رسالته وكان النعمان مطلعاً على كل أسرار هذه الدعوة فقد كان النعمان لمضي قضاء الدولة الفاطمية وهو أيضاً من كبار الدعاة الفاطميين (١٧٢) .

لذلك يحق للعلماء أن يسموه « المشرح الإسماعيلي » ولاغرو فقد كان مساعد المعز الأمين . ولعمارة الناطق واستحق بهذا كله أن يتربع على عرش الدعوة الإسماعيلية في المغرب وأن يورث أبنائه هذه الزهامة في مصر حيث توفي في شهر جمادى الآخرة سنة ٣٦٢ هـ وصلى عليه المعز لدين الله الفاطمي .

سائلاً : جعفر بن منصور البين (١٧٦) :

اشتهر جعفر بن المنصور ( بن حوشب ) (١٧٤) منذ نعومة أظفاره بهب الفاطميين .

وتحدث النعمان عن ابن حوشب « قتال » أنه من أهل الكوفة ، من أهل بيت علم وتشيع . وقد درس القرآن الكريم والحديث والفقه وكان في أول أمره يفتق تعاليم الإثني عشرية أصحاب محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق وكان يعتقد أنه المهدي ثم أصبح من أبرز دعاة الإسماعيليين . فحسار يدعو ثلاثاً محمد الحبيب (١٧٥) . واهتم ابن حوشب بنشر الدعوة الإسماعيلية خارج ودخل بلاد اليمن ، فمرسل دعائه إلى اليمن والبحرين والمسند والهند ومصر والمغرب (١٧٦) .

واختلف مع أخيه أبي الحسن بن منصور الذي نثار على الخليفة المهدي في آخر أيام حياته وغامر جعفر ببلاد اليمن حنفاً على أخيه وتصد ببلاد المغرب

(١٧٢) د . علي حسني الخربوطلي : أبو عبد الله الشامي ص ٢٦ .

(١٧٣) د . طه شرف : تاريخ الإسماعيلية السياسي مخلوط ج ١ ورقة (٢٨) ،

٢٨٢ .

(١٧٤) اختلف المؤرخون في تفاصيل اسم ابن حوشب فابن الأثير ( الكامل ج ٧ ص ٢٠ ) وابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٢٢١ يذكر أن اسمه هورستيم بن الحسن ابن حوشب بن دادان النجار ) . بينما يرى المقريزي أن الجدة الأكبر هو زاذان انتعاش الحنفاً ج ١ ص ٤٠ ويذكر النعمان ( افتتاح الدعوة ص ٣٢ ) أن اسمه هو ( أبو القاسم الحسن بن حوشب بن زاذان الكوفي ) .

(١٧٥) د . علي حسني الخربوطلي : أبو عبد الله الشامي ص ٢٢ نقلاً عن

إنتحاح الدعوة ص ٤٧ - ٣٥ .

(١٧٦) المصدر السابق ص ١٨ و ١٩ نقلاً عن افتتاح الدعوة ص ٢٣ .

في ( سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٣ م ) ويظهر انه كان يواصل أخياه ويؤنبه على ما افترسه مع الفاطميين (١٧٧) .

وقد تمتع جعفر بمركز رفيع في الدولة الفاطمية في المغرب ثم في مصر . وكان موضع تقدير القلم والتصور كما نال تقدير المعز حتى انضده « بلب ابوابه » في مصر وهي أعلى من رتبة قاضي القضاة ولاغرو فقد ضرب جعفر بلوفر سهم في التأويل الاسماعيلي ، كما كان لقراره من بلاد اليمن حبا في النهوض بالمذهب الاسماعيلي اثره في تقدير الخلفاء الفاطميين له ومحبتهم لياه وعطفهم عليه . وقد ترك جعفر كثيرا من الآثار العاطية التي لا تزال عمدة البهرة الى اليوم . ومن اهم مؤلفاته كتاب « تأويل الزكاة » وهو بيكيفة للمجاهدة بلندن . وقد آلفه على ما يبدو في عهد المعز حين لطف . ومنه نقفه على غلو الاسماعيلية في تأويلهم حتى لقد ذهب هذا المعني الاسماعيلي الى تاليه الائمة مؤيدا في تلك النظرية الاسماعيلية التي تقول : « من عرفه اهل زمانه عرفه ربه » (١٧٨) .

ويقول دي غويه (١٧٩) في كتابه « تأويل الزكاة » ان به كثيرا من جهادى القرامطة الخارجة على الدين . ويذهب الأستاذ ماسينيو (١٨٠) الى القول بان جعفر اذاب هذا الكتاب في سنة ٣٦٠ هـ ويمسويه تأويل الفرائض . ويذهب الأستاذ ايلانو (١٨١) الى ان كتاب تأويل الفرائض هو نفس كتاب جعفر المسمى « الفرائض وحدود الدين » .

ولجعسر بن منصور الهم من الكتب أيضا كتاب « سرائر الفطساء » وكتاب « الصواهد والبيان » المخطوط بدار الكتب المصرية بكتبة لبيور باشا تحت رقم ١٨٤ عقائد . وله من الكتب كتاب « الكشيف » وهو كتاب قيم في التأويل اول فيه بعض آيات من القرآن في شيء كثير من الغلو .

- 
- (١٧٧) الجهادى البيهاتى - كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة ص ٤٠ .  
(١٧٨) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥ .  
(١٧٩) Mémoires sur les Carmathes du Bahram, Vol. 1, pp. 169-170.  
(١٨٠) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٨٥ نقلًا عن صجب نامه ص ٢٣١ .  
Ivanov : A Guide to Ismaili Literature, p. 31. (١٨١)

( م ٢٢ - الحياة الفكرية في مصر )

من ذلك ما ذهب إليه في تفسير قوله تعالى « والتين والزيتون وطور سنين  
وهذا البلد الأمين » بأن التين هو الحسن والزيتون هو الحسين وطور سنين هو  
سيدتنا محميدة صلى الله عليه وسلم والبلد الأمين على بن أبي طالب الأمر الذي حداه  
على أن يأمر بحفظ محتويات هذا الكتاب ومدم إذاعة أسرارها .

ولجعفر بن منصور من الكتب كتاب « الفترات والأثرانات » ويسمى « الجفر  
الأسود » ويظهر أن كتاب « الجفر » الذي بنسب إلى جعفر الصادق .  
ويعتقد الإسماعيلية أن على بن أبي طالب هو الذي وضع أسره ليسلمه  
علم التأويل والباطن في سلالته كما يظهر أن « الجفر الأسود » من وضع  
أحد الدعاة الآخرين لأنه يتناول حوادث وقعت في القرن الضاليم الهجري  
ويتناول هذا الكتاب حوادث بعض الأنبياء مع أصدادهم ويتعرض لشرح نادر  
الكواكب في الدعوة وأطوارها فهو إذن نوع من الملاحم التي أغرم بها الإسماعيلية .

ومهما يكن من شيء فإن جعفرا سلك في مؤلفاته هذه ممسك التأويل حتى  
أنه نادى ببدا استقرار الأدب والاطول أي حلول الأنبياء من شخص إلى آخر (١٨٢) .

وبهذا نرى أن نشاط الداعي جعفر بن منصور كان خصصها في دراسة  
عقائد المذهب الإسماعيلي ، ويقص علينا الداعي ادريس عماد الدين في كتابه  
« عبود الأخبار » ما يشمرنا بسمو مركز جعفر في الدعوة الإسماعيلية ذلك  
أن أبا حنيفة النعمان قاضي قضاء المعز لدين الله مرض وهو بمصر فزاره كثير  
من علية القوم ومنهم جعفر باب أبواب المعز ، ولما أبل أبو حنيفة من مرضه  
رسالة المعز عن زاره ففكر أسماءهم جميعا سوى جعفر بن منصور فأخذ  
المعز بطري جعفرا لم قدم إلى أبي حنيفة رسالة وطلب منه ثرائها وسأله  
عن مؤلفها وقد نالت هذه الرسالة أمجاد قاضي القضاة حتى أنه قال للخطبة  
المعز أنها من تأليف مولانا الخليفة فأجابه المعز بأنها من وضع مولاه الرئيس جعفر  
ابن منصور .

وفي وصف المعز جعفرا بالرئيس والمولى ما يشهد بعلو مكانته لذلك  
لزم القاضي أبو حنيفة على الفور وذهب إلى دار جعفر الداعي وعبر له عن  
احترامه وتقديره وهكذا كان مركز جعفر بفوق مركز النعمان .

ومسغوة القول ان جمعنا أحد اثنين بعدان من أشهر الدعاة الذين تجبهم  
دارس الدعوة في بلاد المغرب خاصة ، وقد هلت بعد رحيله الى مصر  
مع المعز (١٨٢) .

وهكذا سهت الدعوة الاسماعيلية بأدابها في عهد هذا الخليفة وبلغت  
أوجها على يد الامام المعز نعمه وقاضى فضله التملن ولب أبوإيه جعفر  
ابن منصور ، وكان لهذه المدرسة التي تقيها هؤلاء الثلاثة أثرها فيما بعد .  
وانستطاع أحد تلاميذها وهو حميد الدين الكرمانى أن يرفع سائر الدعوة في  
عهد الحاكم في كل من فارس ومصر ، فكان المؤيد التميمى والحصن  
الصباح اثرا من آثار هذه المدرسة (١٨٤) .

#### بسماعيا - حميد الدين الكرمانى :

وهو فلاسفة الاسماعيلية أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكرمانى  
شخصية علمية خارقة يكتف تاريخ حياتها الغموض ، وميلوف كبير مباحث في  
عصره ، آمن زاهر ، وداع جليل حظ في صفحات الفكر اقوم اليحيوت وأعيق السلطور  
وترك للأجيال مبدأ من المؤلفات اقل مما يدل أنها كنز سمين وترات خاند (١٨٥) .  
كما عرف الكرمانى بكثرة انتساجه وعميق تفكيره ، داعيا المتاكم بأمر الله  
فكتب عدة رسائل نائش فيها بذهب الدرور وهو الأخران الذين نرعسوا عن  
الاسماعيلية (١٨٦) .

ويضع دعاء الدين وعلماء الاسماعيلية امام اسمه كلمة « - يدنا »  
بالغة في تكريمه وتعظيمها لمكانته وقدره ، ويعتبره فلاسفة العالم الاسلامى اعظم  
عالم انتجته المدرسة الفكرية الاسماعيلية في عهد الدولة الفاطمية ، لها كتابة  
« راحة العقيل » فهو من الكتب الفادرة القيمة التي ظما يوجد بين كتب  
الفلاسفة المعاصرين ما يعايله قوة ومثانة وعظما . لنظك كلن طلبه قلبلا ورواجه

(١٨٢) د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٨٦ .

(١٨٤) د. حسن ابراهيم وعطه شرف : المعز لدين الله ص ٢٥٨ وما يليها .

(١٨٥) محمد حسن الأعظمى : عبقرية الفاطميين : أضواء على الفكر والتاريخ

الفاطميين ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(١٨٦) هنرى كوربان : ترجمة نصر مروه وآخرين : تاريخ الفلسفة الاسلامية

ص ١٢٥ - ١٢٦ .

بظيئا محدودا أو مختصرا على خاصة من العلماء الأنداز والفلاسفة المبحرين  
فكره الداعي الإسماعيلي المؤرخ اليمى الكبير ادرىس مهنا الدين فى كتابه  
عيون الأخبار فقال : « هو أسس الدعوة التى عليه مبادها وبه علا وأستقام  
منارها وبه استبانت المشكلات وألترجت المضلات » (١٨٧) .

ووصفه الداعي الإسماعيلي السورى نور الدين أحمد فى كتابه عمول  
وأخبار فقال : « لو أن الدعوة الإسماعيلية لم تنتج غير الكرمانى لكناها نخرا  
ومجدا ، ولكن ذلك كائىسا . ظهر أثره وعظم شأنه فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله  
الفاطمى وكان لقبه حجة العربىين » .

أى أنه كان مسئولا عن شئون الدعوة الثقافية فى فارس والعراق وفى  
القاهرة كان مركزه كقمام حجة جزيرة ، فهو أحد الحجج الأثنا عشر المثقىين بإدارة  
شئون الدعوة الإلمبية الأذاعية الفكرية فى المسالم ثم أنه استفخدم بعد ذلك  
كرئيس لدار الحكمة بالقاهرة وهى المؤسسة الثقافية التى نستطيع أن نقول  
أنها أول جامعة أنشئت فى العالم .

وفد على القاهرة سنة ٤٠٨ هـ بناء على طلب الصائق المسمون « أخكىن  
الضيف » دأى دعامة الدولة الفاطمية فى عهد الحاكم بأمر الله عندما هوى  
وطيس المعارك الدينية وقامت الدعوات الجديدة وراح بسوق البدع التى كانت  
تهدف الى التلو والقول بالكوهية الحساكم بأمر الله ثلاثى الدروس والمحاضرات فى  
دار الحكمة وقاوم الدعوات الجديدة التى تتنافى ومبادئ الفاطميين الإلمبية .

ومهما يكن من أر فلنا فى هديتنا عن الكرمانى مستفعرض له كلبلسوف  
من فلاسفة العلم ، صال وجبال على مسرح الفلسفة الكونية وعمل كل  
سأ فى وسعه لا يجاد مدرسة ترتكز على أسس عقلية جديدة بالنسبة لعصره .  
وأخيرا نال الكرمانى من الفلاسفة المغورىين فى عالمنا الفلسفى .

وفى الواقع فإن دراسة مؤلفاته وانتساجه من الإلمبية هوى تعطن صورة

---

(١٨٧) محمد حسن الأعظمى : عبثوية الفاطميين أضواء على الفكر والتاريخ  
الفاطميين ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

واضح من اثر الفلسفة في تاريخ الفكر بالنسبة للمهتمين بالدراسات  
الشرقية والفلسفة الاسلامية (١٨٨) .

استطاع الكرمانى ان يضم الى المذهب الاسماعيلى والى الموصل المغلذ بن  
يوسف حتى خطبه على منبر الموصل للامام العزيز الخليفة الفاطمى في  
سنة ٢٨٢ هـ .

وتورد المؤلفات الاسماعيلية ان الكرمانى استدمى للقاهرة في سنة ٤٠٨ هـ  
تكان يحضر مجلس دامى الدعاء وكان ابناء الدعوة يلقون عليه المسائل التى  
جعلوها الى الابدحان ذريعة والى بسط الشغب شريعة . وكان يجيب عليها  
وكثير من رسائله هى ردود على من رآهم حادوا عن الدعوة الاسماعيلية او  
ابعدوا عنها (١٨٩) .

ومن رسائله « الرسالة الكفنية » في الرد على الشريف الهارونى الحنبلى  
« والرسالة الواظمة » في الرد على الفرغانى ابن الاحزم أحد دعاة الدرزية  
ورسالة « مبسّم المشاربات بالامام الحاكم » ورسالة « الصبوم »  
وغرها (١٩٠) .

واذا قرانا رسائل الكرمانى وكتبه وجدناه يتحدث في الفلسفة الضربيمية  
والالهيية كما في « واحة المعتل » الذى يعد من اقوم كتب الفلسفة في العصر  
الفاطمى فهو في هذا الكتاب تلميذ من تلاميذ الفيلسوف اليونانية المصطنفة  
بالمصنفة الاسلامية على المذهب الفاطمى وهديته من ابداع المعتل الكلى  
وصقلته وخصائصه وانبعثت النفس الكلية وصفاتها وعن العالم الروحانى  
وعالم الكون والسماد . يدل على ان الكرمانى كان من اكبر الباحثين في هذه  
الموضوعات الفلسفية . ولاشرو ان كان لهذا الداعى اثره في تاريخ المذهب  
الاسماعيلى الى اليوم نكل من نجاء بعمه اخذ عنه وانتبس من رسائله وكتبه

---

(١٨٨) محمد حسن الاسلمى : عبقرية الفاطميين افسواه على الفكر والتاريخ  
الفاطميين من ٢٢٤ - ٢٢٨ .

(١٨٩) د . عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ج ٢ من ١٩٢ - ١٩٨ .  
(١٩٠) وزارة الاوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره من ٨٧ ، ٨٨ .  
د . محمد كامل حسين : في ادب مبعثر الفاطمية من ٨٧ - ٨٨ .

ومن أشهر كتب الكرمانى كتاب « راحة العقل » وله رسائل في أدب  
الإسماعيلية وكتاب « المجامع البغدادية » وكتاب « المجالس البصرية » جمع  
فيها محاضراته في التلويح (١٩١) .

ويعتبر الكرمانى من أشهر الفلاسفة الفاطميين الذين تحدثوا في الآلهيات  
في هذا العصر فهو يتناول في رسالته : « بياض البشرات بالأمم الحاكم » :  
« غائى لما وردت المخترعة النبوية مهاجراً والسدة العلوية زائراً ورايت انتهاء  
قد أطلت بسحاب عميم والتاس تحت إيتاء عظيم » (١٩٢) .  
تلك انن شخصية غدة لم يجد التاريخ بيننا الا نائرا .

ثالثاً : المؤيد في الدين حبة الله انشيزارى :

وهل نستطيع أن نتحدث عن غلاسة الدعوة الفاطمية دون أن نتحدث  
من هذا العالم الفيلسوف الذى بلغت علومه الذروة على يديه تلك  
هو المؤيد في الدين داعى الدعوة الذى عرف بناظرانه مع أبى العلاء المعمرى  
في تحريم أكل اللحم وقد أراد المستشرق مرجوليرث الانجليزى أن يعرف شيئاً  
عن حياته فحافه التوفيق واكتفى بذكر اسمه دون حياته ولكن بالرغم من أن  
المؤيد لم يكن مصرى المولد والنشأة ؛ فقد وفد على مصر وأقام بها زهاء ثلاثين  
عاماً وادغم إلى جمهرة من المصريين (١٩٣) الذين أخذوا عنه علوم الدعوة فنشر  
في الحياة العقلية المصرية جهادته التى ينادى بها وفي مصر أخذ منه المسك بسن  
ملك قاضى الصليبيين باليون فنقلت من مصر علوم الدعوة إلى اليمن . وأصبح  
اليمنيون يبنون للمؤيد بالاسنادية في علوم الدعوة وفي مصر انشد المؤيد قدسك  
ديوانه وألقى مجالسه التى بلغت المائتة مجلس .

فلا غرو أن حبة الله بن عمران موسى بن داود الشمرزى قد ولد بشيراز  
في العشر الاخير من القرن الرابع من الهجرة في أسرة اتخذت العقيدة العاطمية  
مذهباً لها . وكان أبوه حجة بنزير فارس أيام الخاتم العاطمى ؛ فذا ابنه حبة الله  
ليأخذ مكانته في الدعوة في هذا الاقليم . وأخذ منذ نشأته بالالم بكل شىء يحسن

(١٩١) وزارة الأوقاف وتنون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ص ٣٣ .

(١٩٢) ده محمد كاهل حسين : رسائل الكرمانى نسخة خطية .

(١٩٣) ده محمد كاهل حسين : في أنبى مذهب العاطمية ص ٥١ .



الدعوة واسرارها ، وكاتب الحاكم بأمر الله بان يولى ابنته هبة الله امر فارس من بعده . وبالفعل أصبح هبة الله حجة فارس بعد ابيه . وما لبث ان اصبح يملك نفوس ابناءه فاتقوا له الاتقياد كله . فكانوا يفتشون اليه اسرارهم الخاصة حتى اهل بيته . ويضحون في سبيله بلزواحمهم وكثر اتباعه حتى خشى السلطان ابو كالبجار البويهى سلطوته ونفوذه وهم ان يتقيه مرارا من شيراز ولكنه كان يخاف ثورة اتباع المؤيد وبلغت كراهية السلطان ابي كالبجار للمؤيد انه كان يكره سماع اسمه في مجالسه ولكن المؤيد في الدين اختل حتى استطاع ان يتصل بابى كالبجار وان يجعل السلطان يستمع اليه وان يعقد مجالس للمناظرة بين المؤيد وعلما المعزلة والشيعية واهل السنة . فكان المؤيد يبرز على خصومه ومناظريه ، فاضطر السلطان امام قوة بيبانه وداغ حجته الى ان يخضع للمؤيد ، بل لان يدخل في دعوته ، وان يعقد مجلسا خاصا يلتقى فيه المؤيد على السلطان شيئا من علوم اهل البيت واهله .  
انتمى من كتاب « دعائم الاسلام » لثقافتى النعمان .

كان ذلك كله سببا في غضب جمهور اهل السنة في فارس ولاسيما القضاة والعلما فغضبوا ويغرون صدور الثوريين من ابي كالبجار ونتمائه على المؤيد ، وانتزوا قرصة وانتمم للايتاع به ، ذلك ان المؤيد زاد اتباعه في مدينة الاهواز فوجدوا سجدا فنيما تهدت جدرانها فامر نسيمته بتجديده ونقش على محرابه بالذهب اسماء الائمة القاطنين ومطلب من ثقائه الاذان فيه « يحيى على خير العمل » اذ ان الشيعة وخطب يوم الجمعة باسم المستنصر النساطى تجهر بالدموة القاطنية دون خشيته واعلم عسكانه في بلد يدين للعباسيين مما جعل ناضى الاهواز يرسل الى الخليفة العباسى ببغداد ينعى الدولة العباسية وضياح خلافها على يد المؤيد في الدين .

كما نزل اهل السنة على ابي كالبجار وجاء الوزير العباسى ابن المسلمة موقدا من تبيل العباسيين للقبض على المؤيد وكان ابو كالبجار اذ يرنو الى ملك بغداد ، فكان امام امرين اما ضياع هذه الفرصة من يده في سبيل رماية ذبة المؤيد ، واما ان يضحى بالمؤيد في سبيل نظامه . وأدرك المؤيد تردد ابي كالبجار في هذا الامر ولا سيما بعد ان قطع السلطان مجالسه القبلية مع المؤيد ورغبته عن لسانه نام يجد المؤيد بدأ من

النزوح عن وطنه تميز بختبها بمتجنبها الطريق العميلة سالكها البراري والقفار حتى ومسل إلى مصر سنة ١٢٧ هـ (١٩٤)؛ جاء إلى مصر بحدوده الأمل فيما سيكون عليه شأنه من جاء السيلطان وثوقه لأنه خدم دعوته بما لم يخدمها به أحد من الدعاة قبله . وقام بليرها خير فيلم ولكنه من جهة أخرى كان يعلم أن الأمر في مصر ليس بيد أهله المستنصر بل كانت السلطة كلها بيد أم المستنصر ووكلائها أمثال النستري واليازوري وغيرها .

وبصرح المؤيد بذلك في سيرته يقول : « ولغيت بثسق النفس الجاني الطاهر مترجحا بين أهل ويسى ، ومتمقبيا للثقى ما يلفان من بارقي ابحاشي وابناسي ، فلما الأمل لمن جهة خدمة ما خدم مثلها نيري ، حداني حاديهسا ، وناداني بالأهل والمرحب مذابها ، وأما الأبنس فمن حيث عابت فن المقصود شمسن توارت بالحجب ووجه نهار تبرقع بالسحاب وأن المسالفة لعلها تغلثن من الاضاعة في يم ، وتؤدي بي من حيث أردت عنها إلى غوم . . . ادخلوني من باب القاهرة المعزية التي تصر الخلافة عبرها الله تعالى -- فاستأمت على جلاري المساعدة في مثله الأبواب ولحت الثريا ثرابا نحتت ندى إذ ترشلت ذلك التراب وأجلستوني هنيهة لأفوق من غشمسية الهيبة التي ملأت جوانحي لما غشيت المسرة بمشاهدته ذلك المقام غلبي وجوارحي ثم ادخلوني إلى الوزير المعروف بالفلاحى - رحمه الله - فرأيت شيخا عليه من الوعر مسحة ، ومن الانسانية سمة ، غلاني وترب وأكرم ورحب ، وخرجت لأدخلوني إلى دويرة (١٦٥) كانت غرستت لى وهى من الكرامة في الدرجة الوسطى من الحال لا بالاكثار ولا بالافلال . »

وعندما استقر بمصر واتصل برجلها وحضر مجلس الدعوة فيها ، ولكن الوثابية لم تتقلع عنه والدماسن هناك حيلها حوله فكان يقربه الوزراء حينما ويعدونه حينما آخر ، فعاش في مصر بين الرضا والغضب وكثيرا ما فكر في الرحيل عن مصر ، ولكن أقوم أميسسحوا له بالرحيل ، وكان يأمل أن يولى مرتبة دامت الدعاة ولكنها كانت غير منه كلما حاول الامسك بها ، وأخيرا عينه الوزير اليازوري رئيسا لديوان الانتشاء وزاد في معاشه فتحسننت حاله ، فظل في

(١٦٤) د . محمد حسين كامل : في ادب مصر العاطفية ص ٦٠ - ٦١ .

(١٦٥) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر العاطفية ص ٦١ - نقلا عن السيرة المؤيدية .

هذا العمل الى أن علم بشياع الأتراك التركمانى لامتلاك بغداد ، وهنا تظهر لنا  
وجهة المؤيد وتوقد ذكته اذ أدرك ان التركمانية خطر على الدولة الفاطمية وأنه  
اذا تم أمر بغداد لطغرل بك فإنه لا ينتهى عن محاربة أملاك الفاطميين في بلاد  
الشام وأعلى الجزيرة ، فأسرع المؤيد في الدين في رد هذا الخطر عن أملاك  
أمامه فكانت رجال طغرل بك يستعملهم الى الدعوة الفاطمية كما أرسل الباسرى  
وغيره من رجال العباسيين الذين يحقدون على التركمانية ويخشون سلكهم  
البلاد ووعد هؤلاء بإمدادات الفاطميين ان تأمروا ، أما الباسرى ورجاله  
فخرجوا بالعمل باسم الفاطميين على حين لم يستجيب رجال طغرل بك بل يفسن  
المؤيد أن الحرب لا تسك نكسة بين الفاطميين والتركمانية بمنشط للدعوة بين  
الوزراء ورجال مصر لعرب طغرل بك . ووجهت دعوته قيولاً منهم ، وأعدت بحر  
الخلع والسلاح والعتاد والأموال . وانتقلت النولة على هذه الحطة أموالاً جنة  
ذكرها المؤرخون في كتبهم وهى الأموال التى أئنت الى ضعف مصر اقتصادياً وجرنها  
الى ما عرف بالشددة العظمى وطلب من المؤيد أن يكون على رأس هذه المتناقلة  
لتسليم هذه الخزائن الى الباسرى فاعتذر المؤيد ولكن المستنصر الفاطمى  
أمره بان يكون على رأس الركب فلم يسمح المؤيد الا الخضوع لأمر أمامه وطلب  
من المؤيد أن يجلس خلع الوزراء لمبى وأمن في الأبناء .

وهكذا بدأ المؤيد حياة جديدة ، حياة الرجل العسكري وحياة السياسي  
الداعية ، فقد خرج من بحر وليس معه جندي واحد وإنما كانت معه ذخائر وأموال  
وعناد حربى ورسم له أن يصطنع من الأمراب وأمراء البادية ومن العرب والاكراد  
من يئسوا ويخربهم جميعاً بالأموال والخلع والأتخاب بن ثعلب الفاطميين . حقناً  
كان للمؤيد دور بارز في نشر الدعوة الفاطمية وإعادة بلاد أخرى خرجت عن الدعوة  
وسلمائها كما نجح في حربه مع التركمان وطردهم من العراق مع كثرة انصارهم  
في الكوفة وواسط وطلب واستجابهم لدعوته (١١٦١) . واستنطاع المؤيد بسا  
تجميع حوله ان ينضم في موقعة سنجار التى ذكرها الشافى ابن حيسوس في  
تصديده منها :

مجت لدعى الاتفاق ملكاً وغايته بغداد الركود

بهذا النصر الذي احرزه المؤيد دانت له الموصل والجزيرة وحيار بكر ولكن جموعه كانت فوسم نفوسا وبهاضة متساحنة فصرعان ما تعب بينها النفور وحل الشتاق وتفرق منه اكثر الامراء حسدا منهم ان قريتهم المؤيد اليه . ووصف المؤيد حالهم بانهم كان بين ذناب تتفادس وكلاب تتهاش . وكان يحاول تهدنتهم واصلاح ما بينهم فلم يوفق ، ولم طغرلبيك بحالهم فاسرع اليهم وهزمهم وكان المؤيد اذ ذلك في الرجبة فاصطنع المبر والثبات واخذ يبحث من لفرقوا عنه الي الرجوع اليه ويمددهم ويمنبهم ولكنها كانت صيحة في واد ، وخشي ان يدركه العدو وهو حي فآثر ان ينسحب الي حلب وانخذها مخرا لتيادته وكانت حلب في يد اورداسيين الذين قطعوا خطبة الفاطميين ، فما زال المؤيد بهم حتى سهلوا بلدهم الي الزوالي الذي ارسنه المستنصر الفاطمي وفي حلب استولع المؤيد ان يتسلل بابراهيم بن ينال واغراه ان يخالف طغرلبيك ووعده باللقب والقطع الفاطمية فكانت مؤامرة ناجحة اذ انفصل ابراهيم بن ينال عن جيوش طغرلبيك وخرج هذا لحاربته فانتهر المؤيد هذه الفرصة وامر البساسيري بالمسير الي بغداد فتم له ذلك بسنة ٤٥٠ هـ . ودعى على منابرها باسم المستنصر بالله الفاطمي لمدة عام ، واو كان وزراء مصر استجمعوا لنصائح المؤيد لتغير وجه التاريخ الاسلامي وكانت هذه الحركة سببا في نحو الخلافة العباسية منذ دخلت جيوش البساسيري بغداد . وكان المؤيد عاد الي مصر تون ان يحفل به احد ، ولم تحفظ مصر بامتلاك بغداد فلم يندج فيها بوق ولم يتجرع فيها حبل واحد ولا غرو في ذلك فتمد كان الوزير في مصر اذ ذلك هو الوزير المغربي الذي لم يشس . المعلة الفاطميون باجداذه وابله .

وهكذا افزع وزراء مصر تلك الفرصة الذهبية التي هيأها لهم المؤيد زعماءه وسياسته ، وقد كان المؤيد في الدين من اكبر علماء عصره . وتدفنا كتبه على انه كان واسع النفاة مليا المايا تادا بجميع العلوم التي عرفت في العلم الاسلامي اذ ذلك ، توى النجدة في مناظرته . وجداله مع مخالفيه . وقد سحق ابو العلاء المسري حين وصغه بقوله : « وسيدنا الرئيس الاجل المؤيد في الدين لا زلات حجة باهرة ودولته علية . ولو نائل ارسطو . ليس اجاز ان يفهمه او افلاطون لنبذ حجة خلفه » (١٩٧) .

وقد كان شيخ المرة أبو العلاء المعري يتعرب من المناظرة مع المؤيد لأنه كان يخشى قوة منطقته وحجته مع فصاحة ببيانه لما عترف له بالتفوق في الجدل ، وأنه ورث علم الأولين (١٩٨) .

وقد مات المؤيد سنة ٤٧٠ هـ بالقاهرة ودفن في دار العلم بجوار القصر ومضى عليه الأمام المستنصر نفسه (١٩٩) .

أما مؤلفات مؤيد الدين فقد كانت مدة كتب أهمها :

١ - المجالس المؤيدية : وهو أكبر كتاب وصل اليها في الدعوة الفاطمية إذ يضم هذا الكتاب ثمانية مجلدات من مجالس من مجالس الدعوة التي كان يلقيها المؤيد ويثبت من هذا الكتاب أن الدعوة وعلومها بلغت ذروتها على يد المؤيد ، وقد رتب حلتم ابن ابراهيم اتحادي الداعي اليمنى هذا الكتاب وقسمه الى أبواب حسب موضوعاته وسمى الكتاب « جامع الحقائق » وقد كان دعاة اليمن يقتطفون من المجالس المؤيدية ويمثثهون بها . وفي هذه المجالس نرى مناظرات المؤيد ورده على المخالفين .

٢ - ديوان المؤيد في الدين : كان المؤيد شاعرا كما كان أنيبا عالما ، ونجد في ديوانه مجموعة من تصلده أشدها في مدح الأئمة والحديث عن عقائد الفاطميين ومصطلحاتها ، وقد أشمل المؤيد في ديوانه الى تطور حياته وأحواله ، وإشارات الى جهوده .

٣ - السيرة المؤيدية : ولعل هذا انكبا أقوم كتاب تاريخي يفصل لنا الحياة السياسية والاجتماعية في فارس والعراق ومصر في المدة من ٤٢٩ هـ حتى ٤٥٠ هـ كما يعد سجلا للوثائق التي تبوألت بين المؤيد وامراء العرب وبنيهم وبين الوزراء النصريين إبان الثورة التي سرغت في التلويح باسم ثورة البساسيري ، والمؤيد فير هذه الكتب كتاب شرح المعاد ، وكتاب الايضاح والتبصير في فضل يوم القيامة ، وكتاب الإبتداء والانتهاء ، وكتاب تأويل الأرواح ، وكتاب نهج العبادة ، وكتاب المسئلة والجواب ، وترجم الى اللغة الفارسية كتاب أساسس التأويل للفانسي النافل ، وهو في تأويل قصص الأنبياء (٢٠٠) .

١٩٨) د . محمد كامل حسين : في ادب عصر الفاطمية ص ٦٤ .

(١٩٩) المرجع السابق ص ٦٢ .

(٢٠٠) د . محمد كامل حسين : في ادب عصر الفاطمية ص ٦٥ .

ولا شك أن المؤيد في الدين الشيرازي يعد من أخلص دعاة الفاطميين الذين اتخذوا بلاد المشرق مركزا لنشر دعوتهم وقد استطاع بفضل ما آداه من حكمة ودعاء وما عرف عنه من حرص على التمسك بولائه للخلافة الفاطمية أضعاف نفوذ التمسكين في بعض بلاد المشرق (٢٠١) .

كما يعتبر المؤيد امتداد الدعوة في اليمن والهند ، فعنه أخذ الغاضي لك ابن مالك علوم الدعوة وعاد إلى اليمن يلقى على المستجيبين ما تلقاه عن المؤيد ، كما يعد امتداد ناصر خسرو الشاعر الفارسي المعروف ، فقد ذكره ناصر في أشعاره ووصف حاله .

وهكذا كل للمؤيد أثر في الحياة السليبية والعقلية والأدبية .

وهما يكن من شيء فقد كانت هذه الحركة العقلية في مصر الفاطمية في ترو بطرد في كل نواحيها ولواتها وفتوتها وبخاصة في الدراسات الفلسفية حيث ظهر عدد كبير من أعلامها ، وساعد على ذلك أن الفاطميين أسعدوا صدورهم بهذه الدراسات الفلسفية حيث كانت العقائد الفاطمية ميدانا غنيا للعقل فكان ازدهار الحركة الفكرية سببا في ازدهار الحركة الفلسفية التي كانت في أغلبها تتبع عقائد الفاطميين (٢٠٢) .

---

(٢٠١) د . محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخرجية من ١٨٣ .

(٢٠٢) د . محمد كمال حسين : في أدب مصر الفاطمية من ١١٧ — ١١٨ .

## دور الخلفاء والوزراء في النشاط الأدبي

كان الخلفاء الفاطميون يقدرون الشعر ويتذوقونه من حيث هو فن من الفنون التي تجب العناية بها ، ويقدرون كل من نال حظاً من إتقانها وروعة الأسلوب ودقة الإحساس بل يفكر المؤرخون أن من بين الأئمة من كان ينشد الشعر (١) .

وعد كان لنفوذ الخلفاء الفاطميين الأدبي ذلك النفوذ الذي عملوا على تليده بعلمهم على الشعراء وتشجيعهم رجال الأئمة الر عظيم في نفس بعض شعراء الدولة الفاطمية من أمثال ابن هانيء الأندلسي وعمارة البصري (٢) .

وفي عهد المعز لدين الله الفاطمي تددت الثقافة تقديماً بأهراً وبخاصة الثقافة التي تنمى بالدهوة الإسماعيلية كالعلمه والتفسير وما إليها ، وقد نبغ في عهده دماء أفذاذ وشعراء وأدباء . وشيبارك المعز نفسه في هذه النهضة بتصويب كبير (٣) . وشجعه على ذلك تلك البيئة التي نشأ فيها فقد اشتهر والده المنصور بسعة الإطلاع ولم تشغله مهام الخلافة وأعباء الحكم من البحث والتأليف (٤) . بل أنه كثيراً ما كان يحتم على ابنه المعز أن يتوفر على الدرس ويؤلف الكتب ويقترض الشعر ، وليس هذا وحده فقد حرص على حث العلماء على الاستزادة من العلم حتى لقد أشد منه أنه كان يأمر تلاميذه أيا حنيفة النعمان وغيره بالفنن في القرآن وتأليف الكتب في علومه ( القرآن ) من ذلك مما قاله لتلاميذه يوماً : « يا نعمان استخرج من كتاب الله ما رغبته العاية وأكرته » (٥) .

وكان لهذه البيئة العلمية والأدبية التي نشب فيها المعز وتروع أشعرها في تنمية مداركه وسعة اطلاعه وتضلعه في العلوم الدنيوية حتى أنه كان يحاضر

- 
- (١) د . محمد كامل حسين : في أدب عصر الفاطمية ص ١٢٩ - ١٣٠ .
  - (٢) د . حسن إبراهيم : تاريخ الفولة الفاطمية ص ٤٦ .
  - (٣) د . حسن إبراهيم وطه شرف : المعز لدين الله الفاطمي ص ٢٢١ .
  - (٤) القاضي النعمان : المجالس والمسالكات ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٧ .
  - (٥) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ .

العلماء من النحاة والفقهاء وغيرهم ويناقشون مناقشة تدل على قدرته العلمية كما كان أبرز المنصور من قبل .

وكانت مكتبة المعز في المنصورية ثم في القاهرة زاخرة بالكتب وقد بلغ من شغفه بهذه المكتبة أنه كان يعرف مواضع مما فيها من كتب وما تحويه من المعلومات ، وقد قيل أن المعز امر خازن كتبه أن يحضر كتابا ، فلم يخضره على الفور ، فقام المعز وبحث عن هذا الكتاب .

ولانبرو فقد كان يقول : « والله ما تفلذت بشيء تلهذى ملاءم والحكمة » (٦) .

حقا أن المعز يعد من العاقد عصره في العلم والتصنيف ، فهو الذي دعانا إلى هذه الحركة العلمية المباركة حتى لقد تسبب إليه ثلثون كتاب من الكتب مثل كتاب « الروضة » الذي يتناول الكلام على بعض النواحي الفقهية ، و « الرسالة المسجحية » (٧) .

وقد وصف المؤرخون من أمثال ابن أبيس وابن خلكان الخليفة المعز بأنه كان عاقلا حازما لبيباً فصيحاً أديباً شاعراً وله شعر جيد من ذلك قوله :

ما بان عذرى إليك حتى عذرا      وبدا البنفسج فوق ورد حمرا  
هبت بتيلته عقارب صدفه      فلمزل ناظره عليها خنجرا (٨)

وهكذا كان المعز لدين الله يفتقد الشعر وعرف عنه قرض الشعر صفرا والشعر الذي ذكرناه سابقا يدل عليه . ولعله كان يسبح بنفسه في عالم الأدب أو لم تستوعبه إعجاب الملك (٩) .

ويذكر ابن خلكان أن المعز كان سريرا أديباً شاعراً تسبب إليه هذه الأبيات :

هه مسا ضنعت بنا      فك الحاجر في المعاجر

(٦) القاضي الأيمان : المجالس والمسائرات ج ١ ص ٩١ .  
(٧) د . حسن إبراهيم : المعز لدين الله الفاطمي ص ٢٢٥ - تظا عن عجبه ثابته ص ٣٣٢ .  
(٨) حميد بن أبيس : بدائع الزهور في ورائع الدهور ج ١ ص ٢٧ - ٤٨ .  
(٩) إبراهيم جلال : المعز لدين الله الفاطمي ص ٢٦ .



امضى واقضى في النفوس من الخناجر في المهاجر  
ولقد سمعت بينكم نعب المهاجر في الهواجر (١٠)

هذه الإبيات ان دلت على شيء فهي فذل قبله كل شيء على ان الشاعر كان من شعراء الزينة البدعية . فقد غن بهذه اللمامة اللفظية بين « المهاجر » والمهاجر « وبين أمسى وأقضى وبين الخناجر والمهاجر ، وبين المهاجر والهواجر ، ومع ظهور هذه النعنة البدعية في هذه الأبيات فان خيال الشاعر كان قويا في تحسره عما فعله الآيون التي تخشى تحت المهاجر ولكنها تصيب هدنيا وتصل في النفوس أكثر ما تفعله الخناجر في المهاجر .

ويشير ابن خلكان (١١) من المعز انه كان حسن النظر في النجابة ومن اشعر الذي يتسبه اليه القدماء هذه الإبيات :

اطلع الحصن من جيبك شمسا فوق ورد في وجنتك ظملا  
وكان الجمال خلف على السور قد نمد بالشمر ظملا. (١٢)

هنا صورة جميلة من شاعر بلغ درجة لا بأس بها من الفن فهو يصف جمال الحبوب بصورة من صور الطبيعة الحبية التي النفس فهي كالورد المتفتح قد غمرته الشمس ولكن الشاعر كان تقيق الحس رقيق للشعور غشى ان يغزل الورد من حرارة الشمس فظلمه بخملة من شعر الحبيب . فالصورة هنا لا شك جميلة .

وكان المعز يجيد الشعر وينسده وبهذا يكون قد اتقن فنا من فنون العلم والأدب حيث استعان المعز بالشعراء في نشر الدعوة القاطمية وعلف منهم أهمية كبرى وتابعه في سياسته من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين وتلقى هؤلاء روائب كبيرة ، واغنتهم عليهم الهبات المسنية ، فكانوا يخفرون من اشتهر بسعة الاطلاع وامتاز بالمقدرة في فن الانشاد حتى يستطعوا ان يسمع الناس بحججهم القوية ، وعبراتهم الرصينة بما ترمى اليه الدعوة القاطمية . لذلك وجدنا رجال الأدب الشعريين قد نالوا التمسك منها في المعز

(١٠) ابن خلكان : وحيات الأعيان ج ١ ص ١٠٣ .

(١١) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٢ .

(١٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٣ .

ومن جاء بعده من الخلفاء وجاراهم في ذلك المضمار عدد من الشعراء المستبينين ولو أنهم كانوا أكثر اعتدالا من الشعراء الشيوعيين الذين يتنبون إلى الثورة الحاكمة .

وكان خير تشجيع الفاطميين للشعراء المناصرين لهم بالهدايا والعطايا قد انصل بمسلمح الشعراء المقيمين في غير مصر من الأقطار (١٢) فدفع ذلك الكثير من هؤلاء إلى الهجرة إلى مصر واتخاذها دار إقامة حيث استقبلوا بجميع مظاهر الترحيب وكان أكثر الشعراء رحبلا إلى مصر شعراء الدولة العباسية لأن تلك الدولة لم يكن لها إذ ذاك من النفوذ والسلطان ما كان لها قبل أن تصير تحت سيطرة قوة الأتراك في قبضة بني بويه والسلاجقة فلم يلقوا أي مظهر من مظاهر التشجيع في بلاط الخلفاء العباسيين في بغداد فرحلوا إلى مصر (١٣).

كذلك يرجع ازدهار الشعر في عهد العز إلى كثرة عبياته وعطايها . حيث كانت تصوره كعبية العلماء والشعراء والأدباء والفكرين ، ومما يمتاز به الشعر في عهده ، ميل الشعراء إلى الغلو المذهبي (١٤) . ويتضح ذلك من شعر ابن هاني :  
الآن نلتس ، فهو أول من ضرب المثل في ذلك لغيره من الشعراء الذين جاؤوا بحده  
والإبد لنا إن نلتس بشيء من سيرته ، عسى أن نقبين ناك العناية العظيمة بالشم  
والشعراء التي كانت تظهر لدى الخلفاء الفاطميين في نشر دعوتهم وتجاح سياستهم .

ويلقب أبو القاسم محمد بن هاني بـ"بلي الحسن أيضا" ، وهو من قبيلة أزد . وقد ولد في أشبيلية في بلاد الأندلس فعرض بها أيام صباه ، وكان أبوه هاني من فرقة من فرقة المهدي في شمال أفريقيا ( في بلاد تونس الآن ) وقد نجلت مواعده في الشعر والفلسفة وانتقل إلى الأندلس ، فولد له محمد الذي اتصل فيها بعبد بصاحب أشبيلية وحظي عنده واتبعك في اللاد وأنهم بمذهب الفلاسفة . ولما اشتهر عنه ذلك تقم عليه أهل المدينة وأخذوا يسيئون الظن بالملك بسببه حتى أنههه التلس باعتناق مذهب هاني ، فأكثر عليه الملك بالبعد عن هذه المدينة ريثما ينسى الناس ما كان من أخباره ، فرحل عنها وله من العمر سبع وعشرون سنة ( ٢٤٧ هـ أو ٢٥٢ هـ - ١٥٨ م / ١٦٤ م ) فلتى جوهر الفلند ومدحه ، ثم أرحل

(١٢) د - على حسن إبراهيم : مصر في العصور الوسطى ص ١٢٥ - ١٢٦ -

(١٣) المصدر السابق ص ١٢٦ .

(١٤) د - حسن إبراهيم : المعز لدين الله الفاطمي ص ٢٢٥ .

الى جعفر بن يحيى بن علي بن احمد بن حيدان الأنطلي أمير مسجلة واثام الزاب . ومن أنصار العلم والعلماء ، نبأنا في أكرابه والاحسان اليه ، منى خبره الى المعز تطلبه منهما . فلما وفد عليه بالغ في الإتيان عليه ، ثم توجه المعز الى الديار المصرية فحمله ابن هاتى ورجسح الى المغرب لأخذ عياله واللحاق بمولاه . وقد اعد ابن هاتى، معادته للرجل وسار يريد مصر . فلما وصل الى بركة أضافه شخص من اهلهما ، فاقام عنده أباما في مجالس الأنس والطرب ، يقول ابن خلكان : أنهم عربوا عليه فقتلوه ، وفي رواية أخرى أنه خرج سكران غنام في الطريق فوجد مبتأ في الصباح ثم يقف الناس على سبب وفاته وكان ذلك صبيحة الأربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة ٣٦٢ هـ ( ٢٠ أبريل سنة ٩٧٢ م ) وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وأربعون (١٦) .

ولقد ناط المعز بلبن هاتىء الأمل الكبار ، بمباه أن يحاكي الشمسمرء العباسيين ويذهبهم ، يؤكد هذا القول أنه لما بلغت المعز وفاة ابن هاتىء وهو بمصر أسفا عليه أسفا شديدا وقال : « هذا رجل كنا نرجو أن يظهر به شعراء المشرق نظم بقدر لنا ذلك » (١٧) .

ولا شك في أن المعز قد أصاب فيما قاله ، لأننا اذا تصفحنا ديوان ابن هاتىء الذى يقع في مائتين وست وأربعين صفحة ، ألفينا أن أكثره قد نظم في مدح المعز وأسرتة ، وليس لدينا دليل تاريخى على أن ابن هاتىء قد اعتنق مبادئ المذهب الشيعى في صباه ، غير أنه لا بد أن تكون نفسه قد أشربت روح العطف على هذه العقائد ، بذلك على هذا ما كان من اظهر هذه العواطف حلل وموثة الى بلاد المغرب (١٨) .

ويظهر أن ابن هاتىء أصبح شيعيا بلحبا لهذا المذهب استدارا لكرههم لا حبا في عقائدهم واستمسالكا بها . حتى لقد ذهب به هذا التحمس الى أن ينسب لحسابه من صفات التشيع ما نسبه الى نفسه وقد تكلم عن ذلك في هذين البيتين :

(١٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥ — المقرئى : نوح الطيب ج ٢ ص ١٠١ — أبو المحاسن : الفجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .  
(١٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٥ .  
(١٨) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٢١ .  
( م ٢٤ — الحياة الفكرية في مصر )

لى صام وهو شيعى كصاه له يكسأد يسبق كراتى الى البطل  
اذا المعز معز الدين بساطه لم يرتقب بالمنايا مدة الاجل (١٦)

وينول الاساذ ابراهيم جلال فى كتابه المعز لدين الله عن ابن هاتى وشيعه:  
« ان ابن هاتى طبع نزاما الى الشيع لعل بصره الى الجنوب حيث مقر الائمة  
الذى اختلف لهم الحب وملك التشيع عليه مزاجه وملكه الاصب من نفسه فنطقت  
جوارحه بحبهم وتم ادبه بتجيدهم . وما كان ابن هاتى ليتشيع على ايدى  
لساقلته محول الادب بالاندلس لان القوم كانوا يعتقدون الشيعة واثمها وقد اثاروا  
عليهم حربا لا رحمة فيها ولا هوادة » (٢٠) .

على ان ابن هاتى كما وصفه طبقات البجاء وحفاظ الادب « الشعر  
شعراء المغرب على الاطلاق من المنتسدين والمؤخرين حتى دعى بحق » معنى  
المغرب « وما سما الى تلك المنزلة من الادب الا بحدثة نكاته وخصب خياله وانقناز  
محاسن اللغة فلماذا لا يكون ميله الى التشيع اختيارا وانى مبوله ومزاجه ؟ وهو  
العبرى الفذ فى وضع مختاراته فى المعز حتى قال فيه بعض مناصبه : « لقد  
تجاوز بسوء خياله وولفة ما نحت من جهل لغته وادبه كثيرا من وثى المتنبي اولا  
ان غلا فى التشيع » ، ولكنه الحب الصالح والتشيع الظاهر هو الذى تغفل  
الى تليه وسما بنفسه كما فعل بقلب الكعبت شاعر اهل البيت فى المصدر الاول  
وكما فعل بعمارة البينى فى ماتم تلك الدولة وما كان عبارة متشيعا كابن هاتى  
بل كان نفا بحبهم صداحا بدعاتهم حتى لقي ربه مصلوبا فوق انتاضهم محتمرا  
بدمائهم يشدو برثائهم شنوا درته رثاء الاندلس البلدة (٢١) .

وكان ابن هاتى من الشعراء الذين ظهروا فى حاشية الخليفة المعز  
قبل مجيئه الى مصر ومن شمره فى مدح المعز وينسب اليه صلوات الالهوية  
فيقول :

تدعوه منقلا عريزا تادرا غدار مويقة الخنوب صمورا  
الغسبت لولا ان دعيت خليفة لدعيت من بعد المسيح بنسبها

(١٦) ابن هاتى الاندلسي : ديوانه ص ١٨٢ .

(٢٠) ابراهيم جلال : المعز لدين الله الفاطمي ص ٣١ .

(٢١) المصدر السابق ص ٢٢ .

شهدت يفتخرك السموات العلاء      وفتزل القرآن عليك مديحا (٢٦)

وهن قوله ينظم السبيل الى المعز طالما في صلته وعطايها :

وظفقت اسأل عن أمر مهجلا      نأذا الإمام جبلة دهباء (٢٢)

حتى نعت الى المعز خليقة      نعلمت ان المقلب الخلفاء

جود كأن البسم غوبه نعتك      وكانها الدنيا عليه غشاء (٢٤)

ويقول ابن هانيء في مدح المعز بالقيروان وهي أول ما أنشده :

النور أنت وكل نور ظلمة      والفوق أنت وكل فوق دون

للمرزي عبادك منه فضل شفاعة      وأمر ب بهم زلفى فأنت مكين (٢٥)

وأيضا :

ألم رأيت الدين يرتبطا به      بطائفة مسوز وعصباته كمر

أرى مدحه كالمدح لله أنه      فتوت ونسيح يحيط به الورر (٢٦)

وأيضا في المدح :

ما ثبت لا ما شامت الأندار      بلحكم فانت الواحد انقوسر

وكانما أنت النبي محمد      وكانها انمبارك الأنصالر

ولقد بلغ تاجيد ابن هانيء للمعز أهمى حد يمكن أن نتمسوره حيث

يلسب اليه للقدرة على المعجزات فيقول :

لقد شهدت له المعجزات كسما      شهدت لله بالتوحيد والأزل (٢٧)

(٢٢) د . حسن إبراهيم وطه شرف : المعز لدين الله من ٢٢٨ نقلا عن ديوان

ابن هانيء ص ٣٤ - ٣٦ .

(٢٣) الأعر : السيد في توبه . التحليل : بياض يكون في قوائم الفرس ، وتقبل

هو أن يكون البياض في ثلاث مئهن دون الأضري في رجل وبيدين . الجبلة بمعنى

الطبيعة والخلقة والغريزة . دهباء : من الذهبية وهي السوداء .

(٢٤) اليم : البحر . الغفانة : البسقة . الغشاء الزرد .

(٢٥) ديوان ابن هانيء الأندلسي ص ٢١١ - ٢١٦ .

(٢٦) د . حسن إبراهيم وطه شرف : من ٢٢٦ نقلا عن ديوان ابن هانيء

ص ١٤٦ .

(٢٧) د . عبد اللطيف حمزة : للحركة الفكرية في مصر ص ٢٦٥ - نقلا عن ديوان

ابن هانيء .

ومما شله ابن هانيء في عيد النحر يمدح المعز ويذكر هذا العبد :  
هذا ابن وحى لله تأخذ هديها عنه الملائك بكرة وأميلا  
ذمرت مواجبه الجبال نامنت عسبانها التكبر والتوليدلا  
وعلمت من مكتون سر الله ما لم يؤت في الملكوت ميكتيلا  
لو كان ابي الطلق ما أوثقته لم يخلق التشبية والتبديلا (٢٨)

كما يحدثنا ابن هانيء عن علو منزلته منذ المعز وقصور انداده من الشعراء  
عن الأحقق به فيقول :

فما تكلمت من قلب لربناب اذن ولا لخطيب ما تكلمت لى

ونالت عليه أيادي المعز حتى أمر له بنسب ثمينه سنة آلاف دينار فقال  
له : يا أمير المؤمنين ما لى موضع يسمع الندبست إذا ينط . فبنى له قصرأ أتفق  
على بنائه ستة آلاف دينار وحيل إليه فراشها يشاكل الندبست والتصر  
بثلاثة آلاف دينار ، وهذا ما لم يثله شاعر قبله ولا بعده (٢٩) .

أما الأمير تميم بن المعز فقد كان شاعرا ماهرا فلينبأ طريفاً ولم يسل  
الملك لأن ولاية العهد لأخيه العزيز فوليا بعد أبيه . وأشعاره كلها حسنة (٣٠) .

فلقد اتجبا المعز لربعة من الذكور فكان أكبرهم تميم وبه تكفى المعز  
فكان مزلده بالمهدية جاء الى الدنيا في خلافة جده المنصور قبل مولد أخيه  
العزيز بسبست سنوات - فمولد تميم كان في سنة ٣٢٧ هـ / ٢٧٤ م / ٩٤٨م /  
٩٨٤ م . وقد مسنا للثنايين الجو وكهامم الله شر الثائر ابن يزيد فاستقروا  
في مضاجعهم الى حين . ودرج تميم في أحضان النعمية وفذى برقيق العيش  
فترعت فيه سلبية الأعب التي كانت شبيهة أباه فانتحرت إليه من أصلابهم .  
واذكها كثرة المطالعة والتحصيل ، وكان جوادا سمحا عثمير الناس يخالط  
ويداغل ويستمع الى حديث المجتمع وسره وأغاني قياته .

رجال في عالم الأعب قديمه وحديثه وما قرض لبناء الخلفاء من الأمويين  
والعباسيين من غزل وشراب وأغاريد تطبع بطابع ابن المعتز العباسى وي زيد

(٢٨) ديوان ابن هانيء الأتلسى : ص ١٥٢ - ١٦٠ .

(٢٩) إبراهيم جلال : المعز لدين الله الفاطمى ص ٢٦ .

(٣٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٢ .

الأموي ومن سما سموهما بن أبناء خلفه الأندلس الرطيب وكان أبوه يرجو أن يراه وليا لعمده لذلكه وعلو هيبته وسقاء يده ناقلته مزاج فيه دعة ومرح ونزوع إلى نومة الحياة والمعلقة وهي خلال نسبو منها آداب الخلافة مبال إلى أخيه العزيز وبخل تميم إلى القاهرة في موكب أبيه وقد أوى على الضامسة والعشرين أنقر ما يكون الشبيب وجاها وتراقبا من أعياء الملك فاختذه ننته النيل بوانيه الأخضر وضياعه وبساتينه واستراقة عيش النعيم وأخلاق الأتداد من أهل البلاد وكثرة الأعياد (٢١) .

وقد نشأ تميم في مدرسة بيته يتلقى فقه الشيعة وبنون اللغة ، فلسفة الأملية وأسرارها من أبيه ومن دعاة أبيه كانت حيلته الأولى في ظل أبيه ، دراسة وتعلم واستفادة وإطلاع وكثيرا ما تدل شعره على حياته (٢٢) .

لهذا الأمير تميم يمدح أخيه الصغير العزيز بالله فيقول :

تتمون على صغار الأمور ويصغر عنى جميع النورى  
أنا ابن المعز سليل فنعلى وصفو العزيز إمام الهوى  
وما احتجت قط إلى ناصر ولا رحت يوما ضميم الفتوى  
ولم أستشر في علم يثوب مؤسرا أرى منه ما لا أرى  
ولسيت بوان إذا ما أمر زمان ولا فرح أن جلا (٢٣)

فهو لم يستطع أن يخفى ما في نفسه من الألم وشعور بحق وغيظ ، كان يحاول الظاهر تجلده ومسجده ولكن عاطفته في الشعر هي عاطفة انشائط الحالف .

ولتميم شعر في الزهد والشك لا تقل روعة وهدى أيمن عن شعر  
أشد الشعراء تيسكا بالدين وثمسدهم خوفا من عذاب الآخرة فهو يقول :  
يا عجبنا للناس كيف اغتدوا في غفلة عما وراء الميت  
لو هاسبوا أنفسهم لم يكن لهم على أخذ المعاصي نيات

(٢١) إبراهيم جلال : المعز فدين لله الفاطمي من ٨٧ - ٨٨ .

(٢٢) محمد حسين الأعظمي : عبقرية الفاطميين أسواء على الفكر والتاريخ الفاطميين من ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢٣) د - محمد كامل حسين : في أدب عصر الفاطمية من ١٧١ - نقلا عن ديوان تميم نسخة خطية بمكتبة د - محمد كامل حسين .

من شك في اى ذلك الذى لصيب في تمييزه بالمسيات  
يجتنبهم بهد البلى مثل ما اخرجهم من عنم للحياة (٢٤)

ومن اجل هذا نرى ان نسبها كبيرا من شعره الاول ما زال مفقودا فقد  
قدم الى مصر في نحو الخامسة والعشرين من عمره وليس من المعتول ان تخلو تلك  
اتسنوات السابطة ظلمها من بضع قصائد على الأتل ولا يمكن انه ولد في مصر  
شاعرا كاملا على الصورة التي نراها بها . فان اكمال البلاغة في ادبه وازدهار  
البيان في مدائحه لا يمكن ان يكون وليد المصادفة ولا اثر المفاجأة ، وعلى اى حال  
فنحن نعد الأدباء الذين لجبوا على ان لفضل شعراء الفاطميين هو تميم فقد  
انشأ بها المدرسة الحديثة في قصره بتلقى على سلالها التمام وبتبلى على  
بساطها المشعراء فاجافوا وأبدعوا وكان لحسن الطالع ان صادفه ، شاعر  
نسب بقرابه مجد الحسب وراث الادب وذلك هو ابن الراسي لمرت بينهما  
المراسلات التي جرت بينهما ، واسرة الراسي كانت اصيلة في روض القريض  
( القروض ) عريقة في مضمار البلاغة ناعمت هذه الامرة وغيرها من الشعراء  
وملأنا الى ذلك ان جمال الطبيعة في مصر ساعدت هذا الشاعر على ان يجيد  
ما اجاد ويفيد ما اكاد (٢٥) .

تلك لحظة عاجلة من أيام تميم نسوتها لتصوير ناحية من صور العصر  
الفاطمى لكن فيما دياجة المجتمع في سماحة خلقه وزهوه ونشوة مرحية فكان  
أروع ما نشر من ادبه ما سار فيه على هدى سلبية الغضب لآبائه وما اصدق  
تلك الشاعر في تميم وهو يرثى جده الحسين (٢٦) فيقول :

توت لى أسلاف كرام بكرملا	هم لشفور المسلمين سداد
اصابتهم عبد نسيمس عداوة	وعاجلهم بالفناكثن حصاد
تكيف يلذ الدهش عفوا وقد سطا	وجسر على آل النبي زياد

اما خلدنا القاضي - الا وهو العزيز بالله الفاطمى فقد ظهر في عهده كثير

(٢٤) ديوان الأمير تميم .

(٢٥) محمد حسن الأعظمى : عبقرية الفاطميين : أضواء على الفكر والتاريخ

الفاطميين ص ١٣٥ .

(٢٦) إبراهيم جلال : المعز لدين الله الفاطمى ص ٨٨ .



من الشعراء - فكان هو شاعرا مجيدا (٢٧) ، كما كان أبوه المعز من الشعراء  
المجيدين ولذا اعتدنا على الشعراء في الترويح والدعاية للدعوة الفاطمية واتبعنا  
الشعراء على الرحيل الى مصر من كل مكان .

يقول أبو المحاسن (٢٨) عن العزيز : « كانت لقيه مفضيلة وله شعر  
جيد » ، وروى الثعالبي في يتبه الدهر قول العزيز بالله الفاطمي وقد وانقأ  
بعض الأعيان وفاة ابنه وسعد الماتم عليه :

نحن بنو المصطفى ذوو محن      يجرعها في الحيسة كلظمتنا  
عجبة في الأنام مخففتنا      أواننا ببللى وخائمتنا  
يلرح هذا الورى بعينهم      طرا ، وأعباننا مآمتنا (٢٩)

فالشاعر يعبر في هذه الأبيات بعاطفة صادقة عن ألم يقين وحزن مكين  
فهو لم يخزن لفقد ولد بحسب بل هو يالَم لما أصاب أهل البيت من محنة وكوارث  
حتى أصبحت أعيادهم مأتم (٣٠) . كما كان الخليفة العزيز فيورا على عقيدته  
ودينه شديداً بل خائفه من المبالسين يتوعدهم بالانتقام لما أصاب آباءه وأجداده  
من محن على أيديهم شديد المختر بنفسه الى الرسول الكريم ( صلى الله  
عليه وسلم ) وهو في ذلك لا ينسى عقائده المذهبية التي كان امامها ، فالتسليم  
الى انه تنقل في الأنوار بن قبل آدم . فهذا المعنى لا يقوله الا من اعتقد بذهب  
الباطنيين . وذلك أن الفاطميين ذهبوا الى أن الله سبحانه خلق نور محمد  
( صلى الله عليه وسلم ) قبل أن يخلق السموات والأرض ، وأن هذا النور تنقل  
في الأصلاب والأرحام الزكية حتى بلغ عبد المطلب فتمسسم الله هذا النور تمسسين  
قبل لاحدهما كن يا هذا محمدا ويا هذا كن عليا . وأن هذا النور تجمع مرة  
أخرى بزواج علي من فاطمة بنت الرسول وتنقل في الأئمة من ذريتها حتى كان  
كان العزيز بالله ، فكان العزيز وجد قبل آدم لأن النور الذي حصل به وجد  
قبل آدم (٤١) .

(٢٧) د. علي حسني الخربوطلي : العزيز بالله الفاطمي ص ٢٨ - ١٢١

(٢٨) أبو المحاسن بن تغري بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢١ .

(٢٩) الثعالبي : ينية الدهر ج ١ ص ٢٢٢ .

(٣٠) د. محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٢ .

(٤١) المصدر السابق ص ١٢٢ .

وذلك العطفة الصلوة هي التي نعتت العزيز لأن يقول :

لما رأيت الدين رثت حيمائه      وأصبح يحجو النضيا والمعالم  
 وأصبحت الأغنام من كل أمة      تبوم عباد الله خزم المخاطم  
 وتحكم في أموالها وديارها      بعثر كتاب الله ضد النحالكم  
 غشيت لدين الله غضبة فائس      غيور عليها مانع للمخالم  
 وسيرت نحو الشرق بصر ككاتب      تموج بأبطال رجال تملقم  
 يقودون جرد الخيل تخطر بالقتا      وبالمشرفيات الرئاق الصوارم  
 أما ابن رسول الله غير مدائع      فنقلت في الأنوار من قبل آدم  
 لى الشرف للعلى الذى خضعت له      رتلي بنى جسود من كل عالم  
 بنا فتحت أبواب كل هجبة      ومنا بحد الله ( خير الضمواتم )  
 فتال لبني العباس مع ضعف ملكهم      بأنهم أسرى بإسدى الاماجم  
 غضبتهم بنى مروان ما غضبوه من      مواريقتنا سحقا لظلام ظلم  
 ولم تحفظوا نينا وصايا محمد      ولا ما ادعيتم من مناسب عاثم  
 سفسقكم كأسا كما قد مستقيم      أوائلنا والله أعبدل حاكم (٤٦)

وقد أشنى المؤرخون القدامى (٤٦) على العزيز بالله كثيرا من الصفات الطيبة ، فقد أشهر بالذكاء والمقل المستنير وهب العام والأدب وكان كأيه المعز يجيد عدة لغات ولذا شجع العلماء والأدباء كما كان مجيدا في قول الشعر وتميز بالصفو والنسابع والكرم والشجاعة والاندام .

وقد شهد عصر العزيز بالله نهضة ثقافية وعلمية كبيرة فقد كان العزيز شاعرا محبا للعلوم وحمل وزيره يعقوب بن كلس لواء هذه النهضة الثقافية (٤٤) .

ولذا تميز العزيز ووزيره ابن كلس بالكرم والاعتماد على الشعراء مما دفعهم الى نظم القصائد المعصاة ، ومن الشعراء الذين منحوا العزيز بالله وهو ولى لعهد أبيه الشاعر محمد بن هانيء الذى أصبح مشالا يحتذى به بين

(٤٢) ورقة ٦٢ ١ من مجموعة أشعار اسماعيلية نسخة بمكتبة الدكتور محمد كليل حسين .

(٤٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٨٦ - ابن خلكل : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٢ - الثعلبي : البيهية ج ١ ص ٢٥٤ .

(٤٤) د. على حسنى الخريوطلى : العزيز بالله الفاطمى ص ١١٦ .

سائر الشعراء في مصر العزيز بالله (٤٥) . ومن شعراء العزيز بالله أبو حامد الانطاكي وعبد الله بن أبي الجرج .

أما الشاعر أبو حامد الانطاكي فهو من أهل انطاكية بالقرب من حلب وكان من مشهورى الشعراء وقد تكلم عنه الثعالبي في كتابه بتيبة الدهر (١٦) . فقال : « هو نادرة الزمان وجيلة الاحسان ومن تصرف بالشعر في انواع الجذ والهزل وأحرز منصب الفضل وهو أحد المداح المجيدين المحسنين هو بالشام كاتب الحجاج بالمراق » .

وتد مدح الخليفة العزيز الفاطمي بقوله :

لم يدع لى العزيز في سائر الأرز شى عسوا الا واخمسد نسله  
كل يوم له على ثوب الدهر وكر الخطوب بالبنل سواره (١٧)

ومن غرر محاسنه قوله بمدح أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي صاحب مصر :

قد سمعنا مثاله واعتذاره واقتباه ذنبه وعشاره  
والمعاني لمن عنيت ولكن بل فرخت لاسمى يا جواره  
من تراد به انه أمد الدهر تراء مصصلا أزاره  
سالم انه عذابه من الله تنساج لاعين النظره

وذكر ابن خلكان انه أقيم بمصر زمانا طويلا وان معظم شعره قد نظم في مدح امرائها ورؤسائها ومدح من للخلفاء الفاطميين المعز والعزيز والحاكم ، وشاد بذكر جوهر وابن كلس وغيرهما . وتد ذكره المسبحي في كتابه « تاريخ مصر » .

ومن شعراء العزيز بالله أبو عبد الله محمد بن أبي الجرج وهو من الشعراء الذين عاشوا في زمن العزيز الفاطمي ولقد بلغ هذا الشاعر مرة أن الوزير كان يشكو من ألم في يده فنظم الشاعر قصيدة يظهر فيها ألمه الشريف لمرض الوزير

(٤٥) د. على حسنى الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمي من ١٢١ - ١٢٢ -

١٢٣ .

(٤٦) الثعالبي : بتيبة الدهر ج ١ ص ٢٢٨ .

(٤٧) ابن خلكان : نبيات الأعيان ج ١ ص ١١٢ - ١١٤ .

ويصف ما كان يفتح العزيز بالله عليه من أثر وفي ذلك يقول :

بد للوزير هي الدنيا بان الت      رأيت في كل شيء تلك الألسنا  
تلمن الملك وانتظر عسرط ملتته      من أجله وأسأل القرطاس والثلبا  
وشاهد البيض في الأضداد حائمة      الى العبداء وكثيرا ما روين نما  
وأنتس اناس بالشكوى قد اتصلت      كتابا الشعر من أجله سقما  
حل ينهض الجسد الا ان يؤيده      ساق تنجم في انهاضه قسما (٤٨)

كما اتت عند الشاعر ابن أبي الجرجع ايضا :

لولا العزيز وراء الوزير معسا      تعيلنا خطوب تشعب (٤٩) الا  
لقل امذا وهذا انتبا شرف      لا اوهن الله ركيبه ولا انهتما  
كلاكما لم يزل في المالحات يدا      بسوطة ولسانا ناطقا ومسا  
ولا نصايكما احداث دهركما      ولا طوى لكما ما عشقا مليا  
ولا انمحت منك يا مولاي صائبة      نقد محول بما اوليتني العدا (٥٠)

وللشاعر ابن أبي الجرجع نصيدة طريقة نظمها ويحث بها الى اصنغاقه  
ليقدوا على داره ليتناولوا الطعام قبل حلول شهر رمضان ومن أبياتها :

تعبان تند صار نصوا      ولم تمد فيه لهموا  
وليس نلتك مننا      جهلا ولا كان سبوا  
نبالـــــــــــــــــــــودة الا      بكرت للتصف عدوا  
حتى تقوم لغروبوا      يا خرق الدهر رموا

ثم يحدد ابن أبي الجرجع انواع الطعام التي سيقدمها لضيوفه ومنها  
جدي سمين مشوي ويقول وتموة ، ويغريهم بالحضور فيقول أنهم سيبتمون  
الى الغاش شجبة وسيقدم لهم العطور والزهور ثم يحثهم على عدم الامتنان  
فيقول :

مما امتنارك في ان      نفسي زمناك صحوا  
وانت بعمد تليسن      بالعموم والله تطوى (٥١)

(٤٨) د. حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٤٣ .

(٤٩) تشعب بمعنى تصدع .

(٥٠) القريني : الخطط ج ٢ ص ٧٠ .

(٥١) د. علي حسن الخريوطي : العزيز بالله الفاطمي ص ١٢٢ .

يضلّف الى ذلك ما أورده ابن خلكان (٥٦) وهو انه فداة وفاة ابن كلثوم زار  
الشعراء قبره مرثاة مائة شاعر ماجيز كل منهم وهذا يجعل على أن مجالس  
ابن كلثوم كانت تغص بالشعراء والأدباء مما ساعد على ازدهار الحياة الأدبية  
في العصر الفاطمي .

بان ما أظهره الوزراء من جود وكرم لم يكن الا صورة مصغرة لحيات  
الخلفاء أنفسهم وعلى الاخص في العصر الأول من أيام الفاطميين حين كانت  
سطوة الخلفاء لا تزال في لشدها ، يدلك على صحة ما نقول هذه الأبيات التي  
ذكرناها سابقا للشاعر المشهور أبو حامد الأنطلسي يتحدث فيها المـزـيز  
ووزيره ابن كلثوم (٥٦) . ولم تقتصر هذه المنح على الخلفاء والوزراء بل كان  
لغيرهم من كبار رجال الدولة يد في ذلك أيضا . ومن هؤلاء القائد الفضل بن  
صلاح . وكان من الأمراء الذين يسرون في ركاب الخليفة العزيز إذا خرج في  
الحوكب . ولقد نظم أبو القاسم عبد القهار شاعر الحاكم قصيدة يمدح فيها الفضل  
تذكر منها هذه الأبيات :

انما الفضل غرة	في وجوه السدائح
أريحى رهايبه	عقبات الروائح
كعبية الجسود كعبه	بين غناد ورائح
انما تصلح الأسمو	ر براى ابن صالح (٥٦)

ومن الشعراء الذين مدحوا الخليفة العزيز بالله عندما تولى الخلافة  
ابو عبد الله حسن الجعفرى الشاعر بهتته بالخلافة بعد موت أبيه تالته هذه  
الأبيات منها :

عبت خلافته بحر نصار بها	كانه الشمس نبيها حلت الحملا
ان المعز الذي لا خلق يشيبه	الا العزيز أبه ان قال فو قصلا
تلان مضي كالك الدنيا نصار لها	من يمدد كحملا يخفى بها كحملا
أصبحت بلوك بنى الدنيا له خما	وما حوت كل دار منهم نفلا (٥٥)

(٥٢) ابن خلكان : ولييات الأعيان ج ٢ ص ٤٤٢ .

(٥٣) د. حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٤١ .

(٥٤) الشمالي : بنية الدهر ج ١ ص ٢٤٧ -

(٥٥) محمد ابن ايلس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ج ١ ص ٢٧ - ٢٨ .

ومن لجدير بالذكر أن الأمير شيبم قد مدح أخاه العزيز بقوله :  
لولا العزيز أمين الله ما لجأت      نفسي إلى ملجأ منه ولا وزر  
يا ابن الأمانة والهادين متمسلا      بعنوة الله أهل الوحي والسور  
ما أنت دون ملوك العالمين سوى      روح من النفس في جسم من البشر  
وانت بالله دون الخلق متصل      وانت في فهم خير مؤتمر (٥٦)

وهناك من الشعراء الصقليين من كان يتنقل بشعره متكسبا وخاصة بعد أن أصبحت مصر دولة فاطمية أو فاطمية الدولة تجتذب إليها الشعراء من جميع أنحاء المملكة ، وصقلية يومئذ ولاية تابعة للخليفة الفاطمي وأراؤها الكلابيون ذوو منزلة رفيعة عند ذلك الخليفة بمصر وصقلية في آن واحد وبهؤلاء الشعراء تراخطين عرف الناس صقلية معرفة أوضح وزادها وضوحها أخبار النجاشير والرحالة إليها ١٠٢٦ .

من الصقليين الذين هاجروا من بلدهم في هذه الفترة المتداد بين الحسن الكلي و أخوه بيمون والأول منهما كان بمصر أيام العزيز تزار ، وهو يصرح بأنه شاعر الصقلية وقد تظه الحاكم سنة ٣٩٢ هـ لقوله في أيام العزيز :

الحد فـ حتى الحيز أموزني      في بلد أنا فيها شاعر الملك

وبرز أيضا من هؤلاء الصقليين أبو طلى الحسن بن علي الصقلي النحوي ولا نعرف له من الشعر الا قوله :

في سبيل الله ود حسن      دام من قلبي لوجه حسن  
دهوى ضيمته في سكتي      ليس حظي منه غير المحزون  
يرتعد الليمل ويستتمذه      وإذا ما رمت طيب العرش  
زارني بنفسه خيال ماله      أدب في غير أن يوتطنني (٥٨)

وقد توفي هذا الصقلي بمكة سنة ٢٩١ هـ بعد أن حج ودفن هناك .

وفي عصر الحاكم يلمر الله كانت الحركة الأدبية قد استقرت واتخذت وجهتها

(٥٦) د. أحمد شلبي : تاريخ الفريفة الإسلامية ص ٤١٢ - ٤١٣ نقلًا عن ديوان تميم ص ٥١ - ٥٢ .

(٥٧) د. احسان عباس : العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب ص ١٦٧ .

(٥٨) المصدر السابق ص ١٦٨ .

الجديدة في ظل الدولة الجديدة ونظك لأنه كان نصيراً للعوام والتفكير والآداب .

كان الحاكم منذ سباه ينفوق الشعر الجيد وقد كان الشعراء ينشدونه  
التصانيد فيحسن التمييز بينها ويوصل الشعراء على قدر اجادتهم . بل  
هناك ما يدل على ان الحاكم كان اديباً يتذوق الطرائف الأدبية وهن ذلك ما  
رواه القريزي نقلاً عن ابن الصيرفي وهو ان الحاكم قال ذات يوم لبعض الاعيان  
الذين يحفظون بهجته ومخالفته : اكلت حنظل شجعت وشربت حتى رويت  
خالشبع والري غابقا الاكل والشرب ، لماذا قلت وريت حتى اذا اى شجعله غاية  
النوم ، فلم يحر جواباً ورغب الحاكم في الامتداد فقال : نمت حتى ربت والرب  
غاية النوم وانشد :

فما تبعم بن مرغاً لقباهم القسوم فوب نيامها (٥٩)

وكان الحاكم يامر الله شامراً ايضاً وينسب اليه صاحب النجوم الزاهرة (٦٠) :

دع النوم عنى ايت منى بهوثق فلأبىد لى من صلحة المتحنق  
واسقى جيلادى من قرات ودجلة واجمع شمل العين بعد الشرق

ولكن هذين البيتين يعود صاحب النجوم مرة أخرى فينسبهما الى الامر (٦١) .

ويحدثنا ابن بسام في الذخيرة ان الشاعر الواساني هجا يوسف بن على

الاشرف على دمشق أيام الحاكم وسمع الحاكم يامر الله هذا الهجاء فقال يوماً :  
أريد سماع هذه القصيدة من رجل حسن التمشيد (٦٢) .

فهذا يدل على ان الحاكم كان يلد له سماع الشعر بين بحسنون التمشيد .

كما كان الحاكم ايضاً اذا جلس في ميدان الطارمة وانشد الشعراء تناول  
برجوان تصاندهم فجعلها في كفه لماذا مرضى رفاع الناس وفرغ من التوقيع قراً  
القصيد وقد حضر من له تمييز ومعرفة بالشعر، وكان الحاكم له من الخلق  
بذلك ما ليس لغيره فلذا انشد الشاعر او انشد له ابو الحسن لا ينشد  
ويبر بالبيت النادر او المعنى الحسن الا تبه برجوان عليه واستعبده مراراً .

(٥٩) محمد عبد الله عنان : الحاكم يامر الله ص ١٥٥ - ١٥٦ - نقلاً عن اعلم  
الحنفا المخطوط لوحة ٢٧ .

(٦٠) ابو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٩٦ .

(٦١) د. مصد كامل حسين : في أدب بصر الناطمية ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٦٢) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ص ٦٩ - من القسم الرابع

ثم يوتغ لكل واحد منهم بتدر استحقاقه ويبلغه من صناعة لتخرج صلاتهم بحسب ذلك (٣٣) .

ونستطيع أن نقول إن الحاكم كان له من الذوق الرفيع بحيث كانت تدره نائلة على نفوق أبحاث الشعر التي تروى عليه ثم يشير بأعادتها مرة أخرى وهذا لا يتأتى إلا لمن حسن ذوقه ووهب ملكة الشعر والأدب .

وقامت دار الحكمة الفاطمية يومئذ تغذى الحركة العقلية الى جانب الأزهر والمسجد الجامع ( جامع عمرو ) الذي كانت حلقته العلمية والأدبية دائماً ملصقا بلزما في تكوين الحركة الفكرية المصرية في تلك العصور . وأولى الحاكم الحركة العقلية شيئا من رعايته فلهزل التفتة لدار الحكمة وزودها بخزائن الكتب الجليلة . وعقد مجالس لمناظرة العلماء والأدباء وغيرهم بصلاته وقرب اليه عدة من انطساب المنكرين والأدياء في هذا العصر مثل المسبحي الكاتب والمؤرخ الكبير ومحمد بن القاسم بن عاصم شاعر الحاكم وجليسه وكان من أشهر شعراء العصر وأبي الحسن علي بن محمد الشافعي الكاتب صاحب كتاب الفيارات وقد توفى سنة ٢٩٠ هـ . وابن يونس العلامة الرياضي الفلكي صاحب الزيج الحاكمي الشهير الذي أنه خصيصا للحاكم وكان أيضا أديبا شاعرا وقد كتب تاريخا لمصر ، وأبي عبد الله العيني المؤرخ صاحب تاريخ النخاسة ، وسيرة جوهر القلائد ، وقد توفى سنة ٤٠٠ هـ والمهندس البصري الكبير أبو علي بن الحسن بن الهيثم وغيرهم ممن تولى قيادة الحركة الفكرية في هذا العصر (٣٤) .

وهناك من الشعراء الواسعين علي مصر في عهد الحاكم نخص منهم ليا الحسن علي بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع الولاد نتبيل الفوائدي (٣٥) . قدم الى مصر أيام الحاكم بأمر الله ومدحه ، وهو صاحب التصورة الهزلية الشهيرة التي يعارض فيها مقصورة ابن دريد وتوفى سنة ٤١٢ هـ وقد قال في مخلصورنه :

(٣٣) المقريزي : أملاط الحنفا ج ٢ ص ١٤ - ١٥ .  
 (٣٤) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٣٦٤ .  
 (٣٥) ابن شباكر الكتبي : نواب الوفيات ج ٢ ص ٢٢٧ .



من لم يرد ان تثقب نصاله      يحملها في كفيه اذا مشى  
ومن اراد ان يمسون رجسه      تلبسه خير له من الحنصا  
وقال في آخرها :

غناك كالدر يفسد لو فوسا      وهذه في وزنها بل الحذا (٦٦)

وعذا الشامر هو الذي اشار اليه أبو العلاء المعري في قوله :

دعيت بمسارع عند أركتسه      بهائمه سرد الى نصيل (٦٧)

ولكن هذا الشساعر لم يمكث طويلا في مصر اذ تولى في نفس السنة التي  
وقد فيها .

وأبو اسحاق ابراهيم بن القاسم المعروف بالرفيق تساعر المغرب وقد  
على مصر ليام الحاكم غيره مرة . وهذا من بلاط المغرب الى البلاط المعري ليعمل  
على توثيق الروابط بينها ، ولقى من الحاكم واخته بنت الملك وانصر الاكرام  
والرعاية والسياد بمصر ومحاسنها في عدة مسائل راتمة وكانت زمانه  
سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٨) .

ومن شعراء الحاكم بلر الله على بن منصور المعروف بابن الفسارح له  
قصيدة على وزن مفعولة أبي نواس يدع فيها الحاكم بلر الله منها قوله :

لن الزمان قد نضمر      بالحكم الملك الأعسر  
في كفه هضيب فكر      نقتد عدا على القصير  
من غرة على النسر      يمضي كما يمضي القسر  
في سرعة للطرف نطر      لو السحاب المنهسر  
بمسائر بانفلق البسر      يسر اذا لاح بهسر (٦٨)

وقال محمد بن القاسم بن ماسم المعروف بصناعة الدوح في يدع الحاكم . .  
وقد حدثت زلزلة في مصر :

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا      نجل العلى وسلب السادة الصلحا

(٦٦) الرجع نفسه .

(٦٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥٩ .

(٦٨) محمد عبد الله عنان : الحاكم بلر الله ص ٢٦٩ .

(٦٩) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ١ ص ٨٥ .

ما زلزلت مصر من كمد يراد بها وإنما رعدت من عدله نظريا (٧٠)  
ومن الشعراء الذين عاشوا في عصر الحاكم بأمر الله أبو الفتح بنيسور  
المعروف بالمتنبى الشاعر ودفن بمقابر القاهرة ومن شعره :

شديد من الدنيا على الحر حاجة يؤم بها من ليس من نظرائه  
وقال في أبيات أخرى :

وما الناس إلا كالنبت ممدوح لبنوى ومخضرب لينى وممشيب  
يسرله ماء الشجاب نضارة ويندغ عنه حسنه حين يقضيا  
ومنها :

لترق أنواع المذبات في الورى ويجمعها خلق النفس حين يكذب  
إذا كان للانسان مثل مخيشا توجه لافاء صديق ومكشيب (٧١)  
بتال الفتى بالفتى بلغة عيشة فيسعى الى شبيها سواها ويتصب  
يخرب من اخراه ما ليس قائما ويمسر من تنياه ما يفضرب  
على أن في الأيلام للمرء واحظا بلهضا وفي صرف الزمان مؤذب (٧٢)

ومن شعراء الحاكم أبو القاسم ميد الغفار شاعر الحاكم وله تصنيده  
يمدح فيها الفضل تذكر منها هذه الابيات :

انما الفضل غيرة	في وجوهه المدايح
أريحي رياحه	مبتات الروائح
كعبه الجود كعبه	بسين غاد ورائح
انما تصلح الأمو	ر برأى ابن صبايح (٧٣)

ولم ينس الخلفاء القاطمون العلوم العربية الخامسة بل وجهوا اليها  
اهتماما ملحوظا وعناية خاصة وقد رأينا كيف كان الحاكم بأمر الله يجمع علماء  
اللغة والأدب المفاظرة بين يديه (٧٤) .

(٧٠) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ص ٨٥ ويقال ان الشاعر انشدها في  
كافور .

(٧١) المغربي : انماض الحظا ج ٢ ص ١٧٢ .

(٧٢) المعسر السابق ج ٢ ص ١٧٢ .

(٧٣) الثعالبي : بتيبة الدرر ج ١ ص ٢٢٧ .

(٧٤) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر القاطمية ص ٦٩ .

كان تشجيع الشعر والشعراء على يد الفاطميين مما دفع بكثير من الشعراء الى هجرة أوطانهم والاستقرار في مصر رجاء النفع بسخاء الفاطميين ورجال بلاطهم . ولاغرو فانهم لم يلقوا من تشجيع في بلاط العباسيين في بغداد وقد ذهب ما كان لهم من حول وطول بسد أن بلاط الفاطميين كان يرحب بمن يلد عليه من الشعراء النابيين سنيين كانوا أو شيعيين (٧٥) .

فقد كان عبد الوهاب بن نصر الملكي من أهل بغداد وكان قتيها مالكيا مبرزاً كما كان أبيها شاعراً وقد وصفه أبو بكر البغدادي في كتابه : « تاريخ بغداد » فقال انه كان قصة في الحديث وانه لم يلق من الملكيين أحد ائمه منه (٧٦) .

وكان عبد الوهاب هذا من كبار الشعراء الذين تركوا بغداد وارتطوا الى القاهرة .

ويروى انه في اليوم الذي رحل فيه ابن نصر الملكي عن بغداد خرج كبار رجالها بدعوته فغسل هذا القبة والشاعر الكبير معبراً عما كان يشعر به من ألم اللساق انه ما فارق هذه القبة « عن كره لها » بل لأن الأرزاق فيها لم تساعده . ثم ختم كلامه بهذه الكلمات : « لو وجدت بين ظهرائكم رغبين كل عداة وعشبة ، ما عدت عن بلدكم لبلوغ أمنية » (٧٧) .

ولقد أصاب بعض المؤرخين حيث يقول هذه الكلمات التي تنطوي على نغمة الاحتقار : « والخير يومئذ كل ثلاثمائة رطل بدنتار » - وهذا في غلبة النعم اهم لأنه أراد أن يخبرهم بسقوط همتهم وخسة نفوسهم (٧٨) . وقد أظهر ابن نصر ما كان يخالج نفسه من حزن لفارقة بغداد في إحدى قصائده وفيها يودع بلده ويشير الى هذه الأحوال التي أحاطت برحيله حيث يقول :

سلام على بغداد من كسل منزل      وحق لها من السلام المضاعف

---

(٧٥) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٥ - ٤٤٦ .  
(٧٦) وفيات الأعيان : ابن خلكان ج ١ ص ٣٨٢ - ابن شاطر الكبير : فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٧ .  
(٧٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٢ .  
(٧٨) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٤٦ .  
( م ٢٥ - الحياة الفكرية في مصر )

مواث بما نارةهما عن قاي لهما      واني يسطى جانبيهما لمبارف  
ولكنهما ذبابت علي برخيها      ولم تكن الأرزاق فيها تساعف  
وكانت كحل : كنت اموي دنوه      واخلاقه نثاي بسه رفضالف (٧٩)

ويصف لنا ابن نهر في تصيدة اخرى محبسته في بغداد فيقول :

بغداد دار لاهل المال طيبة      وللمقائيس دار الفسك والخبث  
لمسحت فيها مضاعفا بين اظهورهم      كائني مسحف في بيت زنديق (٨٠)

هكذا كان ما عاناه هذا الفتنه الكبير والقاضي الشعاعر المشهور . فقد بلغت معاملة الناس له الي هذا الحد من الإهمال حتى حسام علي وجهه في شوارع حاضرة المباسمين حيران لا ياولي على شيء وقد لجأ في التوابة الي القاهرة حاضرة الخلافة الفاطمية الشيعية واتخذها مقرا ووطنا ثانيا له (٨١) .

حيث كان فراره من مدينة المنصور الي مدينة المعر نذرا للافداق علي الشعراء بالسلا والجوائز في وقت عجزت فيه الخلافة العباسية عن ذلك عجزا يوشك أن يكون تاما من شيء من ذلك (٨٢) .

رجل ابن نصر الي مصر واجتاز في طريقه معرة المنعمان (٨٣) وبما يومئذ أبو العلاء المرعي غاضبه عنده ثم اشطر الي هذا الحانك في تصيدته الي خازن دار العلم ببغداد حيث يقول :

والسالكى ابن نصر زار في سفر      بلاننا بعدنا النثاي والمسفر  
اذا تقته حيا ملكا جدلا      وينشر الملك الضليل (٨٤) أن شعرا (٨٥)

وأما وصل الي مصر استقبله الخاس أحسن استقبال وقد وصف ذلك ابن خلكان (٨٦) في هذه العبارة حيث يقول : \* فعمل لواءها وملا أرضها

- (٧٩) ابن خلكان : رغبات الأعيان ج ١ ص ٢٨٢ .  
(٨٠) ياتوت الدهوى : معجم البلدان - انظر لفظ بغداد .  
(٨١) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٢٧ .  
(٨٢) د . عبد اللطيف حيزة : الحركة الفكرية في مصر ص ٢٦٢ .  
(٨٣) هي مدينة من أعمال حمص تقع بين مدينتي حلب وحماة .  
(٨٤) الملك الفضليل لقب لامري ، القيس الذي عدّه النبي ( ص ) أشعر الشعراء ( ابن شاکر الکتبی : قوات الوفیات ج ٢ ص ٢٧ ) .  
(٨٥) أبو العلاء المرعي : ديوان مسقط الزند ص ١٢٤ .  
(٨٦) ابن خلكان : وغيبته الأعيان ج ١ ص ٢٨٢ .

وسمائها ، واستتبع ساداتها وكبرائها ونسأهت إليه الخرائب وانتقلت في يديه الرغائب .

وقد زاد هذا الكاتب مذكر أن ذلك كان في خلافة الظاهر سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م وهي نفس السنة التي ملك فيها ، وذكر ابن خلكان سبب موت ابن نصر فقال : انه لما كاد يصل حض مات من أكلة اشتقها . وقال وهو على فراش الموت : لا إله الا الله ، اذا عشنا مقنا .

ومن الشعراء الذين خاطبوا الظاهر لاعزاز دين الله حين أمر بالختم على جميع ماله عذبن البيهقي فكانوا انسيب في الافراج مما أخذ منه والرضى عنه :  
من شميم المولى الشريف العلى      الا يرى مطرها عبده (٨٧)  
وما جزأ من حسن من حبكم      ان تسلبوه فضلكم عنده (٨٨)

وكان ابن خيران قد خرج الى الجيزة بغيرها ومعه من أصحابه المقدمين في الأدب والشعر والكتابة . وقد احتجوا به يمينا وشمالا غادي بهم السير الى مناضة مخونة فلما رأى أحجام الجباعة من القرب عفا وظهور جزء من منها تمنع بقلته فولجها حتى تطعنا وانقنى قائلا مرتجلا :

ومخاضة يلقى الردى من خاضها      حتى تسيل من المدا اغراضها

هكذا كان شعراء الظاهر لاعزاز دين الله يهدونه ويشيدون به حين ونودهم الى التاهرة المعزية .

أما عن ازدهار النشاط الأدبي في عهد الخاتمة المستنصر فتكاد تجمع المصادر على أن المستنصر بالله كان شاعرا بدعا وأنه كان يملك من انشاد الشعر برتجله في مناسبات ويحب على بعض الرسائل التي كانت ترد عليه بالشعر ، يروي صاحب الفجوم الزاهرة أن ناظر الدولة جاء بالادراك سنة ٤٦٠ هـ الى الوزير ابن كتيبة ، وطلبوا انوزير بالمال لغتل لهم وأي مال بقى عندي بعد أخذكم الاموال واقتسامكم الاقطاعات ، نطلبوا من الوزير أن يرشح الى المستنصر فكتب الوزير رقعة بما جرى وارسلها الى الامام فأجاب المستنصر على الرقعة نفسها بخطه :

(٨٧) مطرحا : بهلا متروكا .  
(٨٨) يا قوت الحموى : معجم الأدباء ج ٤ ص ١١ ، ١٢ .

لمسحت لا أرجو ولا انقضى الا الدهى ولسه الفضل  
جدى ينسى واسمى ابنى وتولى التوحيد والعدل (٨٩)

غنى حنين البيتين بالهجر الألم انشديد الذي كمن في نفس الامم لها  
به وحاق بالبلاد ابلن الشدة العنسى المعروفة في التاريخ . والبيت يفكرنا  
نسمه عند ذفن الموتى بما يعرف بتلقين الاموات . فلعل المستنصر اراد ان يذ  
بما جاء بطائيه بالاموال فاجاب بما يقن به الموتى . فهو يسخر هؤلاء اذا  
وهو في أشد حالات الألم والحزن غلامتة النفسية التي كانت عند المرسند  
من التي جماته بسدر وبتهمك على هذا النحو (٩٠) .

وما يروى عن المستنصر أيضا ان المؤيد في اثنين هبة له انشيرا .  
بعد ان عاد سنة ٤٥٠ هـ الى القاهرة منعه الوزير ابن المظفر من ذلك .  
المستنصر فاجد المؤيد ويسل اليه الكتب والرسائل وينشد فيه الشعر .  
بلغ المستنصر قول المؤيد فلما باغت الرقعة التي فيها هذا الشعر الي المرسند  
اجاب عليها بخطه :

وما حجة مشهورة في السورى	وعلود علم اعجز المرسند
ما غلقت ثوبك ابوابنا	الا الامر مؤلم ملامنا
ذنتنا على قلبك من سمعه	فصدنا صد اب مشفق
شبعتنا قد عذبوا رشدهم	في الضرب يا صاح في المشرق
نانشر لهم ماشئت من علمنا	وكن لهم كالولد الشقيق
ذلك لا يوجد قين مضى	من بكر الناس ولا من بقي (٩١)

ومن اشعار المؤيد في الدين داعي الدعوة في الاثارة بالمستنصر بالله :

بنفسى مستنصر بالله	جنود السماء له المسره
شبهت بانك وجه الاله	وجود الموالى به ناقره (٩٢)

(٨٩) ابو الحسن بن ثعربى بن بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٨١ - وينسب  
ابن منجب الصيرفى في كتابه الاشارة ص ٢٩ الى الحاكم بامر الله - اما ابن خلدو  
ففيها في تاريخه ج ٤ ص ١٧١ الى الامر باحكام الله .  
(٩٠) د . محمد كمال حسين : في ادب مصر الناطقية ص ١٢٤ - ١٢٥ .  
(٩١) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعوة .  
(٩٢) د . احمد شلبي : تاريخ الفريفة الاسلامية نقلًا عن ديوان المؤ  
ص ٢٠١ .

وهكذا نجد أن الحركة الفكرية المصرية قد ازدهرت نوعاً ما خلال النصف الأول من القرن الخامس . بيد أنها خسعت في أواخر القسرين في عهد المسخمر بالله . وكانت هذه الفترة ضلّسة بالحن والأحداث والفتن الداخلية والمخارجية فلم تلبّ طلق الحركة الأدبية كثيراً من الرعاية أو التخصّص بيد أنها عادت في أوائل القرن السادس فانتعشت واستمرت على انتعاشها ونموها (٩٦) حتى نهاية الدولة الفاطمية ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م . ويمتدح المؤرخون أخلاق الأمر وسياسة فقد أحسن معاملة أهل الذمة واهتم بتشجيع الشعراء فظهرت نهضة أدبية (٩٧) ساعدت على نمو الحركة الثقافية في الدولة الفاطمية . وقد كان الأمر بالحكام أنه شاعراً مجيداً وله نظم قوى التأثير من نظمه قوله :

دع اللوم عنى لست منى بموفق      ملائد لى من حسنة المنتقى  
واسمى جياى من غرات ومجلة      واجمع سهل الدين بعد الشرق (٩٨)

ويقول صاحب النجوم الزاهرة عن الأمر بالحكام الله « كان للأمر نظم ونظر في الأدب » (٩٩) .

ويروى له عدد أبيات منها الأبيات التي نسبها حينما إلى الحاكم وحينما أضر إلى الأمر كما ذكرنا من قبل . ويشعب ابن مبر إلى الأمر قوله :  
أما والذي حجت إلى ركن بيته      جرائم ركنان مقلمة شهبها  
لاقتضى الصرب حتى يكمل لى      منكت زمام انحراب ناعتمزل الهربا  
وينزل روح الله عيسى بن مريم      نيرضى بنا صحباً وفرضى يلمصبا (١٠٠)

وآخر مقال على النهضة الأدبية وتشجيع الشعراء أن الخليفة الأمر بالحكام الله بنى على المنظرة الذي يتال لها ينر نسكة الحركة منظرة من خشب مدهون ليها هلالات تشرف على خضرة بزكة انحبشى ، وصور عيها الشعراء كل شاعر ويلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في الدح وذكر الحركاه ، وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة كل منهم رفه لطيف

(٩٦) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٢٦ .

(٩٧) د - على حسنى الخرموطى : مصر العربية الإسلامية ص ١٧٠ .

(٩٨) محمد عبد الله عنان : بحر الإسلام وتاريخ الخطط المصرية ص ٢٦٠ .

(٩٩) أبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٨٢ .

(١٠٠) ابن مهيتر : تاريخ مصر ص ٧٢ .

مذهب لها دخل الأمر ونرا الأشعر أمر يحط على كل رمى صرة محتومة فيها  
خمسون ديناراً وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته فنعلوا ذلك وأخذوا سرهم  
وكانوا عدة شعراء (٩٨) .

كما نبع من الشعراء في عذا العسر أبو الحسن علي بن محمد الأفضى  
وهو شاعر من أشرف المغاربة أجاد في مدح الخلفتين الأمر والحافظ وغلا في  
تجديد القاطميين وأغلاء شائهم ومن ذلك قوله في مدح الأمر :  
ألى نروة النور العلاءى انه الى نروة النور الألهى ينسب (٩٩)

ومن هؤلاء الشعراء أيضا وقد عبر عما خالجه شجرة من أسى بعد حفرته  
مصر الى بغداد في قصيدة نذكر منها هذين البيتين :

وما تصدنا بغداد شوقا لأهلها ولا خبيت قط أيمارنا عنها  
ولا أننا اخترنا على مصر بلدة سواها ولكن القناير سلفتنا

ومن الشعراء القاطميين الذين ظن لهم أنر عظيم في نشر التعاند الفاطمية  
أبو الحسن بن المزيدي وقد وصفه عماد الدين الإصهاني نقلا عن القاضي  
الفاضل فقال : « وأنه قد لم يسمح الدهر بهله » (١٠٠) .

وكان ابن المصنف وهو من الشعراء الفاطميين الذين عاشوا في عهد  
الخليفة الأمر قد قال في مدح أذلاء الفاطميين حتى أدى بهم ذلك الى الإلحاد  
والهروك عن الدين من خلال ما ذكر في قصائدهم معللا ابن المصنف ذلك : ابن  
المصنف كان من دماء الأديباء المتفانين . . وكنت عزما على حقه لأنه أساء  
شرعاً وإن الحسن بطراً بل أظهر عنه كثراً . . لكننى لم أر أن أترك كتابى  
منه صفراً ، لأن البحر الزاخر يركبه المؤمن والكافر ويقسده البر والفاجر (١٠١) .

ولهذا كان ابن المصنف ما حدا في نظر عماد الدين الإصهاني . ومن الأقباء  
الوافدين على مصر في عهد الأمر أمية بن أبى الصملى بن عبد العزيز بن

(٩٨) المغريزى : المخطوط ج ٢ من ٢٨٢ - ٢٨٩ .

(٩٩) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥٠ - ٤٥١ .

(١٠٠) د . حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السيلاني ج ٤ ص ٤٨٤ - ٤٨٦ .

(١٠١) د . حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥٥ نقلا عن الإصهاني .  
مخطوط ٣٢٢٨ ورقة ٥٢ ع وما بعدها .



المصنف الأندلسي الذي وعمد على مصر في أوائل القرن السادس الهجري (١٠٦) في عهد الأفضل شاعريته ودرس الحركة الفكرية والأدبية في مصر بينه وبين مصر رسائله الشهيرة المعروفة « بالرسالة المصرية » وفيها يتحدث عن مصر ونيلها وآثارها . وعن علمائها وأدبائها وشعرائها ومجالسهم واجتماعاتهم مما يدل على أن الفسطاط كانت وما تزال مركزا هاما للحركة العلمية والأدبية في العصر الفاطمي .

وكان الشعراء في أيام الحافظ قد اطنبوا في المدح ونشأوا في المطالعة انقصت حتى صار الاتساع يؤدي إلى قصر الوقت الذي جهرت العبادة باستماع أشعارهم فيه ليطول مقولهم بالخدمة فخرج الأمر إليهم بالاختصار فيها ينشدونه من الأشعار فقال أحمد بن فرح يخاطب الخليفة :

أمرتنا أن تصوغ المدح مختصرا      ثم لا أمرت ندى ككيسك بضمير  
وإن لا بد أن تجري سوايتنا      حتى يبين لنا في مدحك الأثر

فأمروا بالاستمرار على ما هم عليهم من الأضالة في الاتساع .

وكان الحافظ نجبا للأدب ومدحه . ثم أنه لما ساءت بدمته عادات رجل يعرفه بلبن الزعفراني فتم عليه عند الحافظ بأن أحمد بن الأفضل لما كان قد اقتتل الحافظ وجلس للقاء وتخل عليه الشعراء كان فيهم علي بن عباد الإسكفري وأنه أنشد قصيدة يتم فيها خلفاء مصر ويذكر سوء اعتقادهم منها في ذم الحافظ :

هذا سليلاتكم قد رد خانيسه      واسترجع الملك من صخر بن أبليس

بعندما قال هذا البيت قام ابن ميسر وألقى مريضته طريا بهذا البيت ، فله الحافظ باحضار هذا الشاعر وثقل نفسه على : لما تشدها إلى أن بلغ قهها إلى قوله : « ولا ترسبوا من الخبسي المناحبسي » يعنى الحافظ وأبيه وأباه وجدته . فله الظلم بلكنه لمكوه حتى مات بين يديه ، وقبض على ابن ميسر ونفى

---

١٠٢١ توفي أمية بن أبي الصلت سنة ٥٤٩ هـ وقد نشرت الرسائل المصرية بحقبة بناية الأستاذ عبد السلام هارون ضمن سلسلة « نوازل الخواصات » المجموعة الأولى ويرجع ما ورد فيها من علماء مصر وأدبائها وشعرائها ص ٤٠ - ٥٦ .

ثم مثل . وكان ينمت بجلال الملك وكانت علامته ه الحيد فة على نعمة ه (١٠٦)

ولعل من الواضح ان العقائد الفاطمية قد نثرت أيضا في جميع الشعراء الذين ظهوروا في بلاط الأئمة في عهد ضعف الأئمة وسلطة الوزراء وفي عهد انتقال مركز الدعوة الى اليمن ودخول الأئمة في نور السر الثاني ، كذلك نجد ان الحافظ والظاهر والمعتمد آخر ملوك الفاطميين كانوا يحكمون نيابة عن الاسم المستتر ولم يكونوا أئمة ولكن شعراء مصر ابوا الا أن يغفروا صفات الأئمة على هؤلاء القوابيل من الشعراء من لقب هؤلاء الملوك بالأئمة فالشاعر الشريف أبو الحسن علي بن محمد الأصفهاني شاعر الأبر والحاكمان قال في مدح الحافظ :

حرف جريال يرى تحويلها	من يرى الحافظ فردا همدا
يشمس في العين الا انه	من طريق المعقل نور وهدي
جل أن تتركه اعبتنا	وتعلمان أن نراه جسيما
لهو في التسيب زلفي رابع	سمع الله به من جوسدا
ندرك الأسكل نيمه يليا	خاد من اجلاله أن يعسدا

فالشاعر وصف الحافظ بهذه الصفات الباطنية التي هي من صفات الأئمة . ولكن الحافظ كان ينوب عن الامام المستتر فطبق الشاعر صفات الامام على نائبه فالامام عن طريق العقل أي عن طريق علم الهالكن هو نور أي عقل كله والعقل الأول لا يدرك الأعمار . فهو يتعالى ان يحدد بحدود ذلك الجسد (١٠٦) . لم يكن شعراء مصر الذين مدحوا الأئمة والوزراء هم الذين ملوا في شعراءهم بمعانيد الفاطميين وتكثروا بها هذا الشعر الذي رأينا نهلاجه ، أن المقروض أن جميع الشعراء الذين اتصلوا ببلاط الفاطميين كانوا يتمذهبون بهذهب الأئمة وهكذا اتخذ الشعراء الواعظون العقائد الفاطمية وسيلة للوصول الى مدح الأئمة وأن يزينوا شعراءهم بهذه العتاد للتقرب الى الأبراء والوزراء والأئمة فأكثرت الشعراء الذين وقعوا على مصر لم يكونوا فاطميين الذهب ولكنهم اضطروا الى أن يدعوا الأئمة بالمعاني الباطنية على نحو ما كان يعمله شعراء مصر . ويحدثنا باقوت ان الحسن بن عبد الله الشمسار المعروف بابي حصينة المصري المتوفى سنة ٤٥٧ هـ وفد الى المستنصر بالله وأنه مدح المستنصر بقوله :

(١٠٣) القريري : اتعاط الحنفا ج ٢ ص ١٦٢ .  
(١٠٤) د . محمد كاهل حسين : نخب مصر الفاطمية ص ١٥٢ .

ظهر النهدي وتجلل الاسلام وأبن الرسول خلبنة وإمام (١٠٥) وعلائق شعراء في عصر الخلفاء بنهم ابو العبر محمد بن علي الهاتمي وقد كان من اعظم شعراء هذا العصر وتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

ثم ظهر في عهد العاضد الفاطمي الصالح طلائع بن رزيق الذي كان شاعرا مجيدا حمل على التزعة ولغيتها بلعيا في علوم الشريعة ، وعبد العزيز بن الحسين بن الحباب المعروف بالجليس لانه كان من جلساء الخليفة العاضد وتوفى سنة ٥٦١ هـ كما كان الموفق بن الفضل اعظم شعراء عصره - وابو اذفتح نصر الله بن فلاح الاسكندري تلميذ السلفي وصاحب الديوان المشهور باسمه توفى سنة ٥٦٧ هـ (١٠٦) .

وهكذا كان بعض الأئمة يتشدد التمسك فلا فرو أن رأيتهم يقربون الشعراء ويجزلون لهم العطاء ويلتف الشعراء حولهم كخلية النحل في ايمانها لرحيق الازهار ويتنافسون بين ايدي اربابهم في الانتقاد مما دعا الى كثرة الضمير وازدهاره (١٠٧) . فقد عرف الخلفاء الفاطميون كيف ينهضون بالحركة الادبسية بايجاد نشاط واسع في الشعر عن طريق الجوائز والمكافآت (١٠٨) مما ساعد الخلفاء الفاطميين على بلوغ اغراضهم السياسية وهذا يدل على مظاهر الكبر والابهة والعملة في كل عصر الفاطمي مما ادى الى الكثرة في انتساج الشعر والادب في حياة مصر الفاطمية ويجعلها تحتل المكانة الممتازة في الحياة الادبية . تلك كانت مسيرة الحركة الادبية في العصر الفاطمي ودور الخلفاء فيها .

ولا بد أن نشير الى أن اهتمام الفاطميين بالشعراء والكتابات وغيرهم من رجال الادب كان نشير مذهبيهم واحاطة خلافتهم بالعلمية والتدريس وكان من بين الخلفاء من يجيد فن الشعر كما كانوا يعنون الشعر منذ كان الأئمة يتقون الغمسية الدينية في المسجد الجليل ويقراون ما يعرضه عليهم الدعاء في مجالس التحكيم كما كان من بين هؤلاء عدد غير قليل من الكتاب ومن طبقة الموظفين بديوان سر

(١٠٥) المعتمد السابق ص ١٥٥ .

(١٠٦) السيوطي : حسن المختبر ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٧٠ .

(١٠٧) التلقشندي : صبح الامشي ج ١ ص ٢١٠ وما بعدها .

(١٠٨) د - شوقي ضيف : الفن وادبه في الشعر العربي ص ٤٦٨ .

للحليفة وما شجع على ازدهار الحياة الأدبية في الشعر والنثر هو ان انظفء كانوا يجزلون المطايا لهم والخلق وعلى راس هؤلاء الكتفب صاحب الانشاء وقد حرص الخليفة العزيز بالله على اختيار كتابه ممن اشتهروا بسعة الاطلاع في الأنب والتفوق في فن الانشاء وقد تحدثنا في النثر عن الشروط الواجب توافرها فبمن يتولى الكتابة .

فلزدهار النثر يدل على عناية الخاطمين بديوان الانشاء ، ما جعل المهاملين في ديوان الانشاء ان يكونوا من اوتى روعة الاسلوب وبراهنه وامثاته ومن ائمة البيان والفصاحة الناهرة وكانت رسالتهم الديوانية تدل على ذلك .

ومن هؤلاء الذين برعوا في ديوان الانشاء في عهد الخليفة الظاهر والمستنصر ولى اثنين بن خيران ٤٢١ هـ / ١٠٤٠ م فهو احمد بن عيسى بن خيران ابو محمد الملقب بولى الدولة صاحب ديوان الانشاء للظاهر والمستنصر بمصر . له « ديوان شعر » صخر ومجموعة رسائل (١-٩) . وقد تولى ديوان الانشاء بعد ابيه وكان ابره أيضا فاضلا باينسا اعظم فترا من ايتنه واكثر علما وكان ابو محمد هذا يتقلد ديوان الانشاء للظاهر ثم للمستنصر ، وكان رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار وله عن كل ما يكتبه من التسجيلات والمهمودات وكتب التقليدات رسوم يستوفيهما من كل شيء يحسبه ، وكان ثوابا حسن انوجه جهيل الروعة والسبح النصفه بلويل اللسان جيد العريضة ، وسئل ابن ابي منصور بن السمرارى رسول من الفجر الى مصر من بغداد جرمين من شعره ورسائله واستصحبهما الى بغداد ليعرضهما على الشريف المرتضى ابن الدائم وغيره ، من يأس به من رؤساء البند ويستنصر في تخليدهما دار العلم ليتفد بقية ديوان الرسائل وقد قال على لسان بعض العلويين بخاطب العباسيين :

وينطقان نضل البدار (١١٠) الى الهدى

وبخوسكم عن ذكر فمثل لغار بدر (١١١)

ولو كنت فيها اسطرلكم الكبر وما كانت الشورى علينا غضاقة

(١٠٩) خير الدين الزركلى : الاعلام ج ١ ص ١٦٥ .

(١١٠) البشارة والاسراع .

(١١١) يزيد نروذ بدر المشهورة .

ومن شعره :

انما شيب لال المصطفى      غير انى لا ارى سبب المسلف  
العمد الاجماع فى الدين ومن      فهدد الاجماع لم يخشى التلف (١١٢)  
لم يتقى شمسفل عن كمال من      للهول قرظ (١١٣) أو قسوف (١١٤)

كان ولى القولى بن خيران صاحب ديوان الانشاء سنة ٢١٤ هـ ، يقول  
ابن خلكان عن الشاعر ابي الحسن على بن حمد بن نوبخت انه توفي بهصر  
سنة ٤١٦ هـ وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة وكمله ولى القولة  
ابو محمد أحمد بن على المعروف بابن خيران المكاتب الشاعر وابن خيران هذا  
كان يئولى كتب المسجلات من الظاهر بن الحاكم (١١٥) فهذا النص يدلنا على ان  
ابن خيران كان فى ديوان الانشاء سنة ٤١٦ هـ .

ويروى المقرئى ان ابن خيران وقع من الخليفة المستنصر : « الفخر من  
المذاق » والحاجة نذل الأعناق . وحراسه النعم يلررار الأرزاق : طاجروا على  
رسومهم فى الاطلاق : ما فتكم ينفذ وما عند الله بلق » (١١٦) .

وكان ابن خيران معجبا بنفسه يكثر الاشادة بشعره ونثره وهو  
يقول :

ولقد سموت على الأتم بخائسر      انه اجرى منه بحرا زلفسرا  
فاذا نظمت نظمت ووضا حلينا      واذا نثرت نثرت قرا فافرا (١١٧)

وهو القائل ايضا :

قد علم السيف وحيد القنا      ان لسباني منيها انطاع  
والقلم الأشرف لم يساهد      باننى فارسه المصقع (١١٨)

من هذه الأشعار نستدل على ان ابن خيران قد فطن بشعره ونثره الى

(١١٢) ياقوت الحموى : معجم الأدياء ج ٤ ص ٥ - ٨ - ١٠ - ١١ .

(١١٣) الاطناب فى المدح .

(١١٤) التمدح أو التزم .

(١١٥) ابن خلكان : ولييات الأعيان ج ١ ص ٢٥٨ .

(١١٦) المقرئى : المخطوط ج ٢ ص ٢٣٨ .

(١١٧) ياقوت الحموى : معجم الأدياء ج ٢ ص ٨ .

(١١٨) ياقوت الحموى : معجم الأدياء ج ٤ ص ١٢ .

درجة وصف نفسه بل مناعته في نظمه كأنه روض جليل ، ولارس وكتاب  
مبدع ، وخطيب مستبح .

وبالرغم من أن ابن خيران ظل مدة تكوينه في ديوان الانتشاء وأن له رسائل  
كثيرة جمعها في حياته - فإنه لم يحصل إليها من نشره مسوي هذه القطعة التي  
كتبها توقيعاً عن المستنصر وبروي باتوت عن الرئيس هلال بن الحسن « أن  
الرمسائل دالحة مسنية . قد انتزعت من المنظوم على خضوه إلا الوزن  
والغافية » (١٩٩) . وقد توفي ابن خيران في رمضان سنة (٢٦) هـ - وبعد ابن خيران  
تولى محمد بن أحمد بن محمد العميدى أبو سعد (١٢٠) (٤٢٢) هـ / ١٠٤٢ م أمين  
من الكتاب سكن مصر وولى ديوان « الترتيب » ثم ديوان الانتشاء في أيام  
المستنصر بالله سنة ٤٢٢ هـ وكان العميدى نحويًا لغويًا صنف عدة كتب منها  
كتاب « تنقيح البلاغة » في عشر مجلدات وكتاب « الإرشاد إلى حل المنظوم »  
وكتاب « الهداية إلى نظم المنثور » وكتاب « انتزاعات القرآن الكريم » ، وكتاب  
« المروءة » وكتاب « القوافي » (١٢١) .

فهذه المصنفات نقلنا عن ابن العميدى كان مختاراً بهذه الثقافة اللغوية  
والنحوية مما جعل كتاباته تتأثر بذلك من ألوان هذه العلوم التي حظتها منصف  
فيها هذه الكتب إضافة إليها خصائص الكتابة في مصر .

وتم بعمر العميدى طويلاً في الديوان إذ توفي سنة ٤٢٢ هـ ثم تولى  
الكتاب بعده على ديوان الانتشاء : نذار منهم أبا الفرج الفاعل وأبا طاهر  
الفهري وولى الدولة موسى بن الحسن وغيرهم إلى أن تولى الماويد في الدين  
هجرة الله الشيرازي ديوان الانتشاء سنة ٤٤٣ هـ (١٢٢) . الماويد أم بخت مصرية  
إنما وفد على مصر بعد أن استكمل خصائصه الفنية في التمسعر والنشر .  
علم بتأثر بـدرسة الكتاب المصريين بالرغم من أن الماويد كان يرى نفسه انفراد  
في فن الخطابة من الذين ولوا ديوان الانتشاء قبله فهو يذكر أنه قال مرة للموزير  
البيزوري وقد جرى ذكر كتاب الانتشاء « معلوم بما كان لغوي هذا إيديوان

(١٩٩) باتوت الحسوي : معجم الأسماء ج ٤ ص ٦ .  
(١٢٠) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٢٥ .  
(١٢١) باتوت الحسوي : معجم الأديباء ج ٧ ص ٢١٢ .  
(١٢٢) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر السلطانية ص ٢٢٦ .

من الجاه التوسيع والرزق السنى الكثير ولئن كانت اشخاصهم مملوذة لمن  
آثارهم في صناعتهم جانرة . وجوده وأنت كاتب تفرق بين الجيد والردى ،  
وانضيميل في الصناعة والقوى واريد ان تعبير من انصيب هذا المنصب من  
خمس سنه الى اليوم مقابسة الى فان كنت ممن يجرى في هطبتهم نرسبه ،  
ويطول نحو ارمهم باعه ، فانزلنى منزلهم من الجداد والمال ولا تقل لى ما انت  
مثلهم ولا في آفاتهم فقد رضيتك حكما وجئت لحكوك مسفلها ٢ (١٢٢) .

ولكن لا تنسى ان الذى يقول ذلك هو المؤيد الذى عرفنا بمروره  
والموهه (١٢٤) وكان الذى يتوب عن المؤيد في ديوان الانتشاء أثناء شيايه من يمر  
وسنره الى العراق في حركة البساسيرى هو القاضى القضاى ولكن لم تصل  
اليسا كتاباته (١٢٥) وناب عنه ايضا ابو الحسن على بن الانبارى الذى ولي  
الوزارة بعد سنة ٤٥٧ هـ (١٣١) ثم اخلف على ديوان الانتشاء عدد من الكتيلاب لم  
تصل اليها اسمائهم ولم يحفظ آثارهم الى ان نذكر باسم اثنين من اكبر كتبا  
ذلك العصر ، اما الأول فهو ابو الفرج المزدقى الذى وصفه العماد بقوله : « احد  
كتيبه ، يمر من المطبة الأولى ٥ (١٢٧) . ولكن العماد لم يحددنا بشيء عنه سوى  
هذه الجملة وأورد له بعض أبيات من الشعر في وصف ناعورة .

اما الكاتب الثانى فكان ماصرا للموتى والمؤيد وكان بيته وبين الموتى بعض  
الرسائل وهو ابن الشخياء .

كان من غريسان اتفر وله فيه اليد الطولى ، فهو ابو على بن عبد الصمد  
ابن الشخياء ولقب بالاجيد ذى الفضيلتين وصفه العماد بقوله : « مجيد  
كتوته ، قاصر على ابتداء الكلام ونحته ، له الخطب البديعة والملح الصنيفة » (١٢٨) .

وقال ياقوت عنه : « احد البلغاء القصحاء المشعراء له وسائل بدوتة  
مشهورة ٢ (١٢٩) . ووصفه ابن خلكان بقوله : « صاحب الخطب المشهورة

- 
- (١٢٢) السيرة المؤيدية ص ٩٠ .
  - (١٢٤) مقدمة ديوان المؤيد في الدين .
  - (١٢٥) السيرة المؤيدية ص ١٠٣ .
  - (١٢٦) ابن منجب الصيرفى : الاسيرة الى بن نال الوزارة ص ٥٢ .
  - (١٢٧) العماد الاصفهانى : الخريدة ورقة ١٥ .
  - (١٢٨) العماد الاصفهانى : الخريدة ورقة ١٤ .
  - (١٢٩) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ٩ ص ١٥٣ .

والرسائل المأجزة ، كان من نرسان المنقر وله فيه أئيد الطولي ٥ (١٢٠) .

وبلول ابن بسام في ذخيره ٥ كان من البلغاء الأبراد وأبهر نجوم تلك البلاد  
طلوعا من ثنانيا الأدب وأحدثاء لخبيا لسان الحرب فمدد كاشف حقائقها ،  
واستخرج دقائقها وأحرز ميوثها وسابقتها ٥ (١٢١) .

امن نكاد نجيع هذه المصادر على كعبه في صناعة الكتابة وكفايته فيها  
حتى قيل ان القاضي الفاضل كان حين اعتماده على حفظ كلامه وأنه كان يستحضر  
أكثره (١٢٢) ، وربما كان هذا هو السبب الذي من اجلة قال بعض الذين كتبوا  
عن القاضي الفاضل انه تلهذ ابن الشيخاء لانه كان يحذو حذوه في الصناعة  
لم يكن ابن الشيخاء مصريا بل كان من عسقلان وبالرقم من ان الحدود الجغرافية  
تجعل عسقلان بلدا في فلسطين فيجب الا تنسى ان فلسطين كانت ولاية  
من ولايات مصر منذ العصر الطولوني واستمرت تابعة لاسر خلافة لفاقرها  
السياسي والفكري الى عهد قريب فوحدة فلسطين مع مصر اشهد واقوى  
من وحدتها مع البلاد الأخرى .

فلا غمرو أن رأينا ابن الشيخاء العسقلاني النشأة يثار بها تثر به  
الكتاب الذين تقبلوا وترعرعوا في مصر بهذا الخصائص التي كانت تصود  
الكتابة المصرية . الا ان ابن الشيخاء استطاع بشخصيته ان يبرز ويشرق في  
هذا الفن وأن يبالغ في استخدام المصطلحات اللفظية والمعنوية حتى بهر معاصريه  
بفته وجعل الأقرخين يشيدون بخصاله ولعل أنص الذي سنورده يدلنا على  
أن ابن الشيخاء كان على علم تلم بكل ما كان يحيط بالعرب في الجاهلية والاسلام  
حافظا أشعارهم وحكهم بتكنا من لغتهم ويظهر ذلك في رسالته التي أرسلها  
الى ابن الفرج المونقي مذيها بقول :

« وحصلت رفعة مولاي والصبغ قد سسل على الأفق متبغضه وأزال بانوار  
الغزاة غيبه . فكانت بشهادة انه مبعج الأداب ونهارها وشار البلاغة وأزهارها

(١٢٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٣ .

(١٢١) ابن بسام : الذخيرة في حصن الجزيرة - القسم الرابع ورقة ٨٢ نسخة  
لجغرافية بكنية جامعة القاهرة .

(١٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٢ .



قد توشحت بشروب بن الفضل تامسية المدي ويجرى به في مضمحل الأدب  
بسردها \* (١١٢٣) .

فكان روض الحسن تنفزه الصبا ناطلت من قرطاسها اتصنح

وقد أميب هذا الكاتب ( ابن الشيخاء | البارغ شكبة لا ندري سببها .  
اذ حبس في خزانة البود ثم قتل سنة ٨٢ هـ ويذهب ابن ميسر أنه قتل سنة ٨٦ هـ  
وانه انشد وهو في سجنه :

أصبحت نخرجني بغير جريمة من دار أكرام لدار هوان  
كدم الفصاد براق أرذل موضع أبدا ويخرج من اغمر مكمان  
نقلت وازين العباد بفضلهم ونسيتي شد خففت تيراني (١٢٤)

وفي عهد المنصور أيضا ولي أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ديوان  
الإنشاء وبعد أن صرف عن الوزارة سنة ٥٢ هـ . لقد ذهب القرظي إلى أن  
الوزراء إذا صرلوا لم يتصرفوا فاقترح أبو الفرج المغربي لما صرف أن يتولى بعض  
الدواوين غولي ديوان الإنشاء الذي يعرف اليوم بوظيفة كاتب السر وهو الذي  
استتبط هذه الوظيفة بديل مصر (١٢٥) ويبدو أن القرظي لم يجانبه العسواب  
فيما ذكر وذلك لأن ديوان الإنشاء في الديار المصرية أقدم عهدا من أبي الفرج بن  
المغربي وأقدم عهدا من الدولة الفاطمية وقد ذكرنا أن ديوان الإنشاء وجد بمصر  
منذ عهد أحمد بن طولون .

وهما يكن من شيء فان أبا الفرج احد المراد بنى المغربي الذين كان لهم  
سكن كبير في الدولة الفاطمية منذ عهد العزيز (١٢٩) بالله الفاطمي ولكن نشاطهم  
كان سياديا أكثر منه ادبيا .

ونمر السنون على ديوان الإنشاء وينعاب عليه الكتاب حتى تلفت بكاتب  
من أكبر كتّاب الدولة الفاطمية ومن أحسنهم خطا . فقد انتهت الينا بقية صالحة  
من رسائله وسجلاته بل بقي لنا كتابان من كتبه الكثيرة التي صنعها ذلك

- 
- (١٢٣) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣٢٩ .  
(١٢٤) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٢٩ .  
(١٢٥) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣٢٢ .  
(١٣٦) المصدر السابق .

الكتاب هو ابن الصيرفي المولود في شعبان سنة ٤٦٣ هـ أبو القاسم علي بن منجب الصيرفي بن اعلم الكتاب والمؤرخين الذين ظهوروا في اواخر العصر الفاطمي . وقد اشتهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر كما برع في الخط وتدرج في بعض الوظائف حتى ولى ديوان الانشاء للخليفة الامر بامرهم الله وظل الى سنة ٥٣٦ هـ . ومن مصنفه كتاب « قانون ديوان الرسائل » و « الاشارة الى من نال الوزارة » الذي الفه للهاشمي البطاحي وزير الامر (١٢٧) . وتبع فيه وزراء الدولة الفاطمية منذ عهد العزيز حتى ابيه (١٢٨) ، وكان ابو حنيفة وجده كاتباً ومال هو الى فن الكتابة فبهر قيوماً على طريقة اهل عصره واعجب بصفاة في القدر الوزير الفاضل ناسخه في ديوان المكاتب ورفع قدره وذاع ذكره حتى عهد الظلمة الامر بأحكامه سنة ٤٩٥ هـ في اواخر عصر الحروب الصليبية وظل يحمل في هذا الديوان زهاء سبعة وأربعين عاماً على ما ذهب اليه ابن بيمر وعاش ابن الصيرفي حياته كلها في عصر الدولة الفاطمية (١٢٩) . واخذ صبغة الترسيل من تفة الملك ابن العلاء صاعد بن مبرج وذلك حتى صار صاحب ديوان الجيش ثم انتقل منه الى ديوان الانشاء ومات الشريف سنة الملك ابو محمد الزيدى الحسيني ثم تفرد ( اي ابن الصيرفي ) بالديوان فصار فيه بغيره وله الانشاء البديع والشعر المرائع والتصانيف المديدة في التاريخ والأدب ومعظم الرسائل والرسائل التي وصلتنا عن العصر الفاطمي هي من انشاء ابن الصيرفي (١٣٠) .

قال ياقوت : « الشيخ الفاضل علي بن منجب بن سليمان الصيرفي : اهد لضلاء المصريين وبلغاتهم ، مسلم تلك غير منازع فيه ، وكان ابو حنيفة واشتهر هو الكتابة فبهر فيها » (١٣١) . وقد وصف المقرئ ابن اسامة بقوله : « الشيخ الاجل أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن أبي

(١٢٧) د . محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٨١ .  
 (١٢٨) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ج ١٥ ص ٧٩ - ابن بيمر : تاريخ مصر ص ٨٠ .  
 (١٢٩) د . احمد بندي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .  
 (١٣٠) المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ١ ص ٢٦٤ .  
 (١٣١) المقرئ : الخطط ج ٣ ص ١٤٠ .

أسامة صاحب ديوان الانتشاء في أيام الخليفة الأمر بأحكام الله وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة بنعت بالشيخ الأجل كاتب الدسمة الشريف ولم يكن أحد يشاركة في هذا النعت بغير مصر في زمانه « (١٤٢) .

فنحن أذن إلمم كاتب أخذ الصنعة عن عدد من شيوخ الكتابة في مصر في العصر الفاطمي فقد كان بين يدي الشريف سناء الملك الذي كان كاتباً في أواخر أيام المستنصر وهو الذي كتب سجل تولية المسفلي (١٤٢) ، وأصبح له ديوان الانتشاء في عهد الأمر ثم ولى الديوان بعده الشيخ ابن أسامة سنة ٥٢٢ هـ فصار الديوان لابنه ابن المكارم إلى أن توفي أيام الحافظ غولي ابن منجب المصري الديوان بعده .

فهذه المدة الطويلة التي قضاهما ابن منجب المصري في الديوان من أسباب شهرته في الكتابة وذيوخ عدد من رسائله وحفظها وبالرفم من أنه أصبح رئيساً لديوان الانتشاء في عهد الحافظ فانه هو الذي كتب سجل انتقال المستعلي وولاية الأمر سنة ٤٩٥ هـ (١٤٤) .

ولكن حينما استنجد أبو علي بن الأفضل الملقب بكنيات بالأمر وسجن الخليفة سنة ٥٢٤ هـ لما قتل الوزير في ١٦ محرم سنة ٥٢٦ هـ أخرج الخليفة بن معتزله واتخذ هذا اليوم عيداً أسماه عيد النصر لعل شكرى هذا العيد كتب ابن منجب إلى بعض الخطباء للاستعداد لهذا العيد :

« عيد النصر وهو أفضل الأعياد ولسناها وأعلها وأدلها على تنصير الواصف إذا بلغ وتناهي ونحن نأمرك أن تبرز في يوم الأحد ١٦ محرم سنة ٥٢٢ هـ على الهيئة التي جرت العادة يمثلها في الأمجاد وتقرأ على الناس الخطبة التي سيرناها اليك قرين هذا بشرح هذا اليوم وتتمنيته ونكر ما خصه الله به من شريفه وتفضيله . وشمعد في ذلك ما جرى الرسم فيه في كل عيد

١ (١٤٢) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٣٥ .

٢ (١٤٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٣٥ .

٣ (١٤٤) القريري : الخطط ج ٢ من ٤٠ .

ونتهى فيه الى الغاية التي ليس عليها مزيد ، فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى « (١٤٥) .

وثم يكن ابن الصيرفي كاتبا من كتّاب الرسائل بحسب . بل كان مؤرخا ومسطحا من تصانيفه كتاب عمدة المحادثة وكتاب عقاب الفضائل وكتاب استئزال الرحمة وكتاب مفتاح اقتران وكتاب رد المظالم وكتاب امج الملح وكتاب في السكر وله اختيارات كثيرة لدواوين المشعراء كديوان ابن السراج وابي العلاء المبري وغيرهما . وهذه الكتب كلها مفقودة الآن (١٤٦) .

ولابن منجب عدة مقطوعات من الشعر ولكنه لم يعترف بالشعر كما عرف بالكتابة وروى له بختوت قوله :

لما عدت مايك الأرض افضل من جنت وماضره من كل اطراء  
تفجرت أدوات المنطق فيك على ما يصنع الناس من نظم واتشاء  
وتوله :

لا يبلغ النفاية القصوى بهوته الا آخر الحرب والجرد السلاهيبي  
يطوى حشاء اذا بما الليل عانته على وشيح من القطى وخضوب

ولكن ابن منجب لم يعد بين الشعراء بالرغم من أن شعراء المائة الخامسة كان اكثرهم من كتّاب الانشاء ولعل ذلك يرجع الى أنه كان متلا بالشعر كثيرا في الرسائل حتى قيل ان ديوان رسالته يزيد على اربعة مجلدات وثوى ابن منجب الصيرفي سنة ٥٤٢ هـ (١١٧) ولكن يفتوت يذهب الى أنه ثوى في ايام الملك الصالح ابن رزيق بعد سنة ٥٥٠ هـ (١١٨) وليس بين ايدينا شيء من انشورس التي جعلنا نرجح احدى الروايتين .

لما بهز الطنج بن قانوس الانباطى فهو محمود بن اسماعيل أصله من دهبان ولعل نشأة الأولى كانت بها فلن دهبان كانت يومئذ احدى مواطن اللقائفة في الدائم الاسلامى كله وان احتاج الطالب فيها الى ان يتم ثقافته

- (١٤٥) د . محمد كاهل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٢٢٥ .  
(١٤٦) د . محمد كليل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٢٣٦ .  
(١٤٧) ابن عيسر : تاريخ مصر ص ٧٨ .  
(١٤٨) باقوت الحموى : معجم الأدهاء ج ١٥ ص ٧٩ .

العالية في القاهرة أو في غيرها من مواطن الثقافة العالية ، ولما جاء إلى القاهرة التحق بديوان الإنشاء بتدرب تيه على أحد رجاله وعمل مع ابن الصيرفي في هذا الديوان ويقدم به نظمه وارتقت به بلاغته حتى تغدو مألوك عصره وكان ابن تادوس يكره الأدماء والاعجاب ويكره من ينصف بهما (١٤٦) .

وكان مع ابن الصيرفي في ديوان الإنشاء كاتبان شاعران من أقدر كتّاب مصر الفاطمية وشمراتها . أما الأول فهو الفاضل المنفصل كقفي الكفاة أبو العفح محبوب بن القاضي الموفق السباعيل بن حميد النديماطي المعروف بابن تادوس . شادد عصر الأفضل بن بدر الجمالي وارتدت به الحباة إلى أن توفي في عهد الملك الأسلمع ثلاثع بن رزيك أي أنه عاصر شمرام مصر وكتّابها في النصف الأول من القرن السادس وعرف اتجاهاتهم الفنية في الشعر والكتابة فلا غرو أن ترى أوبة بن أبي العفك يتحدث في رسالته المعربة (١٥١) .

بصنه العماد بقوله : « أشعاره محكمة الشبج كالدرج في الدرج » (١٥١) ووصفه ابن عسدر بقوله : « كان من أملاك المصريين وكتّابهم مقنبا عند ملوكهم » (١٥٢) .

لم يصلنا شيء عن حياة هذا الكاتب الشاعر فقد فقدت ترجمة حياته كما فقدت تراجم رجال مصر الفاطمية ومع ذلك فقد حفظت بعض المراجع لمصنعه مع زميله وصغوه أبي علي حسن بن زبيد الأنصاري ، وكف كان ابن تادوس سببا في أن يلقي زميله حتفه فلن هذه التهمة نقل على أن ابن تادوس بالرغم مما قاله القدياء عن فضله وكتابته في منامتي الشعر والنثر فإنه كان ضعيف الخلق يدهس زملاءه ويوقع بهم في المهالك . وهذا قصة أخرى يرويها القدياء عنه وهي انتصاره للجليس بن الحباب ، فقد كان ابن السيد الشاعر مؤلما بهجاء الجليس كثير الدعاية بأنفه حتى قيل أن متعلمات ابن السيد في ذلك بلغت لك مقطوعة قاتيري له ابن تادوس ينتصر للجليس قائلا :

يا من يحيب أولفنا الثم — م التي لبست تمسلب

(١٤٦) د . أحمد بدوي : الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٢٤٧ .

(١٥٠) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٣٢٨ .

(١٥١) العماد الأسفهانى : الأخرية ورقة ٩ .

(١٥٢) ابن عسدر : تاريخ مصر ص ٩٧ .

الإنسفة خلتيسة ونبأ وتروتك التسم اكساب (١٥٦)

فان الذي جعل ابن قلدوس ينصر للجليس هو ضمنا خلته حتى توهم ان الجليس ربما ساعده في الوصول الى بآره الشخصية في الديوان او غير الديوان من مناصب الدولة بحكم تلك المسئلة القوية التي كانت بين الجليس والخليفة الفاطمي من ناحية والملك الصالح طلائع بن رزيق من ناحية اخرى لذلك انصر للجليس ولولا اطماعه ما كان ينشد هذين البيتين .

ومعها يكن من تراء فان ابن قلدوس كان من امثال الكتاب في القرن السادس الهجري فالرسائل التي بقيت لنا من انشائه تدل على مقدرته وعلو كعبه في الانشاء (١٥٤) .

وتوفي ابن قلدوس سنة ٥٥١ هـ وقيل ان الملك الصالح حضر من القاهرة الى مصر للملاة عليه ومضى في جنازته الى تريتة عند مسجد الانام (١٥٥) .

وقد كان الشاعر الكاتب ابو طر حسن بن زيد الانصاري الذي كان ابن قلدوس سببا قتله ؛ اما صفة الكتابة فقد وصفه المباد يله كان من القسرين في ديوان الكتبتك (١٥٦) وقال مرة اخرى : « ومن نشره سا يدل على حسنه على رونق غرنده وآثره » (١٥٧) .

حفا كان ابو على الانصاري من الكتاب الذين ملكوا ناصبية اللغة والمقدرة على التصرف بالالفاظ فكان يضح اللفظ فيما خصص له ويختار من الالفاظ ما يناسب المعنى الذي قصد مع التزامه الخصائص الاخرى التي رايناها عند غيره من الكتاب ومن هنا ظهرت مواهب ابي على الانصاري في الفتر كما ظهرت من قبل في الشعر .

ابا المونق بن الخلال فهو يوسف بن محمد بن الحسين ابو الحجاج موق الدين ابن الخلال - صاحب ديوان الانشاء بصر في تولة الحافظ المعبيدي ،

(١٥٦) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٣٣٩ .

(١٥٤) المصدر السابق .

(١٥٥) تاريخ مصر ص ٩٧ .

(١٥٦) العماد الاصبهاني : الخريدة ورقة ١١٠ .

(١٥٧) المصدر السابق ورقة ١١٤ .

(١٥٨) خير الدين الزركلي : الاعلام ج ٢ ص ٤٠٧ .

وأحد كبار الكتاب المرسلين وله شعر حسن رقيق ، اشتمل عليه القاضي الفاضل في الإنشاء وتخرج به وعاش طويلا ولم يزل في ديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن الحركة فانقطع في بيته ، مولده ووفاته بمصر (١٥٨) .

ولعل آخر من ولي ديوان الإنشاء في مصر الفاطمية هو يوسف بن محمد المعروف بلقب الخلال الملقب بالموفق وقد وصفه المسلك بقوله : « هو ناظر مصر وانسأنا نظرها ، وجامع متأخرها وكان إليه الإنشاء وله قوة على المرسل يكتب كما يشاء » (١٥٩) .

ولن الموفق بن الخلال كان صاحب ديوان الإنشاء بمصر إلى أيام الحافظ وأنه استمر في مرتبته إلى آخر عهد الدولة الفاطمية (١٦٠) وبهدد الموفق بن الخلال الأستاذ المباشر للقاضي الفاضل فقد وعده القاضي الفاضل على مصر ومثل بين يديه بديوان الإنشاء حيث تنرب بين يديه وطلب منه أن ينتد ديوان الصاسة مرة بعد أخرى إلى أن أجلا القاضي الفاضل من المرسل وبلغ هذه الدرجة الرابعة في هذا الفن ، لذلك يقول لمن خلكن : « ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن - وعجز عن الحركة فانقطع في بيته - ويقال أن القاضي الفاضل كان يدعى له حق الصحبة والتعليم فكان يجري عليه كل ما يحتاج إليه » (١٦١) .

وإن الخلال أحد الذين ذكرهم عبارة اليمنى فقال : « ووجدت بحضرته ( أي بحضرة الملك المسالم بن رزيك ) من أعين أهل الأدب الشيخ الجليل أبا المعالي ابن الحبيب والموفق بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء وأبا النجح بن قانوس والزهدي أبا محمد الحسن بن الزبير وما من هذه الطلبة أحد إلا ويضرب في الفضائل النفسانية والرياسة الإنسانية بلون نصيب ويرمي شاكله الأشكال فيصيبها » (١٦٢) .

- 
- (١٥٩) ابن خلكن : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٧ .
  - (١٦٠) القلقشندي : صيغ الأعيان ج ١ ص ٩٦ .
  - (١٦١) ابن خلكن : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٩ .
  - (١٦٢) عبارة اليمنى : النكت المصرية ص ٣٤ .

أفن تكاد تجمع المصادر التي بين أيدينا والتي وجئناها فنحدث عنه — أي عن ابن الخلال — أنه كان على جانب من علو الهمة والبذل وعلى براعته في فن الترمس (١٦٦) .

لم يكن المونق كاتباً فحسب بل كان شاعراً أيضاً شأنه في ذلك شأن عبد كبر بن الكلاب الفاطميين ويظهر من شعره هذه المستعة البيعية التي تظهر في نثره أيضاً فهو يقول في قصيدة :

عذبت لي ليل بالنعثيب خمالي وحادث موافق بالوجال حوالي  
ومضت لذيذات تفضى نكرها نصبي الحليم وتبستهم السالي  
وجئت موارده الضخود فأوثقت في الصبوة الخالي بحسن الخال  
فظفوا سراة بني هلال أصلها صدقوا كذاك البدر نزع هلال (١٦٦)

كما روي أن بينا أنشده كلن سبياً في لمح صلته شاعراً من شعراء انصر ذلك ان الشاعر ابا القاسم بن هانيء — وكان من سلالة الشاعر ابن هانيء الأندلسي المعروف — كان يهجو ابن الخلال فاضر هذا له جتداً فإطلق في بعض المواسم ان تقدم الشعراء للشعر بين يدي الخليفة وانتهت النبوة الى ابن هانيء فأنشد واجاد : فسال الخليفة المونق بن الخلال رايه في قصيدة ابن هانيء فلم يسعه الا أن يثنى عليه ويبالغ في وصفه ثم قال ولو لم يكن ما يمت به الا انصابه الى ابن هانيء الأندلسي شاعر هذه الدولة ، ويظهر بفخرها وناظم مآثرها لولا بيت انظر منه الضمير عند دخول جوهري هذه البلاد فقل له الخليفة : ما هو ؟ فتعرج المونق من انصابه واين الخليفة الا ان ينشده . وفي أثناء ذلك صنع ابن الخلال بيتاً هجاء فيه الأئمة الفاطميين (١٦٥) . فعظم ذلك على الخليفة ونطع صولة الشاعر وكعاد بفرط في عقوبته (١٦٦) . وثوق ابن الخلال في الثالث والعشرين من جمادى الآخر سنة ٥٦٦ هـ (١١٧) .

وبالرغم من أن عمارة البعني لم يكن من عمال ديوان الانشاء أو ديوان

- 
- (١٦٣) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢١٥ .  
(١٦٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٨ .  
(١٦٥) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ٢٢٧ .  
(١٦٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٤٠٩ .  
(١٦٧) المرجع نفسه .



الرسائل ولم يعرف عنه انه كان كاتباً لاحد الأراء فاننا نستطيع أن نأمن في رسالته الإخوانية التي حفظت لنا خصائص الكتابة التي عرفت عند كتّاب الدواوين ، كما نذكر عملة في شعره بمصر بشعرائها فقد ظهر أثر مصر وأثر كتبتها في شعره ، فكان يعمل في عهد الخلفاء الفاطميين (١١٨) ، قال الكلب انتقاء الألفاظ واختيار الأسلوب ومضى على سفة أهل عصره في التزام السجع لا يحد عنه يطرزه بأي من القرآن الكريم ويستشهد به ويقتبس منه وكان من رسوهم في كتاباتهم (١١٦) .

وإذا نجد الكتابة فيها انصافاً الفظية في العصر الفاطمي الذي يعتبر مرحلة متوسطة بين طريقة ابن العميد وطريقة القاضي الفاضل ، ففي عهد الفاطميين كانت طريقة ابن العميد قد ذاعت وبدأ الكتاب يترسمون نهجها ، وفي أواخره ظهر القاضي الفاضل وانتشرت طريقته التي نضجت في العصر الأيوبي . وكله هذا أنها هو حلقة من سلسلة الطريقة التي يسميها بعضهم بالطريقة الكلاسيكية التي تعتمد على السجع وعلى باقي الحسنة وتوجد كذلك شيئاً من مظاهر التصريح والاستشهاد بالآيات القرآنية . هذه هي أهم الخصائص التي نجدتها في أدب هذا العصر (١١٧) .

وقد امتازت هذه الفترة الأضمر من عصر الدولة الفاطمية بازدهار الشعر وبراعته وروعة أسلوبه وافقته وتماثلت فيها ديوان الانتساء مدة من أمة البيان الرائع الذين جعلوا من رسائلهم الخلفية والديوانية نهجاً من المنساحة الباهرة والقوة والروعة والبهاء (١١٧) .

ولهذا فقد امتاز الأدب الفاطمي عن غيره ، حيث كانت له وحدة امتاز به ومن خصوصياته أن أعلام الأدب الفاطمي ينطقون عن الكلم البديعة التي يعبرون بها عن التخيلات النادرة ويؤدون ما في نفوسهم من تلك المعاني بالألفاظ العربية وهياكل لطيفة ويجمعون في عباراتهم مما استطاعوا وأمكنهم كل ندرة وغرابه من

- 
- (١٦٨) الفيلسوف : صبح الأمل ج ٩ من ٢٩١ .  
(١٦٩) د . أحمد بدوي : الحياة الأدبية في مصر العرب المدينية من ٣٠٢ .  
(١٧٠) د . عبد الحميد حسن : صفحات من الأدب المصري من العصر الفاطمي من النهضة الحديثة من ٢١ ، ٢٢ .  
(١٧١) محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ص ٢٦٧ - ٢٧٠ .

بدائع الانفاذ وتراكيب المعاني كمثل قيرهم من 'همل البلاغة' ، فلا يكتبون بذلك فقط ، بل أنهم مع كونهم محتوين على تلك المزايا الأدبية بشان امثالهم يعربون عن المستولات والحكمة والنسج بك تلك الوحدة الاميزية وهذا حد الأدب الفاطمي ، ولا يخفى ان الأدب الفاطمي مع كونه محتويا على تلك البدائع محتوى على فنون ويجمع مزايا ليست في غيره . ان الأدب الفاطمي حينما يبدى التوحيد والعدل وحينما ينصح بالشرع والعقل فانه حينما يلقى الينا الباطن والغايب وحينما الحجاة والبعث (١٧٢) .

ولم يقتصر الامر في تشجيع الحياة العقلية والادبية على الخلفاء فحسب ، بل كان لكبار رجال الدولة وعلى رأسهم الوزراء اثر كبير في ازدهارها . وانما اذا استعرضنا تاريخ الوزراء لظهر لنا بجلاء الدور الكبير الذي لعبوه في تنشيط الحركة الفكرية وازدهار النهضة الثقافية حتى أصبحت مصر مسرحا لنشاط علمي وأدبي عظيم .

ولم يقتصر كثير من الوزراء على حبهم للعلم والأدب وتشجيعهم لاهله بل كان منهم من شام بالتأليف في مختلف أنواع العلم وقرض الشعر (١٧٣) .

ولم يكن الوزراء الفاطميون أقل اهتماما بالشعر من الخلفاء بل استروا في كل ما يحنق طويهم واحاطوا انفسهم بهالة من ابهة الملك وعتدوا مجلس للشعراء على نحو ما كان يفعله الخلفاء العباسيون والفاطيون ابان قوتهم ملكهم فنوائد الشعراء على تصورهم كما تواتروا على قصر ابن كلث (١٧٤) .

ولذا كان بعض الوزراء في عهد غلبة الوزراء في مصر ينشد الشعر ويلقب عليه ولا سيما ان الوزراء أصبحوا كل شيء في الدولة فأصبحوا يتصد الشعر ويوجهونهم حتى ان الشعراء شذبا كانوا يريدون مدح الخليفة الفاطمي

---

(١٧٢) د . علي حمصتي الضربوطلي : عماد الدين ابريس ص ٨٥ - ٨٨  
نقلا عن : الادب الفاطمي في اليمن للشيخ رجب علي .

(١٧٣) د . محمد حمدي المتيلوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٠٣ .

(١٧٤) د . محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٢٣١ .

كانوا يفكرون بجلسائه الوزير وعظمتهم في مدح الوزير أكثر مما يقولون في مدح  
الإمام (١٧٥) .

هكذا كان أمر الشعراء مع جميع الوزراء في المذموم الأول من العصر  
الفاطمى ، وهو المذموم الذى كان الأئمة غيبيرون مرافق البلاد ويختارون الوزراء  
بإسماؤهم في تنفيذ ما كانوا يصـدرونه من أحكام وقوانين ، وكان أكثر وزراء  
ذلك العهد من رجال العلم أمثال الجرجاني واليازورى وابن المغربي والديلمي  
وفيرهم من الكتاب (١٧٦) .

أما الشعراء والأدباء الذين ارتدحوا الخليفة العزيز بالله الفاطمى فقد  
اشادوا بوزيره يعقوب بن كلس لمر أول وزير في الدولة الفاطمية ، فقد اتخذه  
العزيز بالله الفاطمى وزيرا له سنة ٣٦٨ هـ ولقبه بالوزير الأجل فأمر ألا يخطبه  
أحد ولا يكتبه إلا بهذا اللقب ونظمت مكاتبه حتى كتب اسمه على الطرز وفي  
الكتاب (١٧٧) .

تكان هذا المركز الخطير الذى شغله ابن كلس في هذه الدولة الفتية إذ  
ذاك أن ابن كلس كان أحد المعلمين المبرزين وكيف كان يلقي علوم  
الدعوة وغيرها على الناس ، وكيف كان يؤم مجلسه عدد من الفقهاء  
والقضاة والشعراء ورجال الدولة يستمعون إلى دروسه ويتناقشون بين يديه  
لشف إلى ذلك كله أنه كان كريم اليد يعطى ويجزل المعطاء ، فلا فسرو أن كان  
الشعراء يلثون حوله ويكثرون من مدحه .

أما الشعراء والأدباء الذين حصل بهم نصر ابن كلس فكثيرون ، إذ كان  
الوزير إذا ما انتهى من مجلس العلم والفقاه الذى كان يعقدها تسم الشعراء  
يتبارون في مدحه ، وكان يسوره يفتق عليهم المنح والهيئات فكثر حوله الشعراء حتى  
لقد بلغ عدد الشعراء الذين رثوه بعد موته مائة شاعر . ولقد حكى أبو حيان  
التوحيدى أنه سئل الفهيمى الشاعر المصرى عن الصاحب بن عباد وعن  
أبي الفرج بن كلس فقال في ابن كلس : فكر رجل له دار ضيافة وله زواره كالقطر

(١٧٥) د . محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(١٧٦) المصدر السابق ص ١٦٦ - ١٧٦ .

(١٧٧) القرينى : الخطط ج ٢ ص ٨ - الفلثستندى : صبح الأعشى ج ٢

بمطى على القصد واتجاه بل والطبع والطلب ، وليس عنده امتحان فلأجل شأنه ،  
وما ترتفع صلوات ابن عباد عن مائة درهم إلى ألف درهم ، وانفسل من ورد  
عليه البيهقي وهو شيخه في العروض وعنه أخذ الثوافي وبنحته وهداينه غل  
الشاعر أم يزده في ملول مقلمه إلى رحيته عن خبسة آلاف درهم تفاروق وان  
أقبل ضيفه بمصر بصير إليه مثل هذا في أول يوم . فهذه الرواية تدل على مدى  
النسجيج الذي كان يلتقه رجال الأدب بمصر على يدى الوزير العلام الأديب (١٧٨٤) .

ولم يكن ابن كلثوم وزيراً سياسياً عظيماً فقط بل كان عالماً وأديباً كبيراً أيضاً  
وكان يعقد بداره مجالس سنوية وأدبية دورية ينظم في مسأكتها أكابر الفقهاء والأدباء  
والمشعراء وكان يشرف بنفسه على هذه المجالس . (١٧٩) . ويشتمرك في أعمالها  
ويغنى المعطاء على روادها فكان يجتمع لديه الكتبة والنحاة والمثعراء ويظلمهم  
ويصلهم ، وكانت موالده دائمة منموية بعدة للوافدين وكان كثير للصلوات  
والاحسان .

وبالجملة فقد كان هذا الوزير والعالم والأديب علماً بين رجالات عصره وقد  
اشاد شعر العصر الفاطمي بجلاله وجوده (١٨٠) .

وامتدح المؤرخ العربى المسامير المذكور حى الوزير يعقوب بن كلثوم فقال  
\* لها إدارة الامبراطورية الفاطمية في الداخل بالفضل في انتسائها راجع إلى يعقوب  
ابن كلثوم الذى كان وزيراً للعزيم وكانت ادارته الماهرة هى التى بنيت عليها قواعد  
الرخاء الاقتصادى الذى شهدته وادى التيل في عهد الفاطميين الاول \* (١٨١) .

وانتسما ابن كلثوم لمجلس للمناظرة في الفقه والأدب والشعر وعلم الكلام  
وغيره وغرضه أثبتت مذهب الشيعة : مذهب الدولة التى تلمت عليه (١٨٢) .

وكانت مكتبته الخاصة شامسة مكتبة الخليفة العزيز في عدد كتبها كما كان

---

(١٧٨) د . محمد حسدى اللبناوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي  
ص ١١١ .

(١٧٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ٢١٠ .

(١٨٠) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجاهم الأزهر ص ٤٦ - ٤٧ .

(١٨١) د . نيلوب حتى : تاريخ العرب ص ٨١٢ .

(١٨٢) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٥ ص ٦٧٩ .

إنسانا ، فقد انشأ في قصره مستشفى به عدد كلف من الأطباء يخدمون المرضى ويقضون لهم الدواء بدون مقابل (١٨٢) .

وهذا يوضح أثر يعقوب بن كلس في نشاط الحركة العلمية والأدبية .

ومن الشعراء الذين بدحوه عبد الله بن محمد بن أبي الجوع ، وأبو الريحاني وهو حفيد بن أحمد بن محمد الانطليكي ، بل أن الأمير تميم بن المعز وأخوه الخليفة العزيز بن الذين بدحوا ابن كلس . فمن قول ابن أبي الجوع وقد برش الوزير بن علة أصابت يده :

يد الوزير هي الدنيا من السبت      رأيت في كمل شيء ذلك الألسا  
تأول الألك وانتظر مسرط علقته      من أجله وأسأل القرطاس والعلميا  
ومنها :

لولا الحزبون وآراء الوزير معا      تحقينا خطوب تشعب الألسا  
ومن شعر الانطليكي في ابن كلس :  
لم يمدح للعزيز في مسائر الأبرار      ض عمداوا الا وأحمد فارا  
كل يوم لسه على نوب الدهر      ر وكر الخطوب بالبدل عاراه

وبما يؤسف أن غالبية أشعمر هؤلاء الشعراء الذين يمدحون بالبنات قد فقدت فيها فقد من تراث الفاطميين (١٨٦) .

ولقد كان ابن كلس وزيرا عظيما وعالما جليلا بل كان معقريا سيمسية حقة (١٨٥) .

وبما يدل على مكانة ابن كلس عند الخليفة العزيز بالله الفاطمي أنه عندما مات قال له : « وددت أنك تباع فأبتاعك بهالي أو تقدي لفندقك بولدي » (١٨٦) .  
وخرج العزيز بالله الفاطمي من القصر على بطة والناس يمشون بين يديه

---

(١٨٢) د . علي حسني الخريوطي : العزيز بالله الفاطمي ص ٧٨ .  
(١٨٤) د . محمد حمدي المنبيلوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٢ .  
(١٨٥) محمد عبد الله ستان : تاريخ الجبلع الأزهر ص ٤٤ .  
(١٨٦) المقريزي : المخطط ج ٣ ص ٦ .

وظلمته بغير مظلة والحزن ظاهر عليه ولتاتم ثلاثا لا يأكل على مائدته ولا يحضرها من عادته الحضور - واقام الناس عند قبر الوزير شهرا وغدا الشعراء على تبره ورثاه مائة شاعر أمسروا كلهم . . فهذا كله يدل على أنه كان للوزير مكانة في نفس اهلها وفي نفوس معاصريه جميعا . وذلك لما عرف عنه من انصافه وكرمه وعلمه وما أظهره من شدة تمسكه بأهداب الدين الاسلامي على مذهب التوم (١٨٧) .

وهكذا جزع عليه العزيز أيضا جزع ، وعلى المجيئة بمدد سما ابن كلثوم في ظل الدولة الفاطمية الى ارضع مكانة وترك يوفقه اعظم فراغ وكان نه اعظم الاثر في توطيد حكمها وادارتها بمصر (١٨٨) .

وكان ابن كلثوم الى جانب تبحره في علوم الفقه أدبيا بارعا شاعرا ، كما ان وزراء القرن الأول كانوا من اصحاب الاقلام وكانوا على راس دواوين الدولة لذلك كان اكثرهم انبياء بارعين (١٨٩) .

ولا شك ان اثر ابن كلثوم على الحركة الفكرية كان قويا حتى ظلت مزدهرة الى النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، وقد ساعد على استمرار تقدمها وجود وزراء اقوياء بحبون العلم والأدب واهلها (١٩٠) .

وقد ذكرنا ان الشعراء الذين رثوا ابن كلثوم بلغوا مائة شاعر فمن هم هؤلاء الشعراء ؟ وابن شعرهم ؟ الجواب عن ذلك أولا : منذ رحيل الدولة الأيوبية الذين عملوا على نحو كل اثر ملهي او ادبي للفاطميين لخلاف مذهب الدولتين . . ثانيا : منذ المؤرخين والكتاب من اهل المشرق الذين كانوا يدينون بالطاعة للعباسيين غابوا ان يرووا شيئا من شعراء مصر الفاطمية . . ثالثا : عند الأتراك الذين دان لهم العالم الاسلامي مدة طويلة ناهضوا بحضارتين من ارق الحضارات التي شاهدها العالم وشاهدها تاريخ الفكر البشري وهما : الحضارة الاسلامية والحضارة البيزنطية ولم يستطع الأتراك ان يقيموا حضارة

(١٨٧) د . محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ٥٩ .

(١٨٨) محمد عبد الله منان : تاريخ الجامعات الأزهر ص ٤٨ .

(١٨٩) د . محمد حمدي النيازي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٠٤ .

(١٩٠) المصدر السابق ص ١١٢ .

أخرى تقوم بسلام هاتين الحضارتين . وكان الأثرانك شديدى التصعب للمذهب  
السنى فأنزلوا نقيضهم على كل ما هو شيعى . أقرب الى ذلك كله المجاعات  
الكثيرة والاضطرابات العديدة التى سببت حنا عديدة لمر . ووصفها المقرزى  
فى كتابه « اغانة الامة بكشف الغمة » فقد كانت من التمد الموائل ق فسياس  
كتب كثيرة من كتب علماء الفاطميين ودواوين كمر شعرائهم .

وهكذا تضارعت قوى عديدة لآبادة العلوم والآداب فى العصر الفاطمى حتى  
ان الذى بقى من هذا كله اصبح ضئيلا بالنسبة لما كان فى عهدهم الزاهر (١٩١).

ويذكر ابن ظاهر فى كتابه « أخيلر الدول المنقطة » ان اليازورى كان يحب  
اهل العلم ويرضع منهم حتى ان ابا يوسف القزوينى القاضى الفقيه لثيه يوما وهو  
موجه الى ديوانه توقف له واكرمه وسأله من جميع هوائجه فقصها وكان يقول  
فى أثناء كلامه السبع والعلامة (١٩٢) .

وبرغم انه لم يصلنا معلومات كافية عن التشعراء ق عهد اليازورى إلا ان  
الشواهد تدل على ان هذا الوزير كان محبسا للفنون والآداب وأن ملانته كانت  
تحلل كل يوم بالأديباء .

ولقد اعتدت المناسسة التى كانت ثابتة بين اليازورى وبين المؤيد فى الدين  
دامى الدعاء الى الناحية الأدبية فحاول كل منهما أن يجذب اليه الشعراء . ليفكر  
العهد الأصغرائى ان ابن حيوس شاعر التلم لما وصل الى مصر تصد  
اليازورى الذى هيا له فرصة الانتساب أمام الخليفة فى حفل اقيم فى القصر .  
فقتضب المؤيد فى الدين على الشاعر إذ تصد الوزير دونه . فترسل على  
شاعر آخر هو حظى الدولة ابو المنظف عبد العالم وطلب منه حضور هذا الحفل .  
لما حضر اعتد الموجودون انه ابن حيوس فأنشد وأطال . فلما دخل ابن  
حيوس وأنشد أظهروا له الملالة وأطلق له ألف دينار أخذها حظى الدولة فاجتهد  
الوزير حتى تسمها بيته وبين ابن حيوس .

ولقد أخذت الحركة الفكرية - شأنها شأن كل شيء آخر فى الدولة - فى

(١٩١) د . محمد خليل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ص ١٧٥ .  
(١٩٢) د . محمد حمدي المنباوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ص

الضعف في أواخر القرن العاشر الهجري نتيجة لضعف الخليفة والوزراء الذين أخذوا يتسلطون كالأوراق الخريف . وكانت الأحداث وانغتن التي تعرضت لها البلاد في الداخل والخارج عملا في أعمال الحركة العلمية والأدبية حتى أن مكتبة العصر التي كانت أعظم مكتبة في ذلك الوقت قد أصابها من المحن والتخريب الشيء الكثير ونهبت كتبها ، وهمل الجنود من جلود الكتب أودية ونعلا والقيت أوراها خارج القاهرة حتى صارت تلالا تعرف بتلال الكتب .

ويروى أن الوزير أبا المرح محمد بن جعفر المغربي قد أخذ من مكتبة العصر من الكتب حمولة خمسة وعشرين جبلا موقرة وماء لها يستههه ، وسواء استولى المغربي على هذه الكتب استخلاصا لحقه أو حبا في العلم وهو المأمم الأديب فإنه قد استطاع بعمله هذا استنقاذ هذه الكتب من المصير الذي لحق بميلادها على يد الجنود (١٩٦) .

ولما أعاد بدر الجمالي الاستقرار للبلاد عاد للحياة العلمية والفكرية ازدهارها وقوتها وظلت كذلك حتى نهاية الدولة ، وابتدأت مصر تجذب إليها من جديد العلماء والمفكرين والأدباء وأخذ العلماء يتجهون بمؤلفاتهم والشعراء بأشعارهم إلى الوزراء الذين أصبحوا أصحاب السلطة الحقيقية والقوة المسيطرة (١٩٧) .

وكان بدر الجمالي رغم انشغاله بالقضاء على أسباب الفتنة وتوحيد أركان الدولة لا يرد لشعراء عن بابه ، كما كان جوادا يسمع المديح ويثيب عابسه ، وفضة الشاعر الشامي علقمة بن عبد الرزاق الطليحي مع بدر معروفة حيث وفد إلى مصر ومدح الوزير فخرج من عنده يتسعين جبلا تحمل أعمامه وأمر له بعشرة آلاف درهم ويقول علقمة : « نقلت لن ببابه من أشعراء والقصيد وما متخلفين الحفونى إلى منزلى ، فلهفتونى بما بهم إلا من خامت عليه وأعطيت من جاتزنى » .

وحينا وفد على مصر الشاعر علقمة بن عبد الرزاق الطليحي وفد على بدر الجمالي ويقول علقمة : « صنعت بدر الجمالي هرايت أشراف الناس وكبراءهم

---

(١٩٣) د . محمد حيدى النبلى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١٩٤ .  
(١٩٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٢ .



والشعراء هم على يديه قد طال مقامهم فلم يصلوا إليه نبينا انا كذلك اذ خرج بدر  
يريد الصبيد فخرجت في اثره واقبت معه حتى رجع من صيده فلما تاريني وقتت  
على قل من الليل - واومات برقعة في يدي .. وانشدت :

نوهيت مسا لم يعطه في دهره همرم ولا كعب ولا القمصاع  
وسبقت هذا الناس في طلب المسلا والناس بعدك كلهم اتبعاع  
يا بدر اقسم لو بك اعنصم الوري ولجوا اليك جديهم ما ضاعوا (١٦٥)

ومهما يكن من شيء لقد أصبحت الوزارة هي القوة المحركة للبلاد كلها  
فنتجته الشعراء الى الوزراء يمدحونهم ويأخذون حيلهم وصلاتهم . وتشبيه  
الوزراء في بذخهم بالائمة فاسرفوا في كل ما يجلب لهم الشهرة والسرور معا ،  
واحاطوا انفسهم بهالة من ابهة الملك والقباه . واتخذوا لانفسهم حاشية هي  
اشبه بحاشية الملوك والسلاطين وعقدوا مجالس للشعراء على نحو ما كان  
يفعله خلفاء بني العباس والائمة القاطنين ايان ثوبهم وسلطاتهم . فانقل اكثر  
الشعراء من مدح الائمة الى مدح الوزراء (١٦٦) .

ولقد كان هؤلاء الوزراء بدورهم فواخين للشعر محبين للأدب ، بل كان  
منهم من يفرض الشعراء مكانوا يكرمون رجال الأدب لا حبا في الظاهر بل  
حبا في الأدب نفسه . ولذلك وفد على مصر كثير من اعلام الأدب لما يجدون من وزيراتها  
من الرعاية والتقدير؛ فكان لذلك اثره في ازدهار الحركة الأدبية من جديد . فامتازت  
هذه الفترة بروعة الشعر وبراعة ائثر وحنان دواوينهم بآنية البيان الذين بلغوا  
الدرجة العالية من الثقافة وعرفوا بالمهارة في فنون الأدب حتى أصبحت رسائلهم  
وكتبهم مثلا يحتذى بها : ابي ادمع الصباطي وابن الخلال وابن الصديقي  
والقاضي الفاضل .

وظللت النهضة الأدبية في ازدهارها وأصبح لمصر في عهدهم ازعامة  
الأدبية في العالم العربي ، وللبولة اللطبية وان ضسعت خلفاؤها ظلت  
بتماسكة الى حد كبير بفضل وزيراتها الذين استطاعوا ان يحافظوا على البلاد  
وأن ينهوا شروتها اثر جنيت العلماء والشعراء والكتاب والفنانين من البلاد الأخرى ،  
في حين انتاب الضعف الخلافة العباسية واتسعت دولتهم الى دويلات صغيرة

(١٦٥) ابن ميسر : تاريخ مصر ص ٢٠ .  
(١٦٦) د . محمد كامل حسين : في أدب عصر الفاطمية ص ١٢٧ .

ثغرة ، فأصبحت مصر قبلة كل من يسعى إلى الثروة وبجوحة العيش ، لذاتها  
وأستقرار الأمور فيها بل لقد شجعت جهود الوزراء ومعلميهم كثيرا من الشعراء  
على إرسال مدائحهم وهم في بلادهم ، وكانت هبات الوزراء بالثمن ترسل لهم  
في أماكنهم نون تحصل مقدما الحضور إلى مصر ، وكان الوزراء بذلك قد شجعوا  
الحركة الأدبية في مختلف البلاد العربية لا في مصر تحسب (١٩٧) .

وكان من الوزراء من ينشد الشعر ، . فالأمير بن بدر الجمالي كان شاعرا  
ومن شعره في ملأمة تاج المملوك :

انضيب وبسس أم هو قد      وشقيق يلوح أم هو قد  
أنا مثل الهلال خوفا عليه      وهو كاليدر حين وفاء سعد

وكان شديد الخيرة على نسائه ، اطلع من سطح داره نراى جارية من  
جواريه متطلعة إلى الطريق فأمر بضرب عنقه ، فلما وضعت الرأس بين يديه  
أفند :

فطرت البها وهي لتنظر ظلها      فنزعت نفسي عن شريك مقارب  
أغار على أمطنها من ثيابها      ومن ممسك لها في الذوائب  
ولى غيرة لو كان للصدر بثلها      لما كان يرضى باجتماع الكواكب

هذه الأبيات الشريفيت لنا من شعر الأفضل تدل على رقة شعره وقدرته  
على التعبير عما يضالغ النفس من عاطفة شديدة .

ومن شعره أيضا :

أما والذي حجت إلى ركن بيته      جراهم ركبان مقلعه شبيها  
لاقتحمون الحرب حتى يقال لي      ملكت زلم الحرب ناعقول الحربا  
ويغزل روح الله عيسى بن مريم      ترضى بنا صحبا وفرقى به سحبا (١٩٨)

وكان الأفضل بن بدر الجمالي معروفا بحبه للشعر والشعراء وكان له  
مجلس في دار الملك يعرف بمجلس العطاء به ثمانية مظاريفه من الدباج في سبعة  
منها خمسة وثلاثون ألف دينار يهب منها من يقف بين يديه من الشعراء (١٩٩) .

١٩٧١ د. محمد حسدى المتيلوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي  
ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٩٨) المتيلوى : اعطاء الجتنا ج ٢ ص ٧٢ ، ١٢٢ .

(١٩٩) د. محمد حسدى المتيلوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٧ .

كذلك تقدمت الحياة الأدبية بمصر في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجبالي بفضل تشجيعه للشعراء فكان مجلس اليوم يستمع إلى أشعارهم وروايتهم للشعر ، ويجزل اليهم الخطاء (٢٠٠) مما جعل للأفضل شعراؤه ولذلك يعد عهد الأفضل من أزهى العصور الأدبية التي شاهدها مصر الإسلامية فقد اتصل به عدد كبير من الشعراء فذكر منهم محمود الدولة وأبا علي حسن بن زبيد والقاضي بن النصر المعروف بالأديب ، والمتاجي المصري ومسلم بن مفرج بن أبي حصينة ، ومحمود بن ناصر الإسكندري ومروان بن عثمان المكي وأبن الرقي وظاهر الحداد وأبية بن أبي الصلت ، وغيرهم (٢٠١) .

وإذ نوات عليه وفسود الشعراء يطمعون في بره واحسانه وينعمون بما يفتقه عليهم من ملامت ، وقد اجتنب جود الأفضل وكرمه إلى مصر شاعرا آخر هو أبو الحسن علي بن ابراهيم اللذب بابن العلابي من أهل معرة النعمان منبت الشاعر أبي العملاء المصري . أتى ابن العلابي إلى مصر تحيا تشجيع الأفضل بما افتقه عليه من ملامت يدل على ذلك هذه الأبيات الغليلة التي نقلها من تسبذة يدح فيها ولي احسانه ونصه حيث يقول :

فمكة مصر والحجيج وفسوده      وبيناه ركن البيت وانبل زمزم  
وشاكر ما نولى يعجزه      ولو انه في كل عضو له تم

وهناك طائفة أخرى من الشعراء الذين وفدوا على مصر رجاء الحصول على ما حصل عليه غيرهم من تشجيع الخلفاء الفاطميين ووزرائهم ومن بينهم أبو الحسن علي بن جعفر بن البوين (٢٠٢) . وهو من أهل المعرة أيضا ولقد اعتد عماد الدين الأصفهاني في عبارته على ما ذكره أسامة بن منقذ (٢٠٣) وهو أن ابن البوين « حاز ثقة الأفضل وتلا حظوته وأنه أقام عليه من سخائب احسانه وأدار عليه حظويه واتعاهم ولقبه بأمين الملك واستخلصه » .

ويحسن بنا أن ننقل بضعة أبيات من تسبذة يدح فيها الأفضل :

- 
- ٢٠٠) د . محمد جمال الدين سرور : الحضارة الإسلامية في المشرق من ٢٣١ .  
٢٠١) د . محمد كامل حسين : في أئب مصر الفاطمية من ١٧٩ .  
٢٠٢) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥٠ .  
٢٠٣) د . حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٥٠ .  
( م : ٣٧ - الحياة الفكرية في مصر )

يا من تنافس بيته السمع والبصر      كما تضار فيه الشمس والقمر  
ومن تحكم في الأرواح فاحتكمت      إلا يحكم فيها بعده بشر

وقد سار علي نهج ابن البون شاعر آخر ، اسمه أبو علي حسن  
ابن زبيد الذي لم تقتصر مدائحه على الخلفاء الفاطميين وحدهم بل تعدت إلى  
غيرهم من الوزراء وكبار رجال الدولة فتراه يمدح الأفضل بقوله :

خلص السزمان على حيلة منضر      مشرفنا بمدح الأفضل المفضل  
يلقي المدائح بالفلج وأعبا      ويصدق الأثوال بالأفعال

ويمدح ابن الزبيد هذا الوزير في قصيدة أخرى يقول :

لولا وجودك في الزمان وجودك أب      محيي الكارم بعدد وديار  
لم يعرف المروض في الدنيا ولو      طننا عليه في جميع جهاتها (٢٠٤)

واتد ظهور منذ عهد الأفضل فرض جديد من أراض الشعر علاوة على  
ما كان معروفا من تمل كالمادح والثناء والوصف ، وذلك هو الشعر الذي  
يتعلق بالحروب الصليبية أخذ الشعراء يذكرون جهاد الوزراء لهؤلاء الصليبيين  
وانتصارهم عليهم ومحاولة تبرير هزائهم ، فمن ذلك قول أبيه بن أبي الصلت  
في قصيدة يذكر فيها خروج الأفضل لحرب الصليبيين :

جردت نادين والأسيف مشددة      سيفنا تغل به الاحداث والقمر  
ولفت إذ تعدد الأملاك كلم      تذب عنه وتحمله وتختصر

ولقد جاء ليه بن أبي الصلت من بلاد المغرب يجذبه إلى مصر جود  
الأفضل ويبدو أنه فل حظوة لديه أول الأمر ثم غضب عليه لسجته ،  
واضطر ليه إلى الرحيل سنة ٥٠٦ هـ بعد أن ينس من استعادة مكانته لدى  
الوزير نال الرسالة المصرية وحاجم فيها مصر والمصريين ووصف ما لقيه  
فيها وما شاعده إلا أنه ذكر كثيرا من أدباء مصر وشعرائها الذين عرفهم ، ومن  
ذكروهم أبيه بن أبي الصلت أيضا أبو القاسم علي بن جعفر بن الأغلب السعدي

المعروفة بأبن القطاع الصقلي (٢٠٤) الذي وفد الى مصر من جزيرة صقلية وقد كان من أئمة الأدب في عصره ، صنف كتاب « الدرّة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة » ( صقلية ) وكتاب « ملح الملح » يتضمن الكثير من أشعار الأندلس .

ومن الشعراء الذين نمووا بوجود الأندلس أبو الفتيان منفل بن حسن ابن خضر العسقلاني ، وأبو الحسن علي بن إبراهيم الملقب بابن العلامى ، وأبو الفضل جعفر بن الفضل الملقب بالمهذب ، وكانت معظم تسمياته في مدح الأندلس . من شعر أبي الفتيان منفضل بن حسن بن خضر العسقلاني في الأندلس :

اقول والنجم مرقوم بخرته      بسطرا نظرت وضوء الصبح يبتسم  
ألم خديه أضحى في زجاجته      يدبر أم ماؤها في وجنتيه دم  
منع الصباح ضياء من عباسه      فاستنبطت حلكما في شمره العمم

وابن البوين ، وأبو علي حسن بن يزيد الأنصاري الذي كان من التمدنين في ديوان الاتشاه والذي يقول القاضي الفاضل عنه : « انه في قنه لم مسوح

(٢٠٥) علي بن جعفر بن علي السعدي يعرف بأبن القطاع الصقلي وكان أيام وقته ببلده وبمصر في علوم العربية ونبون الأدب قسراً على أبي بكر محمد بن عبد البر الصقلي . ووصل الى بحر عندما أوشكت صقلية على الوقوع في يد الفورمانتين سنة ٥٠٠ هـ فتركه الأندلس ووصل اليه تلميذ اولاده وكان مما روى عنه كتاب الصحاح للجوهري ومن طريقته اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الأفاق ، ولابن القطاع عدة تصنيف منها كتاب الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة ( صقلية ) اشتملت على مائة وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت شعر ، وكتاب الأسماء في اللغة جمع فيه أبنية الأسماء كلها ، وكتاب الأفعال هذب فيه أفعال ابن الفوطية وانحل ابن طريف وغيرها في ثلاث مجلدات ، وله حواش على كتاب الصحاح لنفسه . وعليها اعتمد ابن بري النحوي المصري ، وكتاب فرائد الشذور وغلائد النحور في الأشعار ، وكتاب العروض والقوافي ، وكتاب تاريخ صقلية ، وكتاب أبنية الأسماء والأفعال ، ولابن القطاع أشعار ليست على قدر علمه . قال الصدي : وكان نقاد المصريين ينسبونه الى التساهل في الرواية وقد ولد القطاع سنة ٤٢٢ هـ وتوفي سنة ٥١١ هـ ودفن قرب خريج الإمام الشافعي ( معجم الأدباء لياقوت - بغية الوعاة للسيوطي - أبو الحسن : النجوم الزاهرة ) الوزارة والوزراء ص ١١٨ - ١١٦ د . محمد حمدي المنياوي .

اندهر بيئته ٢٠ - ويسمود الدولة التحوي مقدم الشعراء أيام الأفضل والشرفاء أبو جعفر محمد بن عبة الله العلوي الحمصي الذي جاء من طرابلس وحظى من من الأفضل بأجلها (٢٠٩) . وعبرهم كثير أمثال أبي شرف الجرجاوي والتاجي المصري وأبي الحسن علي بن النضر المعروف بالأديب الذي يفتى عليه أمية بن أبي الصلت بقوله : « ذو الأنب الجم والعلم الواسع والانشل البارغ وله من سائر أجزاء الحكمة اليد الطولى والرتبة الأولى » .

على أن الشاعر المصري الذي ازدان به مصر الأفضل هو ظافر الحداد والذي أكثر من مدح الأفضل والمخاطبة ويمسحه الممداد بقوله : « ظافر وحظه من الأفضل ظافر يدل نظمه على أن أدبه وأثر وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر ، وما أكمله لولا أنه مداح المصري والله له ظفر ، حداد أو نصف يسمى جوهريا وكان أهدى يروي شعره الروى للغلوب الصاوية ربا » (٢٠٧) .

كما وجد العلماء الأكرام والتشجيع لدى المأمون البطنجي فتقدم العلماء اليه بمؤلفاتهم ووجدوا لديه التشجيع والرعاية فمنداها وقد أبتد الفقيه أبو بكر محمد الطرطوشي (٢٠٨) من الاسكندرية بمؤلفه « سراج الملوكة » أكرمه أيها الأكرام وأمر بإخلاء المجلس له واستقبله واقفا وجلس بين يديه وعند انفضاض المجلس سحبه أخو المأمون بنفسه إلى المكان المحد لاقابته ، وأمر مشارف الجوالي أن يحصل اليه في كل يوم خمسة دنانير وصار المأمون يستدعيه يوم راحته ويبيت في أكرامه ويقضى شفاعته وعندما قرر العودة إلى الاسكندرية وعلم المأمون برغبته في إنشاء مسجد هناك أمر والي الاسكندرية أن يتولى ذلك على نفقة الديوان المأموني وقد أكرم المأمون يوسف بن حسداوي الطبيب الذي ألف له « المشرح المأموني » .

ولا أدل على رعاية المأمون للعلوم من ظهور مؤرخ عظيم من أصل بيته هو ابنه جمال الملك موسى الذي ألف كتابا في التاريخ يعتبر من المراجع الرئيسية التي

(٢٠٦) د . محمد حمدي المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٩ - ١١٩ .

(٢٠٧) د . محمد حمدي المنياوي : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ص ١١٩ .

(٢٠٨) المصدر السابق ص ١٢٠ نقلا عن اعلام الاسكندرية - د . الضيفال .

استعان بها المقرئى عند تعرضه لتاريخ الدولة الفاطمية خصوصا في الفترة من ٥٠١ الى ٥١٩ هـ وقد استعرض ابن المأمون في تاريخه نظم الدولة الفاطمية ورسومها (٢٠٩) . وساعد على ذلك اسـ . . . . . تطاعته الوصول الى كثير من ثمرات الدولة ومستفاداتها ويذكر ان هذا المؤلف كان في أربعة اجزاء .

وهن وزراء العصر الفاطمي الذين أسهموا في ازدهار الحياة الأدبية في مصر الملك الصالح طلائع بن رزيق وكان يجيد نظم الشعر وجعل له مجتبا في أكثر الليالي يحضره أهل الأدب (٢١٠) وما يجدر الإشارة به أنه جاء الى مصر عندما قتل الخليفة الظاهر سنة ٥٤٩ هـ حيث كتب خدام الناصر الى طلائع بن رزيق والى تونس وأسوان والصعيد يخبرونه بتقل الخليفة ويستجدهونه على القائل وارسل نساء انصر يشعورهن اليه ، ولعب الشعر دورا هاما في دعوة طلائع للأخذ بنسار الخليفة فقد كانت قصيدة القاضي المعلى عبد العزيز بن الحباب المعروف بلجليس التي ارسلها الى طلائع بن رزيق من اشد الرسائل التي وصلت اليه اثرا في نفسه (٢١١) .

جاء طلائع مع رجاله الى القاهرة واستولى على الوزارة واذا قلنا الوزارة فلها نقصد انه ثولى الحكم النعلى في البلاد ، ولذلك لقب بذلك الصالح وقد اجتمع المؤرخون الذين تحدثوا عنه انه كان يحب العظم والشعر والشعراء حيث كانت مجالسه تفض بهم دائما يقفون في بعض المسائل العلمية والأدبية وهذا يرجع الى ان طلائع كان شاعرا مجيدا ويصه ابن خلفان بقوله : « كان فاضلا مسحا في المعلاء سهلا في اللقاء محبا لأهل الفضائل ، جيد الشعر ، وفنت على ديوان شعره وهو في جزأين » (٢١٢) .

ولذلك كان وقع القصيدة في نفسه اشد من وقع غيرها من الرسائل . . . . .  
من هذه القصيدة قول الجليس :  
دهنى من نظم المقرئى عوادى      وشف غوادى شجوه المتماذى

---

(٢٠٩) المصدر السابق ص ١٢١ .  
(٢١٠) د . محمد جمال الدين مرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٢٤١ - ٢٤٢ .  
(٢١١) د . محمد كليل حسين : أعيان مصر الفاطمية ص ١٩٢ - ١٩٤ .  
(٢١٢) ابن خلفان : رفيات الأعيان ص ٢٢٨ .

فأين بنو رزيق عنهم ونصرهم ومسا من خيمة وقباد  
فلو عابت عيناك بالقر يومهم ومصرعهم لم تكتحل برقباد (٢١٤)

وانطوت ربات الجود والكرم وتفتت بحولته سوق الأدب بعد ما كسدت ،  
وحبت ربح الفضل بعد ما كسدت اذ لها الملوك بالقيان والممازف كان لهوء  
بالعلوم والمعارف وان عمروا أوقاتهم بالخمر والقر ، كانت أوقاتهم مغمورة  
بظلمهم والأمر (٢١٤) .

ووصفه عبارة البيهقي بقوله : \* فكان مرتاضا ثمم أطراف المعارف  
وتميز عن أجلاف الملوك الذين ليس عندهم الا خشونة مجردة وكان شاعرا  
يحب الأدب واحله ويكرم جلوسه ويبسط أتيه ٢ (٢١٥) .

ولقد كان الصالح بن رزيق برغم تخصصه للذهب الشيعي يجتمع بفقهائه  
السنة ويستمع منهم وكان يعتقد مجالس العلم والأدب ولم يكن يهذب أهل  
تصلده من أهل العلم الذين يفترون اليه من سائر البلاد ، فكان ممن شجده  
الحسن بن علي بن عبد الله ابن حرارة ، أبو علي ثقة المالك الطلي الخسفي  
الشاعر الأديب .

كما كان الصالح كثير الاحتيام بالشعراء وقد عرف ما للشاعر من أمر  
تسخره فيمكن توثقه وتمجيد حروبه مع الصليبيين كما كان شيعيا فعليا  
أخذ من الشعر وسيلة لنشر المذهب الشيعي والحد من سائر المذاهب  
الأخرى ، كما حاول جاهدا أن يخزي شعراء عقابا كعبارة البيهقي باعتناق هذا  
المذهب كما أخذ من الشعراء أصدقاء وجلساء ويذكر عبارة أسماء بعض الشعراء  
والأدباء الذين قابلهم في حضرة هذا الوزير فيقول : \* ووجدت بحضورته من أعيان  
أهل الأدب الشيخ الجليلي أبا المحسني بن الحسين والموفق بن الخليل (٢١٦)

- (٢١٢) أبو المحاسن بن نوري بردي : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٩٢ .  
(٢١٤) د . محمد كامل حسين : في أدب عصر الفاطمية ص ١٩٢ - ١٩٥ نقلا  
من الفريدة ورقة ٢٢ ب للمعاد الأصفهاني .  
(٢١٥) مهارة البيهقي : الثقات العصرية ص ١٨ .  
(٢١٦) هو الفاضل الموفق أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف باسم الخليل  
رئيس ديوان الإنشاء منذ أواخر عهد اتحاقط عبد الله الي آخر أيام المعتمد ووصفه  
المعاد بقوله : هو ناظر مصر وأنسل ناظرها وجامع معارضا وكان اليه الإنشاء  
وله قوة على الترسل يكتب كما يشاء ويعد الموفق الأستاذ المباشر للفاضل الفاضل  
ونوف ابن الخليل سنة ٥٦٦ هـ .



صاحب ديوان الانشاء ، وأبا الفتح محمد بن قانوس ، والمهذب أبا محمد الحسن بن الزبير وما من هذه الخليفة أحد الا ويضرب في التفضيل النفسانية والرياسة الاتسابة بلونر نصيب ويرى شاكفة الأشكال تصويب ، (٢١٧) .

مؤلاة الأعلام كانوا يجتمعون في مجلس الملك الصالح يثلاثون الشاعر ويتناظرون في بعض المسائل العلمية والأدبية ويستمعون الى شعر الملك الصالح . وفي ذلك يقول صاحب النجوم الزاهرة : « وجعل له مجلسا في أكثر الثبات يحضره اهل الأدب وتظم هو شعرا ودونه وصار الناس يهرمون الى نقل شعره وربما أصلحه له شاعر كان يصحبه يقلل له ابن الزبير ، (٢١٨) .

ويظهر أن الملك الصالح كان ينشد القصيدة أو المقطوعة ولكنه كان يعرض ما ينشده على المهذب بن الزبير وعلى غير المهذب ممن ينوهم تيمم المنفرة والكتابة على تنقيف الشعر . اذ يحدثنا مهله الميمى : « ودخلت اليه ليلة السادس عشر من رمضان سنة ست وخمسين وخمسة مائة لاني ان بيوت بثلاث نبال بعد شيله من السباط ولم تكن رأيت من أول الشجر بليلة . فأمر لي بذهب وقال : لا تبرح ثم خرج الى وفي يده خرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره عملها في تلك الساعة وما :

نحن في غفلة ونوم واللبو      ت عيون بتقلباته لا تنسلم  
قد رحلتا الى الحمام سينا      لبت شعري متى يكون الصلح

ثم قل لي : تأنيها وأصلحها ان كان تيهها شيء ، قلت : ما صاحب (٢١٩) .  
والملك الصالح كان يستمعون بفحول الشعر لأصلاح شعره ، وليس في ذلك ما ينقص من قدرته في الشعر المؤرخون يحدوننا أن بعض فحول شعراء العرب كانوا يعرضون شعرهم على غيرهم من الشعراء ، فلا غرو ان ابن أبي حفصة شاعر هارون الرشيد الرسمى كان يعرض شعره على بشير بن برد ، وكان البحري يعرض شعره على ابن تمام ، وكان أكثر الشعراء يعرضون شعرهم على الأصغر أو غيره من اللغويين .

(٢١٧) عبارة اليمى : النكت المصرية من ٣٥ .

(٢١٨) أبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢١٢ .

(٢١٩) عبارة اليمى : النكت المصرية من ٩ .

فلن كان الملك الصالح قد استعان بالمهذب أو بغيرهما من شعراء ذلك العصر لإصلاح شعره فان ذلك يلفتنا على أن هذا الوزير كان يعرف تيمسة الشعر ثم يستبح لنفسه أن يعرض شعره على الناس قبل أن يتركه من قوّة هذا الشعر وصلاحه (٢٢٠) .

ولكن يفتوت ذكر في معجم الأدباء في حديثه عن ابن الزبير : « وقيل أن كثرة الشعر الذي في ديوان الصالح أنها هو من عمل المهذب بن الزبير » (٢٢١) . ولعل بما بشره المعجب ، ما نكره يفتوت ولكن ربما اشتبه عليه الأمر فنظن أن ابن الزبير هو صاحب التسمير الذي في ديوان ابن زريك بدلا من أنه كان يثقف هذا الشعر وقد انتهت إلينا ملاحظة من تصيدة لابن الزبير يتحدث فيها عن شعر الملك الصالح منها :

ولسار غفنته تزيك شـعـره	عذبا بروى غلة النليان
وعنود در لو تجسم لفظها	ما رصعت الا على الشجستان
وتنزهت عن أن يرى أموادها	لواضح السح الاتسراط والأذان
من كل رائحة الجمال زهت بها	بين القصيد غره السلطان
سجيرة في الأرض لا لفيها	في سيرها قيد من الأوزان (٢٢٢)

ومها يكن من شيء فان المؤرخين أجمعوا على أن الملك الصالح كان مكثرا من قول الشعر حتى جمع شعره في ديوان في جزأين (٢٢٢) . ولم تكن مجلسه انفسه تنتطح الا بالذاكرة في انواع العلوم الشرعية والابنية وكان شاعرا بحب الأدب وأمله ويكرم جليسه ويبسط آتيسه ، وكان كرمه أقرب الى الجزيل من الهزيل . ولذلك تصده الشعراء من كل مكان فوجدوا في رحابه ما يملوه ، كما كان يرأسه على اليمد غيرهم غافض على الداني والقاصي بالمعطاء .

ولا أدل على حب الصالح للتسمير ما ذكره عمارة من أنه عند وصوله الى محبر أول مرة من أمير الخرمين هاشم بن غلغلة لجا الى الحسين بن كبر الهيجسا

(٢٢٠) د. محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢٢١) يفتوت الحموي : معجم الأبناء ج ٩ ص ٤٧ .

(٢٢٢) د. محمد كامل حسين : في ادب مصر الفاطمية ص ١٩٦ .

(٢٢٣) المصدر السابق ص ١٩٧ .

صهر الصلح ليقدمه له يقول عمارة : « فلما استعدى أبو الهيجا المغداه عند السلطان » اى الصالح ، قال : عندى رسول صاحب مكة وكنت اقلته عاتلا فاذا هو نلقص نال له الصالح : وبأى شيء عرفت نفسه ؟ قال : لكونه يصن شيئا من هذا انسحت الذى تعلمه انت والجليس وابن الزبير ، قال الصلح : لعله شاعر ، قال : نعم ، قال الصلح : هناك ، هناك ، هناك ، ثم انشد الصلح :

ان الذى نكرهون منه      ذاك الذى يشتهيه تلبى (٢٢٤)

ويكفى ان نذكر بعض فحول الشعراء الذين حلل بلاط الوزراء وخاصة ابن رزيق لنعرف مدى ما وصل اليه الادب من ازدهار وما بلغه الشعراء والادباء من مراكز الصدارة فى دواوين الدولة ، ومن هؤلاء : الاخوان احمد والحسن ابنا على بن الزبير (٢٢٥) والقاسمى الجليس بن الحباب (٢٢٦) والشريف القاسمى سناء الملك اسعد بن على الحسينى الذى جاء من الموصل واستقر بمصر والامير المهند حسام بن مبارك العقيلي ابن اخ الصلح وكفى الامير المهند حسام بن مبارك العقيلي ابن اخ الصلح وكان يهتم بصكره ، كما كان شاعرا

(٢٢٤) عمارة اليمنى : النكت العصرية ص ١٢٢ -

(٢٢٥) وايضا الزبير هما : الحسن بن على بن ابراهيم بن الزبير المعروف بلاتقى المذهب واحمد بن على المعروف بالقاضى الرشيد بن اهل اسوان من اصل مريى يتصل اى قبيلة غسان وكان المذهب واخوه الرشيد من اكبر شعراء ذلك العصر رحلا من اسوان الى القاهرة ، وما زالوا يرتقبان فى مناصب الدولة حتى بلغا مرتبة القضاء وجالسا الوزراء والامراء وكان الرشيد اعلم من اخيه واخوه اشهر به . فقد ضرب الرشيد بسهم وامر فى انقحه واللغة والنحو والتاريخ والمنطق والهندسة والطب والموسيقى والنجوم - كما كان يجيد الفز وله تصانيف منها كتاب « منية الأملى وبلغة المدعى » وكتاب « المقامات » ولعل اشهر تصانيفه هو كتاب « جنان الشبان وروضة الأذهان » الذى تحدث فيه عن شعراء مصر ومن طرأ عليها وجعله نبلا على يقينة الدهر للتعاليى وهو الكتاب الذى أخذ منه الميلاد الاصنهانى اكثر مادة انقسم الخاص بمصر من كتاب الحريدة ( الوزارة والوزراء فى العصر العباسى د . محمد حيدى الميناوى - حاشية ص ١٢٢ ) -

(٢٢٦) هو القاضى الجليس أبو العلى عبد العزيز بن الحباب الاغلبى السمدى النهمى جليس صادق مصر ، وكان لوحد عصره فى مصر نظما ونبرا وترسلا وشعرا مات سنة ٥٦١ وقد أتلف على السبعين ومن اشهر تصانيفه قصيدته الدالية التى كتبها لصلح طلائع يستنجد به بعد قتل الظاهر ودعى الجليس لقره مجالسته للظواهر ومدحه اباجم -

مثل خاله الفقيه الشافعي نصر بن عبد الرحمن من أهل الإسكندرية ، وابن الصياد (٢٢٧) الذي قال عنه عماد الدين « وكان سريع الخطير في النظم لا يقه علمه ولا يتمتع فيه علمه ويفرغ الصالح بجلسته يهجوم وكتاوا يهزؤون له » . وابن مانوس (٢٢٨) الذي بأسخ من تكريم الصالح له ان حضر الى منزله عند وفاته ومضى في جنازته حتى وراه في القرب وغيرهم كثيرون . وان عمارة اتيمتى خير مثال لما يلقاه الشعراء من تشجيع الوزراء وما كان لهذا التكريم من اثر في ادهم ، فان عبارته برغم كونه مستحبا شافعي لم يتمتع ابن زريك . ان العطف عليه وتقريبه له حتى صار من الصق اصحابه به وانتهت عليه مسلمات الوزير مما جعل عمارة السنن ينطلق بكل قوته وقدرته الشعرية في ذكر الضابطيين والاتقصار لهم والدفاع عنهم حتى بعد القضاء على دولتهم مما أدى به الى اتقتل بلور صلاح الدين وهكذا احتفظ ابن زريك بمداقته عمارة رغم اختلافه مع عمارة في المذهب وظل ونبا لأن زريك حتى بعد القضاء على دولته ومحاولة الوزير ثلور اغدافى انعم عليه وتقريبه له وضربه الى حاشيته .  
ومن اروع ما قاله :

تضكد بعد الصالح ماغضبت      مجالس أبيه وعن غيوبه (٢٢٩)  
أيجذب حدى من ربيع مدايمى      ورمى من نعمه يستيه خصيبا

وتوفى الملك الصالح سنة ٥٥٦ هـ . وتولى الوزارة بعده ابنه الملك الناصر زريك بن الصالح الذى ... لم على حوال ابيه في رعاية الاخي والأبناء وكان شاعرا مثل ابيه ناددا للشعر عارفا بجوده ويقول عمارة عنه « ولما

(٢٢٧) هو ابو القاسم هبة ابن بحر المعروف بابن الصياد وكان مولعا ببقاء المقاضي الجليس كثير التهكم بلذله الكبير حتى قيل انه أنشد أكثر من ألف مقموعة في أنف الجليس .

(٢٢٨) هو انقاض المفضل كافي الكفاة ابو الفتح محمد بن القاسم بن اسماعيل ابن أحمد الديالى المعروف بابن قلدوس من اقدر كتاب حمر وشمرانها شاهد عصر الأنتىل وأبندت به الصباة الى عصر الصالح طلّاح بن زريك وهو حصرى المحتد والنشأة ، رغم غلو كعبه في الشوكان ضميفه الحلقى بصمد زملاءه ( الوزراء والوزراء ) د . محمد حيدى المتيلوي من ١٢٢ - ١٢٤ ) .

(٢٢٩) د . محمد حيدى القيساوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى من ١٢٢ - ١٢٤ .

تعبه فكان يعرف جيد الثمر ويستحسنه ويتعب عليه ك (٢٢٠) .

ول رثاء عبارة للصلح ومدح للناصر قال :

لا يقولن جاهل بالقسوق ذهب الناقد المسجع البهر  
فالرجى ابو شجاع عليم بمصادر اهلين خير (٢٢١)

ولكن عبارة اثنى عليه التذاه كله لان الناصر استخدم القاضي الفاضل ، يقول  
عبارة ه ومن محاسن ابامه وما يؤرخ عنها بل هي الحسنه التي لا توازي ولابد  
البيضاء اثنى لا تجازي خروج امره الى والى الاستخديرة بتسير القاضي الفاضل  
الاجل ابى عبد الرحيم على البيهاساني الى ابياب واستخدايه ه (٢٢٢) .

كان ثقة الحساسى الملك الناصر وتذوقه للشعر والكتابة الفنية ومعرفته  
لجيد من الشعر والقتر جعلت الناصر يختص مواهب القاضي الفاضل الادبية  
يرفعه الى مرتبة الخدمة في ديوان الجيش بالحضره واولا ذمك لفضل القاضي  
الفاضل مغمورا مثل كثير من الادباء والشعراء الذين لم تنح لهم تلك الخطوة  
لجهلهم التمدن وغمطت مواهبهم (٢٢٣) .

فلا غرو ان رأينا عبارة الفهني يرفع من شأن هذا الكشاف ويمده ه السنة  
التي لا توازي واثنى البيضاء التي لا تجازي ه ونو كان عبارة يعلم ما ستحي به  
الايام له وموافق القاضي الفاضل منه ليجعل هذه اليد البيضاء سوداء وقلك  
الحسنة سيئة . لكن لم يهول الأيام الملك الناصر اذ تقل سنة ٥٥٨ ه وبهوته  
بذات المنازعات على انواره بين شاور وضرغام وادى الامر الى تدخل جيوش  
نور الدين زنكي في امر هذه المنازعات والى تدخل جيوش الصليبيين لاحتلال مصر

١٢٢٠١ عبارة الفهني : النكت العصرية ص ٥٥ .

(٢٢١) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٢٢٢) نفس المصدر ص ٥٢ .

(٢٢٣) عبد الرحيم بن على البيهاساني شاعري المذهب تقلد ابوه قضاء بيسان  
وهي بلدة من بلاد الارمن بين جوران ونلسطين ومن هذا اللفظ اشتق اسمه  
( البيهاساني ) لخدم القاهرة وخدم في ديوان الانشاء أيام الخليفة النحافظ وتوفى حتى  
صار صاحب هذا الديوان ولما قدم ابد الدين شيركوه اتخذه كاتباً له ، ووزر  
ملاح الدين فاستعمل به وجعله وزيراً حتى توفى سنة ٥٦٦ ه .

ثم إلى تولية أسيد الدين شيركوه ثم صلاح الدين الأيوبي الوزارة إلى أن استطاع هو القضاء عليها سنة ٥٦٧ هـ (١٢٢٤) .

ولقد دخلت البلاد بعد القضاء على آل رزيق ووزارة ششاور ثم دور جديد من الفوضى وسلك الدماء وتدخل القوى الخارجية نتيجة للانطرابات التي قامت بين شاور وخرنم ماخذت دولة الأدب مثل أي شيء آخر في الدولة في الضعف برفق محاولاً شاور في تقريب بعض الشعراء مثل عمارة وغيره (١٢٢٥) .

ولقد وصف عمارة ما صاحب وزارة شاور من سلك للدماء وما أدى ذلك إلى اضطراب النفوس وبليلة الأفكار فقال :

الا ان حد السيف لميق خلطسرا . من الناس الا جاورا يتسرد  
ذمرت البورى حتى لقد خاف مصليح . على نفسه أضغاف ملقاه مقسد

وكان لذلك أثره في انخفاض حصول الشعراء ومحاولة كل منهم النجاة بنفسه حتى أن عمارة نفسه ألح على شاور في اقالته من تول الشعر بقله .

ويصف صباد الدين الأصفهاني حالة الأديب والأدياء بعد الصلح بقوله :  
« أتكسفت شمس الفضائل الزاهرة ، ورخص سعر الشعر الشيعر ، وانخفض علم العلم ، وضائق قضاء الفضل ، واتسع جباه الجهول ، وانحل نظم النظم . وانتثر عقد دري الفخر ، واستشعر الفاتحة الشمراء ، وعدم الهلغة البلغيا ، وعد الفضل مضولاً ، والمقل عقولاً ، وطلب المهذب مذهباً في الذهب محبوباً ، وركبها في التجاه مجنوناً ، واحضل الرشيد طريق رشده ماحترق بشرار شر شاور من بعده ، وعاد ابن الصياد إلى حرقة أبيه ، وطلق عضلاء الحضرة يغبون لحشور الناقمين ، فلم تزل مصر بعد منحوسة الحظ ، مملوكة الجد ، منكوبة الراية ، منكوبة الآية » (٢٢٦) .

وقد كان لضعف الكثرة التي أولاهها الوزراء للعلم والعلماء والأدب والأدياء

---

(٢٢٤) د. محمد كامل حسين : في أئب مصر الناطقية من ١٦٨ : ١٦٦ .  
(٢٢٥) د. محمد حيدى المياوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي من ١٢٥  
(٢٢٦) د. محمد حيدى المياوى : الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي من ١٢٥ . تتلا عن العماد الأصمغاني - الضريدة .

وأعدائهم الانعادات عليهم أكبر الأثر في ازدهار الحركة العلمية والأدبية بمصر ،  
ووجود العلماء والأدباء من كل صوب وحبوب وأن يتبلوا على القاليف في كل فرع  
كما كان من عوامل ازدهار الكتابة الفنية في العصر الفاطمي أن معظم وزراء العصر  
الأول كانوا من الكتاب حتى أسماهم المؤرخون أصحاب الأقاليم - وبذلك كانت  
الكتابة عملاً مرموقاً ينظر إليه بتجله واحترام ويسمى كل من يتطلع الي منصب  
الوزارة (٢٣٧) .

وهكذا كان للوزراء الطبق المعنى في ازدهار الحركة العلمية والأدبية في  
العصر الفاطمي بما كانوا يعتقدونه على الشجعراء والأدباء والعلماء أسوة  
بالحقلاء الفاطميين ولكن للأسف الشديد أن الكثير من هذا الشجعراء قد ضاع  
ولم يبق منه إلا أشلاء منتثرة في بتيمة الدهر والخريدة وقبرها من كتب التراجم  
ومع هذا فلم يجر استطاعت أن تنتزع زمامة المعالم الإسلامية في الحركة  
الثقافية والأدبية والعلمية .

## قائمة المصادر

### ( ٢ ) المخطوطات :

- ١ - ابن أبيك ( توفي بعد ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ) :  
« كثر الدرر وجامع الدرر » الجزء السادس بعنوان « الدرر المصيبة في أخبار الدولة الفاطمية » - مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٥٧٨ تاريخ.
- ٢ - بيبرس الدوادار ( ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ) :  
« زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة - للجزء السادس برقم ٢٤٠٢٧ .
- ٣ - ابن خاتمر ( ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ) :  
« اخبار الدول المنقطعة » مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ٨٩٠ تاريخ.
- ٤ - سبط بن الجوزي ( ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م ) :  
« مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » الجزءان : الحادى عشر والثانى عشر - مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٥١ تاريخ.
- ٥ - أبى السرور البكرى ( ت ١٠٠٥ - ١٠٥٩ هـ / ١٥٩٦ - ١٦٥٠ م ) :  
« عيون الأخبار ونزهة الأبيصمصار » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٢ تاريخ بمكتبة مصطفى كليل باشا .
- ٦ - « رسائل الخاتم بأمر الله » كتبها دعاء الفاطميين ولا مسيها حمزة بن على وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٧ - ٢٨ - ١٢٢ عقائد ونحو .
- ٧ - العيني ( ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م ) :  
« عند الجمال في تاريخ أهل الزمان » - مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ - الجزء التاسع عشر .
- ٨ - القضاوى ( ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ) :  
« عيون المعارف ونبون أخبار الخلفاء » مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ١٢٧٩ تاريخ .



٩ - ميخائيل « الأنا » ( اسقطه تيمس - ماس في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ) :

« سير الببغة المقدسة » والمعروف « بنيل سير الإباء البطركية » . الجزء الثالث : مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ٦٤٣٤ تاريخ .

١٠- التويرى ( ات ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م ) :

« نهاية الأرب في فنون الأدب » مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٤٩ - معارف عامة - الجزء السادس والعشرون .

### ( ب ) المصانير العربية المخطوطة :

١١- الأبتسيهي ( ات ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م ) :

« المستطرف في كل فن مستظرف » القاهرة ١٣٨٥ هـ - جزئين .

١٢- ابن الأثير ( ات ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م ) :

« الكامل في التاريخ » مصر ١٢٥٣ هـ ، الجزءان الثامن والتاسع .

١٣- ابن أبي أصيبعة ( ات ٦٦٧ هـ / ١٢٧٠ م ) :

« هيون الأنباء في طبقات الأطباء » تحقيق د. نزار ونسا - بيروت ١٩٦٥ م .

١٤- ابن أبيس ( ات ٩٣٠ هـ / ١٥٢٢ م ) :

« تاريخ مصر » المصروف به « بدائع الزهور في وقائع الدهور » بولاق ١٣١١ هـ - الجزء الأول .

١٥- التلميسلي ( بنيامين بن يوفه التطولي الانطلسي ) :

« رحلة بنيامين » ( ٥٦١ هـ / ٥٦٩ هـ ) ترجمة وتعليق عزرا حداد - بتداد سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م ٤ .

١٦- ابن الجوزي ( أبو الفرج ) ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ) :

« المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » حيدر اباد سنة ١٣٥٧ - ١٣٥٨ هـ - الاجزاء من ٥ - ٦ .

١٧- ابن جبير ( ات ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م ) :

« رحلة ابن جبير » تحقيق د. حسين نصار - القاهرة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

- ١٨- ابن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م ) :  
« ربيع الاصر عن قضاء مصر » القسم الثاني - تحقيق د. حامد عبد المجيد ،  
القاهرة ١٩٦٦ م .
- ١٩- ابن حوقل ( نبغ في سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ) :  
« كتاب صورة الأرض » مطبعة دار الحياة - بيروت .
- ٢٠- ابن خلدون ( ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م ) :  
« المبر وديوان البندا والخير » طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ الجزء الرابع .
- ٢١- ابن خلكان ( ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م ) :  
« ونبات الاعيان وانباء ابناء الزمان » ستة اجزاء - تحقيق محمد محبر الدين  
عبد الحميد - القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .
- ٢٢- ابن قيسلق ( ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ - ١٤٠٧ م ) :  
« الانتصار لواسطة عقد الامصار » الجزء الرابع والخامس - بولاق  
١٢٠٩ - ١٢١٠ هـ .
- ٢٣- ابن السراهن ( رسم شمالا في دير المعلقة بنسطاط مصر سنة ٦٦٩ هـ /  
١٢٧٢ م ) :  
« تاريخ ابن الراهب » نشر لويس شيخو - بيروت ١٩٠٣ م .
- ٢٤- رشيد الزبير ( عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ) :  
« النخائر والتحف » تحقيق د. محمد عبد الله - الكويت ١٩٥٩ .
- ٢٥- ساويرس بن المقفع ( أسقف الاسميونين ) :  
« تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » المجلد الثاني - الجزء الثاني - تحقيق  
عبد المسيح وسوريال وبريسنبر - طبعة مصر سنة ١٩٤٨ م .
- ٢٦- السيوطي ( ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) :  
« حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة » جزآن - القاهرة ٣٢٧ هـ /  
١٩٠٩ م .  
( م ٢٨ ) - الحياة الفكرية في مصر ا

- ٢٧— أبو شجاع (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) :  
« ذيل تجارب الأمم » صححه ه.ف. أندروز — طبع بمصر سنة ١٢٢٤ هـ /  
١٩١٦ م .
- ٢٨— الشيرازي (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م) :  
« نهاية الرتبة في طلب الحسبة » تحقيق السيد البز العريني — القاهرة  
١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م .
- ٢٩— أبو صالح الأرمي (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) :  
« تلويح الشيخ أبو صالح الأرمي » المعروف بـ « كتابس وأدبيرة مصر »  
تحقيق وترجمة طبعة أكسفورد سنة ١٨٩٤ م .
- ٣٠— ابن ظهيرة ( عاش في القرن العاشر الهجري ) :  
« الفضائل الباهرة في ملوك مصر والقاهرة » تحقيق محطى السقا —  
كابل المهندس للقاهرة ١٩٦٩ م .
- ٣١— العبري (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) :  
« تاريخ مختصر الدول » بيروت ١٨٩٠ م .
- ٣٢— أبو عثمان النابلسي الصلبي (ت ٦٤١ هـ) :  
« تاريخ الفيوم وبلادها » القاهرة ١٨٩٨ م .
- ٣٣— ابن المياد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) :  
« شذرات الذهب في أخبار من ذهب » القاهرة ١٢٥٠ — ١٢٥٣ هـ  
الجزء الثالث .
- ٣٤— ابن العميد (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٢ م) :  
« تاريخ المسلمين » لندن ١٩٢٥ م .
- ٣٥— غرس الدين خليل (ت ٨٧٢ هـ) :  
« كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك » صححه پولس راويس  
باريس ١٨٩٢ م .
- ٣٦— أبو الفدا (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م) :  
« المختصر في أخبار البشر » المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ .

- ٢٧- ابن فضل الله العمري ( ت ٧٤٩ هـ / ١٣٥٩ م ) :  
« ملك الأيضار في أخبار ملوك الأماص » الجزء الأول - تحقيق  
أحمد زكي باشا - القاهرة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م .
- ٢٨- ابن القلانسي ( ت ٥٥٥ هـ / ١٣٣١ م ) :  
« ذيل تاريخ دمشق » بيروت ١٩٠٨ م .
- ٢٩- الفلقشندي ( ت ٣٤١ هـ / ١٤١٨ م ) :  
« صبح الأمل في صناعة الإنشبا » ١٤ جزءا - القاهرة ١٩١٣ م /  
١٩١٧ م .
- ٣٠- النعماني ( ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م ) .  
« تاريخ الحكماء » و « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » لبيزج ١٩٠٣ م .
- ٣١- ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) :  
« البداية والنهاية في التاريخ » القاهرة ١٣٥٨ هـ - الجزمان في الصادي  
عشر والثاني عشر .
- ٣٢- كاتب مرآة الكاشي ( من كتاب القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ) :  
« كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار » تحقيق د . سعد زغلول نصار .  
الإسكندرية ١٩٥٨ م .
- ٣٣- أبو الحسن ( ت ٨٧٤ هـ / ١٤٩٦ م ) :  
« النجوم المزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » الجزء الرابع والخامس -  
طبعة دار الكتب المصرية ١٣٥١ هـ / ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٢ / ١٩٣٥ م .
- ٣٤- جبر الدين النبلبي ( ت ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م ) :  
« الإنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » الجزء الأول .
- ٣٥- المهندس ( ت ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ) .  
« أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » لندن ١٩٠٦ م .

٤٦— المقرئى ( ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م )  
« التماثل الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا » الجزء الأول - تحقيق الشيبان  
القاهرة ١٩٦٧ م - والجزء الثانى - تحقيق د. محمد طهى محمد - القاهرة  
١٩٧١ م .

٤٧— « الواعظ والاعتبار فى ذكر الخلط والآثار » جزءان - طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ  
٤٨— « الألام بأخبار من بارض الجيشة من ملوك الإسلام » طبع بمصر سنة  
١٨٩٥ م .

٤٩— ابن ميسر ( ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ) :  
« تاريخ مصر » الجزء الثانى - القاهرة ١٩١٩ م .  
٥٠— نصر خسرو ( زار مصر بين سننى ٤٢٩ - ٤٤١ هـ ) .  
« سفر نامه » ترجمة يحيى الفخساب - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥٤ م .

٥١— ابن الوردي ( ت ٧٥٠ هـ ١٣٥٨ م )  
« تكملة المختصر فى أخبار البشر » جزءان - طبع بالقاهرة ١٢٨٥ م .

٥٢— ياقوت ( ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ) :  
« معجم البلدان » ١٠ أجزاء - القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩٠٦ م .

٥٣— يحيى بن سعيد الأنطاكى ( ت ٥٨٨ هـ / ١٠٦٦ م ) :  
« تاريخ » أو « صلة كتاب أوليخا » السسمى « التاريخ المبعوع على الفتحىق  
والنصديق » تحقيق شيخو - بيروت ١٩٠٩ م .

### ( ج ) المراجع الحديثة :

٥٤— أربى حبيبه المصرى :  
« قصة الكنيسة القبطية » الجزء الثالث - الطبعة الثانية - القاهرة  
١٩٧٥ م .

٥٥— فرنولد :  
« الدعوة الى الإسلام » ترجمة د . حسن إبراهيم وعبد المجيد هالدين -  
الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٧ م .

- ٥٦- أسد رستم :  
« الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالمغرب » في  
جزعين - بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .
- ٥٧- بشر ( السيدة ا . ل ) :  
« تاريخ الامة القبطية وكتيبتها » اجزاء - طبع بالقاهرة بمصر سنة  
١٩٠٦ م .
- ٥٨- بارتولد :  
« تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » نقله من التركية الى  
العربية حزة طاهر - القاهرة ١٩٥٢ م .
- ٥٩- البراوي ( رائد - الدكتور ) :  
« حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين » القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٦٠- ترون ( ا . س ) :  
« أهل الذمة في الإسلام » ترجمة د. حسن حبشي - الطبعة الثانية  
القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٦١- جساك ناجسر :  
« انبساط ومسلمون بنو الفتح العربي الى سنة ١٩٢٢ » القاهرة سنة  
١٩٥١ م .
- ٦٢- جروهمان ( المؤلف ) :  
« أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية » ترجمة د . حسن ابراهيم  
وميد الحميد حسن - القاهرة ١٩٣٤ م .
- ٦٣- حتى ( فيليب - الدكتور ) :  
« تاريخ العرب في جزعين - ترجمة ادوارد جرجي وجبرائيل جبور - بيروت  
١٩٦٦ م .
- ٦٤- حسن ابراهيم حسن ( الدكتور ) :  
« تاريخ الاسلام السياسي » الجزء الثالث - الطبعة السابعة - القاهرة  
١٩٦٥ م - والجزء الرابع - الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .

- ٦٥- « الناطقيون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص » القاهرة ١٩٢٢ م .
- ٦٦- « تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد المغرب » الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .
- ٦٧- حسن إبراهيم وطفه شرف :  
« المعز لدين الله الفاطمي : امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر » القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٦٨- حسن إبراهيم وآخرون :  
« المجاز في التاريخ المصري » الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٤٢ م .
- ٦٩- خطاب عطية على :  
« التعليم في مصر في العصر الفاطمي الاول » القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٧٠- ديماند :  
« الفتنون الاسلامية » ترجمة أحمد عيسى .
- ٧١- زاهر رياض ( الدكتور ) :  
« تاريخ اثيوبيا » القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٧٢- « كنيمة الاسكندرية في افرينيا » الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٧٣- رؤوف حبيب :  
« كنائس القاهرة القبطية القديمة » القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- ٧٤- زكي محمد حسن ( الدكتور ) :  
« الفن الاسلامي في مصر » الجزء الاول - القاهرة ١٩٢٥ م .
- ٧٥- « كتوز الفاطميين » القاهرة ١٩٢٧ م .
- ٧٦- « فنون الاسلام » القاهرة ١٩٢٨ م .
- ٧٧- سرور ( محمد جمال الدين - الدكتور ) :  
« التلوز النابلسي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة - القاهرة ١٩٥٩ م .

- ٧٨— « مصر في عصر الدولة الفاطمية » مجموعة الألف كتاب — القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٧٩— « الدولة الفاطمية في مصر » القاهرة ١٩٦٥ م — ١٩٦٦ م .
- ٨٠— « سلسلة الفاطميين الخارجية » القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٨١— سيد أمير علي :
- « مختصر تاريخ العرب » ترجمة عتيق البعلبكي — الطبعة الأولى — بيروت ١٩٦١ م .
- ٨٢— سيده اسماعيل كاشف ( الدكتور ) :
- « مصر في فجر الإسلام » الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٨٣— « مصر في عصر الاخشبيين » الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٨٤— حسن أحمد محمود ( الدكتور ) :
- « خسارة مصر الإسلامية » العصر الطولوني ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٨٥— حسن أحمد محمود وسيده كاشف :
- « مصر في عصر الطولونيين والاششبيين » مجموعة الألف كتاب — القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٨٦— الشيال ( جمال الدين — الدكتور ) :
- « تاريخ مصر الإسلامية » الجزء الأول — القاهرة ١٩٦٧ م .
- ٨٧— هشور ( سعيد عبد الفتاح — الدكتور ) :
- « المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك » القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٨٨— عبد اللطيف إبراهيم ( الدكتور ) :
- « في مكتبة دير سانت كاترين » مستخرج من « مجلة أم درمان الإسلامية » العدد الأول سنة ١٩٦٨ م .
- ٨٩— عبد الرحمن نهسي :
- « موسوعة النور العربية وعلم النبات » الجزء الأول بعنوان « فجر السنة العربية » — القاهرة ١٩٦٥ م .



- ٩٠- عيد الرحمن زكى ( الدكتور ) :  
« القاهرة - تاريخها وآثارها - من جوهر القائد الى الجبرتي المؤرخ »  
القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- ٩١- علي ابراهيم حسن ( الدكتور ) :  
« تاريخ جوهر الصقلى » الطبعة الاولى - القاهرة سنة ١٣٥١ هـ /  
١٩٣٢ م .
- ٩٢- علي حسنى الخربوطلى ( الدكتور ) :  
« مصر العربية الاسلامية - السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي  
الاسلامى ، منذ الفتح العربى الى الفتح العثمانى » القاهرة ١٩٦٣ م .
- ٩٣- « العرب واليهود في العصر الاسلامى » القاهرة ١٩٦٢ م .
- ٩٤- عمر كمال توفيق ( الدكتور ) :  
« الأباطور نقتور موكاس واسترجاع الاراضى المقدسة » ( الاسكندرية  
١٩٥٩ م ) .
- ٩٥- منان ( محمد عبد الله ) :  
« الحاكم بامر الله ، و اسرار الدعوة الملقبية » الطبعة الثانية - القاهرة  
١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- ٩٦- « تاريخ الجبلع الأزهر » الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٩٧- « مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية » الطبعة الاولى - القاهرة  
١٩٣١ م .
- ٩٨- عطية محمود القوصى ( الدكتور ) :  
« بنو الكنز » دراسة تاريخية - رسالة بلمجستير غير مطبوعة تحت اشراف  
الدكتور احمد فراج - جامعة القاهرة ٢٩٧٠ م .
- ٩٩- « تجارة مصر في انبحر الأحمر منذ تجمر الاسلام حتى سنقوط الخلافة  
العباسية سنة ٩٥٦ » رسالة نكتوراة غير مطبوعة تحت اشراف د . احمد  
فراج - جامعة القاهرة ١٩٧٢ م .

- ١٠٠- كارل بروكلمان :  
« تاريخ الشعوب الإسلامية » الجزء الثاني بعنوان : « الإمبراطورية  
الإسلامية واتحالاتها » الطبعة الثانية - بيروت ١٩٥٤ م .
- ١٠١- لين بول ( ستانلى ) :  
« سيرة القاهرة » ترجمة د. حسن إبراهيم وآخرين - القاهرة ١٩٥٠ م .
- ١٠٢- ملحد ( عبد المنعم - الدكتور ) :  
« نظم الفاطميين ورسومهم في مصر » القاهرة .
- ١٠٣- « انصاف بامر الله ، الخليفة المقتدى عليه » القاهرة ١٩٥٩ م .
- ١٠٤- « ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر » الاسكندرية ١٩٦٨ م .
- ١٠٥- منير ( آدم ) :  
« الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى » في جزئين - القاهرة  
١٩٤١ م .
- ١٠٦- المنبوى ( محمد حمدي - الدكتور ) .  
« الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى » القاهرة ١٩٧٠ م .
- ١٠٧- برتس سبيكة ( يالسا ) :  
« دليل المتحف القبطى ، وأهم الكنائس والأبنية الأثرية » في جزئين - طبع  
بمصر ١٩٢٠ - ١٩٢٢ م .
- ١٠٨- مرزوق ( محمد عبد العزيز - الدكتور ) :  
« الزخرفة المنسوجة في الأتملة الفاطمية » القاهرة ١٩٤٢ م .
- ١٠٩- بشرنة ( عطية مصطفى - الدكتور ) :  
« نظم الحكم في مصر الفاطميين » الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ١١٠- مصطفى بسعد ( الدكتور ) :  
« الإسلام والتوبة في العصور الوسطى » القاهرة ١٩٦٠ م .

( د ) المراجع الأجنبية :

- 1 — Goitein (S.D.) :  
"Jews and Arabs". New York, 1955.
  - 2 — ——— — "A Mediterranean Society, the Jewish Communities of the  
Arabs World as Portrayed in Documents of the Cairo Geniza".  
Vol. I, California, 1967.
  - 3 — Lane-Pool (S.) :  
"History of Egypt in the Middle Ages" London, 1901.
  - 4 — Mann (J.) :  
"The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliph". Vol. I,  
Oxford, 1920.
- Stern (S.M.) :  
"Fatimid Decrees, Original Documents from the Fatimid Chancery".  
London, 1964.

# المفردات

صفحة	
٢	احكام
٥	مقابلة
٩	بحث في مصادر ومراجع الرسالة
١٧	تمهيد : الحياة الفكرية في مصر قبل قيام الدولة الفاطمية
<b>الباب الاول</b>	
<b>العوامل المؤثرة في الحياة الفكرية</b>	
<b>في مصر في العصر الفاطمي</b>	
٢٥	مقدمة
٣٧	وقف المصريين من قيام الدولة الفاطمية في مصر
٤٠	اثر الحياة السياسية في الاتجاهات الفكرية
٥٢	المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية
٨٩	
<b>الباب الثاني</b>	
<b>الجوانب الدينية والمذهبية في الحياة الفكرية</b>	
١٠٢	مختل
١٠٥	اثر قيام جامعة الأزهر في الحياة الفكرية
١١٠	انتمى كمركز للحياة الفكرية
١٢٢	مجلس الدعوة الفاطمية في التمسور والمساجد
١٢٠	دور أهل السنة في مصر في الحياة الفكرية
١٤٦	
<b>الباب الثالث</b>	
<b>النشاط العلمي والثقافي والتعليمي</b>	
١٥٩	المكتبات الفاطمية ودور الصنعة
١٦١	المدارس والكتاتيب والزوايا
١٧٦	حركة التأليف
١٩٢	

صفحة

٢٠٨	الدراسات العلمية :
٢٠٩	الطبي
٢١٨	الفلك والتنجيم
٢٢٢	الرياضيات والهندسة
٢٢٩	التبث
٢٤٠	الكيمياء

### المجلد الرابع

٢٤١	الدراسات الأدبية والاجتماعية
٢٤٢	الدراسات الأدبية :
٢٤٩	أولاً - الشعر
٢٦٦	ثانياً - النثر
٣٧٩	ثالثاً - علوم اللغة والنحو
٢٩٤	رابعاً - الفراءات وعلوم القرآن
٢٠٧	الدراسات الاجتماعية :
٢٠٧	أولاً - التاريخ
٢١٨	ثانياً - الجغرافيا
٢٢٢	ثالثاً - الفلسفة
٢٦٥	دور الخلفاء والوزراء في النشاط الأدبي
٤٢١	المصادر والمراجع